البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حققه هذا الجزء

محمد رضوان عرقسوسي   محمد معتز كريم الدين   محمد أنس الخن

الجزء الحادي والعشرون

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات سورة الجن*

الجَدُّ لغة: العَظَمَةُ[1] والجَلال[2]، وجَدَّ في عَيْني: عَظُمَ وجَلَّ.

وقال أبو عُبيدة والأخفش: المُلْكُ والسُّلطان[3]، والجَدُّ: الحَظُّ، والجَدُّ: أبو الأب.

الحَرَسُ: اسم جمع الواحد: حارس، كغَيَب، واحده: غائب[4]، وقد جمع على أحراس؛ قال الشاعر:

تجاوَزْتُ أحراساً وأهْوالَ معشرٍ[5]

كشاهد وأشهاد، والحارس: الحافظُ للشيء يرقُبُه.

القِدَدُ: السِّيَرُ المختلفة، الواحدة: قِدَّة، قال الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي بطاعتِهِ ... في فتنةِ الناسِ إذْ أهْوَاؤُهُمْ قِدَدُ[6]

وقال الكُمَيْت:

بالرأي منهم كلَّ رافضةٍ ... إذْ هُمْ طرائقُ في أهوائهم قِدَدُ[7]

---

* تفسير السور من «الجنّ» إلى «المرسلات» من تحقيق محمد رضوان عرقسوسي، ومن سورة «النَّبأ» إلى سورة «البلد» من تحقيق محمد معتز كريم الدين، ومن سورة «الشمس» إلى سورة «الناس» من تحقيق محمد أنس الخن.

(١) في (ت): الغلبة.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨١ وقال: ومنه قول أنس ﷺ: كان الرجلُ إذا حفظ البقرةَ وآل عمران جَدَّ في عيوننا، أي: عَظُمَ وجَلَّ.

(٣) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢، والمصدر السالف.

(٤) ومثل أيضاً: خَدَم وخادم. ينظر الدر المصون ٨/ ٤٨٩.

(٥) هو صدر بيت لامرئ القيس، وعجزُه: عليَّ حِراصٍ لو يُشرُّون مقتلي. وهو في ديوانه. وقوله يُشرُّون، أي: يُظهرون.

(٦) البيت للراعي النُّميري، وهو في ديوانه ص٦٣.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.

تَحرَّى الشيءَ: طلبَه باجتهاد وتوخَّاه وقصَدَه. الغَدَق: الكثير.

اللِّبَدُ جمع لِبْدَة، وهو ما تراكَمَ بعضُه على بعض، ومنه لِبْدةُ الأسد، ويقال للجراد الكثير المتراكم: لِبَد، ومنه اللِّبْدُ الذي يُفرش يُلبَّدُ[١] صوفُه، دخل بعضُه في بعض.

* * *

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ
أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا
مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي
الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا
ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن
يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

هذه السورةُ مكيَّة، وَوَجْهُ مناسبتِها[٢] لِما قبلَها أنه لمَّا حَكَى تَمادِيَ قومِ نوح في الكفر وعكوفَهم[٣] على عبادة الأصنام، وكان عليه الصلاة والسلام أوَّلَ رسول إلى الأرض كما أنَّ محمداً ﷺ آخِرَ رسولٍ إلى الأرض، والعربُ الذين هو منهم عليه

(١) في (ع): تلبَّد.
(٢) في (ع) و(يه): ومناسبتها، بدل: ووجه مناسبتها.
(٣) في (يه): وفي كونهم.

الصلاة والسلام كانوا عُبَّادَ أصنامٍ كقوم نوح، حتى إنهم عبدُوا أصناماً مثلَ أصنامِ أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد ﷺ من القرآن هادياً إلى الرُّشد، وقد سمعته العربُ وتوقَّف عن الإيمان به أكثرُهم = أنزلَ الله تعالى سورة الجنّ إثْرَ سُورةِ نوح تبكيتاً لقريش والعربِ في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجنُّ خيراً منهم وأقبلَ للإيمان، هذا وهُم من غير جنس الرسولِ ﷺ، ومع ذلك فبنفسِ ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلامِ الناس، بخلاف العرب، فإنه نزلَ بلسانِهم وعرفُوا كونَه معجزاً وهم مع ذلك مكذِّبون له ولمن جاء به حَسَداً وبغيًا أن ينزِّلَ الله من فضله على من يشاء من عبادِه[1].

وقرأ الجمهور: «قل أُوحِيَ» رباعيًّا، وابنُ أبي عَبْلة والعَتَكيّ عن أبي عَمرو وأبو أُناس جُوَيَّةُ بنُ عائذ[2] الأسَديّ: «وُحِيَ» ثلاثياً[3]، يقال: وَحَى وأَوْحَى بمعنًى واحد، قال العَجَّاج:

وَحَى لها القَرَارَ فاستقَرَّتِ[4]

وقرأ زيد بنُ عليّ وجُوَيَّة ـ فيما روى عنه[5] الكسائيُّ ـ وابنُ أبي عَبْلَة أيضاً: «أُحِيَ» بإبدال الواوِ همزة[6] كما قالوا في وُعِدَ: أُعِدَ.

وقال الزمخشري[7]: وهو من القلب المطلقِ جوازُه في كل واو مضمومة. انتهى.

---

(١) قوله: بغياً أن ينزل الله من فضله. . .الخ، تضمين لبعض الآية (٩٠) من سورة البقرة.
(٢) في غاية النهاية: بن عاتك، ويقال: بن عائذ. وينظر توضيح المشتبه ١/ ٢٨٦، و٢/ ٥٠٨.
(٣) نُسبت في الكشاف ٤/ ١٦٦ لابن أبي عبلة، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨.
(٤) ديوان العجَّاج ص٢٦١.
(٥) في (أ) والمطبوع: عن. وهو خطأ، وينظر المحرر الوجيز٥/ ٣٧٨.
(٦) ينظر المحتسب ٢/ ٣٣١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨.
(٧) الكشاف ٤/ ١٦٦.

وليس كما ذكر، بل في ذلك تفصيل، وذلك أنَّ الواو المضمومة قد تكون أولاً وحَشْواً وآخِراً، ولكلٍّ منها أحكام، وفي بعضها خلاف وتفصيل مذكور في النحو.

قال الزمخشري: وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إعاء أخيه» انتهى.

وهذا تكثير وتبجُّح، وكان يذكر هذا في «وعاء أخيه» في سورة يوسف[1]، وعن المازني في ذلك قولان: أحدُهما القياس كما قال، والآخر قَصْرُ ذلك على السماع.

و﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ في موضع المفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه، أي: استماعُ نفرٍ من الجنّ، والمشهورُ أنَّ هذا الاستماع هو المذكور في «الأحقاف» [٢٩] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وهي قصة واحدة، وقيل: قصَّتان، والجنُّ الذين أتَوْه بمكَّة جنُّ نَصِيبين، والذين أتَوْه بنخلة جِنُّ نِينَوَى.

والسورةُ التي استمعوها قال عكرمة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[2] وقيل: سورة الرحمن. ولم تتعرَّض الآيةُ لا هنا ولا في سورة الأحقاف إلى أنه رآهم وكلَّمهم عليه الصلاة والسلام[3].

ويظهر من الحديث أنَّ ذلك كان مرَّتين: إحداهما في مبدأ مبعث رسول الله ﷺ، وهو في الوقت الذي أخبر فيه عبدُ الله بنُ مسعود أنه لم يكن معه[4] ليلة الجنّ، وقد كانوا فقدوه عليه الصلاة والسلام، فالتمسوه في الأودية والشِّعاب فلم يجدوه، فلما أصبح إذا هو جاء من قِبَلِ حِراءَ وفيه: «أتاني داعي الجنّ فذهبتُ معه وقرأت عليهم القرآنَ» فانطلقَ بنا وأرانا آثارَهم وآثارَ نارِهم[5].

(١) الآية (٧٦)، وقرأ «إعاء» ابنُ جُبير في الشواذ كما سلف في موضعه من سورة يوسف.
(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٤.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٢.
(٤) في (يه): معهم.
(٥) الحديث في مسند أحمد (٤١٤٩) وصحيح مسلم (٤٥٠). وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٥.

والمرَّة الأخرى كان معه ابنُ مسعود وقد استندبَ ﷺ من يقومُ معه إلى أن يتلوَ القرآنَ على الجنّ، فلم يقم أحدٌ غيرُ عبد الله بن مسعود، فذهبَ معه إلى الحَجُون عند الشِّعْب، فخطَّ عليه خطًّا وقال: «لا تُجاوِزْه». فانحدرَ عليه ﷺ أمثالُ الحَجَل يُجْرُونَ[1] الحجارةَ بأقدامهم يمشون يقرعُون في دفوفهم كما تقرعُ النسوة في دُفوفهنَّ حتى غَشَوْهُ فلا أَرَاه، فقمتُ، فأومأ إليَّ بيده أنِ اجلس، فتلا القرآنَ، فلم يزل صوته يرتفع، واختَفَوْا في الأرض حتى ما أراهم. الحديث.

ويدلُّ على أنهما قصَّتان اختلافُهم في العدد، فقيل: سبعة، وقيل: تسعة، وعن زرّ: كانوا ثلاثةً من أهل حَرَّان وأربعةً من أهل نَصِيبِين؛ قريةٍ باليمن غيرِ القرية التي بالعراق[2].

وعن عكرمة: كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل[3]. وأين سبعة من اثني عشر ألفاً؟!

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ أي: قالوا لقومهم لمَّا رجَعوا إليهم، ووصفوا «قرآناً» بقولهم: «عَجباً» وصفاً بالمصدر على سبيل المبالغة أي: هو عَجَبٌ في نفسه لفصاحةِ كلامِه وحُسن مبانيه، ودقَّةِ معانيه، وغرابةِ أسلوبِه، وبلاغةِ مواعظِه، وكونهِ مبايناً لسائر الكتب. والعَجَبُ: ما خرجَ عن حَدِّ أشكاله ونظائره.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب، وقيل: إلى التوحيد والإيمان.

وقرأ الجمهور «الرُّشْد» بضمِّ الراء وسكون الشين، وعيسى بضمِّهما[4]، وعنه أيضاً فتحُهما[5].

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، ولمَّا كان الإيمان به متضمِّناً الإيمانَ بالله وبوحدانيَّته وبراءةً من الشِّرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

---

(١) في أخبار مكة للفاكهي (٢٣١٩) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٦ والخبر فيهما بنحوه: يَحْدُرُونَ.
(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٤.
(٣) المصدر السالف ٢١/ ٢٧٦.
(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٩.

وقرأ الحِرْمِيَّان والأَبَوان بكسر الهمزة[١] من قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ وما بعدَه، وهي اثنتا عشرة آية آخِرُها: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ وباقي السبعة بالفتح[٢].

فأما الكسرُ فواضحٌ لأنها معطوفاتٌ على قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ فهي داخلةٌ في معمول القول.

وأمَّا الفتح؛ فقال أبو حاتم: هو على«أُوحِيَ» فهو كلُّه في موضع رفع على ما لم يُسمَّ فاعلُه. انتهى[٣].

وهذا لا يصحُّ لأنَّ من المعطوف ما لا يصحُّ دخولُه تحت «أُوحِيَ» وهو كلُّ ما كان فيه ضمير المتكلِّم كقوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ ألا ترى أنه لا يلائم: أُوحِيَ إليَّ أنَّا كنَّا نقعدُ منها مقاعدَ للسَّمع؟ وكذلك باقيها.

وخُرِّجت قراءة الفتح على أنَّ تلك كلَّها معطوفة على الضمير المجرور في «به» من قوله: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: وبأنه، وكذلك باقيها. وهذا جائزٌ على مذهب الكوفيِّين، وهو الصحيح، وقد تقدَّم احتجاجُنا على صحة ذلك في قوله: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال مكّيّ: هو أجودُ في «أنَّ» منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجرّ مع «أنَّ».

وقال الزجاج[٤]: وجهُه أن يكون محمولاً على «آمنا به» لأنَّ معناه: صدَّقْناهُ وعلمناه، فيكون المعنى: فآمنَّا به أنه تعالى جَدُّ ربِّنا. وسبقَه إلى نحوه الفرَّاء[٥]،

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: بفتح الهمزة، وهو خطأ. وينظر السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥. الحِرْميَّان: نافع المدني وابن كثير المكي، والأبوان: أبو عمرو البصري وأبو بكر بن عياش.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: بالكسر، وهو خطأ. وينظر التعليق قبله.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٠.

(٤) معاني القرآن ٥/ ٢٣٦.

(٥) معاني القرآن ٣/ ١٩١.

قال: فُتحت «أنَّ» لوقوع الإيمان عليها، وأنت تجدُ الإيمانَ يحسُنُ في بعض ما فُتح دون بعض، فلا يمنعُك ذلك من إمضائهنَّ على الفتح، فإنه يحسُنُ فيه ما يوجب فتح «أنَّ»، نحو: صدَّقنا وشَهِدْنا.

وأشار الفرَّاء إلى أنَّ بعضَ ما فُتح لا يُناسبُ تسليطَ «آمنَّا» عليه، نحو قوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾.

وتبعَهما الزمخشريّ[1]؛ قال: ومَنْ فتحَ كلَّهنَّ فعطفاً على محلِّ الجارِّ والمجرور في «آمنَّا به» كأنه قيل: صدَّقناهُ وصدَّقنا أنه تعالى جدُّ ربِّنا، وأنه كان يقولُ سفيهُنا، وكذلك البواقي. انتهى.

ولم يتفطَّن لما تفطَّن له الفرَّاء من أنَّ بعضها لا يحسُنُ أن يعمل فيه «آمنَّا».

وقراءة الجمهور: «جَدُّ ربِّنا» بفتح الجيم ورفع الدال مضافاً إلى «ربِّنا» أي: عَظَمَتُه. قاله الجمهور، وقال أنس والحسن: غِناهُ، وقال مجاهد: ذِكْرُه، وقال ابن عباس: قَدَرُه وأمرُه[2].

وقرأ عكرمة: «جَدٌّ» منوناً «رَبُّنا» مرفوعَ الباء، كأنه قال: عظيمٌ هو ربُّنا، فـ «ربُّنا» بدل[3]، والجَدُّ في اللغة: العظيم.

وقرأ حُميد بنُ قيس: «جُدُّ» بضم الجيم مضافاً، ومعناه العظيم، حكاه سيبويه[4]، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: تعالى ربُّنا العظيم.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا ربُّنا» بفتح الجيم والدال منوَّناً، ورفع «ربُّنا»،

---

(١) الكشاف ٤/ ١٦٦.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨١.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٢.
قال ابن جنّي: أراد: وأنه تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، على البدل، ثم حَذف الثاني وأقام المضاف إليه مقامه.

(٤) الكتاب ٢/ ٣١٥، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.

وانتصب «جَدًّا» على التمييز المنقول من الفاعل أصلُه[١]: تعالى جَدُّ رَبِّنا[٢].

وقرأ قتادة وعكرمة أيضاً: «جِدًّا» بكسر الجيم والتنوين نصباً «ربُّنا» رفع؛ قال ابنُ عطية[٣]: نصب «جِدًّا» على الحال، ومعناه: تعالى حقيقةً ومتمكِّناً.

وقال غيره: هو صفة لمصدر محذوف تقديره: تعالياً جِدًّا، و«ربُّنا» مرفوع بـ «تعالى».

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «جَدَى ربِّنا» أي: جَدْوَاه ونفعُه[٤].

وقال الجمهور: «يقولُ سفيهُنا» هو إبليس، وقيل: هو اسمُ جنسٍ لكلِّ سفيه، وإبليس مقدَّم السُّفهاءِ.

والشَّطَطُ: التعدِّي وتجاوزُ الحدّ؛ قال الأعشى:

أتنتهون ولن يَنْهَى ذوي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ[٥]

ويقال: أَشَطَّ في السَّوْمِ: إذا أبعدَ فيه، أي: قَوْلاً هو في نفسه شَطَطٌ، وهو نسبةُ الصاحبةِ والولدِ إلى الله تعالى[٦].

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ الآية أي: كنَّا حَسَّنَّا الظَّنَّ بالإنس والجنِّ واعتقَدْنا أنَّ أحداً لا يجترئُ على أنْ يكذبَ على الله فيَنسُبَ إليه الصاحبةَ والولد، فاعتقَدْنا صحَّةَ ما أغوانا به إبليسُ ومَرَدَتُهُ حتى سمعنا القرآن فتبيَّنَّا كذبَهم.

وقرأ الجمهور: «أن لن تقولَ» مضارع «قال».

---

(١) في (يه): على أصله.

(٢) قال السمين في الدرّ ٨/ ٤٨٧: التقدير: تعالى جَدُّ ربِّنا، ثم صار: تعالى رَبُّنا جَدًّا، أي: عظمةً، نحو: تَصبَّبَ زيدٌ عرقاً. وقال ابن جنّي في المحتسب ٢/ ٣٣٢: أي: تعالى ربُّنا جَدًّا، ثم قُدِّم المميِّز، على قولك: حَسُنَ وجهاً زيدٌ.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، والقراءة المذكورة فيه.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٢، ونُسب في المصدر السالف لابن السميفع: جِدُّ.

(٥) ديوان الأعشى ص١١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، ورواية الديوان: هل تنتهون ولا ينهى. . .، وسلف عند تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٦٧.

والحسنُ والجحدريّ وعبدُ الرحمن بن أبي بكرة ويعقوبُ وابنُ مِقْسَم: «تَقَوَّلَ»[١] مضارع «تَقَوَّلَ»[٢] حُذف إحدى التاءين.

وانتصب «كَذِباً» في قراءة الجمهور بـ «تقُولَ» لأنَّ الكذبَ نوعٌ من القول، أو على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: قَوْلاً كذباً، أي: مكذوباً فيه، وفي قراءة الشاذّ على أنه مصدر لـ «تَقَوَّلَ» لأنه هو الكذب، فصار كقعدتُ جلوساً.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾ رَوَى الجمهور أنَّ الرجلَ كان إذا أرادَ المبيتَ أو الحلول في وادٍ نادَى بأعلى صوته: يا عزيزَ هذا الوادي إني أعوذُ بك من السُّفهاء الذين في طاعتك. فيعتقدُ بذلك أنَّ الجنِّيَّ الذي بالوادي يمنعُه ويحميه[٣]. فرُوِيَ أنَّ الجنَّ كانت تقولُ عند ذلك: لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيئاً.

قال مقاتل: أوَّلُ من تعوَّذَ بالجنّ قومٌ من اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[٤].

والظاهر أن الضمير المرفوع في «فزادوهم» عائد على «رجالٌ من الإنس» إذْ هم المحدَّثُ عنهم، وهو قولُ مجاهد والنَّخَعيّ وعُبيد بن عُمير «فزادوهم» أي: الإنسَ «رَهَقاً» أي: جَرَاءةً وانتخاءً وطغياناً وغشيان المحارم وإعجاباً بحيث قالوا سُدْنا الإنس والجنّ. وفسَّر قوم الرَّهَق بالإثم، وأنشد الطبريّ في ذلك بيتَ الأعشى:

---

(١) قراءة يعقوب هذه من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٩٢، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحتسب ٢/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٣، والأصل: أن لن تَتَقوَّلَ.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: يتقوَّل. وأثبتُّ اللفظة على الجادة، وهي: تَقَوَّلَ، ماضي: تَتَقَوَّل، الذي حُذف منه إحدى التاءين (كما ذكر المصنف) في لفظ الآية: «أن لن تَقَوَّلَ» على هذه القراءة. وينظر الدُّرّ المصون ٩/ ٢٨٨.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ (والكلام منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٣.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٣.

لا شيءَ يـنـفـعُـنـي مـن دونِ رؤيـتِـهـا لا يَشْتَفي وامِقٌ ما لـم يُصِبْ رَهَقًا[(١)]

قال: معناه ما لم يَغْشَ محرَّماً، فالمعنى: زادتِ الإنسُ الجنَّ مأثماً لأنهم عظَّموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى.

وقال قتادة وأبو العالية والرَّبيع وابنُ زيد: «فزادوهم» أي: الجنُّ زادتِ الإنسَ مخافةً يتخيَّلُون لهم بمنتهى طاقتِهم ويُغْوُونَهم لما رأَوْا من خِفَّة أحلامهم، فازدَرُوهم واحتقرُوهم[(٢)].

وقال ابنُ جُبير: «رَهَقاً»: كفراً[(٣)].

وقيل لا يطلقُ لفظُ الرِّجال على الجنِّ، فالمعنى: وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون من شرِّ الجنّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ يقولُ مثلاً: أعوذُ بحذيفة بن بدر[(٤)] من جِنِّ هذا الوادي. وهذا قولٌ غريب.

«وأنَّهم» أي: كفارَ الإنس «ظنُّوا كما ظننتُم» أيُّها الجنُّ، يخاطبُ به بعضهُم بعضاً، و«ظنُّوا» و«ظننتُم» كلٌّ منهما يطلبُ «أنْ لن يبعثَ» فالمسألةُ من باب الإعمال، و«أنْ» هي المخفَّفةُ من الثقيلة.

وقيل: الضمير في «وأنَّهم» يعودُ على الجنِّ، والخطاب في «ظننتُم» لقريش. وهذه والتي قبلَها هما من الموحَى به لا من كلامِ الجنّ.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ الظاهر أنه بِعثة الرسالة إلى الخلق، وهو أنسبُ لِما تقدَّم من الآي ولِما تأخَّر.

وقيل: بعثُ القيامة.

---

(١) ديوان الأعشى ص٤١٥، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ (والكلام قبله وبعده منه). وقوله: وامقٌ، أي: مُحِبّ.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٤.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٤.

(٤) في (أ) والمطبوع: بن اليمان! والقول في تفسير القرطبي. وحذيفة بن بدر هو جدُّ عُيينة بن حصين أحدِ المؤلفة قلوبهم.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أصلُ اللمس المَسُّ، ثم استُعير للتطلُّب، والمعنى: طلبنا بلوغ السماء لاستماعِ كلامِ أهلِها ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ﴾ الظاهرُ أنَّ «وَجَدَ» هنا بمعنى: صادَفَ وأصابَ، وتعدَّت إلى واحد، والجملةُ من «مُلئت» في موضع الحال[1]، وأُجيز أن تكون تعدَّتْ إلى اثنين فـ«مُلئت» في موضع المفعول الثاني[2].

وقرأ الأعرج: «مُليت» بالياء دون همز والجمهور بالهمز[3].

و«شديداً» صفة للحَرَس على اللفظ لأنه اسم جمع، كما قال:

أخشى رُجَيْلاً أو رُكَيْباً عَادِيَا[4]

ولو لُحظ المعنى لقال: شِداداً، بالجمع.

والظاهر أنَّ المراد بالحَرَس الملائكة، أي: حافظين من أن يقربَها الشياطين.

و«شُهُباً» جمع شِهاب وهو ما يُرجَمُ به الشيطانُ إذا استمع. قيل: ويحتمل أن تكون الشُّهب هم الحرس، وكرَّر المعنى لما اختلف اللفظ نحو:

وهندٌ أتى من دونها النأْيُ والبُعْدُ[5]

وقوله: ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ﴾ يدلُّ على أنها كانت قبل ذلك يطرُقون السماء ولا يجدونها قد مُلئت.

«مقاعد» جمع مقعد، وقد فسَّر رسولُ الله ﷺ صورة قعود الجنّ أنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أُحرق الأعلى طلعَ الذي تحتَه مكانَه، فكانوا يستَرِقُون

(١) وذلك على إضمار «قد»، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) وهو أولى عند النحاس كما في إعرابه ٥/ ٤٨، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨١، وقرأ بها أبو جعفر من العشرة كما في النشر ١/ ٣٩٦، وقرأ بها أيضاً حمزة حالة الوقف.

(٤) الرَّجز لأُحَيْحَة بن الجُلَاح كما في المُنْصف ٢/ ١٠١، واللسان (رجل)، وشرح المفصَّل ٥/ ٧٧، وخزانة الأدب ٣/ ٣٥٩. وفي بعضها: رُجيلاً ورُكيباً. والبيت في قصره المشهور باسم: الضَّحيان؛ وقبله: بنيتُه بعُصبة من ماليا. وفيه قصة طريفة.

(٥) وصدرُه: ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ. وهو للحطيئة في ديوانه ص١٤٠.

الكلمةَ فيُلقُونها إلى الكُهَّان، ويزيدون معها، ثم يزيدُ الكُهَّانُ الكلمةَ مئةَ كَذْبَة[١].

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾ «الآن» ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسِعَ في الظرف واستُعمل للاستقبال، كما قال:

سـأسـعـى الآنَ إذْ بـلـغَـتْ أنـاهـا[٢]

فالمعنى: فمن يقعْ منه استماعٌ في الزمان الآتي ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي يَرْصُدُهُ فيُحرِقُه، هذا لمن استمعَ، وأمَّا السَّمْع فقد انقطع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢].

والرَّجْمُ كان في الجاهِليّة وذلك مذكور في شعر أهل الجاهلية[٣]، ويدلُّ عليه الحديث حين رأى عليه الصلاة والسلام نجماً قد رُميَ به قال: «ما كنتُم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنَّا نقولُ: يموتُ عظيم، أو يُولَد عظيم[٤]، قال أوس بنُ حَجَر[٥]:

وانـقـضَّ كـالـدُّرِّيِّ يَـتْـبَـعُـهُ نَـقْـعٌ يَـثُـورُ تَـخـالُـهُ طُـنُـبـا

وقال عوف بن الخَرِع[٦]:

فـرَدَّ عـلـيـنـا الـعَـيْـرَ مـن دون إلْـفِـهِ أو الـثَّـورَ كـالـدُّرِّيِّ يـتـبـعُـهُ الـدَّمُ

وقال بشر بن أبي خازم:

---

(١) ينظر في هذا المعنى حديث أبي هريرة في صحيح البخاري (٤٨٠٠)، والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨١.

(٢) هو عجز بيت لعنترة، وصدرُه: فإني لستُ خاذلكم ولكن. وهو في ديوانه ص٧٧. وقوله: أناها، أي: منتهاها.

(٣) في (أ) و(ت) والمطبوع: أشعارهم، بدل: شعر أهل الجاهلية.

(٤) هو قطعة من حديث ابن عباس ﷺ أخرجه أحمد (١٨٨٢)، ومسلم (٢٢٢٩) وغيرهما.

(٥) ديوانه ص٣، وينظر النكت والعيون ٦/ ١١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٧. والطُّنُب: حَبْلُ الخِباء.

(٦) الخَرِع، بالخاء المعجمة، ككَتِف، كما في القاموس، والبيت في الحيوان للجاحظ ٦/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٦٨.

والعَيْرُ يُرْهِقُها الغبارُ وجَحْشُها   يَنْقَضُّ خلفَهما انقضاضَ الكَوْكَبِ[(١)]

قال التّبريزيّ: وهؤلاء الشُّعراءُ كلُّهم جاهليُّون ليس فيهم مخضرم.

وقال مَعْمَر: قلت للزُّهْريّ: أكان يُرْمَى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيتَ قولَه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فقال: غُلِّظَتْ وشُدِّدَ أمرُها حين بُعث رسولُ الله ﷺ[(٢)].

وقال الجاحظ: القولُ بالرَّمي أصحُّ لقوله: ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾[(٣)] وهذا إخبارٌ عن الجنِّ أنه زِيدَ في حَرَسِ السماء حتى امتلأت، ولِما رَوَى ابنُ عبَّاس، وذكرَ الحديث السابق.

وقال الزمخشريّ تابعاً للجاحظ: وفي قوله: «مُلئت» دليلٌ على أنَّ الحادثَ[(٤)] هو المَلْءُ والكثرة، وكذلك «نقعدُ منها مقاعِدَ» أي: كنّا نجدُ فيها بعضَ المقاعد خاليةً من الحَرَس والشُّهب، والآن مُلئت المقاعدُ كلُّها انتهى.

وهذا كلُّه يُبطِلُ قولَ من قال: إنَّ الرَّجْم حَدَثَ بعد مبعثِ رسولِ الله ﷺ، وهو إحدى آياته.

والظاهر أن «رَصَداً» على معنى الرَّاصد. وقال الزمخشري: والرَّصَد مثل الحَرَس، اسم جمع للرَّاصد، على معنى ذوي شهابٍ راصدين بالرَّجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشُّهب ويمنعونهم من الاستماع.

---

(١) ديوان بِشر ص٨١، والحيوان ٦/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٦٨، وفيها: الخَبَار، بدل: الغبار. والخَبَار (كما في القاموس): ما لانَ من الأرض واسترْخَى.

(٢) هذا في رواية حديث ابن عباس عند أحمد (١٨٨٢) الذي سلف قطعة منه، وهو أيضاً في رواية البيهقي له في دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) هذا قول القرطبي في تفسيره ٢١/ ٢٨٨ قاله بعدَ ما نقلَ عن الجاحظ قولَه: كل شعرٍ رُويَ فيه (أي الانقضاض) فهو مصنوع، وإنَّ الرَّمْيَ لم يكن قبل المبعث، وينظر النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٤) في المطبوع: الحرس، وهو خطأ، والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩.

ولما رأوا ما حدثَ من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو كفرُهم بهذا النبي ﷺ فينزلُ بهم الشَّرُّ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فيؤمنون به فيرشُدون.

وحين ذكروا الشَّرَّ لم يُسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا الرَّشَد أسندُوه إليه تعالى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أخبروا بما هم عليه من صلاحٍ وغيرِه ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون الصالحين، وتقع «دون» في مواضع موقع «غير» فكأنه قال: ومنَّا غيرُ صالحين.

ويجوز أن يريدوا: ومنَّا دون ذلك في الصلاح، أي: فيهم أبرار، وفيهم من هو غيرُ كامل في الصلاح. و«دون» في موضع الصفة لمحذوف، أي: ومنَّا قومٌ دون ذلك، ويجوزُ حذف هذا الموصوف في التفصيل بـ «مِنْ» حتى في الجُمل، قالوا: منَّا ظَعَنَ ومنَّا أقامَ، يريدون: منَّا فريقٌ ظَعَنَ ومنَّا فريقٌ أقام.

والجملة من قوله: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ تفسيرٌ للقِسْمة المتقدِّمة، قال ابن عباس وعكرمة وقتادة: أهواء مختلفة، وقيل: فِرَقاً مختلفة[1].

وقال الزمخشري: أي: كنَّا ذوي مذاهبَ مختلفة، أو: كنَّا في اختلافِ أحوالِنا مثلَ الطرائقِ المختلفة، أو: كنَّا في طرائقَ مختلفة كقوله:

كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ[2]

أو: كانت طرائقُنا طرائقَ[3] قِدَداً، على حذف المضاف الذي هو الطرائق، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.

(٢) هو قطعة من بيت لساعدة بن جُويَّة، وهو بتمامه:

لَدْنٌ بهزِّ الكفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

وهو في الكتاب ١/ ٣٦. وسلف عند تفسير الآية (١٦) من سورة الأعراف.

(٣) كلمة «طرائق» سقطت من المطبوع، والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩.

وفي تقدِيرَيْهِ الأوَّلَيْن حذفُ المضاف من «طرائق» وإقامة المضاف إليه مقامه إذْ حُذف «ذوي» و«مثل».

وأما التقدير الثالث وهو أن ينتصبَ على إسقاط «في» فلا يجوزُ ذلك إلا في الضرورة، وقد نصَّ سيبويهِ على أنَّ عَسْلَ الطريقِ شاذّ، فلا يُخَرَّجُ القرآنُ عليه.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: أيقنَّا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كائنين في الأرض ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي: من الأرض إلى السماء.

و«في الأرض» و«هَرَباً» حالان، أي: فارِّين، أو هاربين.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف.

وقرأ ابنُ وثَّاب والأعمش: «فلا يَخَفْ» وخُرِّجت قراءتُهما على النهي[(١)].

وقيل: الفاء زائدة، و«لا» نفيٌ، وليس بشيء، وكان الجواب بالفاء أجودَ من المجيء بالفعل مجزوماً دون الفاء لأنه إذا كان بالفاء كان على إضمار مبتدأ، أي: فهو لا يخافُ، والجملة الاسمية أدلُّ وآكدُ من الفعلية على تحقق مضمون الجملة.

﴿بَخْسًا﴾ قال ابنُ عباس: نَقْصَ الحسنات ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ قال: زيادة في السيئات[(٢)].

وقيل: ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: تحميل ما لا يُطاق.

وقال الزمخشري: أي: جزاء بخس ولا رهق، لأنه[(٣)] لم يَبْخَسْ أحداً حقًّا ولا رهقَ ظلمَ أحد، فلا يخاف جزاءهما، ويجوزُ أن يُرادَ فلا يخافُ أن يُبخَسَ بل

(١) المثبت من (يه). وعبارة النسخ الأخرى والمطبوع: «وقرأ ابنُ وثاب والأعمش والجمهور: فلا يخاف، وخرِّجت قراءتهما على النفي». وهو خطأ. وينظر القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٣٢، والنكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ (ولفظه منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٢.

(٣) في (ت): أي، بدل: لأنه، والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩.

يُجزَى الجزاءَ الأوفى، ولا أن ترهقَه ذلةٌ، من قوله عز وجل ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ﴾ [المعارج: ٤٤] انتهى.

وقرأ الجمهور: «بَخْساً» بسكون الخاء، وابنُ وثَّاب بفتحها.

﴿ومنا القاسطون﴾ أي: الكافرون الجائرون عن الحق. قال مجاهد وقتادة والناس[١]: القاسطُ الظالم، ومنه قول الشاعر:

قومٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوةً عَمْراً وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمَانِ[٢]

وجاء هذا التقسيم وإن كان قد تقدَّم ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ ليذكر حال الفريقين من النَّجاة والهلكة ويرغِّب من يدخلُ في الإسلام.

والظاهر أن ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ﴾ إلى آخر الشرطين من كلام الجنّ، وقال ابن عطيَّة: الوَجْهُ أن يكون ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ﴾ مخاطبةً من الله تعالى لمحمد ﷺ، ويؤيِّدُه ما بعده من الآيات.

وقرأ الأعرج: «رُشْداً» بضمّ الراء وسكون الشين[٣]، والجمهور بفتحهما.

وقال الزمخشريّ: وقد زعمَ مَنْ لا يرى للجنّ ثواباً أنَّ الله تعالى أوْعَدَ قاسطيهم وما وعد مسلميهم، وكفى به وَعْداً أن[٤] [قال:] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾فذكرَ سببَ الثوابِ ومُوجِبَه، واللهُ أعدلُ من أن يُعاقب القاسطَ ولا يثيبَ الراشد. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال في قوله: «ومُوجِبَه».

❁ ❁ ❁

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: البأس. والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.
(٢) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣.
(٤) المثبت من (يه)، وتحرَّف في النسخ (أ) و(ت) و(ع) إلى: «وعيداً أي» والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩، وكلمة «قال» بعدها بين حاصرتين منه.

يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ
لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ
يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن
رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ
بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ هذا من جملة المُوحَى المندرِج تحت «أُوحِيَ إليَّ» و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، والضمير في «استقاموا» قال الضحَّاك والربيع بنُ أنس وزيد بنُ أسلم وأبو مِجْلَز: هو عائد على قوله: «فمَنْ أسْلَم»، و«الطريقة» طريقةُ الكفر، أي: لو كفرَ من أسلمَ من الناس لأسقيناهُم إملاءً لهم واستدراجاً، واستعارةُ الاستقامة للكفر قلقة لا تُناسب(١).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابنُ جُبير: هو عائد على القاسطين، والمعنى: على طريقة الإسلام والحقِّ لأنعمنا عليهم، نحو قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ [المائدة: ٦٥] الآية(٢).

وقيل: الضمير في «استقاموا» عائد على الخلق كلِّهم و«أنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة(٣).

﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾كنايةٌ عن توسعة الرِّزق لأنه أصلُ المعاش، وقال بعضُهم: المالُ حيث الماء.

وقرأ الجمهور: «غَدَقاً» بفتح الدال، وعاصم في رواية الأعشى بكسرها(٤)،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣-٣٨٤. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٦، والنكت والعيون ٦/ ١١٦، والكشاف ٤/ ١٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٨١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٥.

(٢) المصادر السالفة، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٣) سلفت هذه العبارة قريباً.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

ويقال: غَدِقَتِ العينُ تَغْدَقُ غَدَقاً، فهي غَدِقة: إذا كثُر ماؤها.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾أي: لنختبرَهم كيف يشكرون ما أنعمَ عليهم به، أو لنمتحنَهم ونستدرجَهم، وذلك على الخلاف في من يعودُ عليه الضمير في «استقاموا».

وقرأ الأعمش وابنُ وثَّاب بضمِّ واو «لو»(١)، والجمهور بكسرها.

وقرأ الكوفيون: «يَسْلُكْهُ» بالياء، وباقي السبعة بالنون(٢)، وابنُ جندب بالنون من: أَسْلَكَ(٣)، وبعضُ التابعين بالياء من أَسْلَكَ أيضاً(٤)، وهما لغتان: سَلَكَ وأَسْلَكَ، قال الشاعر:

حتى إذا أسلكوهُم في قُتائدةٍ(٥)

وقرأ الجمهور: «صَعَداً» بفتحتين، وهو مصدر صَعِدَ، وُصف به العذاب، أي: يعلو المعَذَّبَ ويغلبُه، وفُسِّرَ بـ: شَاقّ، يقال: فلان في صَعَدٍ من أمره، أي: في مشقَّة.

وقال عمر: ما يَتَصعَّدني شيء كما يَتَصعَّدني خِطْبةُ النكاح(٦)، أي: ما يَشُقُّ عليَّ.

وقال أبو سعيد الخُدري وابنُ عباس: «صَعَدٌ» جبلٌ في النار، قال الخُدري: كلَّما وضعوا أيديَهم عليه ذابت(٧).

---

(١) المصدران السالفان، والمحتسب ٢/ ٣٣٣.

(٢) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥. والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٦، واسم ابن جندب: مسلم. ونُسبت القراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن جبير.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٥) هو صدرُ بيت، وعجزُه: شَلًّا كما تطردُ الجمَّالةُ الشُّرُدا، وهو في ديوان الهُذليين ٢/ ٤٢، وأدب الكاتب ص٤٣٤، ونُسب فيهما لعبد مناف بن ربع الهُذلي. وقُتائدة، أي: ثَنِيَّة أو عَقَبة، وشلًّا، أي: طرداً.

(٦) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٦، واللسان (صعد).

(٧) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٣٩، والنكت والعيون ٦/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٦.

وقال عكرمة: هو صخرةٌ ملساءُ في جهنم يُكلَّفُ صعودَها، فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِرَ إلى جهنَّم[١].

فعلى هذا يجوزُ أن يكون بدلاً من «عذاب» على حذف مضاف، أي: عذابَ صَعَدٍ، ويجوز أن يكون «صَعَداً» مفعول «يَسْلُكه»، و«عذاباً» مفعول من أجله.

وقرأ قوم: «صُعُداً» بضمتين، وابنُ عبَّاس والحسنُ بضمِّ الصاد وفتح العين، قال الحسن معناه: لا راحةَ فيه[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾بفتح الهمزة عطفاً على﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾فهو من جملة المُوحَى، وقال الخليل: معنى الآية: ولأنَّ المساجد لله فلا تدعوا، أي: لهذا السبب، وكذلك عنده: «لإيلافِ قريشٍ فليعبدوا» وكذلك ﴿وأنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] أي: ولأنَّ هذه[٣].

وقرأ ابنُ هُرْمُز وطلحة: «وإنَّ المساجد» بكسرها على الاستئناف، وعلى تقدير الخليل فالمعنى: فلا تَدْعُوا مع الله أحداً في المساجد لأنها للهِ خاصة ولعبادته.

والظاهر أنَّ «المساجد» هي البيوت المُعَدَّةُ للصلاة والعبادة في كل ملَّة.

وقال الحسن: كلُّ موضع سُجِدَ فيه فهو مَسْجِدٌ كان مخصوصاً لذلك أو لم يكن، إذِ[٤] الأرضُ كلُّها مسجدُ هذه[٥] الأمة.

وأبعَد ابنُ عطاء في قوله: إنها الآراب التي يُسجدُ عليها، واحدُها مَسْجَد،

(١) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٧، وهو بنحوه أطول منه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٦ وتفسير القرطبي أيضاً عن الكلبي في الوليد بن المغيرة.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، والقراءتان فيه، ووقع في مطبوعه خطأ في لفظ القراءة الأولى.
(٣) المصدر السالف، وقرأ «وأنَّ» بفتح الهمزة وتشديد النون نافع وابن كثير وأبو عمرو.
(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: لأن، بدل: إذ، وقول الحسن في المحرر الوجيز٥/ ٣٨٣، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧.
(٥) في المحرر الوجيز (والقول فيه): لهذه.

بفتح الجيم[١]، وهي: الجبهة والأنف واليدان والرُّكبتان والقَدَمان، عَدَّ الجبهةَ والأنفَ واحداً.

وأبعدَ أيضاً من قال: المرادُ المسجدُ الحرامُ لأنه قِبْلَةُ المساجد، ومن قال: إنه جمعَ مَسْجَد، وهو السُّجود[٢]. ورُوِيَ أنها نزلت حين تغلَّبت قريشٌ على الكعبة، فقيل لرسول الله ﷺ: المواضعُ كلُّها لله، فاعْبُدْهُ حيث كُنْتَ.

وقال ابنُ جُبير: نزلت لأنَّ الجنَّ قالت: يا رسول الله، كيف نشهدُ الصلاةَ معك على نَأْيِنا عنك؟ فنزلت الآية ليخاطبهم بها على معنى أنَّ عبادتَكم حيثُ كنتُم مقبولة[٣].

وعن قتادة: كان اليهودُ والنصارى إذا دخلُوا كنائِسهم أشركوا بالله، فأُمِرْنا أن نُخلصَ للهِ الدَّعوةَ إذا دَخَلْنا المساجد[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ بفتح الهمزة عطفاً على قراءتهم ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ بالفتح، وقرأ ابنُ هُرْمُز وطلحة ونافع وأبو بكر بكسرها على الاستئناف[٥].

و«عبد الله» هو محمدٌ رسول الله ﷺ «يدعوه» أي: يدعُو اللهَ «كادوا» أي: كادَ الجنُّ ـ قاله ابن عباس والضحَّاك ـ يَتَقَصَّفُون[٦] عليه لاستماع القرآن.

---

(١) المصدر السالف، وقاله أيضاً غيرُ ابن عطاء، ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧، والنكت والعيون ٦/ ١١٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٨.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٣: يقال: سجدتُ سجوداً ومَسْجِداً كما يقال: ضربتُ في الأرض ضرباً ومَضْرِباً، ثم يُجمع فيقال: المَسَاجِد والمَضَارِب، قال ابن قُتيبة: فعلى هذا يكون واحدُها: مَسْجَداً، بفتح الجيم، والمعنى: أخْلِصُوا له ولا تسجدوا لغيره.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٧٠، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧، وسقط شطر كبير من هذا الخبر من (أ) والمطبوع.

(٥) قراءة نافع وأبي بكر (وهو شعبة) في السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥.

(٦) المثبت من (يه)، وهو كذلك في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣. وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: ينقضُّون.

وقال الحسن وقتادة: الضمير في «كادُوا» لكفارِ قريشٍ والعرب في اجتماعهم على رَدِّ أمره[١].

وقال ابنُ جُبير: المعنى أنها قولُ الجنّ لقومهم يحكون، والضميرُ في «كادُوا» لأصحابه الذين يطُوعُون له ويقتدُون به في الصلاة[٢].

قال الزمخشريّ: فإن قلت: هلَّا قيل: رسولُ الله أو النبيُّ؟

قلت: لأنَّ تقديرَه: وأوحِيَ إليَّ أنه لمَّا قام عبدُ الله، فلمَّا كان واقعاً في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه جيءَ به على ما يقتضيه التواضع والتذلُّل، وأو لأنَّ المعنى أنَّ عبادةَ عبدِ اللهِ للهِ ليست بأمرٍ مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لِبَداً. ومعنى «قام يدعوه» قام يَعْبُدُهُ. يريدُ قيامَه لصلاةِ الفجرِ بنخلة حين أتاه الجنُّ فاستمعوا لقراءته عليه الصلاة والسلام ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي: يزدحمون عليه متراكمين[٣] تعجُّباً ممَّا رَأَوْا من عبادتِه واقتداءِ أصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً، وإعجاباً بما تلا من القرآن؛ لأنهم رَأَوْا ما لم يَرَوْا مثلَه وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيرِه. انتهى. وهو قولٌ متقدِّم[٤] كثَّرهُ الزمخشريّ بخطابته.

وقرأ الجمهور: «لِبَداً» بكسر اللام وفتح الباء جمع لِبْدَة، نحو كِسْرَة وكِسَر، وهي الجماعات، شُبِّهَتْ بالشيء المُتلبِّدِ بعضُه فوقَ بعض، ومنه قول عبد مناف بنِ رِبْع:

صافُوا بستَّةِ أبياتٍ وأربعةٍ حتى كأنَّ عليهم جابِياً لِبَدَا[٥]

---

(١) هو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣-٣٨٤ دون نسبة، وبنحوه عن الحسن وقتادة في تفسير الطبري ٢٣/ ٣٤٥ واختاره، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٢.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧-٢٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤ ولفظُه منه، ورواه الترمذي (٣٣٢٣) مطولاً من طريق ابن جبير عن ابن عباس ﵄.

(٣) المثبت من (ت) وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٧٠ والكلام منه، وفي (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: متراكبين.

(٤) سلف مختصراً من قول ابن جُبير.

(٥) ديوان الهُذليين ٢/ ٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤. ورواية الديوان: صابوا، أي: وقعوا، والجابي الجراد.

وقال ابنُ عباس: أعواناً.

وقرأ مجاهد وابنُ مُحيصن وابنُ عامر بخلاف عنه بضمِّ اللام جمع لُبْدَة كزُبْرَة وزُبَر[1].

وعن ابن مُحَيْصِن أيضاً تسكين الباء وضمّ اللام «لُبْداً»[2].

وقرأ الحسن والجَحْدَريّ وأبو حَيْوَة وجماعة عن أبي عَمرو بضمتين جمعُ «لَبْد»، ك: رَهْن ورُهُن، أو جمعُ لَبُود، ك:صَبُور وصُبُر[3].

وقرأ الحسن والجَحْدَريّ بخلافٍ عنهما: «لُبَّداً» بضم اللام وشدِّ الباء جمعُ لابِدٍ[4]، وأبو رجاء بكسرها وشدِّ الباء المفتوحة[5].

قال الحسنُ وقتادةُ وابنُ زيد: لمَّا قامَ الرسولُ للدعوةِ تَلَبَّدَتِ الإنسُ والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصرَه ويُتِمَّ نورَه. انتهى[6].

وأبعدَ مَنْ قال: «عبدُ الله» هنا نوحٌ عليه السلام[7]، كادَ قومُه يقتلونه حتى استنقذَه الله منهم. قاله الحسن، وأبعدُ منه قولُ من قال: إنه عبدُ الله بنُ سَلَام[8].

---

(١) قراءة ابن عامر هي من رواية هشام عنه، وهي في السبعة ص٦٥٦ والتيسير ص٢١٥، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ عن مجاهد وابن محيصن. وقوله: الزُّبْرَة، أي: القطعة من الحديد.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣. ويجوز أن تكون هذه القراءة مخفَّفة من لُبُد، بضمتين، وسترد بعدها. وينظر الدر المصون ٩/ ٤٩٩.

(٣) ينظر المحتسب ٢/ ٣٣٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٢-٣٠٣، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٣.

(٤) مثل: راكع وركَّع. وينظر القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٣.

(٥) استغربَها السمين في الدر المصون ٩/ ٤٩٩. ومن قوله: جمع لابِد... إلى قوله: وشدِّ الباء، سقط من (أ) والمطبوع.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٢. وسلف نحوه عن الحسن وقتادة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٨) لم أقف عليه، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٥٠٥ وقال: ولعمري إنه لا ينبغي القول بذلك ولا أظنُّ له صحَّةً بوجهٍ من الوجوه.

وقرأ الجمهور: «قال إنما أدعُو ربِّي» أي: أعبدُه: أي: قال للمتظاهرين عليه: إنما أدعُو ربِّي، أي: لم آتِكُم بأمرٍ يُنْكَر، إنما أعبد ربِّي وحدَه، وليس ذلك ممَّا يوجبُ إطباقَكم على عداوتي. أو قال للجنِّ عند ازدحامِهم متعجِّبين: ليس ما تَرَوْنَ من عبادة الله بأمرٍ يُتعجَّبُ منه إنما يُتعجَّبُ ممَّن يعبدُ غيرَه. أو قال الجنُّ لقومهم ذلك حكايةً عن رسول الله ﷺ[١]. وهذا كلُّه مترتِّبٌ على الخلاف في عَوْدِ الضمير في «كادُوا».

وقرأ عاصم وحمزة وأبو عَمْرو بخلاف عنه: «قُلْ»[٢] أي: قُلْ يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك، وهم إمَّا الجنُّ وإما المشركون على اختلاف القولين في ضمير «كادوا».

ثم أمرَه تعالى أن يقولَ لهم ما يدلُّ على تَبرُّئِهِ من القدرة على إيصال خيرٍ أو شرٍّ إليهم، وجعلَ الضُّرَّ مقابلاً للرَّشَد تعبيراً به عن الغَيِّ إذِ الغَيُّ ثمرتُه الضُّرّ، ويمكن أن يكونَ المعنى: ضَرًّا ولا نفعاً ولا غَيًّا ولا رَشَداً، فحذف من كلٍّ ما يدلُّ مقابِلُهُ عليه.

وقرأ الأعرج: «رُشُداً» بضمتين[٣].

ولمَّا تبرَّأ عليه السلام من قدرته على نفعهم وضرِّهم أُمِرَ بأن يُخبرَهم أنَّه مربوبٌ للهِ تعالى يفعلُ فيه ربُّه ما يريد، وأنه لا يمكن أن يُجِيرَه منه أحد، ولا يجدُ من دونه ملجأً يركُنُ إليه. قال قريباً منه قتادة. وقال السُّدِّيُّ: حِرْزاً، وقال الكلبيّ: مَدْخلاً في الأرض، وقيل: ناصراً، وقيل: مَذْهباً ومَسْلَكاً، ومنه قول الشاعر:

يا لَهْفَ نفسي ونفسي[٤] غيرُ مجديةٍ عنِّي وما من قضاءِ اللهِ مُلْتَحَدُ

---

(١) الكشاف ٤/ ١٧١.

(٢) السبعة ص٦٥٧، والتيسير ص٢١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٤) في (يه): ولهفي، بدل: ونفسي. وهو كذلك في النكت والعيون ٦/ ١٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥، والبيت فيهما دون نسبة، وتنظر الأقوال السالفة فيهما.

وقيل: في الكلام حذف، وهو قالوا له: اترك ما تدعُو إليه ونحن نُجيرُك، فقيل له: قل: إني لن يجيرني.

وقيل: هو جواب لقولِ وَرْدَانَ سيِّدِ الجنّ وقد ازدَحَمُوا عليه؛ قال وَرْدَانُ: أنا أُرْجِلُهم[١] عنك، فقال: إني لن يجيرني من الله أحد. ذكره الماورديّ.

﴿إِلَّا بَلَغًا﴾ قال الحسن: هو استثناءٌ منقطع؛ أي: لن يُجِيرَني أحدٌ لكن إنْ بلَّغْتُ رَحِمَني بذلك. والإجارةُ للبلاغ مستعارةٌ، إذ هو سببُ إجارةِ الله تعالى ورحمتِه.

وقيل: على هذا المعنى هو استثناء متصل، والمعنى: لن أجِدَ شيئاً أمِيلُ إليه وأعتصمُ به إلا أن أُبلِّغَ وأُطيعَ فيجيرَني الله[٢]، فيجوزُ نصبُه على الاستثناء من «مُلْتَحَداً» وعلى البدَل، وهو الوجه، لأنَّ قبلَه نفياً، وعلى البدَل خرَّجه الزجَّاج[٣].

وقال أبو عبد الله الرازيّ[٤]: هذا الاستثناء منقطع، لأنه لم يقل: ولن أجِدَ ملتحداً، بل قال: من دونه، والبلاغُ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: «من دونه ملتحداً» لأنه لا يكونُ من دون الله، بل يكون من الله وبإعانتِه وتوفيقِه.

وقال قتادة: التقدير: لا أملكُ إلا بلاغاً إليكم، فأمَّا الإيمانُ والكفرُ فلا أملكُه. انتهى[٥]. وفيه بُعدٌ لطولِ الفصلِ بينَهما.

وقيل: «إلَّا» في تقدير الانفصال: «إنْ» شرطية، و«لا» نافية، وحُذف الفعل بعدَها لدلالة المصدر عليه، والتقدير: إنْ لم أُبلِّغْ بلاغاً من الله ورسالاتِه[٦]. وهذا كما تقول: إنْ لا قياماً فقعوداً[٧]، أي: إنْ لم تَقُم قياماً فاقْعُدْ قُعوداً، وحذفُ هذا

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٢١ وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥ (والخبر فيهما): أرجلهم.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٦.
(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.
(٤) تفسيره ٢٩/ ١٦٥.
(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.
(٦) أي: إن لم أُبلِّغ بلاغاً من الله ورسالاته فلن يُجيرَني منه أحد. وينظر الدر المصون ٩/ ٥٠١.
(٧) في (أ) والمطبوع: قعوداً. وينظر الكشاف ٤/ ١٧١.

الفعل قد يكون لدلالةٍ عليه بعده أو قبله كما حذف في قوله:

فطلِّقها فلستَ لها بكُفْءٍ وإلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ[١]

التقدير: وإنْ لا تطلِّقها، فحذف «تُطلِّقها» لدلالة «فطلِّقها» عليه.

و«مِنْ» لابتداء الغاية، وقال الزمخشري تابعاً لقتادة[٢]: أي: لا أملكُ إلا بلاغاً من الله، و«قُلْ إني لن يُجيرني» جملة معترضة اعتُرض بها لتأكيدِ نفي الاستطاعة عن نفسه وبيانِ عجزه، على معنى أنَّ الله إنْ أرادَ به سوءاً من مرضٍ أو موتٍ أو غيرِهما لم يصحَّ أن يُجيرَهُ منه أحدٌ أو يجدَ من دونه مَلَاذاً يأوي إليه. انتهى.

و«رسالاتِه» قيل: عطف على «بلاغاً» أي: إلا أنْ أُبلِّغَ عن الله أو أُبلِّغَ رسالاتِه[٣]. الظاهرُ أنَّ «رسالاتِه» عطفٌ على «الله» أي: إلا أن أُبلِّغَ عن الله وعن رسالاتِه.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: بالشِّركِ والكفر، ويدلُّ عليه قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

وقرأ الجمهور: «فإنَّ له» بكسر الهمزة، وقرأ طلحة بفتحها، والتقدير: فجزاؤه أنَّ له[٤]؛ قال ابن خالويه: وسمعتُ ابنَ مجاهد يقول: ما قرأ به أحدٌ، وهو لحنٌ، لأنه بعد فاء الشرط، وسمعتُ ابنَ الأنباريِّ يقول: هو صواب، ومعناه: فجزاؤه أنَّ له نارَ جهنم. انتهى.

وكان ابنُ مجاهد إماماً في القراءات، ولم يكن متَّسِعَ النقل فيها كابنِ شَنَبوذ[٥]، وكان ضعيفاً في النحو، وكيف يقول: ما قرأ به أحدٌ، وهذا طلحةُ بنُ

---

(١) البيت للأحْوَص، وسلف في تفسير الآية (٥٤) من البقرة، و(٥٣) من النحل.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧١، وسلف قول قتادة.

(٣) المصدر السالف.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥، وقراءة طلحة أيضاً في القراءات الشاذة ص١٦٣، وفيه كلام ابن خالويه الآتي.

(٥) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شَنَبُوذ، أبو الحسن إمام في القراءة، متصوّف، =

مصرِّف قرأ به؟ وكيف يقول: وهو لحن، والنحويُّون قد نصُّوا على أنَّ «إنَّ» بعد فاء الشرط يجوزُ فيها الفتحُ والكسرُ[1]؟

وجمع «خالدين» حملاً على معنى «مَنْ» وذلك بعد الحمل على لفظ «مَنْ» في قوله: «يَعْصِ» «فإنَّ له».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ «حتَّى» هنا حرف ابتداء، أي: يصلُحُ أن يجيءَ بعدَها جملة الابتداء والخبر، ومع ذلك فيها معنى الغاية.

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: بِمَ تَعلَّقَ «حتى» وجُعِلَ ما بعدَه غايةً له؟

قلت: بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوةِ ويستضعفون أنصارَه ويستقلُّون عددَه[2]، حتى إذا رَأَوْا ما يوعدون من يوم بدر وإظهارِ اللهِ له عليهم، أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذٍ أنهم أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً.

ويجوز أن يتعلَّقَ بمحذوف دَلَّتْ عليه الحالُ من استضعافِ الكفارِ له واستقلالِهم لعددِهِ، كأنه [قال:] لا يزالون على ما هُم عليه حتى إذا رأَوْا ما يوعدون قال المشركون: متى يكونُ هذا الموعودُ؟ إنكاراً له، فقيل: قل إنه كائنٌ لا ريبَ فيه، فلا تُنكروه، فإنَّ الله قد وَعَدَ ذلك، وهو لا يُخلِفُ الميعاد، وأمَّا وقتُه فما أدري متى يكون لأنَّ الله لم يُبَيِّنْهُ لما رأى في إخفاء وقتِه من المصلحة. انتهى.

وقوله: «بِمَ تَعلَّقَ» إنْ عَنَى تعلُّقَ حرف الجرّ فليس بصحيح لأنها حرفُ ابتداء، فما بعدَها ليس في موضع جرّ خلافاً للزجَّاج وابنِ درستويه فإنهما زعما أنها إذا كانت حرفَ ابتداء فالجملةُ الابتدائيةُ بعدَها في موضع جرّ.

= لكن كان له رأي في القراءة بالشواذّ تخالف رسم الإمام، فنقموا عليه لذلك. مات سنة (٣٢٨هـ) ينظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٤.

(١) تعجَّب السمين الحلبي من ابنِ مجاهد ـ مع أنه إمامٌ في القراءات ـ كيف غفلَ عن قراءة قوله تعالى: «فأنه غفور رحيم» من الأنعام (٥٤) بالفتح لعاصم وابنِ عامر. ينظر الدر المصون ٩/ ٥٠٣. قلت: وقرأ الجميع: «فأنه يُضِلُّه» بالفتح، في الآية (٤) من الحجّ.

(٢) في مطبوع البحر والكشاف ٤/ ١٧٢: عددهم.

وإنْ عَنَى بالتعلُّق اتصالَ ما بعدَها بما قبلَها وكونَ ما بعدَها غايةً لِما قبلَها؛ فهو صحيح.

وأمّا تقديرُه أنها تتعلَّق بقوله: «يكونون عليه لِبَداً» فهو بعيدٌ جدًّا لطُولِ الفصل بينهما بالجُمل الكثيرة.

وقال التبريزيّ: «حتى» جازَ أن تكون غاية لمحذوف. ولم يُبَيِّن ما المحذوف.

وقيل: المعنى: دَعْهُم حتى إذا رأَوْا ما يُوعدون من الساعة فسيعلمونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً أهُم، أم أهلُ الإيمان؟

والذي يظهرُ لي أنَّها غايةٌ لِما تضمَّنته الجملة التي قبلَها من الحُكم بكينونةِ النَّارِ لهم، كأنه قيل: إنَّ العَاصِيَ يُحْكَم له بكينونةِ النارِ لهم[١]، والحُكم بذلك هو وعيدٌ، حتى إذا رَأَوْا ما حَكَمَ بكينونتِه لهم فسيعلمون، فقوله: «فإنَّ له نارَ جهنَّم» هو وعيدٌ لهم بالنار.

و«مَنْ أضْعَفُ» مبتدأ وخبر في موضع نصب لما قبلَه، وهو معلّق عنه، لأنَّ «مَنْ» استفهام، ويجوزُ أن تكون «مَنْ» موصولة في موضع نصب[٢] بـ «سيعلمون» و«أضْعَفُ» خبر مبتدأ محذوف، والجملةُ صلة لـ «مَنْ» وتقديرُه: هو أضْعَفُ، وحسَّنَ حذفَه طولُ الصِّلة بالمعمول[٣]، وهو «ناصراً».

قال مكحول: لم ينزل هذا إلا في الجنّ، أسلمَ منهم مَنْ وُفِّقَ، وكفرَ مَنْ خُذل كالإنس.

قال: وبلغَ من بايعَ[٤] النبيَّ ﷺ ليلة الجنّ سبعين ألفاً وفرغوا عند انشقاق الفجر[٥].

---

(١) لفظة «لهم» لم ترد في الدر المصون ٩/ ٥٠٤ والكلام فيه عن البحر.
(٢) من قوله: لما قبله وهو معلق.... إلى هذا الموضع، سقط من (ت) و(يه).
(٣) يعني التمييز.
(٤) في (أ) والمطبوع: تابع.
(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠١-٣٠٢.

ثم أمرَه تعالى أن يقولَ لهم: إنه لا يدري وقتَ حُلُولِ ما وُعِدُوا به، أهو قريبٌ أم بعيد؟

قال الزمخشريّ[١]: فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ والأمدُ يكون قريباً وبعيداً، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]؟

قلت: كان رسولُ الله ﷺ يستقربُ الموعدَ، فكأنه قال: ما أدري أهو حالٌّ متوقَّع في كلِّ ساعة، أم مؤجَّلٌ ضُربت له غاية. أي: هو عالِمُ الغيب «فلا يُظهِرُ»: فلا يُطْلِعُ. و«من رسول» تبيين لـ «مَن ارتضى» يعني أنه لا يُطلِعُ على الغيب إلا المرتَضَى الذي هو مصطَفًى للنبوَّة خاصة لا كلُّ مُرْتَضًى. وفي هذا إبطالٌ للكرامات لأنَّ الذين تُضاف إليهم - وإنْ كانوا أولياء - مرتَضَيْنَ، فليسوا برسل، وقد خَصَّ اللهُ الرُّسُلَ من بين المرتَضَينَ بالاطِّلاع على الغيب وإبطالِ الكَهانة والتنجيم لأن أصحابَهما أبعدُ شيء من الارتضاء وأدخلَه في السُّخط. انتهى.

وقال ابن عباس: عالم الغيب[٢].

قال الحسن: ما غابَ عن خلقه[٣].

وقيل: الساعة[٤].

وقال ابنُ عباس «إلّا» بمعنى «لكنْ» فجعلَه استثناءً منقطعاً[٥].

وقيل: «إلّا» بمعنى «ولا» أي: ولا مَنِ ارتَضَى من رسول.

و«عالم» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو عالمُ الغيب، أو بدل من «ربِّي».

---

(١) الكشاف ٤/ ١٧٢-١٧٣.
(٢) كذا في (أ) و(ت) و(ع)، ولم يرد في (يه). وفي النكت والعيون ٦/ ١٢٢ عن ابن عباس: عالم الغيب، أي: عالم السّرّ.
(٣) بنحوه في المصدر السالف.
(٤) نقله الماوردي في المصدر السالف عن ابن أبي حاتم.
(٥) لم أقف عليه، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ١٢٢.

وقرئ: «عالِمَ» بالنصب على المدح.

وقرأ السُّدِّيّ: «عَلِمَ الغَيْبَ» فعلاً ماضياً ناصباً «الغيبَ»[١]، والجمهورُ: «عالِمُ» اسمُ فاعل مرفوعاً.

وقرأ الجمهور: «فلا يُظْهِرُ» من «أَظْهَرَ». والحسنُ: «يَظْهَرُ» بفتح الياء والهاء من «ظَهَرَ»[٢].

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ استثناء من «أحداً» أي: فإنه يُظْهِرُه على ما شاء من ذلك، فإنه يسلكُ اللهُ من بين يدي ذلك الرسول ومن خلفه رَصَداً، أي: حَفَظَةً يحفظُونه من الجنّ ويحرُسُونه في ضبط ما يُلقيه تعالى إلى ذلك الرسولِ من علمِ الغيب.

وعن الضحَّاك: ما بُعِثَ نبيٌّ إلا ومعه ملائكةٌ يحرُسُونه من الشياطين أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك[٣].

وقال القرطبيّ: قال العلماء: لمَّا تَمدَّح سبحانَه بعلم الغيب واستأثرَ به دونَ خلقِه كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلمُ الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَنِ ارتضاهُ من الرُّسل، فأودَعَهم ما شاء من غيبِه بطريق الوحي إليهم وجعلَه معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم[٤]. ثم ذكر استدلالاً على بطلان ما يقولُه المنجِّم، ثم قال باستحلال دمِ المنجِّم.

وقال الواحديّ: في هذا دليلٌ على أنَّ من ادَّعى أنَّ النُّجوم تدلُّ على ما يكونُ من حياةٍ أو موتٍ أو غيرِ ذلك فقد كفرَ بما في القرآن.

قال أبو عبد الله الرازي[٥]: والواحديُّ يُجَوِّزُ الكراماتِ، وأنَّ اللهَ يُعَرِّفُ أولياءَه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ (ووقع في مطبوعه خطأ) ونُسبت في القراءات الشاذة ص١٦٣ لبعض أهل مكة.

(٢) أي: و«أحدٌ» بالرفع، والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٣ وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٨.

(٥) تفسيره ٢٩/ ١٦٨، وكلام الواحدي السالف قبله فيه، وما سيرد بين حاصرتين منه.

وقوعَ الوقائع في المستقبل، ونسبةُ الآية إلى الصورتين واحدة، فإنْ جَعَلَ الآية دالَّةً على المنع من أحكام النجوم فليجعلْها دالةً على [المنع من] الكرامات على ما قال صاحب «الكشاف»، فجَعْلُها تدلُّ على المنع من الأحكام النُّجومية ولا تدلُّ على الإلهامات مجردُ تَشَهٍّ.

وعندي أنَّ الآية لا تدلُّ على شيء ممَّا قالوه، لأنَّ قولَه: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ ليس فيه صيغة عموم، فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يُظهِرَ خَلْقَه تعالى على غيبٍ واحدٍ من غيُوبِهِ ويحملَه على وقتِ قيام القيامة، فلا يبقى دليلٌ في الآية على أنه لا يُظهر شيئاً من الغيوب لأحد، ويُؤكِّدُه أنه ذكرَ هذه الآيةَ عَقِيبَ قوله: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ الآية أي: لا أدري وقتَ وقوعِ القيامة، إذْ هي من الغيب الذي لا يُظهِرُه اللهُ لأحد، و﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ استثناءٌ منقطع، كأنه قال: فلا يُظْهِرُ على غيبه المخصوصِ أحداً إلا مَنِ ارتضَى من رسول فلَه حَفَظَةٌ يحفظُونه من شَرِّ مَرَدَةِ الإنس والجنّ.

ثم قال أبو عبد الله الرازيّ: واعلم أنه لا بدَّ من القطع بأنه ليس المرادُ من هذه الآية أنه لا يُطْلِعُ أحداً على شيء من المغيَّبات إلا الرُّسلَ عليهم الصلاة والسلام، والذي يدلُّ عليه وجوه:

أحدُها: أنه ثبتَ بالأخبار القريبة من التواتر أنَّ شِقًّا وسَطِيحاً كانا كاهنَيْن يُخبِرانِ بظهورِ محمد ﷺ قبلَ زمانِ ظهورِه، وكانا في العرب مشهورَيْنِ بهذا النوع من العلم حتى رَجَعَ إليهما كِسْرَى في تعرُّفِ أخبارِ رسولنا ﷺ.

وثانيها: إطباقُ الأمم على صحَّةِ علم التعبير، فيُخبِرُ المعبِّرُ عن ما يأتي في المستقبل ويكون صادقاً.

وثالثها: أنَّ الكاهنة البغدادية التي نقلَها السلطانُ سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خُراسان سألَها عن أشياءَ في المستقبل فأخبرَتْ بها، ووقَعَتْ على وَفْقِ كلامِها.

وقد رأيتُ أناساً محقِّقِين في علوم الكلام والحكمةِ حَكَوْا عنها أنها أخبرَتْ عن

الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل، وجاءت كذلك، وبالغَ أبو البركات[(١)] صاحب «المعتبر» في شرح حالها في كتاب التعبير وقال: فحصتُ عن حالها منذ[(٢)] ثلاثين سنة حتى تيقَّنتُ أنها كانت تُخبر عن المغيَّبات أخباراً مطابقةً موافقة.

ورابعها: أنَّا نشاهدُ أصحابَ الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصًّا بالأولياء، فقد يوجد في السَّحَرة، وفي الأحكام النُّجومية ما يُوافقُ الصِّدقَ وإن كان الكذبُ يقعُ منهم كثيراً، وإذا كان ذلك مُشاهَداً محسوساً فالقولُ بأنَّ القرآنَ يدلُّ على خلافه ممَّا يجرُّ الطعنَ إلى القرآن، وذلك باطل، فعَلِمْنا أنَّ التأويلَ الصحيحَ ما ذكرناه. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص، وإنَّما أورَدْنا كلامَ هذا الرجلِ في هذه المسألة ليُنظرَ فيما ذكرَ من تلك الوجوه.

أمَّا قصةُ شِقٍّ وسَطِيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه ممَّا يخبر[(٣)] به رَئيٌّ إلى الكُهَّان من الشياطين مسترقةً السمع كما جاء في الحديث أنهم يستمعون الكلمةَ ويكذبون ويُلقون إلى الكَهَنَة، وتزيدُ الكَهَنَةُ للكلمة مئةَ كَذْبة، وليس هذا من علم الغيب، إذ تكلَّمت به الملائكة، وتلقَّفَها الجنّي، وتلقَّفها منه الكاهن، فالكاهنُ لم يعلم الغيبَ.

وأمَّا تعبيرُ المنامات فالمعبِّر غير المعصوم لا يعبِّر بذلك على سبيل البتّ والقطع، بل على سبيل الحَزْرِ والتخمين، وقد يقع ما يعبِّر به وقد لا يقع.

وأمَّا الكاهنةُ البغدادية وما حكَى عنها فحسبُه عقلاً أن يستدلَّ بأحوال امرأة لم يشاهدها، ولو شاهدَ ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه لُبسَ عليه، هذا وهو العالمُ المُصنف الذي طبَّق ذِكرُه الآفاق، وهو الذي شكَّكَ في دلائل الفلاسفة وسامَهم الخسف.

---

(١) هو هبةُ الله بنُ علي بن ملكا البَلَديّ، علَّامة فيلسوف، له قصة غريبة في إسلامه ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٩، وقال: برع في علم الفلسفة إلى الغاية، مات سنة نيِّف وخمسين وخمس مئة.

(٢) في تفسير الرازي ٢٩/ ١٦٩: تفحَّصتُ عن حالها مدَّة.

(٣) في (يه): يخبره.

وأمَّا حكايتُه عن صاحب «المعتبر» فهو يهوديٌّ أظهرَ الإسلام، وهو منتحلٌ طريقةَ الفلاسفة.

وأمَّا مشاهدتُه أصحابَ الإلهامات الصادقة؛ فلي من العمر نحوٌ من ثلاث وسبعين سنة أصْحَبُ العلماءَ وأتردَّدُ إلى من ينتمي إلى الصلاح، فلم أرَ أحداً منهم صاحبَ إلهام صادق.

وأمَّا الكرامات فإني لا أشكُّ في صدور شيء منها، لكن ذلك على سبيل النُّدرة، وذلك فيمن سلفَ من صلحاء هذه الأمة، وربَّما قد يكون في أعصارنا من تَصْدُرُ منه الكرامة، وللهِ تعالى أن يَخُصَّ مَنْ شاءَ بما شاء، واللهُ الموفِّق.

وقرأ الجمهور: «لِيَعْلَم» مبنيًّا للفاعل، قال قتادة: ليعلم محمدٌ ﷺ أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم وحفظوا.

وقال ابنُ جُبير: ليَعلمَ محمدٌ أنَّ الملائكةَ الحَفَظَةَ الرَّصَدَ النازلينَ بين يَدَيْ جبريلَ وخلفَه قد أبلغُوا رسالاتِ ربهم.

وقال مجاهد: ليعلمَ مَنْ أشركَ وكذَّب أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغت. وعلى هذا القول لا يقعُ لهم هذا العلم إلا في الآخرة[(١)].

وقيل: ليَعْلَم اللهُ رسالتَهُ[(٢)] مبلَّغةً خارجةً إلى الوجود، لأنَّ عِلْمَه بكلِّ شيء قد سبقَ.

واختار الزمخشريّ هذا القول الأخير فقال: ليعلمَ اللهُ أنْ قد أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم، يعني الأنبياء، وَحَّدَ أوَّلاً على اللفظ في قوله ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ ثم جمعَ على المعنى، كقوله: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا﴾ [التوبة: ٦٣] والمعنى: ليبلِّغوا رسالاتِ ربِّهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان، وذَكَرَ العلمَ كذِكْرِهِ في قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]. انتهى.

---

(١) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٥، والنكت والعيون ٦/ ١٢٣، وزاد المسير ٨/ ٣٨٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١١.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: رسله، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ والقول فيه.

وقيل: ليعلم أيْ: أيُّ رسولٍ كان أنَّ الرسلَ سِواه بلَّغوا.

وقيل: ليعلم إبليس أنَّ الرُّسلَ قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطِه واستراقِ أصحابه.

وقيل: ليعلمَ الرسلُ أنَّ الملائكةَ بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلمَ محمدٌ أنْ قد بلَّغَ جبريلُ ومَنْ معَه إليه رسالةَ ربِّه.

وقيل: ليعلمَ الجنُّ أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغوا ما أنزلَ الله إليهم، ولم يكونوا هم المتلقِّين باستراقِ السمع[(١)].

وقرأ ابنُ عبَّاس وزيد بنُ علي: «ليُعْلَمَ» بضمّ الياء مبنيًّا للمفعول[(٢)]، والزُّهريُّ وابنُ أبي عَبْلَة بضمّ الياء وكسرِ اللام[(٣)]، أي: ليُعْلِمَ اللهُ، أي: مَنْ شاءَ أن يُعْلِمَهُ أنَّ الرُّسُلَ قد أبلغُوا رسالاتِه.

وقرأ الجمهور: «رسالات» على الجمع، وأبو حَيْوَة على الإفراد[(٤)].

وقرأ الجمهور: «وأحاط بما لديهم» مبنيًّا للفاعل، أي: اللهُ «وأَحْصَى» مبنيًّا للفاعل، أي: اللهُ «كلَّ» نصباً.

وابنُ أبي عَبْلَة: «وأُحِيطَ» «وأُحْصِيَ» مبنياً للمفعول «كلُّ»[(٥)] رفعاً. ولمَّا كان «ليَعْلَم» مضمَّناً معنى «عَلِمَ» صارَ المعنى: قد عَلِمَ ذلك، فعُطف «وأحاطَ» على هذا المضمر، والمعنى: أحاطَ بما عند الرُّسل من الحُكم والشرائع لا يفوتُه منها شيء.

---

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦، والنكت والعيون ٦/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١١-٣١٢، وهي قراءة يعقوب من رواية رُويس كما في النشر ٢/ ٣٩٢. وينظر التعليق التالي.

(٣) ضبطت بالشكل في القراءات الشاذة ص١٦٣ عنهما بفتح اللام.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥.

(٥) المصدران السالفان، دون ذكر «أُحْصِيَ» في المحرر.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: معدوداً محصوراً، وانتصابُه على الحال من «كلّ شيء» وإن كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم.

ويجوز أن ينتصبَ نصبَ المصدر لـ «أَحْصَى»، لأنه في معنى: إحصاء.

وقال أبو البقاء[1]: ويجوزُ أن يكون تمييزاً. انتهى. فيكون منقولاً من المفعول، إذ أصلُه: وأَحْصَى عَدَدَ كلِّ شيء، وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف.

(١) الإملاء ٢/ ٢٧١.

مفردات سورة المُزَّمِّل

تَزمَّلَ في ثوبِه: التفَّ، وزُمِّلَ: لُفَّ. قال امرؤ القيس:

كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[1]

وقال ذو الرُّمَّة:

وكائِنْ تخطَّتْ ناقتي من مفازةٍ ومن نائمٍ عن ليلِها مُتَزمِّلِ[2]

تَبَتَّلَ إلى كذا: انقطعَ إليه، ومنه: هِبةٌ بَتْلَةٌ، وطَلْقةٌ بَتْلَة[3]، والبَتُول، وبَتَلَ الحَبْلَ، قال الليث: البَتْلُ تمييزُ الشيء من الشيء، والبَتُول: المرأةُ المنقطعةُ عن الرِّجال، لا شهوة فيها ولا حاجةَ لها فيهم، والتبتُّلُ: تركُ النكاح والزّهدُ فيه، ومنه قولُ امرئ القيس:

تُضِيءُ الظلامَ بالعِشاءِ كأنَّها مَنَارَةُ مُمْسَى راهبٍ متبتِّلِ[4]

ومنه النَّهيُ عن التبتُّل، أي: الانقطاع عن التزويج، ومنه قيل للراهب: متبتِّل؛ لانقطاعِه عن الناس وانفرادِه للعبادة.

والغُصَّة: الشَّجَى، وهو ما يَنشَبُ بالحلق من عَظْمٍ أو غيره، وجمعُها غُصَصٌ، والفعلُ: غَصِصْتُ، فأنتَ غاصٌّ وغَصَّان، قال:

---

(١) هو عجز بيت له، وصدرُه: كأنَّ أبانا في أفانينِ وَدْقِهِ، وهو في ديوانه ص٢٥. وقوله: بِجاد، أي: كساء مخطَّط.

(٢) ديوان ذي الرُّمَّة ٣/ ١٤٨٧، وقوله: «كائِنْ» لغة في «كَأَيِّنْ»، أي: كم تَخَطَّتْ...

(٣) أي: بائنة منقطعة عن صاحبها. قاله القرطبي ٢١/ ٣٣٣.

(٤) ديوان امرئ القيس ص١٧. وجاء في شرحه: مُمْسَى راهب، أي: المنارة التي تضيء في وقت إمساء الراهب.

كنتُ كالغَصَّان بالماءِ اعتصاري[١]

الكَثِيبُ: الرَّمْلُ المجتمع، وجمعُه كُثُب وكُثْبان في الكثرة، وأكْثِبَة في القلَّة، قال ذو الرُّمَّة[٢]:

فقلتُ لها لا إنَّ أهليَ جِيرةٌ لأكْثِبَةِ الدَّهْنا جميعاً ومالِيَا

المَهِيلُ: الذي يمرُّ تحتَ الرِّجْلِ، وهِلْتُ عليه الترابَ: صببتُه. وقال الكلبيّ: المَهِيلُ الذي إذا وَطِئْتَهُ بالقدم[٣] زَلَّ من تحتها، وإذا أخذتَ أسفلَه انهالَ. وأهَلْتُ لغة في هِلْتُ.

الشِّيبُ: جمع أشْيَب.

* * *

سورة المزمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦
إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ
تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ
أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾.

(١) هو عجز بيت لعديّ بن زيد، وصدرُه: لو بغير الماء حَلْقِي شَرِقٌ، وسلف في تفسير الآية (٤٩) من سورة يوسف.

(٢) ديوانه ٢/ ١٣١٢.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: القدم. والمثبت من تفسير القرطبي ٢١/ ٣٣٧-٣٣٨ والقول فيه.

هذه السورةُ مكيَّةٌ كلُّها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابنُ عبَّاس وقتادة: إلا آيتين منها: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي تليها، ذكره الماورديّ[١].

وقال الجمهور: هي مكيَّة إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ الخ فإنه نزلَ بالمدينة[٢].

وسببُ نزولها فيما ذكر الجمهور أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا جاءَه المَلَك في غار حِراء وحاورَهُ بما حاورَهُ؛ رَجَعَ إلى خديجةَ، فقال: «زَمِّلُوني زَمِّلُوني» فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[٣] وعلى هذا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قالت عائشة والنَّخَعيُّ وجماعة: نُودِيَ بذلك لأنه كان في وقتِ نزولِ الآية مُتَزمِّلاً بكساء.

وقال قتادة: كان تَزَمَّلَ في ثيابه للصلاة، واستعدَّ، فنوديَ على معنى: يا أيُّها المستعدُّ للعبادة.

وقال عكرمة: معناه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ للنبوَّة وأعبائها، أي المُشَمِّرُ المُجِدُّ، فعلى هذا يكون التزمُّلُ مجازاً، وعلى ما سبقَ يكون حقيقةً[٤].

وما رَوَوْا أنَّ عائشةَ ﵂ سُئلت: ما كانَ تزميلُه؟ قالت: كان مِرْطاً طولُه أربعَ عشرةَ ذراعاً نصفُه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي، إلى آخر الرواية = كذبٌ صُراحٌ، لأنَّ نزولَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بمكَّة في أوائلِ مبعثِه، وتزويجَهُ عائشةَ كان بالمدينة[٥].

ومناسبةُ هذه السورة لِما قبلَها أنَّ في آخِرِ ما قبلَها ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ الآيات، فأتبعَه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ إعلاماً بأنه ﷺ ممَّن ارتضاه من الرُّسل وخصَّه بخصائصَ، وكفاه شرَّ أعدائه.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٢٤، ونقله عنه أيضاً القرطبي في تفسيره ٢١/ ٣١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، والكلام أيضاً في تفسير القرطبي، وفيه: الثعلبي، بدل: الجمهور، وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٠.

(٣) ينظر حديث جابر ﵁ في صحيح البخاري (٤) وصحيح مسلم (١٦١).

(٤) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٧، والنكت والعيون ٦/ ١٢٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٤.

(٥) الخبر في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٠، وردَّه أيضاً القرطبي ٢١/ ٣١٤.

وقرأ الجمهور: «المزَّمِّل» بشدِّ الزاي وكسر الميم، أصلُه: المتزمِّل، فأُدغمت التاء في الزاي.

وقرأ أُبيٌّ: «المُتزمِّل» على الأصل[١].

وعكرمةُ بتخفيف الزاي، أي: المزَمِّلُ جسمَه أو نفسَه[٢].

وقرأ بعضُ السلف بتخفيف الزاي وفتح الميم[٣]، أي: الذي لُفَّ.

وللزمخشري في كيفية نداءِ اللهِ له بهذا الوصف كلامٌ ضَرَبْتُ عنه صفحاً فلم أذكرْهُ في كتابي[٤].

وقال السُّهيليّ: ليس المزَّمِّلُ باسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام يُعرفُ به، وإنَّما هو مشتقٌّ من حالتِهِ التي كان التبسَ بها حالةَ الخطاب، والعربُ إذا قَصدَتِ الملاطفةَ بالمخاطَب وتَرْكَ المعاتبةِ نادَوْه باسمٍ مشتقٍّ من حالتِهِ التي هو عليها، كقولِ النبيِّ ﷺ لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهَه وقد نامَ ولَصِقَ بجنبه الترابُ: «قم أبا تراب» إشعاراً بأنه ملاطفٌ له، فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ فيه تأنيسٌ وملاطفة[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ بكسر الميم على أصل التقاء الساكنَيْن، وأبو السَّمَّال بضمِّها إتْباعاً لحركةِ القاف[٦]، وقُرِئَ بفتحها طلباً للتخفيف[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، ونُسبت فيه أيضاً لابن مسعود ﷺ، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٤ دون نسبة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، وهي في الكشاف ٤/ ١٧٤ دون نسبة.

(٤) ذكر الزمخشري ٤/ ١٧٤ أن الله تعالى ناداه بما يُهَجِّن إليه الحالة التي كان عليها من التزمُّل... إلى آخر كلامه الذي لا يليقُ بحضرة النبوَّة، قال أحمد متعقِّباً له: إن قوله خطأ وسوء أدب، ومن اعتبرَ عادة خطابِ الله تعالى له في الإكرام والاحترام علم بُطلانَ ما تخيَّلَهُ الزمخشريّ.

(٥) ينظر التعريف والإعلام ص١٧٧-١٧٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٥-٣١٦.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٣٣٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٦.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٤، وقال القرطبي: وحُكِيَ الفتح لخفَّته.

قال ابن جنِّي: الغرضُ بالحركة الهروبُ من التقاء الساكنين، فبأيِّ حركة تُحرِّكُ الحرفَ حصلَ الغَرَض[١].

و«قُمْ» طَلَبٌ، فقال الجمهور: هو على جهة النَّدْبِ، وقيل: كان فَرْضاً على الرسول خاصَّة، وقيل: عليه وعلى الجميع.

قال قتادة: ودامَ عاماً أو عامَيْن، وقالت عائشة: ثمانية أشهر، ثم رحمهم الله فنزلت: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ الآيات فخفَّف[٢] عنهم.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ بيَّنَ الاستثناءُ أنَّ القيامَ المأمورَ به يستغرقُ جميعَ الليل، ولذلك صحَّ الاستثناءُ منه، إذ لو كان غيرَ مستغرق لم يصحَّ الاستثناء منه، واستغراقُ جميعِه بالقيام على الدَّوام غيرُ ممكن عادةً، فلذلك استثنَى منه القليل لراحة الجسد، وهذا عند البَصْريِّين منصوبٌ على الظرف وإن استغرقَه الفعل، وهو عند الكوفيين مفعولٌ به.

وفي قوله: «إلا قليلاً» دليلٌ على أنَّ المستثنى قد يكونُ مبهمَ المقدار، كقوله: «ما فعلوه إلا قليلاً منهم» في قراءة من نصب[٣]، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ٨٣].

قال وَهْبُ بنُ منبِّه: القليل ما دون المِعْشار والسُّدُس.

وقال الكلبيّ ومقاتل: الثلث.

وقيل: ما دون النِّصف[٤].

وجوَّزوا في «نصفَه» أن يكون بَدَلاً من «الليل» ومن «قليلاً» فإذا كان بدلاً من «الليل» كان الاستثناءُ منه، وكان المأمورُ بقيامه نصفَ الليل إلا قليلاً منه، والضميرُ

(١) بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٣٦، ونقله عنه أيضاً القرطبي ٢١/ ٣١٦.
(٢) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، وينظر صحيح مسلم (٧٤٦)، والنكت والعيون ٦/ ١٢٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٧.
(٣) الآية (٦٦) من سورة النساء، وهي قراءة ابن عامر من السبعة، والباقون: «إلا قليلٌ».
(٤) تنظر الأقوال في النكت والعيون ٦/ ١٢٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٨.

في «منه» و«عليه» عائد على النصف، فيصيرُ المعنى: قُم نصفَ الليل إلا قليلاً من نصفِ الليل، أو انْقُصْ من نصفِ الليل[١] قليلاً، أوْ زِدْ على نصف الليل: فيكون قوله: «أوِ انْقُصْ من نصف الليل قليلاً» تكراراً لقوله: «إلا قليلاً من نصف الليل» وذلك تركيب غير فصيح ينزَّه القرآنُ عنه.

قال الزمخشريّ[٢]: «نِصْفَهُ» بدلٌ من «الليل» و«إلا قليلاً» استثناءٌ من النصف، كأنَّه قال: قُمْ أقلَّ من نصفِ الليل، والضميرُ في «منه» و«عليه» للنصف، والمعنى التخييرُ بين أمرَيْن: بين أن يقومَ أقلَّ من نصف الليل على البتّ، وبينَ أنْ يختارَ أحدَ الأمرَيْنِ، وهما النُّقصانُ من النصف والزيادةُ عليه. انتهى.

فلم يتنبَّه للتكرار الذي يلزمُه في هذا القول، لأنه على تقديره: قُمْ أقلَّ من نصف الليل، كان قولُه: أوِ انقُصْ من نصف الليل تكراراً. وإذا كان «نِصْفَه» بدلاً من قوله: «إلا قليلاً» فالضمير في «نصفه» إمَّا أن يعود على المبدَل منه، أو على المستثنى منه، وهو الليل، لا جائز أن يعود على المبدل منه لأنه يصير استثناء مجهول من مجهول، إذ التقدير: إلا قليلاً نصف القليل، وهذا لا يصحُّ له معنًى البتة، وإن عاد الضمير على «الليل» فلا فائدة في الاستثناء من الليل إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الإلباس أن يكون التركيب: قم الليل نصفَه.

وقد أبطلنا قول من قال «إلا قليلاً» استثناء من البدل وهو «نصفه» وأن التقدير: قُم الليلَ نصفَه إلا قليلاً منه، أي: من النصف، وأيضاً ففي دعوى أنَّ «نصفَه» بدل من «إلا قليلا» والضمير في «نصفَه» عائد على الليل إطلاق القليل على النصف، ويلزم أيضاً أن يصير التقدير: إلا نصفَه فلا تقمه، أو انقص من النصف الذي لا تقومُه، أو زِدْ على النصف الذي لا تقومُه. وهذا معنًى لا يصحُّ، وليس المرادَ من الآية قطعاً.

---

(١) قوله: أو انقص من نصف الليل، سقط من المطبوع، وسقط من (يه) في هذا الموضع نحو سطر.
(٢) الكشاف ٤/ ١٧٥.

وقال الزمخشري: وإنْ شئتَ جعلتَ «نصفَه» بدلاً من «قليلاً» وكان تخييراً بين ثلاث: بين قيام[١] النِّصف بتمامه، وبينَ قيام الناقصِ منه، وبين قيام الزائد عليه، وإنَّما وصف النصف بالقلَّة بالنسبة إلى الكلّ، وإن شئتَ قلتَ: لمَّا كان معنى «قُمِ الليلَ إلا قليلاً نِصْفَه» إذا أبدلتَ النصفَ من الليل: قُمْ أقلَّ من نصفِ الليل؛ رجع الضميرُ في «منه» و«عليه» إلى الأقلّ من النصف، فكأنه قيل: قُمْ أقلَّ من نصف الليل، أو قُم[٢] أنقصَ من ذلك الأقلّ، أو أزيدَ منه قليلاً، فيكون التخييرُ فيما وراءَ النِّصف بينَه وبين الثُّلث. ويجوزُ إذا أبدلتَ «نصفَه» من «قليلاً» وفسَّرتَه به أن تجعلَ «قليلاً» الثاني بمعنى نصفِ النِّصف، وهو الرُّبع، كأنه قيل: أو انْقُصْ منه قليلاً نصفَه، وتجعلَ المزيدَ على هذا القليل، أعني الرُّبع نصف الرُّبع، كأنه قيل: أوْ زِدْ عليه قليلاً نصفَهُ. ويجوزُ أن تجعلَ الزيادة لكونها مطلقة تتمةَ الثُّلث، فيكون تخييراً بين النِّصف والثُّلث والرُّبع. انتهى.

وما أوسعَ خيالَ هذا الرجل! فإنه يجوِّزُ ما يقرب وما يبعد، والقرآنُ لا ينبغي ـ بل لا يجوز ـ أن يُحملَ إلا على أحسنِ الوجوه التي تأتي في كلام العرب كما ذكرنا في خطبة هذا الكتاب.

وممَّن نصَّ على جواز أن يكون «نصفَه» بدلاً من «الليل» أو من «قليلاً» الزمخشريُّ كما ذكرنا عنه، وابنُ عطيَّة[٣] أوردَه موردَ الاحتمال، وأبو البقاء وقال: أشبهُ بظاهر الآية أن يكون بدلاً من «قليلاً» لأنه قال: أو انقص منه قليلاً أوْ زِدْ عليه، والهاء فيهما للنِّصْف، فلو كان الاستثناء من النِّصف لصارَ التقدير: قُمْ نِصْفَ الليل إلا قليلاً أوِ انقُصْ منه قليلاً[٤]، والقليلُ المستثنَى غيرُ مقدَّر، فالنُّقصانُ منه لا يتحصّل. انتهى.

---

(١) في (ع) و(يه): قيامه.

(٢) المثبت من (ع) و(يه) وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٧٥ والكلام منه، وفي (أ) و(ت) والمطبوع: وقم.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، وفيه احتمال كون «نصفه» بدلاً من «قليلاً» فحسب.

(٤) بعدها في الإملاء ٢/ ٢٧١ (والكلام منه): أي: على الباقي.

وأمَّا الحَوْفيّ فأجازَ أن يكونَ بدلاً من الليل ولم يذكر غيره.

وقال ابنُ عطية: وقد يحتمل عندي قوله: «إلا قليلاً» أنه استثناءٌ من القيام، فيجعل الليل اسم جنس، ثم قال: «إلا قليلاً» أي: الليالي التي تُخلُّ بقيامها عند العُذر البيِّن ونحوه، وهذا النظرُ يحسُن مع القولِ بالنَّدْب. انتهى. وهذا خلافُ الظاهر.

وقيل: المعنى: أو «نِصْفَه» كما تقول: أعْطِهِ درهماً درهمين ثلاثة، تريد: أو درهمين أو ثلاثة. انتهى[١]. وفيه حذفُ حرف العطف من غير دليل عليه.

وقال التبريزيّ: الأمرُ بالقيام والتخييرُ في الزِّيادة والنُّقصان وقعَ على الثُّلثين من آخِرِ الليل، لأنَّ الثُّلثَ الأوَّل وقتُ العَتَمَة، والاستثناءُ واردٌ على المأمور به، فكأنه قال: قُم ثلثي الليل إلا قليلاً، ثم جعل «نصفَه» بدلاً من «قليلاً» فصار القليل مفسَّراً بالنِّصف من الثلثين، وهو «قليل» من الكل، فقوله: «أوِ انْقُصْ منه» أي: من المأمور به ـ وهو قيام الثلثين[٢] ـ «قليلاً» أي: ما دون نصفِه «أوْ زِدْ عليه» أي: على الثلثين، فكان التخييرُ في الزِّيادة والنُّقصان واقعاً على الثلثين[٣].

وقال أبو عبد الله الرازيّ[٤]: قد أكثرَ الناسُ في تفسير هذه الآية: وعندي فيه وجهان ملخَّصان. وذكر كلاماً طويلاً ملفَّقاً يُوقَفُ عليه من كتابه.

وتقدَّم تفسير الترتيل في أواخر الإسراء.

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هو القرآن، وثِقَلُه بما اشتملَ عليه من التكاليف الشاقَّة، كالجهادِ ومداومةِ الأعمال الصالحة.

---

(١) نقله القرطبي ٢١/٣١٨ عن الأخفش، وهو في معاني القرآن له ٢/٧١٦-٧١٧.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: الثلث، والمثبت من روح المعاني ٢٨/١٣، وفيه كلام التبريزي، وهو أيضاً في الدر المصون ٩/٥١٦ ووقع سقط منه في مطبوعه.

(٣) نقله الآلوسي كما سلف، ثم غمز فيه بقوله: وهو كما ترى!

(٤) تفسيره ٢٩/١٧٢-١٧٣.

قال الحسن: إنَّ الهَذَّ خفيف، ولكنَّ العملَ ثقيل[١].

وقال أبو العالية والقُرَظي[٢]: ثِقَلُه على الكفَّار والمنافقين بإعجازِه ووعيدِه.

وقيل: ثقلُه ما كان يَحُلُّ بجسمه ﷺ حالةَ تلقّيهِ الوحي حتى كانت ناقتُه تبركُ به ذلك الوقت، وحتى كادت فَخِذُهُ[٣] أن ترضَّ فَخِذَ زيدِ بنِ ثابت.

وقيل: كلام له وزنٌ ورُجْحانٌ، وليس بالسَّفْساف[٤].

قال ابنُ عبَّاس: كلاماً عظيماً.

وقيل: ثقيلٌ في الميزان يومَ القيامة، وهو إشارة إلى العمل به.

وقيل: كناية عن بقائه على وجه الدَّهر، لأن الثقيل من شأنه أنْ يبقَى في مكانه.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ قال ابن عمر وأنس بن مالك وعليُّ بنُ الحسين: هي ما بين المغرب والعشاء.

وقالت عائشة ومجاهد: هي القيامُ بعد النَّوم، ومن قام أوَّلَ الليل قبلَ النوم فلم يقم ناشئة الليل.

وقال ابنُ جُبير وابنُ زيد: هي لفظة حبشيَّة: نشأ الرَّجُل: قامَ من الليل فـ «ناشئة» على هذا جمع ناشئ، أي: قائم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، ولفظه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٢: إنَّ الرجل ليهذُّ السورة، ولكن العمل به ثقيل.. اهـ. والهَذُّ: السرعة في القراءة.

(٢) تحرفت اللفظة في (أ) و(ت) و(ع) ومطبوع البحر ومطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧ (والقول فيه) إلى: القرطبي. والمثبت من (يه). والقُرَظي: هو محمد بن كعب، وينظر أيضاً قوله وقول أبي العالية في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٤.

(٣) في (أ) و(ت) والمطبوع: رأسه الكريمة، بدل: فخذه، وهو خطأ، والمثبت من (ع) و(يه)، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧. وينظر أصل الحديث في صحيح البخاري (٤٥٩٢) وصحيح مسلم (١٨٩٨) وتفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥] في تفسير الطبري والقرطبي.

(٤) الكشاف ٤/ ١٧٦، وهو بنحو قول الفراء في معانيه ٣/ ١٩٧، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٣٩٠، والقرطبي ٢١/ ٣٢٤.

وقال ابن جبير وابنُ زيد أيضاً وجماعة، ناشئةُ الليل: ساعاتُه، لأنَّها تنشأ شيئاً بعد شيء.

وقال ابنُ عبَّاس وابنُ الزُّبير والحسن وأبو مِجْلَز: ما كانَ بعد العشاء فهو ناشئة، وما كان قبلَها فليس بناشئة.

قال ابنُ عباس: كانت صلاتُهم أوَّلَ الليل، وقال هو وابنُ الزُّبير: الليلُ كلُّه ناشئة.

وقال الكسائيّ: ناشئةُ الليل أوَّلُه[١].

وقال الزمخشريّ: «ناشئة الليل» النفسُ الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهضُ وترتفعُ، من: نشأتِ السحابةُ: إذا ارتفعت، ونشأَ من مكانه ونشزَ: إذا نهضَ، قال الشاعر:

نَشَأْنا إلى خُوصٍ بَرَى نَيَّها السُّرَى وأَلْصَقَ منها مُشْرِفاتِ القَماحِدِ[٢]

أو قيامُ الليلِ على أنَّ «ناشئة» مصدر من «نَشَأَ» إذا قامَ ونهضَ، على «فاعلة» كالعافية. انتهى.

وقرأ الجمهور: «وَطْأً» بفتح الواو وسكون الطاء.

وابنُ عباس وابنُ الزبير ومجاهد والعربيّان[٣] بكسر الواو وفتح الطاء ممدوداً[٤].

---

(١) من قوله: إن ناشئة الليل، قال ابن عمر... إلى هذا الموضع، في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩-٣٨٠. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٦٧، والنكت والعيون ٦/ ١٢٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٦ (والكلام منه)، وهو في الدر المصون ٩/ ٥١٧ برواية: وأشرف منها. قوله: نشأنا، أي: نهضنا، والخُوص: جمع خَوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من الهُزال، وبَرَى، أي: أذهبَ، ونَيَّها: شَحْمَها، والقَمَاحد: جمع قَمَحْدُوَة، وهي ما خَلْفَ الرأس. يقول: قُمنا إلى نِياقٍ هزلَتْ من كثرة السَّيْر. انتهى، من حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ٢٦٥.

(٣) من قوله: وَطْأً بفتح الواو... إلى هذا الموضع سقط من (أ) و(ت) والمطبوع.

(٤) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦ عن أبي عَمرو وابن عامر (وهما العربيَّان) والمحرر

وقرأ قتادة وشِبْل عن أهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء والهمزة مقصورة[١].

وقرأ ابنُ مُحَيْصِن بفتح الواو ممدوداً[٢].

والمعنى أنها أشدُّ مُواطأة، أي: يُواطِئُ القلبُ فيها اللسان، أو أشدُّ موافقةً لِما يُرادُ من الخشوع والإخلاص[٣].

ومن قرأ: «وَطْأً» أي أشدُّ ثباتَ قدم وأبعدُ من الزَّلَل، أو أثقلُ وأغلظُ على المصلي من صلاة النهار، كما جاء: «اللهمَّ أشدُدْ وَطْأتَكَ على مُضَرَ»[٤].

وقال الأخفش: أشدُّ قياماً.

وقال الفرَّاء: أثبتُ قراءةً وقياماً.

وقال الكلبيّ: أشدُّ نشاطاً للمصلِّي لأنه في زمانِ راحتِه.

وقيل: أثبتُ للعمل وأدومُ لمن أرادَ الاستكثار من العبادة، والليلُ وقتُ فراغ، فالعبادة تدوم[٥].

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أشدُّ استقامةً[٦] على الصواب، لأنَّ الأصوات هادئة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه.

قال قتادة ومجاهد: أصوبُ للقراءة وأثبتُ للقول، لأنه زمانُ التفهُّم.

= الوجيز ٥/ ٣٨٨ عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٨.

(١) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨.

(٢) القراءات الشاذة، وزاد المسير ٩/ ٣٩١، وقُرنت قراءتُه في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٨ بقراءة أبي عمرو وابن عامر المذكورة آنفاً.

(٣) الكشاف ٤/ ١٧٦.

(٤) المصدر السالف. والحديث أخرجه البخاري (٨٠٤) ومسلم (٦٧٥) عن أبي هريرة ﷺ وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٨.

(٥) تنظر الأقوال السالفة في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٩، وقول الفراء في معانيه ٣/ ١٩٧، وقول الكلبي في النكت والعيون ٦/ ١٢٧.

(٦) لعل صواب العبارة: أسَدُّ استقامة، بالسين المهملة، من السَّداد، وعبارة الكشاف ٤/ ١٧٦: أسَدُّ مقالاً.

وقال عكرمة: أتمُّ نشاطاً وإخلاصاً وبركة.

وحكى ابنُ شجرة: أعجلُ إجابةً للدعاء.

وقال زيد بنُ أسلم: أجدرُ أن يتفقَّه فيها القارئ[١].

وقرأ الجمهور: «سَبْحاً» أي: تصرُّفاً وتقلُّباً في المهمَّات كما يتردَّد السابح في الماء، قال الشاعر:

أباحُوا لكم شَرْقَ البلادِ وغَرْبَها ... ففيها لكم يا صاحِ سَبْحٌ من السَّبْحِ[٢]

وقيل: «سَبْحاً» سُبْحةً، أي: نافلة.

وقرأ ابنُ يَعْمَر وعكرمة وابنُ أبي عَبْلَة: «سَبْخاً» بالخاء المنقوطة[٣]، ومعناه: خِفَّة لك من التكاليف، والتسبيخ: التخفيف[٤]، وهو استعارة من سَبَخَ الصُّوف: إذا نفشَه ونشَرَ أجزاءَهُ، فمعناه انتشارُ الهمِّ وتفرُّقُ الخاطر بالشواغل. وقيل: فراغاً وسَعَةً لنومك وتصرُّفِك في حوائجك.

وقيل: المعنى إنْ فاتَ حِزْبُ الليلِ بنوم أو عُذر فليخلف بالنهار فإنَّ فيه سَبْحاً طويلا[٥].

قال صاحب «اللوامح»: وفسَّرَ ابنُ يَعْمَر وعكرمة: «سَبْخاً» بالخاء معجمةً؛ قالا معناه: نوماً، أي: تنامُ بالنهار لتستعين به على قيام الليل. وقد تحتملُ هذه القراءةُ غيرَ هذا المعنى، لكنَّهما فَسَّرَاها فلا تجاوز عنه. انتهى[٦].

---

(١) الأقوال السالفة في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٩، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٢٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٤.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وزاد المسير ٩/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٣١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠.

(٥) الأقوال السالفة بنحوها في الكشاف ٤/ ١٧٦.

(٦) نظر السمين في هذا الكلام وقال: غاية ما في الباب أنهما نقلا هذه القراءة وظهر لهما تفسيرها بما ذكرا، ولا يلزم من ذلك أنه لا يجوزُ غيرُ ما ذكرا من تفسير اللفظة. الدر المصون ٩/ ٥٢٠.

وفي الحديث: «لا تسبِّخي بدعائك»[1] أي: لا تُخَفِّفي. وقال الشاعر:

فَسَبِّخْ عليكَ الهمَّ واعلمْ بأنَّهُ إذا قَدَّرَ الرحمنُ شيئاً فكائِنُ[2]

وقال الأصمعي: يقال: سَبَّخَ اللهُ عنكَ الحُمَّى، أي: خَفَّفَها.

وقيل: السَّبْخُ المدُّ، يقال: سَبِّخي قُطْنَكِ، أي: مُدِّيهِ. ويُقال لقِطَعِ القُطنِ: سَبائخ، الواحدة: سَبِيخَة، ومنه قولُ الأخطل يصفُ قَنَّاصاً وكلاباً:

فأَرْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ الترابَ كما يُذْرِي سَبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أوتارِ[3]

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: دُمْ على ذِكْرِه، وهو يتناولُ كلَّ ذِكْرٍ من تسبيحٍ وتهليلٍ وغيرِهما.

وانتصب «تَبْتِيلاً» على أنه مصدر على غير الصَّدر، وحسَّنَ ذلك كونُه فاصلة.

وقرأ الأخوانِ وابنُ عامر وأبو بكر ويعقوب: «رَبِّ» بالخفض على البدل من «رَبِّك»، وباقي السبعة بالرفع[4]، وزيد بنُ عليٍّ بالنصب[5].

والجمهور: «المشرقِ والمغربِ» موحَّدين، وعبدُ الله وأصحابُه وابنُ عبَّاس بجمعهما[6].

وقال الزمخشري[7]: وعن ابن عباس على القَسَم - يعني خفض «رَبِّ» - قال: بإضمار حرف القَسَم، كقولك: اللهِ لأفعلنَّ، وجوابُه: «لا إله إلا هو» كما تقول: واللهِ لا أحدَ في الدَّار إلا زيدٌ. انتهى.

(١) أخرجه أحمد (٢٤١٨٣) وأبو داود (١٤٩٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٣١.
(٣) ديوان الأخطل ص١١٥، والكلام السالف في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٣١.
(٤) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦، والنشر ٢/ ٣٩٣، والأخوان: حمزة والكسائي.
(٥) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو ربٌّ، أو مبتدأ و«لا إله إلا هو» الخبر، والنصب على المدح، أو إضمار «أعني». ينظر الإملاء ٢/ ٢٧١، والدر المصون ٩/ ٥٢٣.
(٦) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨.
(٧) الكشاف ٤/ ١٧٧.

ولعلَّ هذا التخريجَ لا يصحُّ عن ابن عباس إذْ فيه إضمارُ الجارِّ في القَسَم، ولا يجوز عند البصريِّين إلا في لفظة «الله» ولا يقاسُ عليه، ولأنَّ الجملة المنفيَّة في جواب القَسَم إذا كانت اسميَّة فلا تُنْفَى إلا بـ «ما» وحدَها، ولا تُنْفَى بـ «لا» إلا الجملةُ المصدَّرة بمضارع كثيراً وبماضٍ في معناه قليلاً، نحو قول الشاعر:

رِدُوا فواللهِ لا ذُدْناكُمُ أبداً ما دامَ في مائنا وِرْدٌ لِوُرَّادِ[(١)]

والزمخشريُّ أوردَ ذلك على سبيل التجويز والتسليم، والذي ذكره النحويُّون هو نفيُها بـ «ما» نحو قوله:

لَعَمْرُكَ ما سَعْدٌ بِخُلَّةِ آثِمٍ ولا نَأْنأٍ يومَ الحِفَاظِ ولا حَصِرْ[(٢)]

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ لأنَّ منِ انفردَ بالألُوهية لم يتخذ وكيلاً إلا هو.

«واصْبِرْ» «واهْجُرْهُم» قيل: منسوخ بآية السيف.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ قيل: نزلت في صناديد قريش المستهزئين[(٣)].

وقيل في المُطْعِمِين يومَ بدر، وتقدَّمت أسماؤهم في سورة الأنفال [٣٦] وتقدَّم شرحُ مثل هذا في ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤].

﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أي: غَضارةِ العيش وكثرةِ المال والولد، و«النَّعْمَة» بالفتح التنعُّم، وبالكسر: الإنعامُ وما يُنعَمُ به، وبالضم المَسَرَّة، يقال: نَعَمْ ونُعْمَةَ عَيْنٍ[(٤)].

---

(١) الدر المصون ٩/ ٥٢٢.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١١٢، وكتب اللغة (نأنأ): اللسان ـ التاج ـ الصحاح ـ تهذيب اللغة ـ مقاييس اللغة. قوله: نأنأ، أي: عاجز جَبَان، والخُلَّةُ: الخليل أو الصَّداقة، والمعنى كما في اللسان (خلل): أي: ما سعدٌ مُخَالٌّ رجلاً آثماً، أو: ما خُلَّةُ سعد بخُلَّةِ رجلٍ آثم.

(٣) تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٣٠٥، والقرطبي ٢/ ٣٣٥.

(٤) في النهاية (نعم): تقول: نَعَمْ ونُعْمَةَ عَيْن، أي: قُرَّةَ عَيْن، أي: أُقِرُّ عَيْنَك بطاعتِك واتِّباعِ أمرِك. يقال: نُعْمَةَ عَيْن، بالضم، ونُعْمَ عَيْن، ونُعْمَى عَيْن. انتهى. قلت: وثمة ألفاظٌ أُخرى تنظر في القاموس واللسان، ووردَ هذا الحرف: «نَعَمْ ونُعْمَةَ عَيْن» في حديث أبي بَرْزَة في قصة تزويج جُلَيْبِيب ﷺ أخرجه أحمد في المسند (١٩٨١٠).

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ وعيدٌ لهم بسرعة الانتقام منهم، والقليل موافاةُ آجالِهم، وقيل: وقعةُ بدر.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ أي ما يضادُّ نعمتهم[1]﴿أَنكَالًا﴾: قيوداً في أرجلهم؛ قال الشعبيّ: لم تُجعل في أرجلهم خوفاً من هُروبهم، ولكن إذا أرادوا أن يرتفعوا اسْتَفَلَتْ بهم[2].

وقال الكلبّي: الأنكالُ: الأغلالُ[3]. والأول أعرفُ في اللغة، ومنه قولُ الخنساء:

دَعاكَ فقَطَّعْتَ أنْكالَهُ   وقد كُنَّ قبلَكَ لا تُقْطَعُ[4]

﴿وَجَحِيمًا﴾ ناراً شديدةَ الاتِّقاد.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابنُ عباس: شَوْكٌ من نار يعترضُ في حُلُوقِهم لا يخرج ولا ينزل.

وقال مجاهد وغيرُه: شجرة الزَّقُّوم.

وقيل: الضَّريع وشجرةُ الزقُّوم[5].

«يومَ» منصوب بالعامل في «لدينا»، وقيل: بـ «ذَرْنِي».

«ترجُفُ»: تضطرب.

---

(١) في الكشاف٤/ ١٧٧: تنعُّمهم.

(٢) في (أ) و(يه) والمطبوع: استقلَّت بهم، وهو خطأ، وفي (ت) و(ع) وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٠٦: استثقلت بهم، والمثبت من الكشاف ٤/ ١٧٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٣٦، واستَفَلَتْ بهم: يعني نزلَتْ بهم إلى أسفل.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٣٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٣٦.

(٤) ديوان الخنساء ص٩٢ وروايتهُ فيه: فهتَّكت أغلاله. وهو برواية المصنف في المصدرين السالفين، والكلام قبله في تفسير القرطبي.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٤، والنكت والعيون ٦/ ١٣٠، والكشاف ٤/ ١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٣٦.

وقرأ الجمهور: «تَرْجُفُ» بفتح التاء مبنيًّا للفاعل، وزيدُ بنُ علي بضمها مبنيًّا للمفعول.

﴿كَثِيبًا﴾ أي: رَمْلاً مجتمعاً ﴿مَّهِيلًا﴾ أي: رِخواً ليِّناً، قيل: ويقال: مَهِيل ومَهْيُول، ومَكِيل ومَكْيُول، ومَدِين ومَدْيُون، الإتمام في ذوات الياء لغة تميم، والحذفُ لأكثر العرب.

ولمَّا هدَّدَ المكذِّبين بأهوال القيامة ذكَّرهم بحالِ فرعونَ وكيف أخذَه الله تعالى إذ كذَّب موسى عليه السلام، وأنه إنْ دامَ تكذيبُهم أهلَكَهم الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ والخطابُ عامٌّ للأسْوَد والأحمر، وقيل: لأهل مكة.

﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ كما قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩] وشبَّهَ إرسالَه إلى أهل مكة بإرسالِ موسى إلى فرعون على التعيين لأن كلًّا منهما رَبَا[(١)] في قومه واستحقروا بهما[(٢)]، وكان عندهم علم بما جَرَى من غرق فرعونَ، فناسب أن يُشَبَّه الإرسالُ بالإرسال.

وقيل: «الرَّسول» بلام التعريف لأنه تقدَّم ذِكرُه، فأُحِيلَ عليه، كما تقول: لَقِيتُ رجلاً فضربتُ الرَّجُلَ، فلا يُفْهَمُ منه إلا أنَّ المضروبَ هو المَلْقِيّ.

والوَبِيلُ: الرَّدِيءُ العُقْبَى، من قولهم: كَلأٌ وَبِيل، أي: وَخِيمٌ لا يُسْتَمْرَأُ لثِقَلِه، أي: لا ينزلُ في المَرِيء.

* * *

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن

(١) أي: نشأ.

(٢) لعل صواب العبارة: واستخفُّوا بهما، وينظر تفسير كلٍّ من الرازي ٢٩/ ١٨٣ والقرطبي ٢١/ ٣٣٩، والكلام فيهما بنحوه.

تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

«يوماً» منصوب بـ «تتقون» نصبَ المفعول به على المجاز، أي: كيف تستقبلون هذا اليومَ العظيمَ الذي من شأنِهِ كذا وكذا.

والضمير في «يَجْعَلُ» لليوم، أُسنِدَ إليه الجعلُ لمَّا كان واقعاً فيه على سبيل المجاز.

وقال الزمخشريُّ(١): «يوماً» مفعول به، أي: فكيفَ تقُون أنفسَكم يومَ القيامة وهولَه إنْ بقيتُم على الكُفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحاً. انتهى.

و«تتقون» مضارع «اتَّقَى» و«اتَّقَى» ليس بمعنى «وَقَى» حتى يفسِّرَه به. و«اتقى» يتعدَّى إلى واحد، و«وَقَى» يتعدَّى إلى اثنين، قال تعالى: ﴿وَوَقَنٰهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦] ولذلك قدَّرَهُ الزمخشريّ: تَقُون أنفسَكم يومَ القيامة، لكنّه ليس «تتَّقون» بمعنى «تقُون» فلا يُعَدَّى تعديتَه، ودَسَّ في قوله: «ولم تؤمنوا وتعملوا صالحاً» الاعتزالَ.

قال: ويجوزُ أن يكون ظرفاً، أي: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتُم في الدُّنيا، قال: ويجوزُ أن ينتصبَ بـ «كَفَرْتُم» على تأويل: جَحَدْتُم، أي: فكيف تتقون اللهَ وتَخْشَوْنَه إن جَحَدْتُم يومَ القيامة والجزاءَ، لأنَّ تقوى الله خوفُ عقابِه. انتهى.

وقرأ الجمهور: «يَوْماً» منوَّناً «يَجْعَلُ» بالياء، والجملة من قوله: «يَجْعَلُ» صفة لـ «يوم» فإنْ كان الضمير في «يَجْعَلُ» عائداً على اليوم فواضحٌ، وهو الظاهر، وإنْ عادَ على الله كما قال بعضُهم فلا بدَّ من حذف ضمير يعودُ إلى اليوم، أي: يُجعل فيه، كقوله: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

(١) الكشاف ٤/ ١٧٨.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «يَوْمَ» بغير تنوين «نَجْعَلُ» بالنون، فالظرفُ مضافٌ إلى الجملة.

والشِّيب مفعولٌ ثانٍ لـ «يجعلُ» أي: يصيرُ الصِّبيانُ شيوخاً، وهو كناية عن شدة هَوْلِ ذلك اليوم، ويقال في اليوم الشديد: يومٌ يُشَيِّبُ نواصيَ الأطفال، والأصل فيه أنَّ الهموم إذا تفاقمت أسرعَتْ بالشيب، قال المتنبي[1]:

والهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحافةً ويُشيبُ ناصيةَ الصَّبيِّ ويُهْرِمُ

وقال قوم: ذلك حقيقة، تشيبُ رؤوسُهم من شدَّة الهَوْلِ كما قد يُرى الشيبُ في الدنيا من الهمِّ المُفْرِط كَهَوْلِ البحر ونحوِه[2].

وقال الزمخشريّ: ويجوز أن يُوصَفَ اليومُ بالطُّول وأنَّ الأطفال يبلغون فيه أوَانَ الشيخوخة.

وقال السُّدِّيُّ: الوِلْدَانُ هنا أولادُ الزِّنا.

وقيل: أولادُ المشركين. والظاهرُ العُمومُ، أي: يَشِيبُ الصغيرُ من غير كِبَر، وذلك حين يقال لآدم: يا آدم، قُمْ فابْعَثْ بَعْثَ النار.

وقيل: هذا وقتُ الفزع قبل أن يُنفخَ في الصُّور نفخةُ الصَّعْق.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ قال الفرَّاء[3]: «السماء» يعني المِظلَّة، تذكَّر وتؤنَّث، فجاء «منفطرٌ» على التذكير، ومنه قول الشاعر:

فلو رَفَعَ السماءُ إليه قوماً لَحِقْنا بالسماءِ وبالسَّحابِ[4]

وعلى القول بالتأنيث فقال أبو عليّ الفارسيّ: هو من باب الجراد المنتشر، والشجر الأخضر، وأعجاز نخل منقعر[5]. انتهى.

---

(١) ديوانه ص٥٧١، والكلام في المصدر السالف.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩.

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٩٩.

(٤) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ص٣٣ برواية: ولو رفع الإله.

(٥) في سورة القمر (٧): كأنهم جرادٌ منتشر، وفي سورة يس (٨٠): من الشجر الأخضر ناراً، وفي سورة القمر (٢٠): كأنهم أعجازُ نخلٍ منقعر، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٤٣.

يعني أنها من باب اسم الجنس الذي بينه وبين مفرده تاء التأنيث، وأنَّ مفردَه سَمَاءة، واسمُ الجنس يجوزُ فيه التذكير والتأنيث، فجاء «منفطر» على التذكير.

وقال أبو عَمرو بنُ العلاء وأبو عُبيدة والكسائيّ وتَبِعَهم القاضي منذر بنُ سعيد: مجازُها السَّقف، فجاء عليه: «منفطر» ولم يقل: منفطرة[١].

وقال أبوعلي أيضاً: التقدير: ذاتُ انفطار كقولهم: امرأةٌ مُرْضِع، أي: ذاتُ رضاع، فجرى على طريق النَّسَب[٢].

وقال الزمخشري: أو «السماء» شيء منفطر[٣]. فجعلَ «منفطر» صفة لخبر محذوف مقدّر بمذكّر، وهو «شيء».

والانفطار: التصدُّع والانشقاق، والضمير في «به» الظاهرُ أنه يعودُ على اليوم، والباء للسبب، أي: بسبب شدة ذلك اليوم، أو ظرفية، أي: فيه.

وقال مجاهد: يعود على الله، أي: بأمرِهِ وسلطانِه[٤].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «وَعْدُه» عائدٌ على اليوم، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول، أي إنه تعالى وعدَ عبادَه هذا اليومَ، وهو يومُ القيامة، فلا بدَّ من إنجازه، ويجوزُ أن يكون عائداً على الله تعالى، فيكون من إضافة المصدر إلى الفاعل وإنْ لم يَجْرِ له ذِكْر قريباً لأنه معلومٌ أنَّ الذي هذه مواعيدُه هو الله تعالى.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي السورة، أو الأنكال وما عُطف عليه، والأخذُ الوَبِيل، أو آياتُ القرآن المتضمِّنةُ شدَّةَ يوم القيامة. ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالتقرُّب إليه بالطاعة.

ومفعول «شاء» محذوف يدلُّ عليه الشرط لأنَّ «مَنْ» شرطيَّة، أي: فمن شاء أنْ

---

(١) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٧٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٤٣.
(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٤٣.
(٣) الكشاف ٤/ ١٧٨.
(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٤٢.

يتخذَ سبيلاً اتَّخذه إلى ربِّه، وليست المشيئة هنا على معنى الإباحة، بل تتضمَّن معنى الوَعْد والوعيد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ أي: تصلِّي، كقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ لـمَّا كان أكثرَ أحوالِ الصلاةِ القيامُ؛ عبَّر به عنها، وهذه الآيةُ نزلت تخفيفاً لِما كان استمرَّ استعمالُه من أمر قيام الليل إمَّا على الوجوب، وإمَّا على النَّدْب، على الخلاف الذي سبق[١].

﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ أي: زماناً هو أقلُّ من ثلثي الليل، واستُعير الأدنى ـ وهو الأقربُ ـ للأقلِّ؛ لأنَّ المسافةَ بين الشيئين إذا دَنَتْ قلَّ ما بينَهما من الأحياز[٢]، وإذا بَعُدَتْ كثُر ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿مِن ثُلُثَيِ﴾ بضمّ اللام، والحسنُ وشيبة وأبو حَيْوَة وابنُ السَّمَيْفَع وهشام وابنُ مجاهد عن قُنبل فيما ذكر صاحب «الكامل» بإسكانها، وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب «اللوامح»[٣].

وقرأ العَرَبيَّان ونافع: «ونصفِه وثلثِه» بجرِّهما عطفاً على «ثلثي الليل» وباقي السبعة[٤] وزيد بنُ علي بالنصب عطفاً على «أدنى» لأنه منصوب على الظرف، أي: وقتاً أدنى من ثُلُثي الليل.

فقراءةُ النصب مناسبة للتقسيم الذي في أوَّل السورة، لأنه إذا قامَ الليلَ إلا قليلاً صدقَ عليه: «أدنى من ثلثي الليل» لأنَّ الزَّمان الذي لم يقُم فيه يكون الثُّلثَ وشيئاً من الثُّلثين، فيصدُقُ عليه قولُه: «إلا قليلاً».

وأمَّا قولُه: «ونصفَه» فهو مطابقٌ لقوله أولاً: «نصفَه».

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠.

(٢) في (يه): الأحيان. والكلام في الكشاف ٤/ ١٧٨.

(٣) رواية هشام هي عن ابن عامر من السبعة، ينظر السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٤٤.

(٤) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦، والعربيَّان: هما أبو عَمرو البصري وابن عامر الشامي.

وأمَّا «وثُلُثَه» فإنَّ قولَه: «أوِ انْقُصْ منه قليلاً» قد ينتهي النقصُ في القليل إلى أن يكون الوقتُ ثُلُثَ الليل.

وأمَّا قولُه: «أو زِدْ عليه» فإنه إذا زادَ على النِّصف قليلاً كان الوقتُ أقلَّ من الثُّلثين، فيكون قد طابقَ قولَه: «أدنى من ثُلُثي الليل»، ويكون قولُه تعالى: «نصفَه أو انقُصْ منه قليلاً» شرحاً لمبهم مَّا دلَّ عليه قوله: «قُم الليلَ إلا قليلاً».

وعلى قراءة النَّصب قال الحسن وابنُ جُبير: معنى «تُحصُوه»: تُطِيقُوه[(١)]، أي: قَرَّرَ[(٢)] تعالى أنهم يُقَدِّرُون الزمانَ على ما مرَّ[(٣)] في أوَّلِ السورة، فلم يُطيقُوا قيامَه لكثرتِه وشدَّتِه، فخفَّفَ تعالى عنهم فضلاً منه، لا لعلَّةِ جهلِهم بالتقدير وإحصاءِ الأوقات.

وأمَّا قراءةُ الجَرِّ فالمعنى أنه قيامٌ مختلف؛ مرَّةً أدنى من الثُّلثين، ومرَّةً أدنى من النِّصف، ومرَّةً أدنى من الثُّلث، وذلك لتعذُّرِ معرفةِ البشر مقاديرَ[(٤)] الزَّمان مع عذْرِ[(٥)] النَّوم، وتقديرُ الزَّمان حقيقةً إنَّما هو للهِ تعالى، والبشرُ لا يُحْصُون ذلك، أي: لا يحفظون[(٦)] مقاديرَ ذلك، فتابَ عليهم، أي: رَجَعَ بهم من الثِّقل إلى الخفَّة، وأمرَهم بقيام ما تيسَّر.

وعلى القراءتين يكون علمُه تعالى بذلك على حَسَب الوقوع منهم، لأنهم قاموا تلك المقاديرَ في أوقات مختلفة؛ قامُوا أدنى من الثلثين، ونصفاً، وثُلثاً، وقاموا أدنى من النِّصف، وأدنى من الثُّلث، فلا تنافيَ بين القراءتين.

(١) النكت والعيون ٦/ ١٣٢ (بنحوه)، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠ (وتحرف فيه «تطيقوه» إلى: تطيعوه).
(٢) في (أ) والمطبوع: قدَّر، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠.
(٣) في المصدر السالف (والكلام فيه بنحوه): أمر.
(٤) في (يه): بمقادير، والمصدر السالف: لمقادير.
(٥) في المصدر السالف: عدم.
(٦) في (أ) والمطبوع: لا يطيقون، وهو خطأ.

وقرأ الجمهور: «وثُلُثَه» بضمّ اللام، وابنُ كثير في رواية شِبْل بإسْكانها[(١)].

و«طائفةٌ» معطوف على الضمير المستكنّ في «تقومُ» وحسَّنَه الفصلُ بينهما.

وقوله: ﴿وَطَآيِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ دليلٌ على أنه لم يكن فرضاً على الجميع، إذْ لو كان فرضاً عليهم لكانَ التركيب: والذين معك. إلا إنِ اعتُقد أنهم[(٢)] كان منهم من يقومُ في بيته، ومنهم من يقومُ معه، فيمكن إذ ذاك الفرضيةُ في حق الجميع.

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: هو وحدَه تعالى العالِمُ بمقادير الساعات.

قال الزمخشريّ[(٣)]: وتقديمُ اسمِه عزَّ وجلَّ مبتدأً مبنيًّا عليه «يُقدِّرُ» هو الدالُّ على معنى الاختصاص بالتقدير. انتهى.

وهذا مذهبُه، وإنَّما استُفيد الاختصاصُ من سياق الكلام لا من تقديم المبتدأ، لو قلتَ: زيدٌ يحفظُ القرآن، أو يتفقَّه في كتاب سيبويه، لم يَدُلَّ تقديمُ المبتدأ على الاختصاص.

وأنْ مخفَّفة من الثقيلة، والضمير في «تُحْصُوهُ» الظاهر أنه عائدٌ على المصدر المفهوم من «يُقَدِّرُ» أي: لن تُحْصُوا[(٤)] تقديرَ ساعاتِ الليلِ والنهار، ولا تُحيطُوا بها على الحقيقة.

وقيل: الضمير يعودُ على القيام المفهوم من قوله «تقوم»[(٥)].

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ﴾ قيل: فيه دليلٌ على أنه كان فيهم مَنْ تركَ بعضَ ما أُمِرَ به.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠.

(٢) في روح المعاني ٢٨/ ٣٣ (عن البحر): أنه.

(٣) الكشاف ٤/ ١٧٨-١٧٩.

(٤) في (أ) والمطبوع: أي أن لن، وفي (ت) و(يه): أي أن لن تحصوه، والمثبت من (ع).

(٥) رُسمت هذه اللفظة في (يه): تقوه، ولم ترد في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع، واستظهرتُها من رسمها في (يه) ومن تفسير قوله: «تحصوه» من قول الحسن وغيره السالف قريباً.

وقيل: رجع بكم من ثِقْل إلى خِفت[١]، ومن عُسْرٍ إلى يُسْر، ورَخَّصَ لكم في ترك القيام المقدَّر.

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ عبَّر بالقراءة عن الصلاة لأنها بعضُ أركانها كما عبَّر عنها بالقيام والركوع والسجود، أي: فصلُّوا ما تيسَّر عليكم من صلاة الليل. قيل: وهذا ناسخٌ للأول، ثم نُسخا جميعاً بالصلوات الخمس[٢].

وهذا الأمرُ بقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟﴾ قال الجمهور: أمرُ إباحة.

وقال ابنُ جُبير وجماعة: هو فرضٌ لا بدَّ منه ولو خمسين آية.

وقال الحسن وابنُ سِيرِين: قيامُ الليلِ فرضٌ ولو قَدْرَ حَلْبِ شاة[٣].

وقيل: هو أمرٌ بقراءة القرآن بعينها لا كناية عن الصلاة.

وإذا كان المُراد: فاقرؤوا في الصلاة ما تيسَّر، فالظاهرُ أنه لا يتعيَّن ما يقرأ، بل إذا قرأ ما تيسَّر له وسَهُلَ عليه أجزأه، وقَدَّرَهُ أبو حنيفة بآية؛ حكاه عنه الماورديّ، وبثلاث؛ حكاه ابنُ العربيّ[٤].

وعيَّن مالكٌ والشافعيُّ «ما تيسَّر» قالا: هو فاتحةُ الكتاب، لا يَعدل عنها ولَا يقتصر على بعضها.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ بيانٌ لحكمة النَّسخ، وهي تعذُّر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله.

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كرَّر ذلك على سبيل التوكيد، ثم أمرَ بعمودَي الإسلام البدنيّ والماليّ، ثم قال: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ العطفُ يُشعر بالتغاير، فقوله: «وآتُوا الزكاة» أمرٌ بأداء الواجب، «وأقْرِضُوا الله» أمرٌ بالصَّدقات التي يتطوَّع بها.

---

(١) في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٤٥ (والأقوال فيه بنحوها): من تثقيل إلى تخفيف.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٩، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢٠-٣٢١ و٣٤٧.

(٣) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠-٣٩١، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٢١.

(٤) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٥١-٣٥٢.

وقرأ الجمهور: ﴿هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ بنصبهما، واحتملَ «هو» أن يكون فَصْلاً، وأنْ يكون تأكيداً لضميرِ النصب في «تَجدُوه»، ولم يذكر الحَوْفيُّ والزمخشريُّ وابنُ عطيَّة في إعراب«هو» إلا الفَصْل[١].

وقال أبو البقاء: «هو» فصل، أو بدل، أو توكيد[٢]. فقولُه: «أو بَدَل» وَهْمٌ، لو كانَ بَدَلاً لطابقَ في النصب فكان يكون «إيَّاه».

وقرأ أبو السَّمَّال وابنُ السَّمَيْفَع: «هو خيرٌ وأعظمُ» برفعهما على الابتداء والخبر[٣]، قال أبو زيد: هي لغةُ بني تميم، يرفعون ما بعد الفاصلة، يقولون: كان زيدٌ هو العاقلُ، بالرفع، وهذا البيت لقيس بن ذَرِيح، وهو:

تَحِنُّ إلى ليلى وأنتَ تَرَكْتَها وكنتَ عليها بالمَلَا أنتَ أقْدَرُ[٤]

قال أبو عُمر الجَرْميّ: أنشدَ سيبويهِ هذا البيتَ شاهداً للرفع، والقوافي مرفوعة، ويُرْوَى: أقْدَرَا.

وقال الزمخشريّ[٥]: و«هو» فَصْلٌ، وجازَ وإن لم يقع بين معرفتين لأنَّ «أفْعَلَ مِنْ» أشْبَهَ في امتناعِهِ من حرفِ التعريفِ المعرفةَ. انتهى.

وليس ما ذكر متفقاً عليه، ومنهم من أجازَه. وليس أفعل من، وأحكام[٦] الفَصْل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثيرة جدًّا، وقد جَمَعْنا فيه كتاباً سمَّيناه بـ «الفصل[٧] في أحكام الفصل» وأودَعْنا معظمه «شرح التسهيل» من تأليفنا.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩١.
(٢) الإملاء ٢/ ٢٧٢.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٤، والكشاف ٤/ ١٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩١، قال ابن عطية: والجملة تسدُّ مسدَّ المفعول الثاني.
(٤) الكتاب ٢/ ٣٩٣، وسلف عند تفسير الآية (٣٢) من الأنفال، و(٧٦) من الزخرف.
(٥) الكشاف ٤/ ١٧٩.
(٦) كذا في (ت) و(ع) و(يه). وفي (أ) والمطبوع: أحكام (دون واو) ولعل لفظ «وليس أفعل من» زائداً، والله أعلم.
(٧) في (أ) والمطبوع: سمَّيناه بالقول الفصل...

مفردات سورة المدثر

تَدَثَّر: لَبِسَ الدِّثارَ، وهو الثوبُ الذي فوقَ الشِّعار، والشِّعارُ: الثوبُ الذي يلي الجسد، ومنه قوله ﷺ: «الأنصار شِعارٌ والناسُ دِثار»[1].

النَّقْرُ: الصَّوْتُ، قال الشاعر:

أُخَفِّضُهُ بالنَّقْرِ لمَّا عَلَوْتُهُ ... ويَرْفَعُ طَرْفاً غيرَ جافٍ[2] غَضِيضِ[3]

وقال الراجز:

أنا ابنُ ماوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ[4]

يريد: النَّقْرَ، فنقلَ الحركةَ[5]، فالناقُور فاعُول منه، كالجاسُوس مأخوذٌ من التجسُّس.

عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وعُبُوساً: قَطَّبَ، والعَبْسُ: ما تعلَّق بأذناب الإبلِ من أبعارِها وأبوالِها، قال أبو النَّجْم:

---

(١) هو قطعة من حديث عبد الله بن زيد في قصة قَسْم الغنائم يومَ حنين، أخرجه أحمد (١٦٤٧٠) والبخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١).

(٢) في (يه): خاف.

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٧٥. قال شارحُه: يقول: لما نزلتُ إليه فركبتُه أبدَى شدة الحركة والنشاط، فجعلتُ أُخفِّضُهُ بالنَّقْر، والنَّقْر: صوتٌ يُسَكِّنُ به الفرس. وقولُه: ويرفعُ طَرْفاً غير جافٍ غضيض، أي: لا يجفُو نظرُه عن شخص، ولا يغضُّه عنه.

(٤) نُسب الرَّجَز في اللسان (نقر) لعُبيد بن ماويَّة الطائيّ، وسلف في تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة.

(٥) قال في «اللسان» (نقر): لما وقفَ نقلَ حركة الراء إلى القاف، وهي لغة لبعض العرب، تقول: هذا بَكُرْ، ومررتُ بِبَكِرْ.

كأنَّ في أذنابِهِنَّ الشُّوَّلِ ... من عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الإِيَّلِ[(١)]

بَسَرَ: قبضَ ما بين عينيه وارْبَدَّ وجهُه، قال:

صَبَحْنا تميماً غَداةَ الجِفار ... بشَهْبَاءَ مَلْمُومَةٍ باسِرَهْ[(٢)]

وأهلُ اليمن يقولون: بَسَرَ المركبُ وأبْسَرَ: إذا وقَفَ، وقد أبْسَرْنا، وتقولُ العرب: وجهٌ باسرٌ بَيِّنُ البُسُور: إذا تغيَّر واسودَّ[(٣)].

لَاحَهُ الشيءُ: غَيَّرَ خِلْقَتَهُ[(٤)]، قال:

تَقولُ مالَاحَكَ يا مسافرُ ... يا ابنةَ عمِّي لَاحَني الهَوَاجِرُ[(٥)]

وقال آخر:

وتَعْجَبُ هندٌ أنْ رَأَتْنِيَ شاحِباً ... تقول لشيء لَوَّحَتْهُ السَّمائمُ[(٦)]

وقال الأخفش: اللَّوْحُ شدَّةُ العَطَش، لاحَهُ العطشُ ولَوَّحَهُ: غَيَّرَهُ، قال الشاعر:

سَقَتْنِي على لَوْحٍ من الماءِ شَرْبَةً ... سَقَاها به اللهُ الرِّهامَ الغَوَادِيا[(٧)]

ويقال: الْتَاحَ، أي: عَطِشَ.

---

(١) ديوان أبي النَّجم العجلي ص١٩١. قوله: شُوَّل، جمع شائل، وهي الناقة التي تَشُولُ بذنبها للّقاح (أي: ترفعه)، والإِيَّل: الذَّكَر من الأوعال، وينظر إصلاح المنطق ص٩٥-٩٦، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٧٦، واللسان (شول).

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٩، ونُسب فيهما لِبشر بن أبي خازم.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٩.

(٤) في (يه): غيَّر حليته واسودَّ.

(٥) الرَّجز في الكشاف ٤/ ١٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢، وجاء البيت الثاني في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢. والسمائم: جمع سَمُوم، وهي الريح الحارَّة، أو الحرّ الشديد.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٤٣، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٨٣ وقال: الرِّهام جمع رِهْمة، بالكسر، وهي المطرة الضعيفة.

القَسْوَرَة: الرُّماةُ والصَّيَّادون؛ قاله ابنُ كَيْسان، أو الأسد؛ قاله جماعةٌ من اللغويين(١)، قال:

مُـضَـمَّـرٌ تـحـذَرُهُ الأبـطـالُ
كـأنَّـه الـقَـسْـوَرَةُ الـرِّئـبـالُ(٢)

أو الرِّجالُ الشِّداد(٣)، قال لَبِيد:

إذا ما هَتَفْنَا هَتْفَةً في نَدِيِّنا ... أتانا الرِّجالُ العاندون(٤) القَسَاوِرُ

أو ظُلْمَةُ أوَّلِ الليل، لا ظُلْمَةُ آخِرِه، قاله ابنُ الأعرابيّ وثعلب(٥).

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا
تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا
۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ
صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/٤٥٩-٤٦٠، والمحرر الوجيز ٥/٣٩٩، وتفسير القرطبي ٢١/٤٠٠.
(٢) الرَّجز في المحرر الوجيز ٥/٣٩٩. قوله: الرِّئبال (أو الرِّيبال) أي: الأسد.
(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٩٩، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/٤٠١.
(٤) في (أ) ومطبوع البحر: الصائدون، وهو كذلك في ديوان لَبِيد ص٣٥١، وفي (ت) و(ع): العائدون، وهو كذلك في تفسير الثعلبي ٦/٣٢٢، وفي تفسير القرطبي ٢١/٤٠١: العابدون، والمثبت من (يه)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/٣٩٩.
(٥) هو عن ابن الأعرابي في تفسير القرطبي ٢١/٤٠١، وعن ثعلب في المحرر الوجيز ٥/٣٩٩.

وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾
سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ
وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

هذه السورة مكية، قال ابن عطيَّة: بإجماع[١]، وفي «التحرير»[٢] قال مقاتل: إلا آية، وهي ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾[٣].

ومناسبتُها لما قبلَها أنَّ فيما قبلَها: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وفيه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ فناسبَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ وناسب ذكرُ يوم القيامة بعد ذكر[٤] بعض المكذبين في قوله: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.

قال الجمهور: لمَّا فَرَغَ من رؤية جبريلَ على كرسيّ بين السماء والأرض فرُعِبَ منه ورَجَع إلى خديجة فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني[٥]، نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾.

قال النَّخعي وقتادة وعائشة: نُودِيَ وهو في حالِ تَدَثُّر، فدُعيَ بحالٍ من أحوالِه، ورُوِيَ أنه كان تدثَّر في قَطِيفة[٦].

قيل: وكان سَمِعَ من قريش ما كرهه فاغتمَّ وتغطَّى بثوبه مفكِّراً، فأُمِرَ أن لا يدعَ إنذارَهم وإنْ أسمعُوه وآذَوْه[٧].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.
(٢) وهو التحرير والتنوير لابن النقيب شيخ المصنف، تكرَّر ذكره مراراً وفي المقدِّمة.
(٣) وقول مقاتل أيضاً في زاد المسير ٨/ ٣٩٨.
(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: وذكر، والمثبت من النهر الماد بهامش المطبوع ٨/ ٣٦٩.
(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: زَمِّلوني دثِّروني، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، وأصل الخبر في صحيح البخاري (٤)، وصحيح مسلم (١٦١).
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.
(٧) الكشاف ٤/ ٣٧٠، وقد ردَّ ابنُ العربي هذا الكلام ونقله عنه القرطبي في تفسيره ٢١/ ٣٥٥.

وقال عكرمة: معناه: يا أيها المُدَثَّر للنبوَّة وأثقالِها، كما قال في المُزَمَّل[(١)].

وقرأ الجمهور: «المدَّثِّر» بشدِّ الدَّال، وأصلُه المُتَدَثِّر، فأدغم، وكذا هو في حرف أُبيّ على الأصل[(٢)].

وقرأ عكرمة بتخفيف الدَّال كما قُرئ بتخفيف الزاي في «المُزَمِّل» أي: دَثَّرَ نفسَه[(٣)]، وعن عكرمة أيضاً فتحُ التاء، اسمُ مفعول[(٤)]، وقال: دُثِّرتَ هذا الأمرَ وعُصِبَ بك[(٥)].

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾ أي: قُمْ من مضجعك، أو «قُمْ» بمعنى الأخذ في الشيء، كما تقول: قام زيدٌ يضربُ عَمراً، أي: أخذَ، وكما قال:

على ما قامَ يَشْتِمُني لَئِيمٌ[(٦)]

أي: أخذَ، والمعنى: قُم قيامَ تصميم وجِدٍّ ﴿فَأَنذِرْ﴾ أي: حَذِّرْ عذابَ اللهِ ووقائعَه.

والإنذارُ عامّ لجميع الناسِ وبِعْثَةٌ إلى الخلق.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ أي: فعَظِّمْ كبرياءَه، وقال الزمخشريّ[(٧)]: واختصَّ ربَّك بالتكبير، وهو الوصفُ بالكبرياء، وأن يقال: الله أكبر. انتهى.

---

(١) هو معنى قول عكرمة مُفَسَّراً به قراءتَه بتخفيف الدال وتشديد الثاء المفتوحة على أنه اسم مفعول من «دَثَّرَ»، كما سيرد، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، والكشاف ٤/ ١٨٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٥٤، وزادَ ابنُ الجوزي نسبتها في زاد المسير ٨/ ٣٩٩ لأبي عِمْران والأعمش. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣-١٦٤، والمحتسب ٢/ ٢٣٥.

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٤، والكشاف ٤/ ١٨٠، وبعده في الطبري: فقُمْ به.. اهـ. ومعنى: عُصِبَ بك، أي: شُدَّ. قاله الآلوسي.

(٦) هو صدرُ بيت لحسان، وعجزُه: كخنزيرٍ تمرَّغَ في رمادِ. وهو في ديوانه ص٧٩.

(٧) الكشاف ٤/ ١٨٠.

وهذا على مذهبه من أنَّ تقديمَ المفعول على الفعل يدلُّ على الاختصاص. قال: ودخلت الفاء لمعنى الشرط، كأنه قيل: وما كان فلا تَدَعْ تَكْبِيرَهُ. انتهى.

وهو قريبٌ ممَّا قَدَّرَه النُّحاة في قولك: زيداً فاضْرِبْ، قالوا: تقديرُه تَنَبَّهْ فاضْرِبْ زيداً، فالفاء هي جوابُ الأمر، وهذا الأمرُ إمَّا مضمَّنٌ معنى الشرط، وإمَّا الشرطُ بعده محذوفٌ على الخلاف الذي فيه عند النُّحاة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ الظاهرُ أنه أمرٌ بتطهير الثياب من النجاسات، لأنَّ طهارةَ الثِّياب شرطٌ في صحَّة الصلاة، ويقبُح أن تكون ثيابُ المؤمن نجسةً، والقولُ بأنها الثيابُ حقيقةً هو قولُ ابنِ سِيرِين وابنِ زيد والشافعيّ[١]، ومن هذه الآية ذهبَ الشافعيُّ إلى وجوبِ غسلِ النّجاسةِ من ثيابِ المصلِّي.

وقيل: تطهيرُها تقصيرُها ومخالفةُ العربِ في تطويل الثيابِ وجَرِّهِم الذُّيُولَ على سبيل الفخر والتكبُّر، قال الشاعر:

ثُمَّ راحُوا عَبَقُ المِسْكِ بِهِمْ يُلْحِفُونَ الأرضَ هُدَّابَ الأُزُرْ[٢]

ولا يُؤمنُ إصابتُها النجاسة، وفي الحديث: «إِزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصافِ ساقَيه، لا جُناحَ عليه فيما بينَه وبينَ الكعبين، ما كان أسفلَ من ذلك ففي النار»[٣].

وذهب الجمهور إلى أنَّ الثيابَ هنا مجاز، فقال ابنُ عبَّاس والضحَّاك: تطهيرُها أن لا تكون تتلبَّس بالغدر والفجور[٤].

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.

(٢) البيت لطَرفَةَ بن العبد، وهو في ديوانه ص٥٥، وسلف في تفسير البقرة (٢٧٣)، قوله: يُلْحِفُون الأرض، أي: يجعلونها كاللِّحاف، أي: يُلبسونها إيَّاها، وهُدَّاب: خَمَلُ الثوب.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١١٠١٠) وأبو داود (٤٠٩٣) وابن ماجه (٣٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وصحَّحه ابنُ حبان (٥٤٤٧)، وتتمة الحديث: لا ينظرُ الله إلى من جَرَّ إزارَهُ بَطَراً.

(٤) لفظة «والفجور» من (يه)، والقول بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣. وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٠.

وقال ابن عبَّاس وابن جُبير أيضاً: كَنَى بالثياب عن القلب كما قال امرؤ القيس:

فَسُلِّي ثيابي من ثيابكِ تَنْسُلِ[١]

أي: قلبي من قلبك.

وعلى الطهارة من الغَدْر، وأنشَدَ قولَ غيلانَ بنِ سَلَمَةَ الثقفيّ:

فإني بحمدِ اللهِ لا ثَوْبَ غادرٍ لَبِسْتُ ولا من غَدْرَةٍ[٢] أتقنَّعُ[٣]

وقيل: كناية عن طهارةِ العمل، المعنى: وعملَكَ فأَصْلِحْ. قاله مجاهد وابنُ زيد.

وقال ابنُ زيد: إذا كان الرجلُ خبيثَ العمل قالوا: فلانٌ خبيثُ الثياب، وإذا كان حَسَنَ العمل قالوا: فلان طاهرُ الثياب، ونحوُ هذا عن السُّدِّيّ، ومنه قولُ الشاعر:

لا هُمَّ إنَّ عامِرَ بنَ جَهْمِ أوْذَمَ حَجًّا في ثيابٍ دُسْمِ[٤]

أي: دَنِسة بالمعاصي.

وقيل: كَنَى عن النَّفس بالثياب، قاله ابنُ عباس، قال الشاعر:

فشَكَكْتُ بالرُّمحِ الطويلِ ثيابَه[٥]

---

(١) ديوان امرئ القيس ص١٣، وسلف في تفسير الآية (٢٠٥) من سورة البقرة.

(٢) في المطبوع: خزية، وهي رواية كما في التعليق التالي.

(٣) سلف في تفسير الآية (٥٢) من سورة الإسراء، ونسبه صاحب الأغاني ١٦/ ٢٣٥-٢٣٦ لبرذع بن عديّ في قصيدة له، برواية: فاجر، بدل: غادر، وخزية، بدل: غدرة. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٥، والنكت والعيون ٦/ ١٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٠.

(٤) سلف الرجز في تفسير الآية (٣٠) من سورة آل عمران.

(٥) هو صدرُ بيت لعنترة، وعجزُه: ليس الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ، وهو في ديوانه ص٢٦، وقول ابن عباس في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٦، والقرطبي ٢١/ ٣٦٠، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٣٦.

وقال آخر:

ثِيابُ بني عَوْفٍ طَهارَى نَقِيَّةٌ ... وأوْجُهُهُمْ عندَ المَشاهِدِ غُرَّانُ(١)

أي: أنفسُهم.

وقيل: كَنَى بها عن الجسم، قالت ليلى وقد ذَكَرَتْ إبلاً:

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ فلا تَرَى ... لها شَبَهاً إلا النَّعامَ المُنَقَّرَا

أي: ركبُوها فرَمَوْها بأنفسهم(٢).

وقيل: كناية عن الأهل؛ قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والتَّطَهُّرُ فيهنَّ اختيارُ المؤمنات العفائف، وقيل: وطئهنَّ(٣) في القُبُل لا في الدُّبُر، في الطُّهْر لا في الحيض، حكاه ابنُ بحر.

وقيل: كناية عن الخُلُق، أي: وخُلُقَكَ فحسِّنْ. قاله الحسن والقُرَظيّ(٤)، ومنه قوله:

ويَحْيَى ما يُلامُ بسوءِ خُلْقٍ ... ويَحْيَى طاهِرُ الأثوابِ(٥) حُرُّ(٦)

أي: حسنُ الأخلاق.

وقرأ الجمهور: «والرِّجْزَ» بكسر الراء، وهي لغةُ قريش، والحسنُ ومجاهدٌ

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٣، وسلف في تفسير آل عمران (٢٤).

(٢) تأويل مشكل القرآن ص١٠٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٣) كذا اللفظة بالجرّ، على تقدير: كنايةٌ عن وطئهنَّ. وينظر القولان في النكت والعيون ٦/ ١٣٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٤) هو محمد بن كعب القُرَظي، وتحرَّف في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: القرطبي. والقول في تفسير البغوي ٤/ ٤١٣، وزاد المسير ٨/ ٤٠١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٥) في (ت): الأثياب.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٢، ونسب المبرّد في الكامل ١/ ٦١ أربعة أبيات لكثيّر، وفيها:

وما بي أنْ أكونَ أعِيبُ يحيى ... ويحيى طاهرُ الأثوابِ بَرُّ

والسُّلَميُّ وأبو جعفر وشيبة[١] وابنُ مُحَيْصِن وابنُ وثَّاب وقتادة والنَّخَعي وابنُ أبي إسحاق والأعرج وحفص بضمِّها[٢]، فقيل: هما بمعنًى واحدٍ يُرادُ بهما الأصنام والأوثان، وقيل: الكسر للنَّتَنِ والنقائصِ والفجور، والضمُّ لصنمين إساف ونائلة.

وقال عكرمة ومجاهد والزُّهري: للأصنام عموماً.

وقال ابن عباس: الرِّجْز: السُّخْط، أي: اهْجُرْ ما يؤدِّي إليه.

وقال الحسن: «الرِّجْز» كلُّ معصية[٣].

والمعنى في الأمر: اثْبُتْ ودُمْ على هَجْرِهِ، لأنه ﷺ كان بريئاً منه[٤].

وقال النخعي: «الرِّجز» الإثم[٥]، وقال القُتَبيّ: «الرِّجز» العذاب، أي: اهْجُرْ ما يؤدِّي إليه[٦].

وقرأ الجمهور: «ولا تَمْنُنْ» بفكّ التضعيف، والحسنُ وأبو السَّمَّال بشدّ النون[٧].

قال ابنُ عبَّاس وغيرُه: لا تُعْطِ عطاءً لتُعْطَى أكثرَ منه، كأنَّه من قولهم: مَنَّ: إذا أَعْطَى.

قال الضحَّاك: هذا خاصٌّ به ﷺ، ومباحٌ ذلك لأمَّتِه، لكنه لا أجرَ لهم.

---

(١) في المطبوع: أبو شيبة، وهو خطأ.

(٢) قراءة حفص عن عاصم من السبعة، ينظر السبعة ٦٥٩، والتيسير ص٢١٦، وقراءة أبي جعفر (وهو من العشرة) في النشر ٢/ ٣٩٣، وقرأ بها أيضاً يعقوب من العشرة، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وزاد المسير ٨/ ٤٠١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤١١-٤١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ (ولفظ الأقوال منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.

(٤) الكشاف ٤/ ١٨١.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٤١١-٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.

(٦) ينظر تأويل مشكل القرآن ص٣٦١.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٤، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٦٨.

وعن ابن عباسٍ أيضاً: لا تَقُل: دعوتُ فلم أُجَبْ.

وعن قتادة: لا تُدِلَّ بعملِك.

وعن ابن زيد: لا تَمْنُنْ بنبوَّتِك تستكثرُ بأجْرٍ أو كَسْبٍ تطلبُه منهم.

وقال الحسن: لا تَمْنُنْ على اللهِ بِجِدِّكَ تستكثرُ أعمالَك ويقعُ لك بها إعجاب.

وهذه الأقوال كلُّها من المنِّ تعدادِ اليدِ وذكرها[1].

وقال مجاهد: «ولا تمنن»: لا تَضْعُفْ تستكثرُ ما حمَّلْناكَ من أعباءِ الرِّسالة، أو تستكثر من الخير، من قولهم: حَبْلٌ مَنِين، أي: ضعيف.

وقيل: ولا تُعْطِ مستكثراً رائياً لما تعطيه.

وقرأ الجمهور: «تستكثرُ» برفع الراء، والجملة حالية، أي: مستكثراً.

قال الزمخشريّ: ويجوزُ في الرفع أن تحذف «أنْ» ويبطلَ عملُها كما رُوِيَ: أحضرُ الوَغَى، بالرفع. انتهى[2].

وهذا لا يجوز أن يُحمل القرآنُ عليه، لأنه لا يجوزُ ذلك إلا في الشِّعر، ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال، أي: مستكثراً.

وقرأ الحسن وابنُ أبي عَبْلة بجزم الراء[3]، ووجهُه أنه بدلٌ من «تَمْنُنْ»، أي: لا تَسْتَكْثِرْ، كقوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الفرقان:٦٩] في قراءة من جَزَم بَدَلاً من قوله: «يَلْقَ» وكقوله:

متى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنا في دِيارِنا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تَأَجَّجا[4]

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ (والكلام فيه): من المنِّ الذي هو تعديدُ اليد وذكرها، وتنظر الأقوال بنحوها (مع اختلاف في نسبة بعضها) في تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٥-٤١٦، وزاد المسير ٨/ ٤٠٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) الكشاف ٤/ ١٨١. وقولُه: أحضر الوغى، قطعة من بيت لطَرَفَةَ بن العَبْد؛ صدرُه: ألا أيُّهَذا الزَّاجِرِي أَحْضُر الوغى. وسلف في تفسير البقرة (٨٣) والروم (٢٤).

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٢٣٧، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣.

(٤) سلف في تفسير البقرة (٤٩) والفرقان (٦٩).

ويكون من المَنِّ الذي في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] لأن من شأن المنَّانِ أن يستكثر ما يعطي، أي: يراه كثيراً ويعتَدُّ به.

وأجازَ الزمخشريّ[١] فيه وجهين:

أحدهما: أن تشبَّه «ثِرُوَ»[٢] بـ «عَضُد» فيُسكَّن تخفيفاً[٣].

والثاني: أن يعتبرَ حالَ الوقف. يعني فيُجرِي الوصلَ مُجرى الوقف.

وهذان لا يجوزُ أن يُحْمَلَ القرآنُ عليهما مع وجودِ ما هو راجحٌ عليهما، وهو البَدَل.

وقرأ الحسن أيضاً والأعمش: «تَسْتَكْثِرَ» بنصب الراء[٤] على إضمار «أنْ» كقولهم: مُرْهُ يَحْفِرَها، بنصب الراء[٥]، أي: أن يَحْفِرَها[٦]، وقرأ ابنُ مسعود: «أن تستكثر» بإظهار «أنْ»[٧].

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ أي: لوجْهِ ربِّك، أمرَهُ بالصَّبر، فيتناولُ الصبرَ على تكاليف النبوَّة، وعلى أداء طاعة الله، وعلى أذى الكفار.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨١.

(٢) يعني أخذ الثاء والراء آخر «تستكثر» مع واو العطف التي بعدها في قوله: «ولربِّك».

(٣) وذكر السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٣٧ مثالاً آخر وهو تسكين باء «أشْرَب» في بيت امرئ القيس: فاليومَ أشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ؛ أخذوا الراء والباء من «أشْرَبُ» مع الغين من «غير»: «رَ بُ غَ» فسُكِّنت الباء تخفيفاً تشبيهاً بـ «عَضُد». وذكر صاحب القاموس في «العَضد» ستَّ لغات؛ قال: بالفتح وبالضم وبالكسر، وككَتِف ونَدُس وعُنُق، وذكر شارحُه أن ثعلباً زاد العَضَد، بفتح العين والضاد.

(٤) المحتسب ٢/ ٣٣٧، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ عن الأعمش، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٩ عنه وعن يحيى.

(٥) من قوله: على إضمار «أن»... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٦) تحرَّف في (أ) والمطبوع إلى: لن يحفرها.

(٧) معاني الفراء ٣/ ٢٠١، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧، والقراءات الشاذة ص١٦٤، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٩. وقراءةُ ابن مسعود هذه تؤيّد قراءة الأعمش قبلها بنصب الراء.

قال ابنُ زيد: على حربِ الأحمر والأسود[١]، فكلٌّ مصبورٍ عليه ومصبورٍ عنه يندرجُ في الصبر[٢].

وقال الزمخشريّ: والفاء في قوله: «فإذا نُقِرَ» للتسبيب، كأنه قيل: فاصبر على أذاهم، فبَيْنَ أيدِيهم يومٌ عسيرٌ يَلْقَوْن فيه عاقبةَ أذاهم وتَلْقَى عاقبةَ صبرِك عليه.

وقال الزمخشريّ: والفاء في «فذلك» للجزاء. فإنْ قلتَ: بِمَ انتصبَ «إذا»، وكيف صَحَّ أن يقع «يومئذ» ظرفاً لـ «يوم عَسِير»؟

قلت: انتصب «إذا» بما دلَّ عليه الجزاء، لأنَّ المعنى: فإذا نُقِرَ في النَّاقور عَسُرَ الأمرُ على الكافرين، والذي أجازَ وقوعَ «يومئذ» ظرفاً لـ «يوم عَسِير» أنَّ المعنى: فذلك وقتُ النَّقْر وقوعُ يومٍ عسير، لأنَّ يومَ القيامة يأتي ويقعُ حين يُنْقَرُ في الناقور.

ويجوزُ أن يكون «يومئذ» مبنيًّا مرفوعَ المحلّ بدلاً من «ذلك» و«يومٌ عَسِير» خبر، كأنه قيل: فيومُ النَّقْرِ يومٌ عَسِير.

فإن قلت: فما فائدةُ قولِه: «غيرُ يَسِير» و«عَسِير» مُغْنٍ عنه؟

قلت: لمَّا قال: «على الكافرين» فقَصَرَ العُسْرَ عليهم قال: «غير يسير» ليُؤْذِنَ بأنه لا يكونُ عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيِّناً فيجمع[٣] بين وعيدِ الكافرين وزيادة غيظِهم وبِشارةِ المؤمنين وتسليتِهم.

ويجوزُ أن يرادَ أنه عَسِيرٌ لا يُرْجَى أن يرجعَ يسيراً كما يُرْجَى تيسيرُ العسيرِ من أمور الدنيا. انتهى.

وقال الحَوْفيّ: «فإذا»: «إذا» متعلِّقة بـ«أَنْذِرْ» أي: فأنذِرْهُمْ إذا نُقِرَ في النَّاقور[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧، والنكت والعيون ٦/ ١٣٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٩.

(٢) ينظر الكشاف ٤/ ١٨١.

(٣) في الكشاف ٤/ ١٨١ (والكلام منه): ليجمع.

(٤) نظر فيه السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٣٨ وقال: الفاء تمنع من ذلك.

وقال أبو البقاء: يجري[١] على قول الأخفش أن تكون «إذا» مبتدأ، والخبر «فذلك»، والفاء زائدة، فأمَّا «يومئذ» فظرفٌ لـ «ذلك».

وأجازَ أبو البقاء أن يتعلَّق «على الكافرين» بـ «يسير» أي: غيرُ يسير، أي: غير سهل[٢] على الكافرين. وينبغي أن لا يجوز، لأنَّ فيه تقديمَ معمول العامل المضاف إليه «غير» على العامل، وهو ممنوع على الصحيح، وقد أجازَه بعضُهم فيقول: أنا بزيدٍ غيرُ راضٍ.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝﴾ لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، فرُوِيَ أنه كان يلقَّبُ بالوحيد، أي: لأنه لا نظيرَ له في مالِه وشرفِه في بيته[٣].

والظاهر انتصابُ «وحيداً» على الحال من الضمير المحذوف العائد على «مَنْ» أي: خلقتُه منفرداً ذليلاً قليلاً، لا مالَ له ولا ولد، فآتاه الله تعالى المالَ والولدَ، فكفرَ نعمتَه وأشركَ به واستهزأ بدينِه.

وقيل: حال من ضمير النصب في «ذَرْني»قاله مجاهد، أي: ذَرْني وَحْدِي معه، فأنا أَجْزِيك في الانتقام منه.

أو حال من التاء في «خلقتُ» أي: خلقتُه وَحْدِي لم يَشْرَكْني في خلقه[٤] أحد، فأنا أُهْلِكُه لا أحتاجُ إلى ناصرٍ في إهلاكه.

وقيل: وحيداً لا يتبيَّن أبوه، وكان الوليدُ معروفاً بأنَّه دَعِيّ كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] وإذا كان يُدْعَى وحيداً فقيل:

(١) في الإملاء ٢/ ٢٧٢-٢٧٣: يخرّج.
(٢) وقع في (يه) كلمة يحتمل رسمها لفظة «يتثاقل»، ولفظة «غير» لم ترد في (ع).
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢١-٤٢٢، والنكت والعيون ٦/ ١٣٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧١.
(٤) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: خلقي، والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٨١.

لا يجوزُ أن ينتصبَ على الذَّمّ، لأنه لا يجوزُ أن يُصَدِّقَه الله تعالى في أنه وحيدٌ لا نظيرَ له[١]، ورُدَّ ذلك بأنه لمَّا لُقِّبَ بذلك صارَ عَلَماً، والعَلَمُ لا يُفيدُ في المسمَّى صفة. وأيضاً فيمكنُ حملُه على أنه وحيدٌ في الكفرِ والخُبثِ والدَّناءة.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ قال ابنُ عبَّاس: كان له بين مكةَ والطائفِ إبلٌ وحُجُورٌ ونَعَم وجِنَانٌ وعَبيدٌ وجَوَارٍ[٢].

وقيل: كان صاحبَ زَرْعٍ وضَرْعٍ وتجارة.

وقال النعمانُ بنُ بشير[٣]: المالُ الممدودُ هو الأرض، لأنها مُدَّت.

وقال عمر بنُ الخطاب ﷺ: هو الرَّيْعُ المستغلُّ مشاهرةً[٤]، فهو مدٌّ في الزَّمان لا ينقطع.

وقيل: هو مقدارٌ معيَّن، واضطربُوا في تعيينِه، فممَّا قيل: ألفُ دينار، وقيل: ألفُ ألفِ دينار[٥]، وكل هذا تحكُّم.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ أي حضُوراً معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم، فهو مستأنسٌ بهم، أو شهوداً، أي: رجالاً يشهدُون معه المجامعَ والمحافلَ، أو تُسمع شهادتُهم فيما يُتحاكم[٦] فيه.

---

(١) في تفسير الرازي ٣٠/١٩٨: كان يقول: أنا الوحيد بنُ الوحيد، ليس لي في العرب نظير ولا لأبي نظير، فالمراد: ذَرْني ومن خلقتُ أعني وحيداً، وطعنَ كثيرٌ من المتأخرين في هذا الوجه وقالوا: لا يجوز أن يُصَدِّقَهُ اللهُ في دَعْواه أنه وحيدٌ لا نظير له... وينظر تمام كلامه.

(٢) بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤١٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٢. والحجُور جمع حِجْر، وهي الفرس الأنثى.

(٣) كذا في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤، وفي تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٤٢٣، والثعلبي ٦/ ٣١٤، والقرطبي ٢١/ ٣٧٣: النعمان بن سالم، وهو الأشبه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤، ولفظُه في المصادر السالفة: غلَّة شهر بشهر.

(٥) وقيل غير ذلك، تنظر المصادر السالفة، والنكت والعيون ٦/ ١٣٩.

(٦) في (يه): يتحاكمون. وينظر الكشاف ٤/ ١٨٢.

واختلف في عددهم، فذُكر منهم خالدٌ وهشامٌ وعُمارةُ، وقد أسلموا[١]، والوليدُ والعاصي وقيسٌ وعبدُ شمس.

قال مقاتل: فما زالَ الوليدُ بعد نزول هذه الآية في نقص في مالِه وولدِه حتى هَلَك[٢]. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤﴾ أي: وطّأتُ وهيَّأتُ وبسطتُ له بَسْطاً حتى أقامَ ببلدتِه مطمئناً يُرْجَعُ إلى رأيه.

وقال ابنُ عبَّاس: وسَّعْتُ له ما بين اليمن إلى الشام.

وقال مجاهد مهَّدتُ له المالَ بعضَه فوقَ بعض كما يمهَّد الفراش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾ أي: على ما أعطيتُه من المال والولد.

«كلا» أي: ليس يكونُ كذلك مع كفره بالنِّعم.

وقال الحسن وغيرُه: «ثم يطمع» أنْ أُدْخِلَهُ الجنة! لأنه كان يقول: إنْ كانَ محمدٌ صادقاً فما خُلِقَتِ الجنةُ إلَّا لي[٣].

«ثم يطمع» قال الزمخشري: استبعادٌ لطمعِه واستنكار، أي: لا مزيد على ما أوتيَ كثرةً وسَعَةً.

«كلَّا» قطعٌ لرجائه ورَدْعٌ. انتهى[٤].

وطمعُه في الزيادة دليلٌ على جَشَعِهِ وحُبِّهِ للدُّنيا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليلٌ للرَّدْعِ على وَجْهِ الاستئناف، كأنَّ قائلاً قال: لِمَ لا يُزاد؟ فقال: إنه عانَدَ[٥] آياتِ المُنعِم وكفَرَ بذلك نعمتَه[٦]، والكافرُ لا يستحقُّ المزيد.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨٢، وذكر ابن حجر في الإصابة ٨/ ٢٤ أن عُمارة بنَ الوليد مات كافراً، وأنَّ الصواب فيمن أسلموا: خالد وهشام والوليد.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٣.

(٣) ينظر ما سلف في المصدر السالف.

(٤) الكلام في الكشاف ٤/ ١٨٢ باختلاف يسير.

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: كان يعاند، بدل: عاندَ، والكلام في المصدر السالف.

(٦) لفظة «نعمته» ليست في (أ) و(ت) والمطبوع.

وإنَّما جُعلت الآياتُ بالنسبة إلى الإنعام لمناسبةِ قولِه: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ إلى آخر ما آتاهُ الله، والأحسنُ أن يُحمَلَ على آياتِ القرآن؛ لحديثِه في القرآن وزعمِهِ أنه سِحْرٌ.

﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ أي: سأكلِّفُه وأُغشِّيهِ بمشقَّةٍ وعُسْر ﴿صَعُودًا﴾: عقبةً في جهنَّم؛ كلَّما وُضِعَ عليها شيءٌ من الإنسان ذابَ، ثم يعودُ. والصَّعُود في اللغة: العَقَبة الشاقَّة.

وتقدّم شرحُ «عَنِيد» في سورة إبراهيم عليه السلام [١٥].

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾ رُوِيَ أنَّ الوليدَ حاجَّ أبا جهل وجماعةً من قريش في أمرِ القرآن وقال: إنَّ له لحَلَاوةً، وإنَّ أصْلَه[١] لَمُغْدِقٌ[٢]، وإنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ[٣]، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحتَه، وإنه لَيَعْلُو وما يُعْلَى، ونحوُ هذا من الكلام. فخالفوه فقالوا له: هو شعر، فقال: واللهِ ما هو بشعر، قد عرفنا الشِّعرَ هَزَجَهُ وبسيطَه، قالوا: فهو كاهن، قال: واللهِ ما هو بكاهنٍ، لقد رأينا الكُهَّان، قالوا: هو مجنون، قال: واللهِ ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون[٤] وخنقَه، قالوا: هو سِحْر، قال: أمَّا هذا فيُشبه أنه سِحْر ويقولُ أقوالَ نفسه.

ورُوِيَ هذا بألفاظ غيرِ هذه، ويقرُب من حيث المعنى، وفيه: وتزعُمون أنه كذاب[٥]، فهل جَرَّبتُم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كلِّ ذلك: اللهمَّ لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكَّر فقال: ما هو إلا ساحر. أما رأيتُموه يفرِّق بين الرَّجلِ وأهلِه

(١) في المطبوع: أسفله.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥ (والكلام منه): لَعَذْقٌ (أي: نخلة) وهي كذلك في رواية سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٠.

(٣) الجَنَاةُ: ما يُجْنَى من الشجر.

(٤) في (ع) و(يه): الجنون، والمثبت من (أ) و(ت)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥ والكلام منه.

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: كذب، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٨٢، والرواية هذه منه.

ووَلدِه ومواليه؟ وما الذي يقولُه إلا سحرٌ يأثُرُه عن مُسَيْلِمةَ[١] وعن أهل بابل. فارتجَّ النادي فَرَحاً، وتفرقُوا مُعْجَبِين بقوله، مُتَعَجِّبين منه.

ورُوِيَ أنَّ الوليدَ سَمِعَ من القرآن ما أعجبَهُ، ومَدَحَهُ، ثم سمعَ كذلك مِرَاراً حتى كادَ أن يُقارِبَ الإسلام، ودخلَ إلى أبي بكر الصِّدِّيق مِرَاراً، فجاءَهُ أبو جهل فقال: يا وليد، أشعَرْتَ أنَّ قُرَيشاً قد ذَمَّتْكَ بدخولك إلى ابنِ أبي قُحافة، وزعَمَتْ أنك إنما تَقصِدُ أن تأكلَ طعامَه؟ وقد أبغضَتْكَ لمقاربتِك أمْرَ محمد، وما يُخَلِّصُك عندهم إلا أن تقول في هذا الكلام قولاً يُرْضِيهم، ففَتَنَه أبو جهل، فافتُتِن وقال: أفعلُ[٢].

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليلٌ للوعيد في قوله: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ قيل: ويجوزُ أن يكون ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ بياناً لِكُنْهِ عِنَادِه[٣].

و«فكَّر» أي: في القرآن ومَنْ أتى به ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: في نفسه ما يقولُ فيه.

﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ قيل: «قُتل»: لُعِنَ، وقيل: غُلب وقُهر، وذلك من قوله:

بِسَهْمَيْكِ في أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[٤]

أي: مذلَّلٍ مقهورٍ بالحبّ، فلُعِنَ دعاءٌ عليه بالطَّرْد والإبعاد، وغُلبَ، وذلك إخبارٌ بقهرِهِ وذِلَّتِه.

و«كيف قَدَّرَ» معناه: كيف قدَّرَ ما لا يصحُّ تقديرُه وما لا يَسُوغُ أن يُقَدِّره عاقل؟

وقيل: دعاءٌ مقتضاهُ الاستحسان والتعجُّب؛ فقيل: ذلك لِمَنزِعِهِ الأوَّل في مَدْحِه القرآنَ وفي نفيه الشِّعرَ والكَهانةَ والجُنونَ عنه، فيجري مَجْرَى قولِ عبدِ الملكِ بنِ مروان: قاتلَ اللهُ كُثَيِّراً، كأنَّه رآنا حين قال كذا[٥].

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: عن مثل مسيلمة. وينظر المصدر السالف.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤.

(٣) الكشاف ٤/ ١٨٣.

(٤) هو عجز بيت لامرئ القيس، وصدرُه: وما ذرفَتْ عيناكِ إلا لتقدحي. وهو في ديوانه ص١٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥.

وقيل: ذلك لإصابتِه ما طلَبَتْ قريشٌ منه.

وقيل: ذلك ثناءٌ عليه على جهة الاستهزاءِ به.

وقيل: ذلك حكايةٌ لِما كرَّرُوهُ من قولهم: قُتِلَ كيف قدَّرَ، تهكُّماً بهم وبإعجابِهم بتقديرِه واستعظامِهم لقوله[١]. وهذا فيه بُعدٌ.

وقولهم: «قاتَلَهُ الله» مشهورٌ في كلام العرب أنه يقال عند استعظام الأمرِ والتعجُّبِ منه، ومعناه أنه قد بلغَ المبلغَ الذي يُحْسَدُ عليه ويُدْعَى عليه من حُسَّادِه.

والاستفهام في «كيف قدَّر» في معنى: ما أَعْجَبَ تقديرَه وما أغرَبَه! كقولهم: أيُّ رجلٍ زيدٌ أي: ما أعْظَمَهُ!

وجاء التكرار بـ«ثمَّ» ليدلَّ على أنَّ الثانيةَ أبلغُ من الأولى للتراخي الذي بينهما، كأنَّه دَعَى عليه أوَّلاً ورَجَا أن يُقْلِعَ عمَّا كان يرومُه فلم يفعل، فدَعَى عليه ثانياً.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ أي: فكَّر ثانياً، وقيل: نظرَ إلى وجوهِ الناس ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قَطَّبَ وكَلَحَ لمَّا ضاقَتْ عليه الحِيَلُ ولم يَدْرِ ما يقول. وقيل: قَطَّبَ في وجهِ رسول الله ﷺ[٢].

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ رجع مُدْبِراً، وقيل: أدبرَ عن الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ قيل: تَشَاوَسَ[٣] مستكبراً، وقيل: استكبرَ عن الحقّ، وصفَه بالهيئات التي تشكَّل بها حين أرادَ أن يقول ما قال، كلُّ ذلك على سبيل الاستهزاء به وأنَّ ما يقولُه كذبٌ وافتراء، إذْ لو كان ممكناً لكانَ له هيئاتٌ غيرُ هذه من فرحِ القلبِ وظهورِ السُّرور والجَذَلِ والبِشْرِ في وجهِه، ولو كان حقًّا لم يحتَجْ إلى هذا الفكر لأنَّ الحقَّ أبلج يتضح بنفسه[٤] من غير إكداد فِكر ولا إبطاء تأمّل، ألا ترى إلى ذلك الرجل وقولِه حين رأى

(١) الأقوال الثالثة في الكشاف ٤/ ١٨٣.

(٢) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٨.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: تشارس، والمثبت من (يه)، والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٣٧٤.

(٤) في (ع) و(يه): يتضح يكاد بنفسه.

رسولَ الله ﷺ: «فعلمتُ أنَّ وجهَه ليس بوجهِ كذَّاب»[١] وأسلمَ من فورِه.

وقيل: «ثم نظر» فيما يحتجُّ به للقرآن، فرأى ما فيه من الإعجاز والإعلام بمرتبة الرسول ﷺ، ودام نظرُه في ذلك.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ دلالةٌ على تأنِّيهِ وتمهُّلِهِ في تأمُّلِه، إذْ بين ذلك تراخٍ وتباعدٌ، وكان العطفُ في «وبَسَرَ» وفي «واستكبر» لأنَّ البُسُورَ قريبٌ من العُبُوس، فهو كأنَّه على سبيل التوكيد. والاستكبارُ يظهر أنه سببٌ للإدبار، إذ الاستكبارُ معنًى في القلب، والإدبارُ حقيقةٌ من فعل الجسم، فهما سببٌ ومسبَّب، فلا يعطف بـ «ثمَّ»، وقَدمَ المسَبَّبَ على السَّبب لأنه الظاهرُ للعين وناسب العطف بالواو، وكان العطف في «فقال» بالفاء دلالةً على التعقيب، لأنه لمَّا خطرَ ببالِه هذا القول بعد تطلُّبِه لم يتمالك أنْ نطقَ به من غيرِ تمهُّل.

ومعنى «يُؤْثَرُ» أي: يُرْوَى ويُنْقَلُ، قال الشاعر:

لَقُلْتُ من القولِ ما لا يَزَا ... لُ يُؤْثَرُ عنِّي يَدَ المُسْنَدِ[٢]

وقيل: «يُؤْثَرُ» أي: يُختار ويَرْجَحُ على غيره من السِّحْر، فيكون من الإيثار.

ومعنى «إلا سِحْر» أي شبيهٌ بالسِّحر.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ تأكيدٌ لِما قبلَه، أي: ملتقطٌ[٣] من أقوال الناس، ويظهرُ أن كفر الوليد إنَّما هو عِناد، ألا ترى ثناءَهُ على القرآن ونفيَه عنه جميعَ ما نسبُوا إليه من الشِّعْرِ والكَهَانةِ والجُنونِ، وقصَّتَه مع رسول الله ﷺ حين قرأ عليه

---

(١) هو قطعة من حديث عبد الله بنِ سَلَام ﷺ قال: لمَّا قدم النبيُّ ﷺ انجفلَ الناسُ عليه، فكنتُ فيمن انجفلَ، فلما تبيَّنتُ وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب... الحديث، أخرجه أحمد (٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) وغيرهم.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٨٦، وقبلَه:

ولو عن نَثًا غيرِهِ جاءني ... وجُرْحُ اللسانِ كجُرْحِ اليَدِ

النَّثا: ما يُخْبَرُ به عن الرَّجل من حَسَنٍ أو سَيِّئ، والمُسْنَدُ: الدَّهر و«يَدَ المُسْنَد» أي: الدَّهرَ كلَّه.

(٣) في (أ) والمطبوع: يُلتقط.

الصلاةُ والسلام أوائلَ «فصّلت»[١] إلى قوله تعالى[٢]: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ وكيف ناشدَهُ بالله والرَّحِمِ أن يسكت[٣].

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ قال الزمخشريّ[٤]: بدلٌ من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ انتهى. ويظهر أنهما جملتان اعتقبت كلٌّ واحدة منهما على سبيل التوعُّد للعصيانِ[٥] الذي قبلَ كلٍّ واحدة منهما، فتُوعِّدَ على كونه عنيداً لآياتِ الله بإرهاقِ صَعُود، وعلى قوله بأنَّ القرآن سِحْرٌ يُؤْثَرُ بإصْلائِهِ سَقَرَ.

وتقدَّمَ الكلام على «سَقَر» في أواخر سورة القمر [٤٨].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تعظيمٌ لهَوْلِها وشدَّتِها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا تُبقي على مَنْ أُلْقِيَ فيها ولا تذرُ غايةً من العذاب إلا وَصَلَتْهُ إليه.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابنُ عبَّاس ومجاهد وأبو رَزِين والجمهور: معناه مغيِّرةٌ للبَشَرات مُحرِقةٌ للجلود مسوِّدةٌ لها[٦]، والبَشَر جمعُ بَشَرَة، وتقول العرب: لاحتِ النارُ الشيءَ: إذا أحرقَتْهُ وسَوَّدَتْهُ[٧].

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: حين قرأ عليه أوائلَ فصّلت. وهو خطأ. فالنبي ﷺ لم يقرأ عليه أوائل «فصّلت»، وإنما سمعه الوليدُ يقرؤها في المسجد. وقد قرأ النبي ﷺ أوائل «فصّلت» على عُتبة بن ربيعة في خبر آخر، ينظر خبر الوليد في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٣١٥، والبغوي ٤/ ٤١٦، والقرطبي ٢١/ ٣٧٨. وينظر الكلام بعد تعليق.

(٢) في (ع) و(يه): وقرأ، بدل: «إلى قوله تعالى».

(٣) قوله: ناشدَه بالله والرَّحِم أن يسكت، هو في خبر عُتبة بن ربيعة كما سلفت الإشارة إليه قبل تعليق، وينظر خبره في تفسير أوائل «فصّلت».

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٣.

(٥) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: التوعّد العصيان، وفي (يه): التوعّد والعصيان، وفي روح المعاني ٢٨/ ٦٤ عن أبي حيان: توعُّد العصيان، والمثبت من الدُّرّ اللقيط بهامش مطبوع البحر ٨/ ٣٧٥.

(٦) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣٤-٤٣٥ وتفسير الثعلبي ٦/ ٣١٦، والنكت والعيون ٦/ ١٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥.

وقال الحسن وابنُ كَيْسان: «لوّاحة» بناء مبالغة من: لاحَ إذا ظَهَرَ، والمعنى أنها تظهر للناس - وهم البشر - من مسيرة خمس مئة عام، وذلك لعِظَمِها وهَوْلِها وزَفيرِها[(١)]، كقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]. وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧].

وقرأ الجمهور: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ بالرفع، أي: هي لواحةٌ، وقرأ[(٢)] العَوْفيُّ وزيد بنُ عليّ والحسنُ وابن أبي عَبْلَة: «لوَّاحةً»[(٣)] بالنصب على الحال المؤكِّدة لأنَّ النارَ التي لا تُبقي ولا تَذَر لا تكونُ إلا مغيِّرةً للأبشار.

وقال الزمخشريّ[(٤)]: نصباً على الاختصاص للتهويل.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ التمييزُ محذوف، والمُتبادِرُ إلى الذِّهْن أنه مَلَكٌ، ألا تَرى العربَ - وهم الفصحاء - كيف فهِمُوا منه أنَّ المرادَ مَلَكٌ حين سمعوا ذلك، فقال أبو جهل لقريش: ثَكِلَتْكُم أمَّهاتُكم! أسْمَعُ ابنَ أبي كبشةَ يُخبرُكم أنَّ خَزَنَةَ النارِ تسعةَ عَشَرَ وأنتم الدَّهْم، أيَعْجِزُ كلُّ عَشَرَةٍ منكم أن يَبْطِشُوا برجلٍ منهم؟ فقال أبو الأشدّ بنُ أسيد بن كَلْدَة الجُمَحِيّ[(٥)] - وكان شديدَ البطش -: أنا أكفيكم سبعةَ عشرَ، فاكْفُوني أنتم اثنين. فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسِكم يُطاقون[(٦)]. وأنزلَ الله تعالى في أبي جهل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝﴾[(٧)] [القيامة: ٣٤].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٣ والمصدر السالف.
(٢) في (ع) و(يه): عطيَّة، بدل: قرأ.
(٣) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، وزاد المسير ٨/ ٤٠٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢. والعوفيّ: هو عطية.
(٤) الكشاف ٤/ ١٨٣.
(٥) كذا في المصدر السالف، وجاء في الرَّوْض الأُنُف أنه أبو الأشَدَّيْن، واسمه كَلْدَة بنُ أسيد بن خلف، وفي زاد المسير ٨/ ٤٠٨ عن مقاتل أنَّ اسمه أُسيد بن كَلْدَة.
(٦) الكشاف ٤/ ١٨٤، وهو بنحوه أطولُ منه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٧، وينظر التعليق التالي.
(٧) هذا القول هو من رواية أخرى كما في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣٦-٤٣٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

وقيل: التمييزُ المحذوف: صِنْفاً من الملائكة، وقيل: صفّاً[١]، وقيل: نقيباً.

ومعنى «عليها» أي: يَتولَّوْنَ أمرَها، وإليهم جِماعُ زَبانِيَتِها، فالذي يظهرُ من العدد ومن الآية بعدَ ذلك ومن الحديث أنَّ هؤلاء هم النُّقَباء، ألا تَرى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وقولِه عليه الصلاة والسلام: «يُؤْتَى بجهنَّمَ يَوْمَئِذٍ لها سبعون ألفَ زِمام، مع كلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها»[٢].

وقد ذكر المفسِّرون من نعوت هؤلاء الملائكة وخَلْقِهم وقوَّتِهم وما أقدَرَهُم الله تعالى عليه من الأفعال ما اللهُ أعلمُ بصحَّته، وكذلك ذكرَ أبو عبد الله الرازيّ حِكَماً على زعمه في كون هؤلاء الملائكة على هذا العدد المخصوص، يوقفُ عليها في «تفسيره».

وقرأ الجمهور: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مَبْنِيَّيْنِ على الفتح على مشهور اللغة في هذا العدد.

وقرأ أبو جعفر وطلحة بنُ سليمان بإسكان العين كراهةَ توالي الحَرَكات[٣].

وقرأ أنس بنُ مالك وابنُ عبَّاس وابنُ قطيب وإبراهيم بن قَتَّة بضمِّ التاء[٤]، وهي حركةُ بناء عُدِلَ إليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات، ولا يُتوهَّم أنها حركةُ إعراب، لأنها لو كانت حركةَ إعراب لأُعْرِبَ «عَشَر».

وقرأ أنس أيضاً «تَسعةُ» بالضمّ «أعْشُرَ» بالفتح[٥]؛ قال صاحب «اللَّوامح»:

---

(١) قوله: وقيل: صفًّا، من (ع) و(يه)، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٦، والكشاف ٤/ ١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، وقراءة أبي جعفر هذه من العشرة كما في النشر ٢/ ٢٧٩.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٥ عن ابن عباس وابن قطيب، والمحتسب ٢/ ٣٣٩ وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧ عن ابن عباس، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦ عن أنس وأبي حَيْوة، وأما إبراهيم بن قَتَّة فنُسب له في القراءات الشاذة قراءة: تسعةُ وَعْشَرَ، وينظر ما سيرد.

(٥) أي فتح الراء، وبضم الشين كما سيرد، وهي في المحتسب ٢/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، وينظر الدُّر المصون ١٠/ ٥٤٨.

فيجوزُ أنه جمعَ العَشَرة على أعْشُر، ثم أجراه مُجْرَى «تسعةَ عَشَرَ»[١].

وعنه أيضاً: «تسعةُ وَعْشُرَ» بالضمّ وقلبِ الهمزةِ من «أعْشُرَ» واواً خالصة تخفيفاً[٢]، والتاءُ فيهما مضمومةٌ ضمَّةَ بناء لأنها معاقِبةٌ للفتحة فِراراً من الجمع بين خمس حركات على جهة واحدة.

وعن سليمانَ بنِ قَتَّةَ ـ وهو أخو إبراهيم[٣] ـ أنه قرأ: «تسعةُ أعْشُرٍ» بضمّ التاء ضمةَ إعراب، وإضافتِه إلى «أعْشُرٍ»، و«أعْشُر» مجرور منوَّن، وذلك على فكّ التركيب؛ قال صاحب «اللوامح»: ويجيءُ على هذه القراءة ـ وهي قراءة من قرأ: «أعْشُر» مبنيًّا أو معرباً من حيث هو جمعٌ ـ أنَّ الملائكةَ الذين هم على سقر[٤] تسعونَ مَلَكاً. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص.

وقال الزمخشريّ[٥]: وقُرِئ «تسعةُ أعْشُر» جمع عَشِير، مثل: يمين وأيْمُن. انتهى.

وسليمانُ بن قَتَّة هذا هو الذي مَدَحَ أهلَ بيتِ رسولِ الله ﷺ، وهو القائل:

مَرَرْتُ على أبياتِ آلِ محمَّدٍ ... فلم أرَ أمثالاً لها يَوْمَ حَلَّتِ
وكانوا ثِمالاً ثم عادُوا رَزِيَّةً ... لقد عَظُمَتْ تلك الرَّزَايا وجَلَّتِ[٦]

---

(١) نقلَ ابنُ جنّي في المحتسب ٢/ ٣٣٩ عن أبي حاتم قوله في هذه القراءة: لا وجه له نعرفُه إلا أن يعني تسعة أعْشُر جمع العَشْر.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٣٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، وهي بضم الشين أيضاً، وينظر الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٤٨، وقد ضُبطت اللفظة في القراءات الشاذة ص١٦٤ بفتح الشين، ونُسبت فيه لإبراهيم بن قَتَّة، وذكرتُها قبل تعليقين.

(٣) لم أقف على ترجمة لإبراهيم بن قَتَّة، وذكره ابن خالويه عندما ذكر قراءته كما سلف، وأما أخوه سليمان فهو مقرئ شاعر، ترجمَ له ابنُ الجزري في طبقات القرَّاء. وينظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٦.

(٤) لم ترد لفظة «سقر» في (أ)، ووقع في المطبوع بدلها كلمة: النار.

(٥) الكشاف ٤/ ١٨٤.

(٦) ذكرهما ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٤، وهما من قصيدة مشهورة له في رثاء الحسين ﷺ، ورواية عجز الأول منهما في الحماسة (بشرح المرزوقي) ٢/ ٩٦١: فلم أرَها

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: جعلناهم خَلْقاً لا قِبَلَ لأحدٍ من الناس بهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: سببَ فتنة، و«فتنة» مفعولٌ ثانٍ لـ «جَعَلْنا» أي: جَعَلْنا تلك العِدَّةَ ـ وهي «تسعةَ عشرَ» ـ سبباً لفتنةِ الكفار، فليس «فتنة» مفعولاً من أجله. وفتنتُهم هي كونُهم أظهرُوا مقاومتَهم والطَّماعِيةَ[1] في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم يكذبون بالبعث وبالنار وبخَزَنَتِها.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ هذا مفعولٌ من أجله، وهو متعلِّق بـ «جَعَلْنا» لا بـ «فتنة» فليست الفتنة معلولةً للاستيقان، بل المعلولُ جعلُ العِدَّة سببَ فتنة[2] ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهم اليهود والنصارى أنَّ هذا القرآنَ هو من عند الله[3]، إذْ هم يجدون هذه العِدَّةَ في كتبهم المنزلة، ويعلمون أنَّ الرسول لم يقرأها ولا قرأها عليه أحد، ولكنَّ كتابَه يُصَدِّقُ كتبَ الأنبياء، إذْ كلُّ ذلك حقّ يتعاضَدُ، من عند الله تعالى[4]؛ قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد.

وبورود الحقائق من عند الله تعالى يزدادُ كلُّ ذي إيمانٍ إيماناً ويزولُ الرَّيب[5] عن المصدِّقين من أهل الكتاب ومن المؤمنين.

وقيل: إنما صارَ جعلُها فتنةً لأنهم يستهزئون ويقولون: لِمَ لَمْ يكونوا عشرين؟ وما المقتَضَى لتخصيص هذا العدد بالوجود؟

= أمثالَها يومَ حلَّت، ورواية صدرِ الثاني فيها: وكانوا لنا غُنْماً فعادُوا رَزِيَّةً، وينظر أيضاً الاستيعاب، والبداية والنهاية ٨/ ٢١١. قوله: ثِمالاً، أي: مَلْجأً وغِياثاً، وجاء في شعرِ أبي طالب يمدحُ النبي ﷺ: ثِمالُ اليَتامَى عِصْمَةٌ للأراملِ.

(١) قوله: والطماعية، من (يه)، وهي أيضاً في النهر المادّ بهامش البحر ٨/ ٣٧٠.

(٢) في (أ) والمطبوع: سبباً لفتنة.

(٣) عبارة النهر الماد للمصنف بهامش مطبوع البحر ٨/ ٣٧٠: والذين أوتوا الكتاب هم اليهودُ والنصارى، إذ هم عالمون أن القرآن هو من عند الله... إلخ. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

(٤) عبارة المصدر السالف (والكلام فيه بنحوه): «منزَّل من عند الله» وهي أحسن، إذ يتوضّح فيها تعلُّق الجارّ.

(٥) في (يه): وتزول الريبة، والكلام في المصدر السالف.

ويقولون: هذا العدد القليل كيف يَفُونَ[١] بتعذيب أكثرِ العالم من الجنّ والإنس من أوّل ما خلقَ الله تعالى إلى قيام الساعة؟!

وقال الزمخشريّ[٢]: فإن قلتَ: قد جعلَ افتتانَ الكافرين بعِدَّة الزَّبانية سبباً لاستيقانِ أهلِ الكتاب وزيادةِ إيمان المؤمنين واستهزاءِ الكافرين والمنافقين، فما وَجْهُ صحةِ ذلك؟

قلت: ما جعلَ افتتانَهم بالعِدَّةِ سبباً لذلك، وإنَّما العِدَّةُ نفسُها هي التي جُعلت سبباً، وذلك أنَّ المرادَ بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: وما جعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلا تسعةَ عَشَرَ، فوضعَ «فتنةً للذين كفروا» موضِعَ «تسعةَ عَشَرَ» لأنَّ حالَ هذه العِدَّةِ الناقصةِ واحداً من عَقْدِ العشرين أن يَفْتَتِنَ بها من لا يؤمنُ بالله وبحكمته ويعترضَ ويستهزئَ، ولا يُذْعِنَ إذعانَ المؤمنِ وإنْ خَفِيَ عليه وَجْهُ الحكمة، كأنَّه قيل: ولقد جعَلْنا عِدَّتَهم عِدَّةً من شأنها أن يُفتتن بها لأجلِ استيقانِ المؤمنين وحَيْرَةِ الكافرين. انتهى.

وهو سؤالٌ عجيبٌ وجوابٌ فيه تحريف كتاب الله تعالى، إذْ زَعَمَ أنَّ معنى «إلا فتنةً للذين كفروا»: إلا تسعةَ عشرَ، وهذا لا يذهبُ إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء، وكفى ردًّا عليه تحريفُ كتابِ الله، ووضعُ ألفاظٍ مخالفةٍ لألفاظ، ومعنًى مخالفٍ لمعنًى.

وقيل: «ليستيقنَ» متعلِّق بفعل مضمر، أي: فعلنا ذلك ليستيقنَ.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ توكيد لقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ إذْ إثباتُ اليقين ونفيُ الارتياب أبلغُ وآكدُ في الوصف لسُكون النفس السُّكونَ التامّ.

و ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال الحسينُ بنُ الفضل: السُّورةُ مكّيّة، ولم يكن بمكَّة نفاقٌ فإنَّما المرضُ في الآية الاضطرابُ وضعفُ الإيمان[٣].

---

(١) في (ت) والمطبوع: يقوون، وسقطت لفظة «كيف» من (أ) والمطبوع. وعبارة الرازي (والقول فيه): كيف يكونون وافين بتعذيب. . .

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

وقيل: هو إخبارٌ بالغيب، أي: وليقولَ المنافقون الذين يَنْجُمُونَ في مستقبل الزَّمانِ بالمدينة بعد الهجرة(١).

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾ لمّا سمعُوا هذا العددَ لم يهتدُوا وحارُوا، فاستفهمَ بعضُهم بعضاً عن ذلك استبعاداً أن يكونَ هذا من عند الله، وسَمَّوْهُ مثلاً استعارةً من المَثَل المضروب استغراباً منهم لهذا العدد، والمعنى: أيُّ شيء أرادَ الله بهذا العددِ العجيبِ؟

ومرادُهم إنكارُ أصلِه، وأنه ليس من عند الله(٢).

وتقدَّم إعرابُ مثل هذه الجملة في أوائل البقرة [٢٦].

❁ ❁ ❁

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ
(٣١) كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ
(٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِي
جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣)
وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا
ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ
مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّاۖ بَل
لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ (٥٣) كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾.

الكاف في محلِّ نصب، و«ذلك» إشارة إلى ما قبلَه من معنى الإضلال والهدى، أي: مِثْلَ ذلك المذكورِ من الإضلال والهُدى يُضِلُّ الكافرين، فيشكُّون، فيَزِيدُهم كفراً وضلالاً، ويهدي المؤمنين، فيزيدُهم إيماناً.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ إعلامٌ بأنَّ الأمرَ فوقَ ما يُتَوَهَّم، وأنَّ الخبرَ(٣) إنما هو

(١) الكشاف ٤/ ١٨٥.
(٢) المصدر السالف.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: الجزاء، وهو خطأ. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧.

عن بعضِ القدرة لا عن كلِّها، والسماءُ عامرةٌ بأنواعِ من الملائكة. وفي الحديث: «أطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أنْ تَئِطَّ، ما فيها موضعُ قَدَمٍ[١] إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه لله ساجداً»[٢].

﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: النار، قاله مجاهد، أو المخاطبةُ والنِّذَارة، أو نارُ الدنيا، أو الآياتُ التي ذُكرت، أو العِدَّةُ التسعةَ عَشَرَ، أو الجنودُ، أقوالٌ، راجحُها الأوَّل، وهي «سَقَر»[٣] ذَكَّرَ بها البَشَر ليخافُوا ويطيعوا، وقد جرى ذِكرُ النارِ أيضاً في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾.

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي: الذين أُهِّلُوا للتذكُّر والاعتبار.

﴿كَلَّا﴾ قال الزمخشريّ[٤]: «كلَّا» إنكارٌ ـ بعدَ أن جعلَها ذِكْرَى ـ أن تكونَ لهم ذِكْرى، لأنهم لا يتذكَّرون. انتهى.

ولا يَسُوغُ هذا في حَقِّ الله تعالى أن يُخبر أنها ذِكْرَى للبشر، ثم يُنكر أن تكون لهم ذِكْرَى، وإنما قوله: «للبشر» عامٌّ مخصوص.

وقال الزمخشريّ: أو رَدْعٌ لمن يُنكر أن تكون إحدى الكُبَرِ نذيراً.

وقيل: رَدْعٌ لقولِ أبي جهل وأصحابِه: إنهم يَقْدِرُون على مقاومةِ خَزَنَةِ جهنَّم.

وقيل: رَدْعٌ عن الاستهزاء بالعِدَّة المخصوصة.

وقال الفرَّاء: هي صلة للقَسَم[٥]، وقدَّرَها بعضُهم بـ «حَقّاً» وبعضُهم بـ «أَلَا» الاستفتاحية.

---

(١) كلمة «قدم» ليست في (يه).

(٢) قطعة من حديث أبي ذرّ ﷺ أخرجه أحمد (٢١٥١٦) والترمذي (٢٣١٢) وغيرهما. وله طرق أخرى، وسلف في تفسير البقرة (١٦٤) والأعراف (٢٠٦).

(٣) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٠.

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٥) نقله القرطبي في تفسيره ٢١/ ٣٩٠ عن الفراء وقال: التقدير: إي والقمر.

وقد تقدَّم الكلامُ عليها في آخر سورة مريم [٧٩] عليها السلام.

﴿وَٱلْقَمَرِ * وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: وَلَّى، ويقال: دَبَرَ وأَدْبَرَ بمعنًى واحد، أقسمَ تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً على ما يظهرُ بها وفيها من عجائب الله وقدرته، وقِوامُ الوجود بإيجادها.

وقرأ ابنُ عبَّاس وابنُ الزُّبير ومجاهد وعطاء وابنُ يَعْمَر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزِّناد وقتادة وعمر بنُ عبد العزيز والحسن وطلحة والنَّحْويَّان والابنان[١] وأبو بكر: «إذا» ظرف زمان مستقبل «دَبَرَ» بفتح الدال.

وابنُ جُبير والسُّلَميُّ والحسنُ بخلاف عنهم وابنُ سِيرِينَ والأعرجُ وزيدُ بنُ علي وأبو شيخ وابنُ مُحَيْصِن ونافعٌ وحمزةُ وحفصٌ: «إذْ» ظرف زمان ماض «أَدْبَرَ» رباعياً[٢].

والحسنُ أيضاً وأبو رَزِين وأبو رجاء وابنُ يَعْمَر أيضاً والسُّلَميُّ أيضاً وطلحةُ أيضاً والأعمشُ ويونسُ بنُ عُبيد ومطرٌ: «إذا» بالألف «أَدْبَرَ» بالهمز، وكذا هو في مصحف عبدِ الله وأُبيّ[٣]، وهو مناسبٌ لقوله: ﴿إِذَآ أَسْفَرَ﴾ ويقال: كأَمْسِ الدَّابِرِ وأمسِ المُدْبِرِ بمعنًى واحد[٤].

وقال يونُس بنُ حَبِيب: «دَبَرَ»: انقضَى، و«أدبر» تولَّى، وقال قتادة: دَبَرَ الليلُ: ولَّى[٥].

---

(١) النحويَّان: أبو عَمرو والكسائي، والابنان: ابن كثير وابن عامر.

(٢) ينظر السبعة ص٦٥٩، والتيسير ص٢١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ (والكلام منه).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩١.

(٤) ورد قول: كأمس الدابر، في الشعر، مثل بيت صخر بن عَمرو السُّلَمي:

ولقد قَتَلْتُكُمُ ثُنَاءَ ومَوْحَداً وتركتُ مُرَّةَ مثلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

قال القرطبي ٢١/ ٣٩١: ويُروى: المُدْبِر. اهـ. والبيت في اللسان (دبر - أمس) وفيه عن ابن برِّي أن الصواب فيه: المدبِر، قلت: وهي في تفسير الطبري (النساء: ٣) و(فاطر: ١).

(٥) القولان في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وقول قتادة في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٢.

وقال الزمخشري: و«دَبَرَ» بمعنى: أدْبَرَ، كقَبَلَ بمعنى: أقْبَلَ، وقيل: هو من: دَبَرَ الليلُ النهارَ: إذا خَلَفَهُ[(١)].

وقرأ الجمهور: «أَسْفَرَ» رباعياً، وابنُ السَّمَيْفَع وعيسى بنُ الفضل: «سَفَرَ» ثلاثياً[(٢)]، والمعنى: طَرَحَ الظُّلمةَ عن وجهه.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ الظاهرُ أنَّ الضمير في «إنها» عائدٌ على النار، قيل: ويحتمل أن يكون للنِّذارَة وأمرِ الآخرة، فهو للحال والقصَّة، وقيل: إنَّ قيامَ الساعة لَإِحْدَى الكُبَر، فعادَ الضمير إلى غير مذكور.

ومعنى «إِحْدَى الكُبَر»: الدَّوَاهي الكُبَر، أي: لا نظيرَ لها كما تقول: هو أحد الرِّجال، وهي إحدى النِّساء.

و«الكُبَر»: العظائمُ من العقوبات، وقال الرَّاجز:

يا ابنَ المُعَلَّى نَزَلَتْ إحْدَى الكُبَرْ

داهيةُ الدَّهْرِ وصَمَّاءُ الغَبَرْ[(٣)]

والكُبَرُ جمع الكُبْرَى، طُرحت ألفُ التأنيث في الجمع كما طُرحت همزته في قاصِعاء، فقالوا: قَوَاصِع[(٤)]. وفي كتاب ابن عطيَّة[(٥)]: والكُبَر جمع كبيرة، ولعله من وهم الناسخ.

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: أخلفه، بدل: إذا خَلَفَهُ، وهو خطأ والمثبت من (يه)، والكلام في الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٢.

(٣) المثبت من (ت). وفي (يه): العِبَر، وفي (أ) والمطبوع: الغِيَر، وهي غير مظهَّرة في (ع). والرَّجَز لعبد الله بن الأعور الكذاب، كما في حيوان الجاحظ ٤/ ١٤٦، ومعاني ابن قتيبة ٢/ ٦٧١، والمستقصى ١/ ٤٢١. وداهية الدهر: الحيَّة. وصَمَّاء الغَبَر ـ كما في ثمار القلوب ص٤٢٢ ـ هي الحيَّة، يُضرب مَثَلاً للداهية العظيمة، وقال ابن قتيبة في المعاني: صَمَّاء الغَبَر: داهية تبقى، والغَبَر: البقاء.

(٤) قاصِعاء ـ كما في القاموس ـ جُحْرٌ لليَرْبُوع يدخلُه. وينظر الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧.

وقرأ الجمهور: «لَإِحْدَى» بالهمز، وهي منقلبة عن واو؛ أصلُه: «لَوِحْدَى»، وهو بدلٌ لازم.

وقرأ نصر بنُ عاصم وابنُ مُحَيْصِن ووَهْبُ بنُ جرير عن ابن كثير بحذف الهمزة[١]، وهو حذف لا ينقاس وتخفيفُ مثل هذه الهمزة أن تُجعل بينَ بين.

والظاهر أن هذه الجملة جوابٌ للقَسَم، وقال الزمخشريُّ[٢]: أو تعليلٌ لـ «كلَّا»، والقَسَم معترِض للتوكيد. انتهى.

وقرأ الجمهور: «نذيراً» واحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار، كالنَّكير بمعنى الإنكار، فيكون تمييزاً، أي: لَإِحْدَى الكُبَرِ إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النِّساءِ عَفافاً، لمَّا ضمَّن «إحدى» معنى «أعظَم» جاء عنه التمييز.

وقال الفرَّاء[٣]: هو مصدر نُصب بإضمار فعل، أي: أَنْذِرْ إنذاراً.

واحتمل أن يكون اسمَ فاعل بمعنى مُنْذِر؛ فقال الزجَّاج: حال من الضمير في «إنَّها»[٤].

وقيل: حال من الضمير في «إحْدَى»[٥].

ومَنْ جعلَه متصلاً بـ «قُمْ» في أوَّلِ السورة أو بـ «فأنْذِرْ» في أول السورة، أو حالاً من الكُبَرِ، أو حالاً من ضمير الكُبَر، فهو بمعزل عن الصواب.

قال أبو البقاء[٦]: والمُختارُ أن يكون حالاً ممَّا دلَّت عليه الجملة، تقديرُهُ: عَظُمَتْ نذيراً. انتهى. وهو قولٌ لا بأس به.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٥ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ عن ابن كثير دون ذكر الراوي عنه، وهي في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣ من رواية جرير بن حازم عنه.
(٢) الكشاف ٤/ ١٨٦.
(٣) ينظر معانيه ٣/ ٢٠٥.
(٤) معاني القرآن ٥/ ٢٤٩.
(٥) قال السمين: لِتأَوُّلها بمعنى العظيم. ينظر الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٥٢.
(٦) الإملاء ٢/ ٢٧٣.

قال النَّحاس: وحُذفت الهاء من «نذيراً» وإنْ كان للنار على معنى النَّسب، يعني ذاتَ الإنذار[(١)].

وقال عليّ بنُ سليمان: أعني نذيراً.

وقال الحسن: لا نَذِيرَ أَدْهَى من النار[(٢)]؛ قال ابنُ عطيَّة[(٣)]: وهذا القولُ يقتضي أنَّ «نذيراً» حال من الضمير في «إنَّها» أو من قوله: «لَإِحْدَى».

وقال أبو رَزِين: «نذير» هنا هو الله تعالى[(٤)]، فهو منصوب بإضمار فعل، أي: أُدْعُوا نذيراً.

وقال ابن زيد: «نذير» هنا هو محمدٌ ﷺ[(٥)]، فهو منصوبٌ بفعل مضمر، أي: نادِ، أو: بَلِّغْ، أو أعْلِنْ[(٦)].

وقرأ أُبيّ وابنُ أبي عَبْلَة: «نذيرٌ» بالرفع[(٧)]، فإنْ كان من وصف النارِ جاز أن يكون خبراً بعدَ خبر[(٨)]، وخبرَ مبتدأ محذوف، أي: هي نذيرٌ، وإنْ كان من وصفِ اللهِ أو الرَّسول؛ فهو على إضمار «هو».

والظاهر أن «لِمَنْ» بدلٌ من «للبَشَر» بإعادة الجارّ[(٩)]، و«أنْ يتقدَّمَ» منصوبٌ بـ

(١) في (يه): ذات إنذار.

(٢) تحرَّف في (أ) والمطبوع إلى: لأنذر إذ هي من النار.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وقول الحسن فيه وفي النكت والعيون ٦/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣.

(٤) بنحوه في تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٤٤٦، والثعلبي ٦/ ٣١٩، والقرطبي ٢١/ ٣٩٤.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٩، والنكت والعيون ٦/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٦) وهو بنحو القول الذي استبعدَه المصنف، وهو في اتصاله بـ «قُمْ» أو «أنذر» أول السورة. وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥، والكشاف ٤/ ١٨٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٨) قوله: بعد خبر، سقط من (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع.

(٩) كقوله في الأعراف (٧٥) ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾، وفي الزخرف (٣٣) ﴿لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾. ينظر الدر المصون ١٠/ ٥٥٣.

«شاء»، والفاعل بـ «شاء»[١] ضميرٌ يعودُ على «مَنْ»، وقيل: الفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: لمن شاء هو، أي: الله تعالى.

وقال الحسن: هو وعيدٌ، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] قال ابن عطية[٢]: هو بيانٌ في النِّذَارة، وإعلامٌ بأنَّ كلَّ أحدٍ يسلكُ طريقَ الهدى والحقّ إذا حقَّق النظرَ، إذْ هو[٣] بعينِهِ يتأخَّر عن هذه الرُّتبة بغفلته وسوءِ نظرِهِ، ثم قَوِيَ هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾.

وقال الزمخشريّ[٤]: «أنْ يتقدَّمَ» في موضع الرَّفع بالابتداء، و«لمن شاء» خبر مقدَّم عليه، كقولك: لمن تَوضَّأ أنْ يُصلّي، ومعناه: مطلقٌ لمن شاء التقدُّمَ أو التأخُّر أن يتقدَّم أو يتأخَّر، والمرادُ بالتقدُّم والتأخُّر السَّبْق إلى الخير والتخلُّفُ عنه، وهو كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ انتهى. وهو معنًى لا يتبادرُ إلى الذِّهْن، وفيه حذفٌ.

قيل: والتقدُّم الإيمان، والتأخُّر الكفرُ[٥].

وقال السُّدِّيُّ: أن يتقدَّم إلى النار المتقدِّمِ ذكرُها، أو يتأخَّر عنها إلى الجنة[٦].

وقال الزجَّاج[٧]: أن يتقدَّم إلى المأمورات، أو يتأخَّر عن المنهيَّات.

والظاهر العمومُ في كلِّ نفس، وقال الضَّحَّاك: كلُّ نفسٍ حَقَّ عليها العذابُ[٨]،

---

(١) قوله: والفاعل بـ «شاء» سقط من (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وقول الحسن فيه وفي تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٩.
(٣) في المحرر الوجيز: أي هو، بدل: إذ هو.
(٤) الكشاف ٤/ ١٨٦.
(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٥.
(٦) النكت والعيون ٦/ ١٤٧، وزاد المسير ٨/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٥.
(٧) معاني القرآن ٥/ ٢٤٩.
(٨) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: حقيق، بدل: حقَّ. وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨ (والقول فيه): «حقت عليها كلمة العذاب». وقولُ الضحَّاك بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٤٨، وزاد المسير ٨/ ٤١١.

ولا يَرْتَهِنُ الله تعالى أحداً من أهل الجنة.

و«رَهِينة» بمعنى «رَهْن» كالشَّتِيمة بمعنى الشَّتْم، وليست بمعنى مفعول لأنها بغير تاء للمذكَّر والمؤنَّث، نحو: رجلٌ قَتِيل، وامرأة قَتِيل، فالمعنى: كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهْنٌ، ومنه قول الشاعر:

أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينةِ رَمْسٍ ذي تُرابٍ وجَنْدَلِ[١]

أي: رَمْس رَهْن[٢]، والمعنى أنَّ كلَّ نفسٍ رَهْنٌ عندَ الله غيرُ مفكوك.

وقيل: الهاءُ في «رَهِينة» للمبالغة، وقيل: على تأنيث اللفظ لا على معنى[٣] الإنسان.

والذي أختارُه أنها ممَّا دخلت فيه التاء وإن كان بمعنى مفعول في الأصل، كالنَّطِيحة، ويدلُّ على ذلك أنه لمَّا كان خبراً عن المذكَّر كان بغير هاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] فأنتَ ترى حيث كان خبراً عن المذكَّر أتى بغير تاء، وحيث كان خبراً عن المؤنَّث أتى بالتاء كما في هذه الآية، فأمَّا الذي في البيت فأُنِّث على معنى النفس.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩﴾ قال ابنُ عباس: هم الملائكة، وقال عليّ: هم أطفال المسلمين[٤]، فعلى هذين القولين يكون استثناءً منقطعاً، أي: لكنْ أصحابُ اليمينِ في جنَّات.

وقال الحسنُ وابنُ كَيْسَان: هم المسلمون المُخلصون، ليسوا بمرتَهَنين لأنَّهم أدَّوْا ما كان عليهم[٥]، وهذا كقول الضحَّاك الذي تقدَّم.

(١) البيت لعبد الرحمن بن زيد العدوي، ينظر البيان والتبيين ٣/ ٢٥٨، والأغاني ٥/ ١٠٤، والحماسة البصرية ١/ ٢١٧. قوله: النَّعف: هو ما انحدر من حُزُونَة الجبل وارتفع من منحدر الوادي، والرَّمْس: القبر، والجَنْدل: الحجارة.

(٢) في الكشاف ٤/ ١٨٦ (والكلام فيه بنحوه): كأنه قال: رَهْن رَمْس.

(٣) كلمة «معنى» من (يه). والقولان في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٩-٤٥٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٦.

وقال الزمخشري[١]: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩﴾ فإنَّهم فكُّوا عنه رِقَابَهم بما أَطَابُوه من كَسْبِهم؛ كما يُخلِّصُ الرَّاهِنُ رَهْنَهُ بأداءِ الحقّ. انتهى. فظاهرُ هذا أنه استثناءٌ متَّصل.

﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي: هم في جنات ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يسألُ بعضُهم بعضاً، أو يكون «يتساءلُ» بمعنى «يسألُ» أي: يسألون عنهم غيرَهم كما يقال: دعوتُه وتداعيتُه بمعناه.

وعلى هذَيْن التقديرَيْن كيف جاء ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ بالخطاب للمجرمين؟ وفي الكلام حذف، المعنى: أنَّ أصحابَ اليمين يسألُ بعضُهم بعضاً، أو يسألون غيرَهم عمَّن غابَ من معارفهم، فإذا عرفُوا أنهم مجرمون في النار قالوا لهم، أو قالت لهم الملائكة. هكذا قدَّره بعضُهم، والأقربُ أن يكون التقدير: يتساءلون عن المجرمين قائلين لهم بعد التساؤل: ما سَلَكَكُم في سَقَر؟

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: كيف طابقَ قولُه: «ما سَلَكَكُم» ـ وهو سؤالٌ للمجرمين ـ قولَه: «يَتَسَاءلون عن المجرمين» وهو سؤالٌ عنهم، وإنما كان يتطابقُ ذلك لو قيل: يتساءلونَ المجرمين: ما سَلَكَكُم؟

قلت: «ما سَلَكَكُم» ليس ببيانٍ للتساؤل عنهم، وإنَّما هو حكايةُ قولِ المسؤولين عنهم، لأنَّ المسؤولين يُلْقُون إلى السائلين ما جَرَى بينَهم وبينَ المجرمين، فيقولون: قلنا لهم: ما سَلَكَكُم في سَقَر؟ قالوا: لم نَكُ من المصلِّين، إلا أنَّ الكلامَ جِيءَ به على الحذف والاختصار كما هو نهجُ التنزيلِ في غَرَابةِ نظمه. انتهى.

وفيه تعسُّف، والأظهر أنَّ السائلين هم المتسائلون، و«ما سَلَكَكُمْ» على إضمار القول كما ذكرنا، وسؤالهم: «ما سَلَكَكُمْ» سؤالُ توبيخ لهم وتحير[٢]، وإلَّا فهُم عالمون ما الذي أدخلَهم النار.

والجواب أنهم لم يكونوا متَّصفين بخصائل الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاءِ

(١) الكشاف ٤/١٨٦.

(٢) المثبت من (يه). وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: تحقير.

الزكاة، ثم ارْتَقَوْا من ذلك إلى الأعظم، وهو الكفرُ والتكذيبُ بيوم الجزاء، كقولِهِ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١١-١٧].

و«اليقين» أي: يقيناً على إنكار يومِ الجزاء، أي: وقت الموت.

وقال ابنُ عطية[١]: و«اليقين» عندي صحَّةُ ما كانوا يكذِّبون [به] من الرُّجوع إلى الله تعالى والدارِ الآخرة، وقال المفسِّرُون: «اليقين» الموت، وذلك عندي هنا متعقَّب، لأنَّ نَفْسَ الموت يقينٌ عند الكافر وهو حيّ، فإنَّما اليقينُ الذي عَنَوْا في هذه الآية الشيءَ الذي كانوا يكذِّبون به وهم أحياءٌ في الدُّنيا، فتيقَّنُوه بعد الموت، وإنَّما يتفسَّر اليقينُ بالموت في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ليس المعنى أنهم يُشْفَعُ لهم فلا تنفعُ شفاعةُ مَنْ يشفعُ لهم، وإنَّما المعنى نفيُ الشفاعة لهم، فانتفَى النفعُ، أي: لا شفاعةَ شافعينَ لهم فتنفعَهم من باب:

عـلـى لاحِـبٍ لا يُـهـتَـدَى بـمـنـارِهِ[٢]

أي: لا مَنَارَ له فيُهتَدَى به.

وتخصِيصُهم بانتفاءِ شفاعةِ الشَّافعين يدلُّ على أنه قد تكونُ شفاعاتٌ ويُنتفعُ بها، ووردَتْ أحاديثُ في صحَّة ذلك[٣].

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ وهي مواعظُ القرآنِ التي تُذَكِّرُ الآخرة. ﴿مُعْرِضِينَ﴾ أي:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، ولفظة «به» الآتية بين حاصرتين منه.

(٢) هو صدرُ بيت لامرئ القيس، وعَجُزُهُ: إذا سافَهُ العَوْدُ النُّباطِيُّ جَرْجَرَا، وهو في ديوانه ص٦٦. اللاحِبُ: الطريق الواسع، وسافَهُ، أي: شَمَّهُ، والعَوْدُ: المُسِنُّ من الإبل، والنُّباطِيُّ: نسبة إلى النَّبَط، وهو أشدُّ الإبل وأصبرُها، وجَرْجَر، أي: صوَّت. وسلف الصدر في تفسير البقرة (٧١) و(٢٧٣) وتفسير آل عمران (١٥١) وغيرهما.

(٣) ينظر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ المطوَّل في الرؤية والشفاعة، أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

والحالُ المنتظرَة [هي] هذه الموصوفة[١]، ثم شبَّههم بالحُمُر المُستنفِرة في شدَّة إعراضِهم ونِفَارِهم عن الإيمان وآياتِ الله تعالى.

وقرأ الجمهور: «حُمُرٌ» بضمّ الميم، والأعمشُ بإسكانها[٢].

قال ابن عبّاس: المرادُ الحُمُر الوحشيَّة[٣]، شبَّههم تعالى بالحُمُر مذمَّةً وتهجيناً لِحالِهم[٤].

وقرأ نافع وابنُ عامر والمفضَّل عن عاصم: «مُسْتَنْفَرة» بفتح الفاء، والمعنى: استنفرَها فَزَعُها من القَسْوَرَة. وباقي السبعة بكسرها[٥]، أي: نافرة، نَفَرَ واستنفر بمعنى [مثل] عَجِبَ واستَعْجَبَ، وسَخِرَ واسْتَسْخَرَ، ومنه قولُ الشاعر:

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ ... في إثْرِ أحْمِرَةٍ عَمَدْنَ[٦] لِغُرَّبِ[٧]

ويُناسِبُ الكسر قوله: «فَرَّتْ».

وقال محمد بنُ سلَّام: سألتُ أبا سَوَّار الغَنَوِيَّ ـ وكان أعرابيًّا فصيحاً ـ فقلتُ: كأنَّهم حُمُرٌ ماذا؟ فقال: مُسْتَنْفَرَة طَرَدَها قَسْوَرَة، فقلتُ: إنَّما هو: «فَرَّتْ من قَسْوَرَة» قال: أَفَرَّتْ؟ قلتُ: نعم، قال: فمُسْتَنْفِرةٌ إذَنْ[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، ولفظة «هي» السالفة بين حاصرتين منه.

(٢) المصدر السالف.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٩، وبنحوه في الوسيط ٤/ ٣٨٨، وزاد المسير ٨/ ٤١٧.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: لهم.

(٥) السبعة ص٦٦١، والتيسير ص٢١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) في (أ) والمطبوع: عهدن. وهو خطأ.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٥، ونسبه ابن قُتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٧٩٣ لنافع بن لقيط الفقعسي، وفيه: اربط، بدل: أمسك. قوله: غُرَّب: هو جبل دون الشام في ديار بني كلب كما في معجم البلدان ٤/ ١٩٢.

(٨) قال السمين: يعني أنها مع قوله: «طَرَدَها» تُناسب الفتح لأنها اسم مفعول، فلما أُخبر بأن التلاوة: «فَرَّتْ من قَسْوَرَة» رجع إلى الكسر للتناسب، إلا أنَّ بمثل هذه الحكاية لا تُرَدُّ القراءة المتواترة. ينظر الدر المصون ١٠/ ٥٥٨.

قال ابن عبَّاس وأبو موسى الأشعريّ وقتادة وعكرمة: القَسْوَرَة الرُّماة.

وقال ابنُ عبَّاس أيضاً وأبو هريرة وجمهورٌ من اللغويِّين: الأسد[١].

وقال ابنُ جُبير: رجالُ القَنْص[٢]، وهو قريبٌ من القول الأوَّل، وقالَه ابنُ عبَّاس أيضاً.

وقال ابنُ الأعرابيّ: القَسْوَرةُ أوَّلُ الليل[٣]، والمعنى: فَرَّتْ من ظُلمة الليل.

ولا شيءَ أشَدُّ نِفاراً من حُمُرِ الوَحْش، ولذلك شَبَّهَتْ بها العربُ الإبلَ في سرعة سيرِها وخِفَّتِها[٤].

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المُعرِضين عن عظات اللهِ وآياتِه ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: منشورةً غيرَ مطويَّة تُقرأ، كالكتب التي يُتكاتَبُ بها، أو كُتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعةَ كُتبت رطبةً لم تُطْوَ بعد، وذلك أنهم قالوا لرسولِ الله ﷺ: لن نَتَّبِعَكَ حتى يُؤْتَى كلٌّ واحدٍ منَّا بكُتُبٍ[٥] من السماء عنوانُها[٦]: من ربِّ العالمين إلى فلان بنِ فلان، نُؤْمَرُ فيها باتِّباعِك. ونحوُه: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾[٧] [الإسراء: ٩٣].

---

(١) ينظر ما سلف في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٩-٤٦٠، والنكت والعيون ٦/ ١٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ (والكلام منه)، وزاد المسير ٨/ ٤١٢-٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٠.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، وهو في النكت والعيون ٦/ ١٤٩ دون نسبة، وقرنه القرطبي ٢١/ ٢٠٠بقول قتادة وعكرمة السالف.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٤٠١، وبنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ عن ثعلب.

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٨٨.

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: كتاباً.

(٦) في المطبوع: عنوانه.

(٧) وقع في النسخ الخطية والمطبوع: لن نؤمن لك حتى... الخ، وهو خطأ، ولفظ الخبر في الكشاف ٤/ ١٨٨، وهو بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٢، وزاد المسير ٨/ ٤١٣، وبنحوه أيضاً مختصر في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ وقال: كان هذا من قول عبد الله بن أبي أمية وغيره، وينظر تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٤٦١، والقرطبي ٢١/ ٤٠١.

ورُوِيَ أنَّ بعضَهم قال: إن كانَ يُكتبُ في صحفٍ ما يَعملُ كلُّ إنسان فلتُعرض تلك الصُّحف علينا. فنزلت هذه الآية[١].

وقرأ الجمهور: «صُحُفاً» بضم الحاء «مُنَشَّرة» مشدَّداً، وابنُ جُبير بإسكانها «مُنْشَرَة» مخفَّفاً[٢]، ونَشَّرَ وأَنْشَرَ مثل: نَزَّلَ وأَنْزَلَ[٣]، شبَّهَ نَشْرْتُ الصحيفةَ بـ: أَنْشَرَ اللهُ الموتى، فعبَّر عنه بـ «مُنْشَرَة» من أَنْشَرْتُ[٤]، والمحفوظُ في الصحيفة والثوب: نَشَرَ، مخفَّفاً ثلاثياً[٥]، ويقال في الميِّت: أَنْشَرَهُ الله ونَشَرَهُ، ويقال: أَنْشَرَهُ اللهُ فَنَشَرَ[٦] هو، أي: أَحْيَاهُ فَحيِيَ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن إرادتهم تلك وزَجْرُهم[٧] عن اقتراحِ الآيات ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ولذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاءِ الصُّحُف.

وقرأ الجمهور: «يخافون» بياء الغَيْبة، وأبو حَيْوَة بتاء الخطاب التفاتاً[٨].

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ عن إعراضِهم عن التَّذكرة ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ ذكَّر في «إنَّه» وفي «ذَكَرَهُ» لأنَّ التَّذكرةَ ذِكْرٌ[٩].

وقرأ نافع وسلَّام ويعقوب: «تَذْكُرُون» بتاء الخطاب ساكنةَ الذال، وباقي السبعة

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩-٤٠٠.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٥، والمحتسب ٢/ ٣٤٠، والكشاف ٤/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ١٨٨: أَنْشَرَ الصُّحفَ ونَشَّرَها واحد، كأنزلَه ونَزَّلَهُ.
(٤) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠: ولا يقال في الميّت يحيا: منشور، إلا على تشبيهٍ بالثوب.
(٥) بنحوه في المحرر الوجيز٥/ ٤٠٠، ونقله السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٥٩ عن أبي حيان وتعقَّبه بقوله: وهذا مردود بالقرآن المتواتر.
(٦) قوله: «ونشره ويقال أنشره الله» ليس في المطبوع.
(٧) المثبت من (يه)، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: وزجر لهم، وينظر الكشاف ٤/ ١٨٨.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠.
(٩) وقال في الكشاف ٤/ ١٨٨: لأنها في معنى الذِّكر أو القرآن.

وأبو جعفر والأعمش وطلحة وعيسى والأعرج بالياء[(١)].

ورُوِيَ عن أبي حَيْوَة: «يَذَّكَّرُونَ» بياء الغَيبة وشدِّ الذال[(٢)]، ورُوِيَ عن أبي جعفر «تَذَّكَّرُونَ» بالتاء وإدغام التاء في الذال[(٣)].

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: أهلٌ أنْ يُتَّقَى ويُخاف، وأهلٌ أنْ يَغْفِرَ، ورَوَى أنس بنُ مالك رضي الله تعالى عنه أنَّ النبيَّ ﷺ فَسَّرَ هذه الآيةَ فقال: «يقولُ ربُّكم جَلَّتْ قدرتُه وعَظَمَتُه: أنا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فلا يُجْعَلْ معي[(٤)] إلهٌ غيري، ومَنِ اتَّقَى أنْ يَجْعَلَ معي إلهاً غيري فأنا أغفرُ له»[(٥)].

وقال الزمخشريّ[(٦)] في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: يعني إلا أنْ يَقْسِرَهُم على الذِّكْرِ ويُلْجِئَهم إليه، لأنهم مطبوعٌ على قلوبهم معلومٌ أنهم لا يؤمنون اختياراً.

---

(١) ينظر السبعة ص٦٦٠، والتيسير ص١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، ورواية يعقوب بتاء الخطاب فيه وفي تفسير البغوي ٤/ ٤٢٠، وقرأ أيضاً بالياء كما في النشر ٢/ ٣٩٣.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٥.

(٣) يعني بشدِّ الذَّال كسابقتها، وذلك على أنَّ الأصل: تَتَذَكَّرون، والقراءة في المصدر السالف، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠.

(٤) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يتقى، بدل: معي، وهو تحريف.

(٥) أخرجه بنحوه أحمد في المسند (١٢٤٤٢) والترمذي (٣٣٢٨) والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠) وابن ماجه (٤٢٩٩)، ولفظُه من المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٣.

(٦) الكشاف ٤/ ١٨٨.

مفردات سورة القيامة

«بَرِقَ» بكسر الراء: فَزِعَ ودَهِشَ[1]، وأصلُه من: بَرِقَ الرَّجلُ: إذا نَظَرَ إلى البَرْقِ فدَهِشَ بصرُه، ومنه قولُ ذي الرُّمَّة[2]:

ولَوْ أنَّ لُقْمانَ الحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سافِراً كادَ يَبْرَقُ

وقال الأعشى:

وكنتُ أرَى في وَجْهِ مَيَّةَ لَمْحَةً فأَبْرَقُ مَغْشِيّاً عليَّ مَكَانِيَا[3]

و«بَرَقَ» بفتح الراء: شَقَّ بَصَرُهُ وهو من البَرِيق، أي: لَمَعَ بصرُه من شدَّةِ شُخُوصِه.

«الوَزَر» ما يُلْجَأُ إليه من حِصْنٍ أو جَبَلٍ أو غيرِهما، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما للفَتَى مِنْ وَزَرْ مِنَ الموتِ يُدْرِكُهُ والكِبَرْ[4]

النَّضْرَةُ: النَّعْمَةُ[5] وجَمالُ البَشَرَة وطَراوتُها.

الفاقِرَةُ: الدَّاهِيَةُ التي تَقْصِمُ فَقَارَ الظَّهر، والفَقْرُ: الحَزُّ والتأثير[6]. قال الشاعر:

---

(١) دَهِشَ (ودُهِش أيضاً): تَحَيَّرَ.

(٢) ديوانه ١/ ٤٦١.

(٣) كذا نُسب للأعشى في النكت والعيون ٦/ ١٥٣، وليس في ديوانه، وهو في ديوان ذي الرُّمَّة ٢/ ١٣٠٨.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٤١٤، وفيه: لَعَمْرِيَ، بدل: لَعَمْرُكَ.

(٥) النَّعْمَةُ، بفتح النون: التَّرَفُّهُ وطِيبُ العيش.

(٦) قوله: الفاقرة: الداهية... إلى هذا الموضع، من (ع) و(يه).

أَبَـى لـيَ قَـبْـرٌ لا يَـزَالُ مـقـابـلـي وضَـرْبَـةُ فـأسٍ فَـوْقَ رأسـيَ فَـاقِـرَهْ[1]

أي: مُؤَثِّرة.

التَّراقي جمع تَرْقُوَة، وهي [أعلى][2] عظام الصَّدْر، ولكلِّ إنسانٍ تَرْقُوَتان، وهو موضعُ الحَشْرَجَة، قال دُريد بنُ الصِّمَّة:

ورُبَّ عـظـيـمـةٍ دَافَـعْـتَ عـنـهـم وقـد بـلَـغَـتْ نـفـوسُـهُـمُ الـتَّـراقـي[3]

رَقَى يَرْقي من الرُّقْيَة، وهي ما يُسْتَشْفَى به للمريضِ من الكلام المعدِّ لذلك.

تَمَطَّى: تَبَخْتَرَ في مِشْيَتِه، وأصلُه من المَطَا، وهو الظَّهْر، أي: يَلْوِي مَطَاه تَبَخْتُراً، وقيل: أصلُه: تَمَطَّطَ، أي: تَمدَّدَ في مِشْيَتِهِ ومَدَّ مَنْكِبَيْه، قُلبت الطاءُ فيه حرفَ علَّة كراهةَ اجتماع الأمثال، كما قالوا: تَظَنَّى من الظَّنّ، وأصلُه: تَظَنَّنَ، والمُطَيْطَاء[4]: التَّبَخْتُرُ ومَدُّ اليدَيْن في المشي، والمَطِيطة[5]: الماءُ الخاثِرُ في أسفل الحوض لأنه يتمطَّطُ فيه، أي: يمتدُّ، وعلى هذا الاشتقاق لا يكون أصلُه من المَطَا لاختلاف المادَّتين، إذْ مادة المَطَا: م ط و، ومادة تمطَّط: م ط ط.

«سُدًى»: مهمل، يقال: إبلٌ سُدًى، أي: مهملة تَرْعَى حيث شاءَتْ بلا راعٍ، وأسْدَيْتُ الشيءَ أي: أهملتُه، وأسْدَيْتُ حاجتي: ضيَّعتُها، قال الشاعر:

فـأُقْـسِـمُ بـاللهِ جَـهْـدَ الـيـمـيـ ـنِ مـا خـلـقَ اللهُ شـيـئـاً سُـدَى[6]

وقال أبو بكر بنُ دُرَيْد في «المقصورة»[7]:

---

(١) البيت للنابغة الذُّبْيَاني، وهو في ديوانه ص٧٠.

(٢) كلمة «أعلى» بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦. وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٤٣٣.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٠، ونُسب في السيرة النبوية ٢/ ٤٥٤ ومعجم البلدان ٣/ ٥٢٨ والوافي بالوفيات ١٤/ ١٢ لعَمْرَة بنت دُريد بن الصِّمَّة، وهو في رثاء أبيها.

(٤) بالمدّ وبالقصر. ينظر القاموس (مَطَط).

(٥) وزن سفينة، ووقع في النسخ الخطية والمطبوع: المطيط، وهو خطأ.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٦٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤١، وفيهما: ما تركَ، بدل: ما خلق.

(٧) مقصورة ابن دريد صاحب الجمهرة والاشتقاق قصيدةٌ له طويلة في مدح ابن ميكال وولديه، =

لَـم أرَ كـالـمُـزْنِ سَـواماً بُـهَّـلاَ[١] تَـحْـسَـبُـهـا مَـرْعِـيَّـةً وَهْـيَ سُـدَى

* * *

سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ
(٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦)
فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا
لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ
بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧)
فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ (٢١)
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣)
أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (٣٥) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ
يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن
يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾.

التفسير هذه السورة مكيّة ومناسبتُها لِما قبلَها أنَّ في آخر ما قبلَها قولَه: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ (٥٣) كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤)﴾ وفيها كثيرٌ من أحوال القيامة، فذَكَرَ هنا يومَ القيامة وجُمَلاً من أحوالها.

وتقدَّم الكلام في «لا أُقْسِمُ» والخلافُ في «لا» والخلافُ في قراءاتها في أواخر «الواقعة».

= وقافيتُها ألف مقصورة، وهي مطبوعة، وعليها شروح كثيرة، وينظر وفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣.

(١) البُهَّلُ: جمع باهلة، وهي المهملة.

أقسَمَ تعالى بيوم القيامة لعِظَمِه وهَوْلِه، و«لا أُقسم» قيل: «لا» نافية، نَفَى أن يُقْسِمَ بالنَّفس اللَّوَّامة، وأقسمَ بيومِ القيامةِ نَصَّ على هذا الحَسَن[١]، والجمهورُ على أنَّ الله أقسمَ بالأمْرَيْن.

و«اللَّوَّامَةُ» قال الحسن: هي التي تَلُومُ صاحِبَها في تركِ الطاعةِ ونحوِها، فهي على هذا ممدوحة، ولذلك أقسمَ الله بها، ورُوِيَ نحوُه عن ابن عباس وعن مجاهد؛ قال مجاهد: تلومُ على ما فات، وتندمُ على الشرِّ لِمَ فَعلَتْه، وعلى الخيرِ لِمَ لَمْ تَسْتَكْثِرْ منه[٢].

وقيل: النفسُ المتَّقية التي تلومُ النفوسَ في يوم القيامة على تقصيرهنَّ في التقوى[٣].

وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: هي الفاجرةُ الجشعةُ اللوَّامةُ لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا وأعراضها[٤]، فهي على هذا ذميمة، ويحسن نفيُ القَسَم بها، والنفس اللوَّامة اسم جنس بهذا الوصف.

وقيل: هي نفسٌ معيَّنة، وهي نفس آدم عليه السلام، لم تزل لائمةً له على فعله الذي أخرجه من الجنة.

قال ابنُ عطية[٥]: وكل نفس متوسِّطة ليست بمطمئنةٍ ولا أمَّارةٍ بالسُّوء فإنَّها لوَّامةٌ في الطرفَيْن، مرَّةً تلُومُ على تركِ الطاعة، ومرَّةً تلومُ على فَوْتِ ما تَشتهي، فإذا اطمأنَّت خَلَصَتْ وصَفَتْ. انتهى.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٧-٤٦٨، والنكت والعيون ٦/ ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢.

(٢) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٥١، والكشاف ٤/ ١٩٠، وزاد المسير ٨/ ٤١٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٦.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩٠.

(٤) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٥١، وزاد المسير ٨/ ٤١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ والكلام السالف قبله فيه.

والمناسبةُ بين القَسَمَيْنِ من حيث أحوالُ النفسِ من سعادتِها وشَقاوتِها وظهورُ ذلك في يوم القيامة.

وجوابُ القَسَم محذوف يدلُّ عليه يومُ القيامة والمُقْسَمِ به وما بعدَه من قوله: «أَيَحْسَبُ» الآية، وتقديرُه: لَتُبْعَثُنَّ.

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: قولُه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والأبيات التي أنشدتُها المُقْسَمُ عليه فيها منفيّ. وكان قد أنشدَ قولَ امرئ القيس[1]:

لا وأَبِيكِ ابْنَةَ العامرِيّ لا يدَّعي القَومُ أنِّي أَفِرّ

وقولَ غُوَيَّةَ بنِ سُلْميّ:

أَلَا نَادَتْ أُمامةُ باحتمالِ لِتُحْزِنَني فلَا بِكِ ما أُبالي[2]

قال: فهلَّا زعمتَ أنَّ «لا» التي للقَسَم[3] زِيدَتْ مُوَطِّئةً للنفي بعده ومؤكِّدةً له، وقدَّرْتَ المُقْسَمَ عليه المحذوفَ ههنا منفيًّا، نحو قولك: لا أُقْسِمُ بيوم القيامة لا تُتْرَكُونَ سُدًى؟

قلت: لو قَصَرُوا[4] الأمرَ على النَّفي دون الإثبات لكانَ لهذا القولِ مساغ، ولكنَّه لم يُقْصَرْ[5]، ألا ترى كيف لقي ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ وكذلك ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾.

---

(١) ديوانه ص١٥٤. والكلام في الكشاف ٤/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٠٠١ (بشرح المرزوقي)، والخصائص ٢/ ١٩، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٤٢، والكشاف ٤/ ١٨٩، وتفسير القرطبي٢١/ ٤٠٥، واللسان (با). وهو في المخصص برواية: غداةَ غدٍ، بدل: لتحزنني. قوله: «بِكِ» قَسَمٌ بالضمير - وهو الكاف - والباء باء القسم، والمعنى: أُقسِمُ بِكِ، وقال المرزوقي: فلا بِكِ ما أُبالي: يمين فيها تهكّم وسخرية.

(٣) في الكشاف ٤/ ١٩٠: «لا» التي قبل القَسَم. وهو الأشبه والأصوب.

(٤) في المصدر السالف: لو قصر.

(٥) في (أ) والمطبوع: يُقسم. وهو خطأ.

ثم قال الزمخشري: وجوابُ القَسَم ما دلَّ عليه قولُه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ وهو: لَتُبْعَثُنَّ. انتهى. وهو تقدير النحَّاس وهو قولُ من قال: جواب القَسَمَ هو: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

وما رُوِيَ عن الحسن أنَّ الجوابَ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ وما قيل: إنَّ «لا» في القَسَمَيْن لنَفْيِهما، أي: لا أُقسِمُ على شيء، وأنَّ التقدير: ولكني[1] أسألُك: أيحسب الإنسان، أقوالٌ لا تصلح أن تُردَّ، بل تُطرحُ، ولا يُسَوَّد بها الوَرَق، ولولا أنهم سطروها[2] في الكتب لم أنبِّه عليها[3].

والإنسان هنا الكافر المكذب بالبعث؛ رُوِيَ أنَّ عَدِيَّ بنَ ربيعة قال لرسول الله ﷺ: يا محمد، حَدِّثْني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمرُه؟ فأخبرَه رسولُ الله ﷺ، فقال: لو عاينتُ ذلك اليومَ لم أُصَدِّقْكَ يا محمد ولم أؤمن بك، أَوَيَجْمَعُ اللهُ العظام[4]؟ فنزلَتْ[5].

وقيل: نزلت في أبي جهل، كان يقول: أيزعُمُ محمدٌ أن يجمعَ اللهُ هذه العظامَ بعد بِلاها وتفرُّقها فيعيدُها خلقاً جديداً[6]؟

وقرأ الجمهور: «نَجْمَعَ» بنون «عظامه» نصباً، وقتادةُ بالتاء مبنيًّا للمفعول «عظامُه» رفعاً[7]. والمعنى: بعدَ تَفَرُّقِها واختلاطِها بالتراب وتطييرِ الرِّياحِ إيَّاها في أقاصي الأرض.

---

(١) لفظة «ولكني» من (يه).

(٢) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: سردوها.

(٣) قال السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٦٥: وهذه الأقوال شاذة منكرة لا تصحُّ عن قائليها لخروجها عن لسان العرب.

(٤) في (أ) والمطبوع: العظام بعد بلاها.

(٥) ينظر أسباب النزول للواحدي ص٤٧٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢١، والكشاف ٤/ ١٩٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٧.

(٦) ينظر زاد المسير ٨/ ٤١٦، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢١٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٧.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٥، والكشاف ٤/ ١٩٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢.

وقولُه: «أيَحْسَبُ» استفهامِ تقرير وتوبيخ حيثُ ينكر[١] قدرةَ الله تعالى على إعادة المعدوم.

«بلى» جوابٌ للاستفهام المنسحب على النَّفي، أي: بلى نجمعُها، وذكرَ العظامَ ـ وإن كان المعنى إعادة الإنسان وجمع أجزائه المتفرِّقة ـ لأنَّ العظام هي قالبُ الخلق.

وقرأ الجمهور: «قادرين» بالنصب على الحال من الضمير الذي في الفعل المقدَّر، وهو: نجمعها، وابنُ أبي عَبْلَة وابنُ السَّمَيْفَع: «قادرون»[٢] أي: نحن قادرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ وهي الأصابعُ، أكثرُ العظام تفرُّقاً وأدقُّها أجزاءً، وهي العظامُ التي في الأنامل ومفاصلِها، وهذا عند البعث.

وقال ابنُ عباس والجمهور: المعنى: نجعلُها[٣] في حياته هذه بَضْعَةً أو عَظْماً واحداً كخُفِّ البعير لا تَفارِيقَ فيه، أي: في الدنيا، فتقلُّ منفعتُه بها[٤].

وهذا القولُ فيه توعُّد، والمعنى الأول هو الظاهرُ والمقصودُ من رصف الكلام[٥].

وذكرَ الزمخشريُّ هذَين القولَين بألفاظ مُنَمَّقة على عادتِه في حكاية أقوال المتقدِّمين.

وقيل: «قادرين» منصوب على خبر «كان» أي: بلى كنَّا قادرين في الابتداء[٦].

---

(١) في (يه): تنكّر.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/٤٠٨، وهي في المحرر الوجيز ٥/٤٠٢ عن ابن أبي عبلة، وفي الكشاف ٤/ ١٩٠ دون نسبة.

(٣) في (ت): نجمعها.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٧١، وتفسير الثعلبي ٦/٣٢٦، والنكت والعيون ٦/ ١٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٩.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢.

(٦) ذكره السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٦٦ وقال: وهذا ليس بواضح.

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ «بَلْ» إضرابٌ، وهو انتقالٌ من كلام إلى كلام من غير إبطال، والظاهر أنَّ «يريد» إخبارٌ عمّا يريدُه الإنسان.

وقال الزمخشريّ: «بل يريدُ» عطفٌ على «أيَحْسَبُ» فيجوزُ أن يكون مثلَه[١] استفهاماً، وأن يكون إيجاباً على أنْ يُضرِب عن مستفهَم عنه إلى آخر، أو يُضرِبَ عن مستفهَم عنه إلى مُوجَب. انتهى.

وهذه التقاديرُ الثلاثة[٢] لا تظهر، وهي متكلِّفة، بل المعنى الإخبارُ عن الإنسان؛ لمَّا ذَكَرَ الإخبارَ بقوله: «بلى قادرين» أي: نجمعُها قادرين؛ انتقلَ من هذا الإخبارِ إلى الإخبارِ عن الإنسانِ[٣] من غير إبطالٍ لمضمونِ الجملة السابقة، وهي: نجمعُها قادرين لنبيّن ما هو عليه الإنسان من عدم الفِكْر في الآخرة، وأنه معنيّ بشهواته.

ومفعول «يُرِيدُ» محذوف يَدُلُّ عليه التعليل في «لِيَفْجُرَ».

قال مجاهد والحسن وعكرمة وابنُ جُبير والضحَّاك والسُّدِّيّ: معنى الآية أن الإنسان إنَّما يريدُ شَهَوَاتِهِ ومعاصيَه ليمضيَ فيها أبداً قُدْماً راكباً رأسَهُ مطيعاً أملَه ومُسَوِّفاً بتوبتِه.

وقال السُّدِّيّ أيضاً: ليظلمَ على قَدْرِ طاقتِه[٤].

وعلى هذا فالضميرُ في «أمامَهُ» عائدٌ على الإنسان، وهو الظاهر، وعن ابن عبَّاس ما يقتضي أنَّ الضميرَ عائدٌ على «يوم القيامة»، إذِ الإنسانُ في زمانِ وجودِهِ أمامَ يومِ القيامة وبينَ يدَيْه، ويومُ القيامة خلفَه، فهو يريد شهواتِه لِيَفْجُرَ في تكذيبه بالبعث وغيرِ ذلك بين يدي يوم القيامة، وهو لا يعرف قَدْرَ الضرر[٥] الذي هو فيه.

---

(١) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: قبله، وهو خطأ. والكلام في الكشاف ٤/ ١٩٠.

(٢) هما تقديران فيما ذكره السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٦٦.

(٣) من قوله: لما ذكر الإخبار بقوله... إلى هذا الموضع، من (يه).

(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٩-٤١٠.

(٥) رسمُ الكلمة في (يه) قريب من لفظة «الغَرَر» مع إهمالها من النقط، ورسمها في (ت) و(ع)

والأمام ظرف مكان استُعير هنا للزَّمان، أي: ليَفْجُرَ فيما بينَ يدَيْه ويستقبلَه من زمان حياته.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ أي: متى يومُ القيامة سؤالَ استهزاءٍ وتكذيب وتعنُّت.

وقرأ الجمهور: «بَرِقَ» بكسر الراء، وزيد بنُ ثابت ونَصْرُ بنُ عاصم وعبد الله بنُ أبي إسحاق وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة والزَّعفرانيّ وابنُ مِقْسَم ونافع وزيدُ بنُ عليّ وأبان عن عاصم وهارون ومحبوب كلاهما عن أبي عَمرو والحسنُ والجَحْدَريُّ بخلاف عنهما بفتحها[1].

قال أبو عبيدة: «بَرَقَ» بالفتح: شَقَّ[2]، وقال ابنُ [أبي] إسحاق: خَفَتَ عندَ الموت[3].

قال مجاهد: هذا عند الموت، وقال الحسن: هو يوم القيامة[4].

وقرأ أبو السَّمَّال: «بَلَقَ» باللام عوض الراء، أي: انفتح وانْفَرَجَ[5]، يقال: بَلَقَ البابَ وأبلقتُه وبَلَّقْتُه: فتحتُه. هذا قولُ أهل اللغة إلا الفرَّاء، فإنه يقول: بَلَقَهُ وأبلَقَهُ: إذا أغلَقَه.

وقال ثعلب: أخطأ الفرَّاءُ في ذلك إنَّما هو بَلَقَ البابَ وأبلَقَهُ: إذا فَتَحَهُ. انتهى[6].

= العذر، وعبارة (أ) والمطبوع: لا يعرف القدر، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، والكلام فيه.

(١) قراءة نافع في السبعة ص٦٦١ والتيسير ص٢١٦، وقرأ بفتح الراء أيضاً أبو جعفر من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٩٣. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٧، والنكت والعيون ٦/ ١٥٢، وزاد المسير ٨/ ٤١٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٠.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧، وهو أيضاً في النكت والعيون ٦/ ١٥٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١١.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥٢، وما بين حاصرتين منه، وابن أبي إسحاق هو عبد الله المذكور آنفاً.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٠.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٥، والكشاف ٤/ ١٩٠.

(٦) كلام الفراء وثعلب في القراءات الشاذة ص١٦٥.

ويمكن أن تكون اللام بدلاً من الراء، فهما يتعاقبان في بعض الكلام نحو قولهم: نَثَرَه ونَثَلَه، ووَجِرَ ووَجِلَ.

وقرأ الجمهور: «وخَسَفَ» مبنيًّا للفاعل، وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة ويزيد بنُ قُطَيْب وزيد بنُ علي مبنيًّا للمفعول[١]، يقال: خَسَفَ القمرُ وخَسَفَهُ الله، وكذلك الشمس.

قال أبو عبيدة وجماعة من أهل اللغة: الخُسوف والكسوف بمعنًى واحد[٢].

وقال ابنُ أبي أويس: الكسوفُ ذهابُ بعض الضوء، والخسوف ذهابُ جميعِه[٣].

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ لم تلحق علامة التأنيث لأن تأنيث الشمس مجاز أو لتغليب التذكير على التأنيث. وقال الكِسائيّ: حُمل على المعنى، والتقديرُ: جُمع النُّورَانِ، أو الضياءان[٤].

ومعنى الجمع بينهما؛ قال عطاء بنُ يسار: يُجمعان فيُلقيان في النار[٥]، وعنه: يُجمعان يومَ القيامة ثم يُقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٤٢٨ والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣ عن أبي حَيْوة، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٢ عن ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج، وهي في الكشاف ٤/ ١٩١ دون نسبة. قال القرطبي: يدل عليه: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾.

(٢) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، وزاد المسير ٨/ ٤١٩.

(٣) كذا في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣ (وذكره كذلك السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٦٩ عن ابن أبي أويس) ونُسب القول في تفسير القرطبي ٢١/ ٤١٢: لأبي حاتم محمد بن إدريس. ولعل كليهما وهماً، فقد جاء هذا القول عن أبي حاتم في بصائر ذوي التميز والعُباب الزاخر والمصباح المنير (خسف)، والمقصود به أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السِّجستاني النحوي اللغوي المقرئ، والله أعلم. تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٦٨.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٨١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٢.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، وزاد المسير ٨/ ٤١٩.

(٦) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٢. وهو دون نسبة في النكت والعيون ٦/ ١٥٣، والكشاف ٤/ ١٩١.

وقيل: يُجمعُ بينَهما في الطلوع من المغرب، فيَطْلُعان أسودَيْن مكوَّرَيْن[(١)].

وقال علي وابنُ عبَّاس: يُجعلان في نُور الحُجُب[(٢)].

وقيل: يجتمعانِ ولا يفترقان، ويقربانِ من الناسِ، فيلحقُهُم العَرَقُ لشدَّةِ الحرّ، فكأنَّ المعنى: يُجْمَعُ حَرُّهُما.

وقيل: يُجمع بينهما في ذهاب الضوء، فلا يكون ثَمَّ تعاقبُ ليلٍ ولا نهار[(٣)].

وقرأ الجمهور: «المَفَرُّ» بفتح الميم والفاء مصدراً، أي: أين الفِرَارُ؟

وقرأ الحُسين[(٤)] بنُ عليّ بنِ أبي طالب والحَسَنُ بنُ زيد[(٥)] وابنُ عبَّاس والحَسَن وعكرمة وأيوب السَّخْتِياني وكُلثوم بنُ عِياض ومجاهد وابنُ يَعْمَر وحمَّاد بنُ سَلَمة وأبو رجاء وعيسى وابن أبي إسحاق وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة والزُّهْريُّ بكسر الفاء[(٦)]، وهو موضع الفِرار.

وقرأ الحسن بكسر الميم وفتح الفاء، ونسبها ابن عطية للزُّهْريّ[(٧)]، أي: الجيِّد الفِرَار، وأكثرُ ما يُستعملُ هذا الوزنُ في الآلات وفي صفات الخيل، نحو قوله:

مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مـعـاً[(٨)]

والظاهرُ أنَّ قولَه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ من تمام قول

(١) النكت والعيون ٦/ ١٥٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٢.
(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٢.
(٣) القولان في تفسير القرطبي ٢١/ ٤١٣.
(٤) المثبت من (يه) وهو كذلك في القراءات الشاذة ص١٦٥، وفي النسخ الأخرى الحسن، وسيرد. وجُمع بينهما في الدر المصون ١٠/ ٥٦٩.
(٥) في القراءات الشاذة ص١٦٥: يزيد.
(٦) المصدر السالف، والمحتسب ٢/ ٣٤١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٩، والمحرّر الوجيز ٥/ ٤٠٣، وزاد المسير ٨/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٣.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، ونسبها إليه أيضاً ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٤١.
(٨) هو صدرُ بيت لامرئ القيس، وعَجُزُه: كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ من عَلِ. وهو في ديوانه ص١٩.

الإنسان، وقيل: هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الإنسان[١].

«كلَّا» رَدْعٌ عن طلب المَفَرّ «لا وَزَرَ»: لا مَلْجأ، وعَبَّر المفسِّرون عنه بالجَبَل، قال مُطَرِّفُ بنُ الشِّخِّير: هو كان وَزَرَ فُرَّارِ العَرَبِ في بلادهم[٢]، فلذلك استُعمل. والحقيقةُ أنه الملجأُ من جبلٍ أو حِصْنٍ أو سِلاحٍ أو رَجُلٍ أو غيرِه[٣].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: إلى حُكْمِهِ يومَ إذْ يقول[٤]: أين المَفَرّ.

﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: الاستقرار، أو موضع استقرارٍ من جنَّةٍ أو نارٍ إلى مشيئتِهِ تعالى، يُدْخِلُ من شاءَ الجنةَ ويُدخِلُ من شاءَ النارَ.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال عبد الله وابنُ عبَّاس: بما قَدَّمَ في حياتِه، وأخَّر من سُنَّةٍ يُعْمَلُ بها بعدَه.

وقال ابنُ عبَّاس أيضاً: بما قدَّمَ من المعاصي وأخَّرَ من الطاعات.

وقال زيد بنُ أسلم: بما قدَّمَ من مالِه لنفسِه، وبما أخَّرَ منه للوارث.

وقال النَّخَعيُّ ومجاهد بأوَّلِ عملِه وآخِرِه.

وقال الضحَّاك: بما قدَّمَ من فرضٍ وأخَّرَ من فَرْض[٥].

والظاهر حملُه على العموم، أي: يخبرُه بكلِّ ما قَدَّمَ وكلِّ ما أخَّرَ ممَّا ذكرَه المفسِّرون وممَّا لم يذكروه.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٥٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٥، وبدآ بالقول الثاني، وهو الأشبه.

(٢) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣، وجاء نحوه في روح المعاني ٢٨/ ١٠٠ دون نسبة، ولفظُه: أصلُه الجبلُ المنيع، وقد كان مَفَرًّا في الغالب لفرار العرب. اهـ. والقولُ بنحوه عن السُّدِّي في تفسير القرطبي ٢١/ ٤١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣.

(٤) المثبت من (ت). وفي (ع) و(يه): يومئذ إذ يقول، وفي (أ) والمطبوع: يومئذ يقول.

(٥) تنظر الأقوال بعضها دون بعض في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨٩-٤٩٠، والنكت والعيون ٦/ ١٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤ (ولفظ الأقوال الأُوَل منه) وزاد المسير ٨/ ٤٢٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٥.

﴿بَصِيرَةٌ﴾ خبرٌ عن الإنسان، أي: شاهدٌ، قاله قتادة[١]، والهاء للمبالغة.

وقال الأخفش: هو كقولك: فلانٌ عِبرةٌ وحُجَّة[٢].

وقيل: أنَّثَ لأنه أرادَ به جوارحَه، أي: جوارحُه على نفسه بَصِيرةٌ.

وقيل: «بَصِيرةٌ» مبتدأ محذوف الموصوف، أي: عَيْنٌ بَصِيرَة، و«على نفسه» الخبر، والجملةُ في موضع خبر عن «الإنسان»، والتقديرُ: عينٌ بَصِيرة، وإليه ذهبَ الفرَّاء، وأنشدَ:

كأنَّ على ذي العَقْلِ عَيْناً بَصِيرةً ... بِمَقْعَدِهِ أو منظرٍ هو ناظِرُهْ
يُحاذِرُ حتى يَحْسِبَ الناسَ كلَّهُمْ ... من الخوفِ لا تَخْفَى عليهِمْ سَرَائِرُهْ[٣]

وعلى هذا نختارُ أن تكون «بَصِيرة» فاعلاً بالجارِّ والمجرور، وهو الخبرُ عن «الإنسان»، ألا تَرَى أنَّه قدِ اعتمَدَ بوقوعِه خبراً عن الإنسان؟ وعلى هذا فالتاء للتأنيث، وتأوَّلَ ابنُ عبَّاس البَصِيرة بالجوارح، أو الملائكة الحَفَظَة[٤].

والمَعَاذِيرُ عند الجمهور الأعذار، فالمعنى: ولو جاءَ بكلِّ مَعْذِرَة يَعتذِرُ بها عن نفسِه، فإنه هو الشاهدُ عليها والحُجَّةُ البيِّنةُ عليها.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٩٢ بلفظ: شاهد عليها بعملها، وروى أيضاً عن ابن عباس قال: شاهد على نفسه وحده، وروى ٢٣/ ٤٩٣ نحوه عن ابن زيد.

(٢) هو بهذا اللفظ عن الأخفش في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٩، ولفظُه في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢١ ـ ونقله عنه القرطبي ٢١/ ٤١٦ ـ: كما تقول للرجل: أنت حُجَّةٌ على نفسك.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١١، وفيه: الظَّنّ، بدل العقل، والبيتان للفرزدق، وهما في ديوانه ص٢٠٩ برواية: الطِّنْء، أي: الرِّيبة، وجاء البيتان عن الفرَّاء بمثل رواية الديوان في كلٍّ من لسان العرب وتاج العروس (مادة طنأ)، فلعلَّ كلمة «الظنّ» في معاني الفرَّاء محرَّفة عن «الطِّنء». والله أعلم. وهما برواية المصنف في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٧.

(٤) تأويلُ ابنِ عباس البصيرةَ بالجوارح في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٩١-٤٩٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٩، والنكت والعيون ٦/ ١٥٤ وغيرها، وأما تأويله البصيرة بالملائكة الحفظة ففي المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤، وسيرد أنه قيل: البصيرة الكاتبان.

قيل: والمَعَاذِيرُ جمع مَعْذِرَة، وقال الزمخشريّ: قياسُ «مَعْذِرَة»: مَعَاذِر، فالمَعَاذِيرُ ليس بجمع «مَعْذِرَة» إنَّما هو اسمُ جمعٍ لها، ونحوُه: المَنَاكِير في «المُنْكَر». انتهى[١].

وليس هذا البناءُ من أبنيةِ أسماءِ الجموع، وإنَّما هو من أبنية جمع التكسير، فهو كمَذَاكِير ومَلَامِيح، والمفردُ منها: لَمْحَة[٢] وذَكَر، ولم يَذْهَبْ أحدٌ إلى أنهَّما من أسماء الجموع، بل قيل: هما جمعُ لـ «لَمْحَة» و«ذَكَر» على غير قياس، أو هما جمعٌ لمفرد لم يُنطق به، وهو مِذْكار، ومَلْمَحَة.

وقال السُّدِّيّ والضحَّاك: المعاذِيرُ السُّتُورُ بلغة اليمن، واحدُها مِعْذَار، وهو يمنعُ رؤيةَ المُحتجِبِ[٣] كما تمنعُ المَعْذِرَةُ عقوبةَ الذنب[٤]، وقاله الزَّجَّاجُ أيضاً، أي: وإنْ أَرْخَى[٥] سُتُورَهُ[٦] يُريدُ أنْ يُخْفِيَ عملَه، فنفسُه شاهدةٌ عليه.

وأنشدُوا في أنَّ المعاذِيرَ[٧] السُّتورُ قولَ الشاعر:

ولكنَّها ضَنَّتْ بمنزِلِ ساعةٍ عليناوأَطَّتْ فوقَها بالمَعَاذِرِ[٨]

وقيل: البصيرةُ الكاتبانِ يكتُبانِ ما يكونُ من خَيْرٍ أو شَرٍّ، أي: وإنْ تَسَتَّر بالسُّتُور[٩].

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩١، وجاء الكلام فيه على عادته على شكل سؤال وجواب: فإنْ قلتَ... قلتُ.

(٢) في الدر المصون ١٠/ ٥٧٢: ملاقيح... لَقْحة.

(٣) ذكر الزمخشري ٤/ ١٩١ قول الضحَّاك ثم قال: فإن صحَّ فلأنه يمنع رؤية المحتجب... الخ.

(٤) في الكشاف: المذنب.

(٥) في النسخ الخطية: رمى، والمثبت من تفسير القرطبي ٥/ ٤١٨، وينظر معاني الزجَّاج ٥/ ٢٥٣.

(٦) في (أ) و(ت) والمطبوع: مستوره.

(٧) في (يه): المعاذر. وينظر التعليق التالي.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤١٨. قال السمين الحلبي في الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٧٢: حَذَفَ الياءَ من «المعاذير» ضرورة.

(٩) تفسير القرطبي ٢١/ ٤١٧.

وإذا كانت من العُذْر، فمعنَى «ولَوْ أَلْقَى» أيْ: نَطَقَ بمعاذِيرِهِ وقالَها.

وقيل: ولو رَمَى بأعذارِهِ واستسلم.

وقال السُّدِّيّ: ولو أَدْلَى بحُجَّةٍ وعُذْر(١).

وقيل: ولو أحالَ بعضُهم على بعض، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

والعِذْرَة(٢) والعُذْرَى: المَعْذِرَة، قال الشاعر:

هـا إنَّ ذي عِـذْرَةٌ إنْ لا تَـكُـنْ نَـفَـعَـتْ(٣)

وقال(٤):

........ولا عُـذْرَى(٥) لِـمَـحْـدُودِ(٦)

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الظاهرُ والمنصوصُ الصحيح في سبب النزول أنه خطابٌ للرَّسولِ ﷺ على ما سنذكرُه إن شاء الله تعالى.

وقال القَفَّال: هو خطابٌ للإنسان المذكور في قوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وذلك حال

(١) بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٥٥، وهو في تفسير القرطبي ٢١/ ٤١٨ عن مقاتل.

(٢) مثل الجِلْسَة والرِّكْبة. ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٤٢٠.

(٣) هو صدرُ بيت للنَّابغة الذُّبياني، وعجزُه: فإنَّ صاحبَها مشاركُ النَّكَدِ، وهو في ديوانه ص٣٧. قوله: ها إنَّ ذي، أي: هذي، فَصَلَ بـ «إنَّ» بين «ها» التنبيه و«ذي» اسم الإشارة.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: وقال فيها، وهو خطأ.

(٥) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: ولا عذرٌ.

(٦) في (أ) والمطبوع: لمجحود، وهو تحريف، وهذا القولُ قطعة من بيت للجَمُوح الظَّفَري كما في خزانة الأدب ١/ ٤٦٤، وروايتُه فيه:

لا دَرَّ دَرُّكِ إنِّـي قَـدْ رَمَـيْـتُـهُـمُ ... لـولا حُـدِدْتُ ولا عُـذْرَى لِـمَـحْـدُودِ

وهو الشاهد (٧٩) فيها على أنَّ «لولا» ربَّما دخلت على الجملة الفعلية، ونقلَ البغدادي عن أبي عُبيد بن سلَّام أن التقدير: لولا أني حُدِدْتُ... وفيه بحث، يُنظر ثمة. وهذا البيت من أربعة أبيات؛ ذكر البغدادي أن أبا تمَّام نسبها في مختار أشعار القبائل لراشد بن عبد الله السُّلَمِيّ. وينظر الإنصاف ١/ ٧٤، واللسان (عذر).

تنبيه بقبائح أفعاله يُعرَضُ عليه كتابُه، فيقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤] فإذا أخَذَ في القراءة تَلَجْلَجَ لسانُهُ من شدَّة الخوفِ وسرعةِ القراءةِ فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ فإنَّه يجبُ علينا بحُكم الوَعْدِ أو بحُكْمِ الحكمةِ أنْ نجمعَ أعمالَكَ عليك وأنْ نقرأَهَا عليك، فإذا قرأناه عليك فاتَّبِعْ قرآنه بالإقرار بأنك فعلتَ تلك الأفعالَ، ثم إنَّ علينا بيانَه، أي: بيانَ أمرِهِ وشرحَ عقوبته. وحاصلُ هذا القولِ أنه تعالى يُقَرِّرُ الكافرَ على جميع أعمالِهِ على التفصيل، وفيه أشَدُّ الوَعِيدِ في الدُّنيا، وأشَدُّ التهويلِ في الآخرة[١].

وفي «صحيح» البخاريّ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه عليه الصلاةُ والسلامُ كان يُعالِجُ مِن التنزيلِ شِدَّةً، وكان ممَّا[٢] يحرِّكُ شَفَتَيْهِ مخافةَ أن يذهبَ عنه ما يُوحَى إليه لحينِه، فنزلت[٣].

وقال الضحَّاك: السببُ أنَّه عليه الصلاة والسلام كان يخافُ أنْ يَنْسَى القرآنَ، فكان يَدْرُسُه حتى غلبَ ذلك عليه وشَقَّ، فنزلت.

وقال الشعبيّ: كانَ لحرصِهِ عليه الصلاة والسلام على أداء الرسالةِ والاجتهادِ في ذات[٤] اللهِ ربَّما أراد النطقَ ببعضِ ما أُوحِيَ إليه قبلَ كمالِ إيرادِ الوَحْيِ، فأُمِرَ أنْ لا يعجلَ بالقرآنِ من قبلِ أن يُقْضَى إليه وَحْيُه، وجاءت هذه الآية في هذا المعنى.

---

(١) تفسير الرازي، ونقله الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٠٩ وقال: لكنه مخالفٌ للصحيح المأثور الذي عليه الجمهور من أنَّ ذلك خطابٌ له ﷺ.

(٢) المثبت من (يه)، وهو كذلك في صحيح البخاري (٥) والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: ربما.

(٣) هو قطعة من حديث ابن عباس بنحوه في صحيح البخاري (٥)، وهو أيضاً في صحيح مسلم (٤٤٨)، ولفظُه من المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤، دون قوله: لِحينِهِ. ولم أقف على هذا اللفظ في مصادر الحديث.

(٤) في المطبوع: عبادة، بدل: ذات. وقول الشعبي هذا، وقول الضحَّاك السالف قبله في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٩٩، والنكت والعيون ٦/ ١٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٢٦.

والضمير في «به» للقرآن دلَّ عليه مَسَاقُ الآية[١].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي: في صدرِك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: قراءته[٢]، أي: قراءتَك إيَّاه، والقرآن مصدر كالقراءة، قال الشاعر:

ضَحَّوْا بأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وقُرْآنا[٣]

وقيل: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: وتأليفَه في صَدْرِك، فهو مصدر من قرأتُ أي: جمعتُ، ومنه قولُهم للمرأة التي لم تلد: ما قَرَأَتْ سَلًى قَطُّ[٤]. وقال الشاعر:

ذِرَاعَيْ بَكْرَةٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ ... هِجَانِ اللَّونِ لم تَقْرَأْ جَنِينَا[٥]

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: المَلَكُ المُبلِّغُ عَنَّا ﴿فَٱتَّبِعْ﴾ أي: بذِهْنِك وفِكْرِك، أي: فاسْتَمِعْ قراءتَه. قاله ابنُ عبَّاس.

وقال أيضاً هو وقتادة والضحَّاك: فاتَّبِعْ في الأوامر والنَّواهي.

وفي كتاب ابن عطية[٦]: وقرأ أبو العالية: «قَرَتَهُ، فإذَا قَرَتَهُ[٧] فاتَّبِعْ قَرَتَهُ» بفتح

(١) قال ابن عطية: هذا كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وكقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦]. ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤.

(٢) قوله: أي: قراءته. من (يه).

(٣) البيت لحسان بن ثابت في وصف عثمان ﷺ، وهو في ديوانه ص٤٦٩. والأشمط: المختلط سوادُ شَعْرِهِ ببياض.

(٤) السَّلَى: غشاء رقيق يُحيط بالجنين ويخرجُ معه في بطن أمِّه. (المعجم الوسيط)، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤، والمثل أيضاً في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨، وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٢.

(٥) البيت من معلَّقة عَمرو بن كلثوم، وهو في شرح القصائد للنحاس ٢/ ٦٢١ ولابن الأنباري ص٣٧٧، وللتبريزي ص٢٥٩، وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٢ والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤ وغيرها من المصادر برواية: ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ. وهو برواية المصنف في معاني الأخفش في البقرة (٢٢٨). والعَيْطل: الناقة الطويلة في حسن منظر، والهِجان من الإبل: البِيض الكرام ينظر اللسان والتاج (عطل - هجن) وفيهما البيت.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥، والأقوال السالفة قبله فيه، وينظر أيضاً تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٣، والنكت والعيون ٦/ ١٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٢٦.

(٧) في (يه): قراته. (؟).

القاف والرَّاء والتاء من غير همز ولا ألف في الثلاثة[١]، ولم يتكلَّم على توجيه هذه القراءة الشاذَّة.

ووجه اللفظ الأول أنه مصدر، أي: إنَّ علينا جمعَه وقُرآنه[٢]، فنقل حركة الهمزة إلى الراء الساكنة وحذفَها فبقي «قرته»[٣] كما ترى.

وأمَّا الثاني فإنه فعلٌ ماضٍ أصلُه: فإذا قَرَأْتَهُ، أي: أردتَ قراءتَه، فسَكَّنَ الهمزة، فصار: قَرَاتَهُ[٤]، ثم حذفَ الألفَ على جهة الشُّذوذ كما حُذفت في قول العرب: ولَوْ تَرَ ما الصِّبْيانَ، يريدون: ولو ترى ما الصِّبْيانَ[٥]، و«ما» زائدة.

وأمَّا اللفظ الثالث فتوجيهُه توجيهُ اللفظِ الأوَّل، أي: فإذا قرأتَه، أي: أردتَ قراءتَه فاتَّبِعْ قراءتَه بالدَّرْسِ أو بالعمل.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ قال قتادة وجماعة: أنْ نُبَيِّنَهُ لك ونُحَفِّظَكَهُ، وقيل: أن تُبَيِّنَه أنت.

وقال قتادة أيضاً: أنْ نُبَيِّنَ حلالَه وحرامَه ومُجملَه ومفسَّرَهُ[٦].

وفي «التحرير والتحبير»[٧] قال ابنُ عباس: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي: حِفْظَه في جَنَانِك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: تأليفَه على لسانِك.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥ (والكلام منه): الثالثة، ونقل السمينُ القراءةَ في الدُّرّ ١٠/ ٥٧٣ عن ابن عطية بلفظ: «إنَّ علينا جَمْعَهُ وقُرانَهُ، فإذا قَرَتَهُ فاتَّبِعْ قُرَانَهُ» بفتح القاف... الخ دون قوله: في الثالثة. وقيَّدَ اللفظة الثانية بفتح القاف والراء والتاء، وأما الأولى والثالثة فجعلَها من قراءة ابن كثير دون همز: «قُرانَهُ».

(٢) في المطبوع: وقراءته.

(٣) كذا. ولعلها: قُرانَه، ليتوافق مع توجيه الكلام قبله، ومع كلام السمين كما سلف قبل تعليق. والله أعلم.

(٤) يعني بألف بعد الراء المفتوحة. وعبارة الدُّرّ المَصُون: أبدلَ الهمزةَ ألفاً لسكونها بعد فتحة.

(٥) في الدّرّ المصون ١٠/ ٥٧٤: ولو ترى الصِّبْيَان.

(٦) الكلام من المحرر الوجيز، وينظر أيضاً في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٤، والنكت والعيون ٦/ ١٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٢١.

(٧) هو لابن النقيب شيخ المصنف، سلف ذكره في المقدمة، وتكرَّر ذكرُه مراراً في الكتاب.

وقال الضحَّاك: نُثَبِّته في قلبك بعد جمعِه لك.

وقيل: جمعه بإعادة جبريل عليك مرة أخرى إلى أنْ يثبتَ في صدرك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ قال ابنُ عباس: أنزلناه إليك فاستَمِعْ قراءتَه، وعنه أيضاً: فإذا يُتْلَى عليك فاتَّبِعْ ما فيه.

وقال قتادة: فاتَّبِعْ حلالَه واجتنِبْ حرامَه[١].

وقد نَمَّقَ الزمخشريُّ بحُسنِ إيرادِهِ تفسيرَ هذه الآية فقال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا لُقِّنَ الوَحْيَ نازَعَ جبريلَ القراءةَ، ولم يَصْبِرْ إلى أنْ يُتِمَّها مُسارَعةً إلى الحفظ وخوفاً مِنْ أنْ يتفلَّتَ منه، فأُمِرَ بأن يَسْتَنْصِتَ له مُلقياً إليه بقلبِه وسمعِه حتى يُقْضَى إليه وَحْيُه ثم يُقَفِّيهِ[٢] بالدِّراسة إلى أن يرسَخَ فيه.

والمعنى: لا تُحَرِّكْ لسانَكَ بقراءةِ الوَحْي ما دامَ جبريلُ يقرأ «لِتَعْجَلَ به»: لتأخذَه على عَجَلَة ولئلا يتفلَّتَ منك.

ثم علَّلَ النَّهيَ عن العَجَلةِ بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صَدْرِك وإثباتَ قراءتِه في لسانِك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ جعلَ قراءةَ جبريلَ قراءتَه، والقرآنُ: القراءةُ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: فكُنْ مُقَفِّياً له فيه، ولا تُراسِلْه، وَطَأْمِنْ[٣] نفسَك أنه لا يبقَى غيرَ محفوظ، فنحنُ في ضمان تحفيظِه.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ إذا أشكلَ عليك شيءٌ من معانيه كأنَّه كانَ يَعْجَلُ في الحفظِ والسؤالِ عن المعنى جميعاً كما ترى بعضَ الحُرَّاص على العلم، ونحوُه قولُه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] انتهى.

وذكر أبو عبد الله الرازيّ في «تفسيره»[٤] أنَّ جماعة من قدماء الروافض

---

(١) ينظر النكت والعيون ٦/١٥٦.

(٢) أي: يُتْبِعُهُ، ووقع في المطبوع: يُعْقِبُه، والكلام في الكشاف ٤/١٩١.

(٣) أي: طَمْئِنْ، يقال: طَأْمَنَ وطَامَنَ، أي: طَمْأَنَ.

(٤) الجزء (٣٠) ص٢٢٢ وما بعدها.

زعموا أنَّ القرآن قد غُيِّرَ وبُدِّل، وزِيد فيه ونُقص منه، وأنهم احتجُّوا بأنه لا مناسبةَ بين هذه الآية وما قبلَها، ولو كان التركيب من الله تعالى ما كان الأمر كذلك.

ثم ذكر الرازيُّ مناسباتٍ على زعمه يُوقف عليها في كتابه.

ويظهرُ أنَّ المناسبةَ بين هذه الآية وما قبلَها أنه تعالى لمَّا ذَكَرَ مُنكِر القيامة والبعث معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصِرٌ شهواتِه على الفجورِ غيرُ مكترِثٍ بما يصدرُ منه؛ ذَكَرَ حالَ من يُثابر على تعلُّم آياتِ الله وحفظِها وتَلَقُّفِها والنظرِ فيها وعرضِها على من يُنكرُها رجاءَ قبولِه إياها، فظهرَ بذلك تباينُ من يرغبُ في تحصيل آياتِ الله ومن يرغبُ عنها: «وبضدِّها تَتَميَّزُ الأشياءُ»[1].

ولمَّا كان عليه الصلاة والسلام لمثابرتِه على ذلك كان يُبادِرُ للتحفُّظ بتحريكِ[2] لسانِه؛ أخبرَه تعالى أنه يجمعُه له ويُوضِحُه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝﴾ لمَّا فَرَغَ من خطابِه عليه الصلاة والسلام رَجَعَ إلى حال الإنسانِ السابقِ ذِكْرُه المنكرِ البعث، وأنَّ همَّه إنما هو في تحصيل حُطام الدُّنيا الفاني لا في تحصيلِ ثوابِ الآخرة، إذْ هو منكرٌ لذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ﴾ بتاء الخطاب لكفَّار قريش المنكرين البعث. و«كلَّا» ردٌّ عليهم وعلى أقوالهم، أي: ليس كما زعمتُم، وإنما أنتم قومٌ غلبت عليكم محبَّةُ شهواتِ الدُّنيا حُبًّا[3] تتركون معه الآخرةَ والنظرَ في أمرِها.

---

(١) هو عجز بيت للمتنبي في ديوانه ١/١٤٩ برواية: وبضدِّها تَتَبيَّنُ الأشياء، وصدرُه: ونَذِيمُهم وبهم عَرَفْنا فَضْلَهم. قوله: نَذِيمُهم، أي: نَذُمُّهم، ذَامَهُ يَذِيمُه: عابَه وذَمَّهُ.

(٢) في (ع) و(يه): تحريك.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: حتى، بدل: حبًّا، والمثبت من (يه)، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥.

وقال الزمخشريّ: «كلا» رَدْعٌ. وذَكَرَ في كتابه ما يُوقف عليه فيه.

وقرأ مجاهدٌ والحسنُ وقتادةُ والجَحْدَرِيُّ وابنُ كثير وأبو عَمرو وابنُ عامر بياء الغَيْبَة فيهما[١].

ولمَّا وَبَّخَهم بحبِّ العاجلةِ وتَرْكِ الاهتمامِ بالآخرة؛ تَخَلَّصَ إلى شيء من أحوال الآخرة، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ وعبَّر بالوجه عن الجملة[٢].

وقرأ الجمهور: «ناضرة» بألف، وزيدُ بنُ علي: «نَضِرَة» بغير ألف.

وقال ابنُ عطية[٣]: «وُجُوهٌ» رفعٌ بالابتداء، وابتدأ بالنَّكرة لأنها تخصَّصت بقوله: «يومئذ»، و«ناضِرَة» خبرُ «وُجُوهٌ»، وقولُه: «إلى ربِّها ناظرة» جملةٌ هي في موضع خبر بعد خبر. انتهى.

وليس «يومئذ» تخصيصاً للنكرة فيسوغَ الابتداء بها لأنَّ ظرف الزمان لا يكون صفةً للجُثَّة، وإنَّما يكونُ «يومئذ» معمولٌ لـ «ناضرة» وسوَّغَ جواز الابتداءِ بالنكرة كونُ الموضعِ موضعَ تفصيل، و«ناضرة» الخبر، و«ناظرة» صفة.

وقيل: «ناضِرَة» نعت لـ «وجوه»، و«إلى ربِّها ناظرة» الخبر، وهو قولٌ سائغ.

ومسألةُ النظر ورؤيةُ الله تعالى مذكورة في علم أصول الدِّين ودلائلِ الفريقين أهلِ السُّنَّة وأهلِ الاعتزال، فلا نُطيل بذكرِ ذلك هنا.

ولما كان الزَّمخشريُّ من المعتزِلة، ومذهبُه أنَّ تقديمَ المفعول يَدُلُّ على الاختصاص قال هنا: ومعلومٌ أنهم ينظُرون إلى أشياءَ لا يُحيطُ بها الحَصْرُ في محشرٍ يجتمعُ فيه الخلائق، فاختصاصُه بنظرِهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجَبَ حملُه

(١) قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو في السبعة ص٦٦١، والتيسير ص٢١٧. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥.

(٢) أي: جملة البَدَن، والكلام في الكشاف ٤/ ١٩٢، قال البيضاوي: وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥.

على معنًى يَصِحُّ[1] معه الاختصاص، والذي يصحُّ معه أن يكونَ من قول الناس: أنا إلى فلانٍ ناظرٌ ما يصنعُ بي. تريد معنى التوقُّعِ والرَّجاء، ومنه قول القائل:

وإذا نظرتُ إليك من مَلِكٍ والبحرُ دُونَكَ زِدْتَني نِعَماً[2]

وسمعتُ سَرَوِيَّةً مُسْتَجْدِيَةً بمكة وقتَ الظهر حين يُغلقُ الناسُ أبوابَهم ويأوون إلى مَقَايِلِهِم تقولُ: عُيَيْنَتِي ناظرةٌ[3] إلى الله وإليكم.

والمعنى أنهم لا يتوقَّعون النِّعمةَ والكرامةَ إلا من ربِّهم، كما كانوا في الدُّنيا لا يَخْشَوْنَ ولا يرجون إلا إياه. انتهى[4].

وقال ابنُ عطيَّة[5]: ذهبُوا - يعني المعتزلة - إلى أنَّ المعنى: إلى رحمةِ ربِّها ناظرة، أو: إلى ثوابِه أو مُلْكه، فقدَّرُوا مُضافاً محذوفاً. وهذا وجهٌ سائغٌ في العربية كما تقول: فلانٌ ناظرٌ إليك في كذا، أي: إلى صُنعِك في كذا. انتهى.

والظاهر أنَّ «إلى» في قوله: «إلى ربِّها» حرفُ جَرّ يتعلق بـ «ناظرة»، وقال بعض المعتزلة: «إلى» هنا واحد الآلاء، وهي النِّعَم، وهي مفعول به معمول لـ «ناظرة» بمعنى: منتظرة[6].

---

(١) المثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٩٢، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: لا يصحُّ، وهو خلاف مراد الزمخشري.

(٢) المصدر السالف.

(٣) في المصدر السالف: نُوَيْظِرة.

(٤) رَدَّ مكّيّ هذا القول - فيما ذكر السَّمِين - بأن دخول «إلى» مع النظر يدلُّ على أنه نظرُ العين وليس من الانتظار، تقول: نظرتُ إلى زيد، ولا تقول: انتظرت إلى زيد... فمن قال إن «ناظرة» بمعنى منتظرة فقد أخطأ في المعنى وفي الإعراب. ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٨، والدُّرّ المصون ١٠/ ٥٧٧. وذكر البيضاوي أيضاً في تفسيره أن النظر بمعنى الانتظار مردود، لأن الانتظار لا يُسند إلى الوجه، وذكر أيضاً أن معنى قول الشاعر السالف هو بمعنى السؤال لا الانتظار.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥.

(٦) ذكره القرطبي ٢١/ ٤٣١، وردَّه وقال: المنتظر للشيء متنغِّص العيش، فلا يوصف أهل الجنة بذلك.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ يجوز أن يكون «وُجُوه» مبتدأ، خبرُهُ «باسِرَة»، و«تظنُّ» خبرٌ بعد خبر، وأن تكون «باسِرَة» صفة، و«تظنُّ» الخبر.

والفاقرة قال ابنُ المسيِّب: قاصمةُ الظَّهر.

و«تظنُّ» بمعنى تُوقِنُ، أو يغلبُ على اعتقادِها وتتوقَّع أنْ يُفعل بها فِعلٌ هو في شدَّته داهيةٌ[1] تَقْصِمُ[2].

وقال أبو عبيدة[3]: «فاقرة» من: فَقَرْتُ البعيرَ: إذا وَسَمْتَ أنفَه بالنار.

«كلا» رَدْعٌ لهم عن إيثار الدُّنيا على الآخرة وتذكيرٌ لهم بما يؤولون إليه من الموت الذي تنقطعُ العاجلةُ عنده، وينتقلُ منها إلى الآجلة.

والضمير في «بلغت» عائد إلى النفس الدالِّ عليها سياقُ الكلام كقول حاتم[4]:

لَعَمْرُكَ ما يُغني الثَّراءُ عن الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ

وتقول العرب: أرْسَلَتْ، يريدون: جاء المطر، ولا تكاد تسمعُهم يقولون السَّماء. وذَكَّرَهم تعالى بصعوبة الموت، وهو أوَّلُ مراحلِ الآخرة حين تبلغُ الرُّوحُ التَّراقيَ ودَنَا زهوقُها.

«وقيل» مبنيّ للمفعول، فاحتملَ أن يكون القائلَ حاضِرُو المريضِ، طلبُوا له مَنْ يَرْقي ويَطِبُّ ويَشْفي، وغيرَ ذلك ممَّا يتمنَّاه له أهلُه. قاله ابنُ عباس والضحَّاك وأبو قِلَابة وقتادة[5]، وهو استفهامٌ حقيقة.

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: أن يُفعل بها فاقرةٌ فعلٌ هو في شدةِ داهيةٍ، والمثبت من (يه)، والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٩٢.

(٢) في المصدر السالف: تَقْصِمُ فَقَار الظَّهر.

(٣) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨، والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٥.

(٤) ديوانه ص٣٩. وينظر الكشاف ٤/ ١٩٢.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥١٣، والنكت والعيون ٦/ ١٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٣٤.

وقيل: هو استفهام استبعاد وإنكار، أي: قد بلغَ مبلغاً لا أحدَ يَرْقيه كما يقول[١] [القائلُ] عند اليأس[٢]: مَنْ ذا الذي يقدرُ أن يَرْقِيَ هذا المُشْرِفَ على الموت؟ قاله عكرمة وابنُ زيد.

واحتمل أن يكون القائل الملائكة، أي: من يَرْقَى بروحِهِ إلى السماء؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ قاله ابنُ عباس أيضاً وسليمان التَّيميّ. وقيل: إنما يقولون ذلك لكراهتهم الصعودَ بروح الكافر لخُبثها ونَتَنِها، ويدلُّ عليه قوله بعد: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ الآية.

ووقف حفصٌ على «مَنْ» وابتدأ: «راق»، وأدغم الجمهور[٣]، قال أبو علي: لا أدري ما وجهُ قراءتِه، وكذلك قرأ ﴿بَلْ رَانَ﴾[٤] [المطفّفين: ١٤]. انتهى. وكأنَّ حفصاً قَصَدَ أن لا يُتَوَهَّم أنها كلمةٌ واحدة، فسكتَ سكتاً لطيفاً ليُشعِرَ أنهما كلمتان[٥].

وقال سيبويه. إنَّ النون تُدغم في الراء، وذلك نحو: من راشد، والإدغام بغُنَّة وبغير غُنَّة[٦]. ولم يذكر البيان[٧]، ولعل ذلك من نقلِ غيرِه من الكوفيِّين، وعاصمٌ شيخُ حفص يُذكَر أنه كان عالماً بالنَّحو.

وأمّا «بَلْ رَانَ» فقد ذكر سيبويه أنَّ اللامَ البيانُ فيها والإدغام مع الراء حَسَنان،

---

(١) كلمة «يقول» من (يه) وكلمة «القائل» بعدها بين حاصرتين من تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣١، وينظر روح المعاني ٢٨/ ١١٦.

(٢) المثبت من (ع)، وهو موافق للمصدرين السالفين، وتحرَّفت اللفظة في (أ) و(ت) و(يه) والمطبوع إلى: الناس.

(٣) السبعة ص٦٦١، والتيسير ص١٤٢.

(٤) الحجة ٦/ ٣٤٦ ونقله ابن عطية عن أبي علي في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦.

(٥) قال القرطبي ٢١/ ٤٣٤: لئلا يُشبه مَرَّاق، وهو بائع المَرَقة، وبَرَّان في تثنية البَرّ، ثم قال: وكسرة القاف في «من رَاقٍ» وفتحة النون في «بل رانَ» تكفي في زوال اللَّبْس.

(٦) ينظر الكتاب ٤/ ٤٥٢.

(٧) يعني الإظهار.

فلما أفرطَ في شأن البيان[١] في «بَلْ رانَ» صار كالوقف القليل.

﴿وَظَنَّ﴾ أي: المريضُ ﴿أَنَّهُ﴾ أي: ما نزلَ به ﴿ٱلْفِرَاقُ﴾ فراقُ الدنيا التي هي محبوبتُه، والظنُّ هنا على بابه. وقيل: فراقُ الرُّوح الجسد.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابنُ عباس والحسن والربيع بنُ أنس وإسماعيل بنُ أبي خالد: استعارة لشدَّةِ كَرْبِ الدنيا في آخر يوم منها، وشدَّةِ كَرْبِ الآخرةِ في أوَّلِ يومٍ منها لأنه بين الحالين قد اختلطا به[٢]، كما يقول: شَمَّرَتِ الحَرْبُ عن ساق، استعارة لشدَّتها.

وقال ابنُ المسيِّب والحسنُ: هي حقيقة، والمرادُ ساقا الميِّت عندما لُفَّا في الكَفَن.

وقال الشعبي وقتادة وأبو مالك: التفافُهما بشدَّةِ المرضِ، لأنه يقبضُ ويبسُطُ ويُركِّبُ هذه على هذه.

وقال الضحَّاك: أسوقُ حاضِريهِ من الإنس والملائكة، هؤلاء يجهِّزُونه إلى القبر، وهؤلاء يجهِّزونَ رُوحَه إلى السماء[٣].

وقيل: التفافُهما موتُهما أولاً، إذ هما أوَّلُ ما تخرجُ الرُّوحُ منهما، فتبرُدانِ قبلَ سائر الأعضاء.

وجوابُ «إذا» محذوف تقديرُه: وَجَدَ ما عملَه في الدُّنيا من خيرٍ وشرّ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ إلى موعود ربِّك المَسَاق[٤]، المرجِعُ والمصيرُ - و«المَسَاق» مَفْعَل من السَّوْق، فهو اسمُ مصدر - إمَّا إلى جنَّة وإمّا إلى نار.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ الجمهورُ أنها نزلت في أبي جهل، وكادت أن تصرِّحَ

---

(١) في (يه): بيان اللام، بدل: شأن البيان.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦ (والكلام منه): له، بدل: به.

(٣) ينظر ما سلف من أقوال (مفرَّقة) في تفسير الطبري ٢٣/ ٥١٦-٥١٩، والنكت والعيون ٦/ ١٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٣٥.

(٤) قوله: إلى موعود ربِّك المساق، من (ع) و(يه)، ووقع في (ع): موعد، بدل: موعود.

به في قوله: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ فإنها كانت مِشْيَتَه ومِشْيَةَ قومِهِ بني مخزوم، وكان يُكْثِرُ منها[1]، وتقدَّم أيضاً أنه قيل في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ أنها نزلت في أبي جهل.

وقال الزمخشري[2]: يعني الإنسان في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ وهو معطوفٌ على قوله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ أي: لا يؤمنُ بالبعث، فلا صدَّق بالرَّسول والقرآن، ولا صلَّى، ويجوز أن يُرادَ: فلا صَدَّقَ مالَه، يعني: فلا زكَّاهُ. انتهى.

وكون «فلا صَدَّقَ» معطوفاً على قوله: «يَسْأَلُ» فيه بُعدٌ، و«لا» هنا نَفَتِ الماضي، أي: لم يُصَدِّقْ ولم يُصَلِّ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ «لا» تدخلُ على الماضي فتَنْفيه[3]، ومثلُه قولُه:

وأيُّ خَمِيسٍ لا أَفأْنا[4] نِهابَهُ وأَسْيَافُنا يَقْطُرْنَ من كَبْشِهِ دَمَا[5]

وقولِ الرَّاجز:

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وأَيُّ عَبْدٍ لكَ لا أَلَمَّا[6]

و«صَدَّقَ» معناه برسالة الله، وقال قوم: هو من الصَّدَقة[7]، وهذا الذي يظهر،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٩٣.

(٣) تحرَّفت اللفظة في (أ) و(ت) والمطبوع إلى: فتنصبه.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: أتانا.

(٥) البيت لطَرَفة كما في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨، والكامل ٢/ ١٠٤٤، وهو في ملحق ديوانه ص١٩٥ (طبعة المجمع) قوله: أفأنا؛ قال المبرِّد: أي: رَدَدْنا، يقال: أفاءه، أي: ردَّه. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦.

(٦) الرَّجز لأمية بن أبي الصلت قاله عند موته، وهو في ديوانه ص١١٤، ونُسب في شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٣٤٦ لأبي خراش الهُذلي، قال البغدادي في خزانة الأدب ٢/ ٢٩٥: أخذه أبو خِراش وضمَّه إلى بيت آخر كان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧؛ قال ابن عطية: والأول أصوب. وينظر التعليق التالي.

نَفَى عنه الزكاةَ والصلاةَ، وأثبتَ له التكذيب، كقوله: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ وحَمْلُ «فلا صدَّقَ» على نفي التصديق بالرِّسالة يقتضي أن يكون «ولكنْ كَذَّبَ» تكراراً، ولَزِمَ أن يكون «لكنْ» استدراكاً بعد «ولا صَلَّى» لا بعدَ «فلا صَدَّقَ» لأنه كان يتساوَى الحُكم في «فلا صَدَّقَ» وفي «كذَّب»، ولا يجوز ذلك، إذ لا تقع «لكنْ» بين متوافقَيْن(١).

«وتَوَلَّى»: أعرضَ عن رسول الله ﷺ، وكذَّبَ بما جاءَ به.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: قومه ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يتبختر في مِشْيَتِه، رُويَ أنَّ رسول الله ﷺ لَبَّبَ أبا جهلٍ يوماً في البطحاء وقال له: إنَّ الله يقول لك: «أَوْلَى لك فأَوْلَى». فنزلَ القرآن على نحوها(٢)، وقالتِ الخنساء(٣):

هَمَمْتُ بنفسِيَ كلَّ الهُمُوم ... فأَوْلَى لنفسيَ أَوْلَى لها

وتقدَّم الكلام على «أَوْلَى» شرحاً وإعراباً في قوله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ في سورة القتال [٢٠]. وتكرارُهُ هنا مبالغة في التهديد والوَعِيد.

ولمَّا ذكرَ حالَه في الموت وما كان من حالِه في الدُّنيا قَرَّرَ له أحوالَه في بدايتِه ليتأمَّلها فلا ينكرَ معها جَوازَ البعث من القبور.

وقرأ الجمهور: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ بياء الغيبة، والحسنُ بتاء الخطاب(٤) على سبيل الالتفات.

وقرأ الجمهور: «تُمْنَى» أي: النُّطفة يُمْنِيها الرَّجل، وابنُ مُحَيْصِن والجَحْدَرِيّ

---

(١) نقله الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٢٠ عن أبي حيَّان وقال: فيه نظر، وكان قال قبله: «صَدَّقَ» من التصديق هو المَرْوِيُّ عن قتادة.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٢٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٣٩.
(٣) ديوانها ص١٢١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧.

وسلَّام ويعقوبُ وحفصٌ وأبو عَمرو بخلافٍ عنه بالياء[١]، أي: يُمْنَى هو، أي: المنيّ.

﴿فَخَلَقَ﴾ أي: اللهُ منه بَشَراً مركّباً من أشياءَ مختلفة ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: سَوَّاه شخصاً مستقلاً. ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: النوعين، أو المزدوجين من البشر.

وفي قراءة زيد بنِ عليّ: «الزَّوجان» بالألف، وكأنَّه على لغة بني الحارث بن كعب ومن وافقَهم من العرب من كون المثنَّى بالألف في جميع إعرابه.

وقرأ أيضاً: «يَقْدِرُ» مضارعاً، والجمهور: «بقادر» اسم فاعل مجرور بالباء الزائدة.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الخالقُ المُسَوِّي ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ وفيه توقيفٌ وتوبيخٌ لمنكرِ البعث.

وقرأ طلحة بنُ سليمان والفيَّاضُ بنُ غزوان بسكون الياء من قوله: ﴿أَن يُحْـِۧيَ﴾[٢] وهي حركة إعراب لا تنحذفُ إلا في الوقف، فكأنه أجْرَى الوَصْل مُجْرَى الوَقْف[٣]، وقد جاء في الشِّعر حَذْفُها، وقرأ الجمهورُ بفتحها.

وجاء عن بعضهم: «يُحِيَّ» بنقلِ حركة الياء إلى الحاء وإدغام الياء في الياء، قال ابن خالويه[٤]: لا يُجيزُ أهلُ البصرة سيبويهِ وأصحابُه إدغامَ «يُحْيِي» قالوا: لسكون الياء الثانية، ولا يعتدُّون بالفتحة في الياء لأنها حركةُ إعراب غير لازمة، وأمَّا الفرَّاء فاحتجَّ بهذا البيت:

تمشي بِسُدَّةِ بَيْتِها فتُعِيُّ[٥]

يريد: فتُعْيِيْ. واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) السبعة ص٦٦٢ والتيسير ص٢١٧ عن حفص، والنشر ٢/ ٣٩٤ عن يعقوب، وجامع البيان ٢/ ٤٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٤٢ عن طلحة بن سليمان، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧ ووقع فيه: طلحة بن مصرِّف وسليمان والفيَّاض بن غزوان، وهو خطأ.

(٣) قوله: فكأنه أجرى الوصل مُجْرَى الوقف، من (ب).

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٣، وشطر البيت فيه غير منسوب، وصدرُه: وكأنها بين النساء سَبِيكةٌ. وينظر الكتاب ٤/ ٤٠٣، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٥٨.

مفردات سورة الدَّهر

الأمْشَاجُ: الأخْلاط، واحدُها: مَشَجٌ، بفتحتين، أو مِشْج، كعِدْل، أو مَشِيج، كشَرِيف وأشراف[1]، قاله ابنُ الأعرابي. وقال رُؤبة[2]:

يَطْرَحْنَ كلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاجِ ... لم يُكْسَ جِلْداً مِنْ دَمٍ أَمْشَاجِ

وقال الهُذَليّ:

كأنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ منها ... خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ[3]

وقال الشَّمَّاخ:

طَوَتْ أحشاءَ مُرْتِجَةٌ لوقتٍ ... على مَشَجٍ سُلَالتُهُ مَهِينِ[4]

ويقال: مَشَجَ يَمْشِجُ مَشْجاً: إذا خَلَطَ، ومَشِيج كخليط، ومَمْشُوج كمخلوط.

مَزَجَ الشيءَ بالشيء: خَلَطَهُ، وقال الشاعر:

كأنَّ سَبِيئَةً من بيتِ رَأْسٍ ... يكونُ مِزَاجَها عَسَلٌ وماءُ[5]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨-٤٠٩، وقيَّد صاحب القاموس الكلام بقوله: وشيءٌ مَشِيج، كقتيل، وسَبَب، وكَتِف في لغتيه (أي: كَتْف وكِتْف).

(٢) ديوانه ص٣٢.

(٣) البيت لعمرو بن الداخل، وهو في ديوان الهُذليين ٣/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٧، واللسان (مشج)، والكامل ٢/ ١٠١٦، وروايةُ صدره فيه: كأنَّ المتنَ والشرخين منه. والفُوقُ: موضع الوتر من السهم.

(٤) ديوان الشَّمَّاخ ص٣٢٨. وينظر الكامل ٢/ ١٠١٧، والكشاف ٤/ ١٩٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٧، وخزانة الأدب ٤/ ٣٤٩.

(٥) البيت لحسان، وهو في ديوانه ص٨، قال المبرِّد في الكامل ١/ ١٦٤: يقال سبأتُها: إذا

استطارَ الشيءُ: انتشَرَ، وتقول العرب: استطارَ الصَّدْعُ في القارورة وشِبْهِها واستطالَ[(١)]، ومنه قول الشاعر:

فبانَتْ وقد أَسْأَرَتْ في الفؤا ... دِ صَدْعاً على نَأْيِها مُسْتَطِيرَا[(٢)]

وقال الفرَّاء: مستطير: مستطيل.

يقال: يومٌ قَمْطَرِير، وقُمَاطِر، واقْمَطَرَّ، فهو مُقْمَطِرٌّ: إذا كان صعباً شديداً. وقال الراجز:

قَدْ بَكَّرَتْ شَبْوَةُ[(٣)] تَزْبَئِرُّ ... تَكْسُو اسْتَهَا لحماً وتَقْمَطِرُّ[(٤)]

وقال الشاعر:

فَفِرُّوا إذا ما الحَرْبُ ثارَ غُبارُها ... ولَجَّ بها اليومُ الشديدُ القُمَاطِرُ[(٥)]

وقال الزَّجَّاج[(٦)]: القَمْطَرِير الذي يَعْبِسُ[(٧)] حتى يجتمعَ ما بين عينيه، ويقال:

= اشتريتَها سِباءً، يعني الخمر، والسابئ: الخمَّار، وبيت رأس: موضع. اهـ. وقوله: «مِزاجَها» بالنصب رواية سيبويه على أنه خبر «يكون» وهو معرفة، و«عسلٌ» اسمها، وهو نكرة، وجوَّز أبو البقاء زيادة «يكون» بلفظ المضارع، وادَّعى أنها زائدة على رواية رفع «مزاجها» على المبتدأ، و«عسل» خبرها، ذكره البغدادي في خزانة الأدب، الشاهد (٧٣٢) وفيه بحث ينظر ثمة.

(١) معاني القرآن للفراء ٣/٢١٦. ونقله عنه القرطبي ٢١/٤٥٨.

(٢) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٤٣ برواية: أورثَتْ، بدل: أسأرت، وهو برواية المصنف في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ٢١/٤٥٨.

(٣) في مطبوع البحر: قد جعلت شَبْوةُ. وينظر التعليق التالي.

(٤) جمهرة اللغة (شبو)، والمستقصى في الأمثال ٢/ ١٩٠، وجمهرة الأمثال ١/ ١٠٠، وهو في اللسان (قمطر) برواية: قد جَعَلَتْ شبوةُ... الخ، وكذلك هو في اللسان (شبو) وبرواية: تقشعرُّ، بدل: تقمطرُّ. وشَبْوَة: العقرب، قال الفيروز أبادي: وتدخلها «أل». اهـ. وتزبئرُّ: تنتفش.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٥/٤١١، وتفسير القرطبي ٢١/٤٦٨، وروايته فيها: العَبُوسُ القُماطِرُ.

(٦) ينظر معانيه ٥/٢٥٩.

(٧) تحرَّفت اللفظة في (أ) والمطبوع إلى: يعيش.

اقْمَطَرَّتِ الناقة: إذا رفعَتْ ذنَبَها، وجمعت قُطْرَيْها، وزمَّتْ بأنفِها، فاشتقَّه من القُطْر وجعلَ الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة:

واصْطَلَيْتُ الحروبَ في كلِّ يومٍ باسلِ الشَّرِّ قمطريرِ الصَّباحِ[1]

واختُلف في هذا الوزن، وأكثرُ النحاة لا يثبت «افمعلّ» في أوزان الأفعال.

الزَّمهرير: أشَدُّ البرد، وقال ثعلب: هو القمرُ بلغة طَيِّئ، وأنشدَ قول الراجز:

وليلةٍ ظَلامُها قدِ اعتَكَرْ
قَطَعْتُها والزَّمْهَرِيرُ ما زَهَرْ[2]

القارورة: إناءٌ رقيقٌ صافٍ توضعُ فيه الأشربة، قيل: ويكون من الزُّجاج.

الزَّنْجَبِيل؛ قال الدِّينَوَرِيّ[3]: نبتٌ في أرضِ عُمان، عروقٌ تَسْرِي في الأرض وليس بشجرة، يؤكلُ رَطْباً، وأجودُه ما يُحْمَلُ من بلاد الصِّين، كانت العربُ تُحِبُّهُ لأنه يُوجب لَذْعاً في اللسان إذا مُزِج بالشراب فيَلْتَذُّونَ به، قال الشاعر:

كأنَّ جَنِيًّا من الزَّنْجَبِيـ ـلِ بَاتَا بِفِيها وأرْياً مَشُورَا[4]

وقال المسيَّب بنُ عَلَس:

وكأنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبيلِ بهِ إذْ ذُقْتَهُ وسُلافَةَ الخمرِ[5]

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٧ (والكلام منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٨.

(٢) ينظر الرَّجز والكلام قبله في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٢، والكشاف ٤/ ١٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧١. والرَّجز أيضاً في النكت والعيون ٦/ ١٩٦ برواية: ما ظهر.

(٣) في كتاب النبات ص٢١٤.

(٤) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٤٣، برواية: خالط فاها، بدل: باتا بفيها، وهو في الكشاف ٤/ ١٩٨ برواية: كأن القرنفل والزَّنجبيل... الخ. الأرْيُ: العَسَل، والمَشُور أي: المَجْنِيّ.

(٥) الشعر والشعراء ١/ ١٧٥، والنكت والعيون ٦/ ١٧١، والكشاف ٤/ ١٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٧، وسُلافةُ الخمر: أفضلها، والمسيَّب بن عَلَس خال الأعشى، واسمُه زهير، ولقِّب بالمسيَّب ببيت قاله.

السَّلْسَبِيل والسَّلْسَل والسَّلْسَالُ: ما كانَ من الشَّراب غايةً في السَّلاسَة، قاله الزَّجَّاج[١]، وقال ابنُ الأعرابيّ: لَم أسمع السَّلْسَبيلَ إلا في القرآن[٢].

«ثَمَّ» ظرف مكان للبُعْد.

* * *

سورة الدهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

هذه السورةُ مكيَّة في قول الجمهور[٣].

وقال مجاهد وقتادة: مدنية.

وقال الحسن وعكرمة: مدنية إلا آية واحدة فإنها مكيَّة، وهي ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

---

(١) بنحوه في معانيه ٥/ ٢٦١، وينظر الكشاف ٤/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، واللسان (سلسل).

(٣) لم أقف على هذا القول، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨ أن بعض المفسّرين قال: هي مكية كلها، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٧ في قول: أنها مدنية كلُّها، وقال القرطبي ٢١/ ٤٤٣ هو قول الجمهور.

وقيل: مدنيَّة إلا من قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ إلى آخرها، فإنه مكّيّ، حكاه الماورديُّ[١].

ومناسبتُها لِمَا قبلَها ظاهرةٌ جدًّا لا تحتاجُ إلى شرح.

«هل» حرف استفهام، وإن دخلَ على الجملة الاسمية لا يمكن تأويلُه بـ «قَدْ» لأنَّ «قَدْ» من خواصّ الفعل، وإن دخلت على الفعل فالأكثر أنْ تأتيَ للاستفهام المحض.

وقال ابنُ عبَّاس وقتادة: هي هنا بمعنى «قد»[٢]. قيل: لأنَّ الأصل: «أَهَلْ»، فكأنَّ الهمزة حُذفت واجْتزِئَ بها في الاستفهام، ويدلُّ على ذلك قوله:

سائِلْ فوارسَ يَرْبُوعٍ بجهلتها[٣] أهَلْ رَأَوْنا بِوادِي القُفِّ ذِي الأَكَمِ[٤]

فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعاً، أي: أتَى على الإنسان قبل زمان قريب حينٌ من الدَّهر. وقيل: «هل» هنا للاستفهام المحض، أي: هو ممَّن يُسألُ عنه لغرابته: أأَتَى عليه حينٌ من الدَّهرِ[٥] لم يكن كذا؟ فإنه يكون الجواب: أتَى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة.

ولما تُلِيَتْ عند أبي بكر ـ وقيل عند عُمر رضي الله تعالى عنهما ـ قال: ليتها تَمَّتْ. أي: ليت تلك الحالةَ تَمَّتْ، وهي كونُه شيئاً غيرَ مذكورٍ ولم يُخْلَقْ. ولم يُكلَّف[٦].

---

(١) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٦١، والمصادر السالفة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.

(٣) كذا في (أ) و(ع)، ورسمُها في (يه): بحلقتها، وفي المطبوع: لحلتها، ولم ترد هذه اللفظة في (ت). ولم تتبيَّن لي، وفي المصادر: بشدَّتنا.

(٤) البيت لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص١٠٠، وفيه: ... بشدَّتنا، أَهَلْ رَأَوْنا بسفح القاع... وكذا هو في خزانة الأدب ١١/ ٢٦١، والكشاف ٤/ ١٩٤ (وفيه عجزُه) وروايتُه في المقتضب ١/ ٤٤ وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦٣ والخصائص ٢/ ٤٦٣: بسفح القُفّ، والقُفُّ ـ كما في الأمالي ـ ما ارتفع من الأرض في صلابة.

(٥) من قوله: وقيل: «هل» للاستفهام... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣٧ عن عمر، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٦ عن أبي بكر ﷺ، وعن بعضهم في الكشاف ٤/ ١٩٤.

و«الإنسان» هنا جنس بني آدم، والحِينُ الذي مَرَّ عليه إمَّا حينُ عَدَمِه، وإمَّا حينُ كونِهِ نطفةً، وانتقالُه من رُتبة إلى رُتبة حتى حينِ إمكانِ خطابِه، فإنه في تلك المدَّة لا ذِكْرَ له، وسُمِّيَ إنساناً باعتبار ما صارَ إليه.

وقيل: آدمُ عليه السلام، والحينُ الذي مَرَّ عليه المدةُ التي بقيَ فيها إلى أنْ نُفِخَ فيه الرُّوح.

وعن ابن عبَّاس: بقيَ طيناً أربعين سنةً، ثم صَلْصالاً أربعين، ثم حَمَأً مَسْنُوناً أربعين، فَتمَّ خَلْقُه في مئة وعشرين سنةً[1] وسُمِّيَ إنساناً باعتبار ما آلَ إليه.

والجملةُ من «لَم يَكُنْ» في موضع الحال من الإنسان، كأنه قيل: غيرَ مذكور، وهو الظاهر، أو في موضع الصفة لـ «حِين» فيكونُ العائدُ على الموصوف محذوفاً، أي: لم يكن فيه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هو جنس بني آدم، لأنَّ آدمَ لم يُخلق من نُطفة.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط، وهو وصفٌ للنُّطفة، فقال ابن مسعود وأسامة بنُ زيد عن أبيه: هي العروقُ التي في النُّطفة.

وقال ابن عباس ومجاهد والرَّبيع: هو ماءُ الرجل وماءُ المرأة اختلطا في الرَّحِم، فخُلِقَ الإنسانُ منهما.

وقال الحسن: اختلاطُ النُّطفة بدم الحيض، فإذا حَبِلَتْ ارتفعَ الحيض.

وقال ابن عباس أيضاً وعكرمة وقتادة: «أمشاج» منتقلة من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى غير ذلك، إلى إنشائه إنساناً.

وقال ابن عباس أيضاً والكلبي: هي ألوانُ النُّطفة[2].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٤، وفيهما ذكرُ الحمأ المسنونِ قبل الصَّلْصَال.

(٢) تنظر الأقوال بعضها دون بعض في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٣٣-٥٣٥، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٦/ ١٦٢-١٦٣، والكشاف ٤/ ١٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٧-٤٤٨.

وقيل: أخلاط الدَّم والبَلْغَم والصَّفْراء والسَّوْدَاء.

والنُّطفة أُرِيدَ بها الجنس، فلذلك وُصفت بالجمع، كقوله: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] أو لتنزيل كلِّ جزءٍ من النُّطفةِ نطفةً.

وقال الزمخشري[١]: «نطفةٍ أمشاج» كبُرْمَةٍ أعْشَارٍ، وبُرْدٍ أكْيَاشٍ[٢]، وهي ألفاظٌ مفردة غيرُ جُمُوع، ولذلك وقعت صفاتٍ للأفراد، ويقال أيضاً: نطفةٌ مَشَجٌ، ولا يصحُّ «أمْشَاج» أن يكون تكسيراً له، بل هما مِثْلانِ في الإفرادِ لوصفِ المفردِ بهما. انتهى.

وقولُه مخالفٌ لنصِّ سيبويه والنَّحْويِّين على أنَّ «أفعالاً» لا يكون مفرداً، قال سيبويه[٣]: وليس في الكلام «أفعال» إلا أن يُكَسَّرَ عليه اسماً للجميع، وما وَرَدَ من وصف المفرد بـ «أفعال» تأوَّلُوه[٤].

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبرُه بالتكليف في الدُّنيا، وعن ابنِ عبَّاس[٥]: نُصَرِّفُه في بطن أمِّه نطفةً ثم علقة، فعلى هذا هي حال مصاحِبة، وعلى أنَّ المعنى: نختبره بالتكليف، فهي حال مقدَّرة، لأنه تعالى حين خلقَه من نطفة لم يكن مُبتَلِياً له بالتكليف في ذلك الوقت.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يُراد: ناقلين له من حالٍ إلى حال، فسَمَّى ذلك ابتلاءً على طريق الاستعارة. انتهى. وهذا معنى قول ابن عباس.

وقيل: «نبتليه» بالإيجادِ والكونِ في الدُّنيا، فهي حال مقارِنة.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٤.

(٢) البُرْمَة: القِدْرُ من الحجارة، وأعشار، أي: مُكَسَّرة على عَشْرِ قِطَع. والبُرْد: ثوبٌ مخطَّط، وأكْياش، أي: أُعِيدَ غزلُه، مثل الخزّ والصوف، أو هو الرديء. ينظر القاموس.

(٣) ينظر الكتاب ٣/ ٤٩٦.

(٤) نقل السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٩٢ كلام المصنف هذا وتعقَّبه بقوله: هو (أي الزمخشري) لم يجعل «أفعالاً» مفرداً، إنما قال: يوصف به المفرد.

(٥) الكشاف ٤/ ١٩٥.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، الأصل: فجعلناه سميعاً بصيراً نبتليه، أي جَعلُه سميعاً بصيراً هو للابتلاء[١]. ولا حاجة إلى ادّعاء التقديم والتأخير، والمعنى يصحُّ بخلافه. وامتنَّ تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين، وهما كنايةٌ عن التمييز والفهم، إذ آلتهُما سببٌ لذلك، وهما أشرفُ الحواسّ تُدرَكُ بهما معظم المدرَكات.

ولمَّا جعلَه بهذه المثابةِ أخبرَ تعالى أنه هَدَاه إلى السبيل، أي: أرشدَه إلى الطريق، وعرَّفْناهُ[٢] مآلَ طريقِ النَّجاة ومآلَ طريق الهلاك، إذْ[٣] أرشَدْناه طريقَ الهُدى.

وقال مجاهد: سبيل السعادة والشقاوة.

وقال السُّدِّيّ: سبيل الخروج من الرَّحِم.

وقال الزمخشريّ: أي: مكَّنَّاهُ وأقْدَرْناهُ في حالتيه جميعاً، أو إذْ[٤]دعوناه إلى الإسلام بأدلَّة العقل والسمع كان معلوماً منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجَّة. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وقرأ الجمهور: «إمَّا» بكسر الهمزة فيهما، وأبو السَّمَّال وأبو العاج ـ وهو كثير بنُ عبد الله السُّلَميّ، شاميّ، وليَ البصرةَ لهشام بن عبد الملك ـ بفتحها فيهما[٥]، وهي لغة حكاها أبو زيد عن العرب، وهي التي عدَّها بعضُ الناس في حروف العطف، وأنشدوا:

تُلَقِّحُها أمَّا شَمالٌ عَرِيَّةٌ   وأمَّا صَباً جِنْحَ العَشِيِّ هَبُوبُ[٦]

(١) القولان في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.
(٢) في (أ) و(ت) والمطبوع: وعرَّفنا.
(٣) في (يه): أو، بدل: إذ.
(٤) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: وإذْ، بدل: أو إذ، ولفظة «إذْ» ليست في الكشاف ٤/ ١٩٥ (والكلام منه)، والمثبت من (يه).
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.
(٦) المقرّب ١/ ٢٣١، ورصف المباني ص١٠١، ونُسب في خزانة الأدب ١١/ ٨٧ لأبي القمقام، وذكر البغدادي فيه أن الفراء رواه: أيما، في الموضعين. وعَرِيَّة ـ كما في القاموس ـ الرِّيحُ الباردة.

وقال الزمخشريّ: وهي قراءة حسنة، والمعنى أمَّا شاكراً فبتوفيقنا، وأمَّا كفوراً فبِسُوءِ اختيارِه. انتهى[١].

فجلعَها «أمَّا» التفصيلية المتضمِّنة معنى الشرط، ولذلك تلقَّاها بفاء الجواب، فصار كقول العرب: أمَّا صديقاً فصديق.

وانتصب «شاكراً» و«كَفُوراً» على الحال من ضمير النصب في «هَدَيْناه».

وقال الزمخشريّ: ويجوز أن يكونا حالين من «السَّبِيل» أي: عرَّفْناه السَّبيل إمَّا سبيلاً شاكراً وإما سبيلاً كَفُوراً، كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١١] فوصفُ السَّبيلِ بالشكرِ والكفرِ مجاز. انتهى.

ولمَّا كان الشكرُ قلَّ من يتَّصفُ به قال: «شاكراً» ولمَّا كان الكفر كثُرَ من يتَّصفُ به[٢] ويكثُرُ وقوعُه من الإنسان بخلاف الشكر جاء «كفوراً» بصيغة المبالغة[٣].

ولمَّا ذكرَ الفريقين أتبعهما الوعيدَ والوعد.

وقرأ طلحة وعَمرو بن عُبيد وابن كثير وأبو عَمرو وحمزة: «سلاسلَ» ممنوع الصَّرف وَقْفاً ووصلاً، وقيل عن حمزة وأبي عَمرو الوقف بالألف[٤].

وقرأ حفص وابنُ ذكوان بمنع الصَّرْف، واختُلف عنهم في الوقف، وكذا عن البَزّيّ[٥].

وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلاً وبالألف المبدَلة منه وقفاً، وهي قراءة الأعمش، قيل: وهذا على ما حكاه الأخفش[٦] من لغة من يصرفُ كلَّ ما لا ينصرف

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٥. قال الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٣٢: وهذا التقدير إبرازٌ منه للمذهب.

(٢) في (يه): قلَّما يتصف به... كثر ما يتصف به...

(٣) بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.

(٥) ينظر السبعة ص٦٦٣، والتيسير ص٢١٧.

(٦) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.

إلا «أفعَل مِن» وهي لغة الشعراء، ثم كثُر حتى جرى في كلامهم، وعلّل ذلك بأنَّ هذا الجمع لمَّا كان يُجمع فقالوا: صواحبات يوسف[١]، ونواكسي الأبصار[٢]، أشبهَ المفرد، فجرى فيه الصَّرْف. وقال بعض الرُّجَّاز:

والصرفُ في الجمعِ أتَى كثيرا حتى ادَّعى قومٌ به التخييرَا[٣]

والصَّرْفُ ثابتٌ في مصاحف المدينةِ ومكةَ والكوفةِ والبصرة، وفي مصحف أُبيّ وعبدِ الله، وكذا «قوارير».

وروى هشام عن ابنِ عامر: «سلاسلَ» في الوصل، و«سَلاسِلا» بألف دون تنوين في الوقف، ورُويَ أنَّ من العرب من يقولُ: «رأيتُ عَمْرَا» بالألف في الوقف[٤].

﴿مِن كَأْسٍ﴾ «مِنْ» لابتداء الغاية.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ قال قتادة: يُمْزَجُ لهم بالكافور، ويُخْتَمُ لهم بالمِسْك[٥].

وقيل: هو على التشبيه، أي: طِيبِ رائحةٍ وبَرْدٍ كالكافور[٦].

---

(١) جاء هذا اللفظ في حديث عائشة رضي الله عنها في خبر مرضه ﷺ الذي قال فيه: «مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس» وهو في صحيح ابن حبان (٢١٢٠) وغيره، ولفظه في صحيح البخاري (٦٦٤) وصحيح مسلم (٤١٨): (٩٥): صواحب يوسف. قال الأخفش في معانيه (الشاهد ٢٥١): وهذا المذهب يكون فيه المذكر: صواحبون.

(٢) جاء هذا القول في بيت ذكره السمين في الدر المصون ١٠/ ٥٩٨، وهو للفرزدق:

وإذا الرِّجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهم خُضُعَ الرِّقابِ نواكسي الأبصارِ

قال السمين: الأصل: نواكِسين، فحذفت النون للإضافة، والياء لفظاً (لا خطًّا) لالتقاء الساكنين، وهذا على رواية كسر السين، والأشهر فيها نصبُ السين، فلما جُمع شابَهَ المفرداتِ فانصرف.

(٣) سلف في تفسير سورة الحج (٣٦).

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.

(٥) تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٥٣٩، والثعلبي ٦/ ٣٣٩، والكشاف ٤/ ١٩٥-١٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٤.

(٦) بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣٩ والقرطبي ٢١/ ٤٥٥، وفيهما آخر القول زيادة: لأن الكافور لا يُشرب.

وقال الكلبيّ: «كافور» اسم عين في الجنة[(١)]، وصُرفت لتوافق الآي.

وقرأ عبد الله: «قافورا» بالقاف بدل الكاف، وهما كثيراً ما يتعاقبان في الكلمة كقولهم: عربيّ قُحّ وكُحّ.

و«عَيْناً» بدل من «كافوراً»، أو مفعولاً[(٢)] بـ «يشربون» أي: ماءَ عَيْن، أو بدلٌ من محلّ «من كأس» على حذف مضاف، أي: يشربون خمراً خمرَ عَيْن، أو نصبٌ على الاختصاص.

ولما كانت الكأسُ مبدأ شُربِهم أتَى بـ «من» وفي «يشربُ بها» أي: يُمزجُ شرابُهم بها أتَى بالباء الدالَّةِ على الإلصاق، والمعنى: يشربُ عبادُ الله بها الخمرَ كما تقول: شربتُ الماءَ بالعسل[(٣)]، أو ضُمِّن «يشربُ» معنى «يَرْوَى» فعُدِّيَ بالباء[(٤)].

وقيل: الباء زائدة، والمعنى: يشربُها[(٥)]، وقال الهُذَليّ:

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثمَّ ترفَّعَتْ   مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[(٦)]

قيل: أي شَرِبْنَ ماءَ البحر، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «يَشْرَبُها»[(٧)].

و«عبادُ الله» هنا هم المؤمنون ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: يَبْثُقُونَها[(٨)] بعُودِ قَصَبٍ ونحوِه حيث

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٥، ونُسب القول في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٤ لابن عباس ﵄.
(٢) كذا. والجادَّة: أو مفعولٌ.
(٣) الكشاف ٤/ ١٩٦.
(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٦.
(٥) المصدران السالفان، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٠.
(٦) البيت لأبي ذُؤيب الهُذلي، وهو في ديوان الهُذَليين ١/ ٥٢. قال البطليوسي في شرح أدب الكاتب ٣/ ٣٧٢: وصفَ سحاباً ارتفعت من البحر، وهُذيل كلها تصف أن السحاب تستقي من البحر ثم تصعد في الجوّ، وقوله: متى لُججٍ، أي: من لُجج، وقيل: متى بمعنى وسط، والنَّئيج: المَرُّ السريع معه صوت. اهـ. وسلفَ قوله: «شَرِبْنَ بماء البحر» أول الكتاب في الكلام على البسملة.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وهذه القراءة تدلُّ على زيادة الباء. ينظر الدر المصون ١٠/ ٦٠٠.
(٨) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يثقبونها، وهو تحريف.

شاؤوا، فهي تجري عند كلِّ أحدٍ منهم، هكذا وردَ الأثر[(١)].

وقيل هي عينٌ في دارِ رسولِ الله ﷺ تفجّرُ[(٢)] إلى دور الأنبياء والمؤمنين.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ في الدُّنيا وكانوا يخافون[(٣)].

وقال الزمخشريّ: «يوفون» جوابُ مَنْ عَسَى يقولُ: ما لَهم يُرزقون ذلك؟ انتهى. فاستعملَ «عَسَى» صلة لـ «مَنْ» وهو لا يجوز، وأتى بعد «عَسَى» بالمضارع غير مقرون بـ «أَنْ» وهو قليل أو في شِعر.

والظاهر أنَّ المرادَ بالنَّذْرِ ما هو المعهودُ في الشريعة أنه نَذْرٌ، قال الأصمّ وتبعَه الزمخشريّ: هذا مبالغةٌ في وصفهم بالتوفُّر على أداء الواجبات، لأنَّ مَنْ وَفَّى بما أوجبَهُ هو على نفسه كانَ لِما أوجبَهُ الله تعالى عليه أَوْفَى.

وقيل: النَّذْرُ هنا عامٌّ لِما أوجبَه اللهُ تعالى وما أوجبَه العبدُ، فيدخُل فيه الإيمانُ وجميعُ الطاعات.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حُبِّ الطعام، إذْ هو محبوبٌ للفاقة والحاجة؛ قاله ابنُ عباس ومجاهد[(٤)].

أو على حُبِّ الله، أي: لوجهِهِ وابتغاءِ مرضاتِه؛ قاله الفُضيل بنُ عِياض وأبو سليمان الدَّارانيّ[(٥)].

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع. عند كل واحد منهم، هكذا ورد في الأثر. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٢) في (أ) والمطبوع: تنفجر، والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ عن الثعلبي.

(٣) هذا على تقدير الفرَّاء؛ ونقل عنه السمين في الدُّر المصون ١٠/ ٦٠١ أن التقدير: «كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون» ثم قال السمين: هذا ما لا حاجة إليه. وينظر معاني الفراء ٣/ ٢١٦.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٣، والثعلبي ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وزاد المسير ٨/ ٤٣٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٥) قول الداراني في المصادر: على حُبِّ الله، وقول الفُضيل بن عياض كما في تفسير القرطبي: على حُبِّ إطعام الطعام.

والأوَّلُ أمدحُ لأنَّ فيه الإيثارَ على النفس، وأما الثاني فقد يفعلُه الأغنياء أكثر.

وقال الحُسين بنُ الفَضْل: على حُبِّ الإطْعام، أي: محبِّين في فعلِهم ذلك، لا رِياءَ فيه ولا تكلُّف[١].

﴿مِسْكِينًا﴾ وهو الطَّوَّافُ المتكشِّفُ[٢] في السؤال. ﴿وَيَتِيمًا﴾ هو الصبيُّ الذي لا أبَ له ﴿وَأَسِيرًا ۝٨﴾ الأسيرُ معروف، وهو من الكفَّار، قاله قتادة.

وقيل: من المسلمين، تُرِكوا في بلاد الكفَّار رهائن وخرجُوا لطلبِ الفِداء.

وقال ابنُ جُبير وعطاء: هو الأسير من أهل القِبلة[٣].

وقيل: «وأسيراً» استعارة وتشبيه، فقال مجاهد وابنُ جُبير وعطاء: هو المسجون[٤].

وقال أبو حمزة الثُّمالي: هي الزَّوجة.

وعن أبي سعيد الخُدْرِي: هو المملوك والمسجون[٥].

وفي الحديث: «غَرِيمُك أسِيرُك، فأحْسِنْ إلى أسِيرِك»[٦].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ هو على إضمار القول، ويجوزُ أن يكونوا صرَّحُوا به خِطاباً للمذكورين منعاً منهم[٧] عن المجازاة بمثله أو الشكر، لأنَّ إحسانَهم مفعولٌ لوَجْهِ الله تعالى، فلا معنى لمكافأة الخلق، وهذا هو الظاهر.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ (والكلام منه).

(٢) في (أ) والمطبوع: المنكسر. والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٣) في زاد المسير ٨/ ٤٣٣: هو المسجون من أهل القبلة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٥) القولان في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠-٤١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٩-٤١٠.

(٦) أورده الزمخشري ٤/ ١٩٦، ولم أقف عليه في مصادر الحديث، وفي سنن أبي داود (٣٦٢٩) من حديث هِرْماس بن حبيب رجل من أهل البادية، عن أبيه، عن جدِّه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ بغريم لي فقال لي: «الْزَمْهُ». ثم قال لي: «يا أخا بني تميم، ما تريد أن تفعل بأسيرِك؟». فسمَّى الغريمَ أسيراً. وهِرْماس بن حبيب مجهول.

(٧) في الكشاف ٤/ ١٩٦ (والكلام فيه): لهم.

وقال مجاهد: أما إنَّهم ما تكلَّموا به، ولكنَّ الله تعالى عَلِمَهُ منهم، فأثْنَى عليهم به[١].

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: بالأفعال ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي: ثناءً بالأقوال.

وهذه الآية قيل: نزلت في علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وذكر النقَّاش في ذلك حكايةً طويلةً جدًّا ظاهرةَ الاختلاف، وفيها أشعارٌ للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة، وأشعارٌ لفاطمة ﵄ تُخاطبُ كلَّ واحد منهم، ظاهرُها الاختلاف لِسَفْسَافِ ألفاظِها وكسرِ أبياتها وسَفَاطةِ معانيها[٢].

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ نسبة العُبوس إلى اليوم مجاز؛ قال ابن عباس: يَعْبِسُ الكافر يومئذٍ حتى يسيلَ من عينيه عَرَقٌ كالقَطِران[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾ بخفِّ[٤] القاف، وأبو جعفر بشدِّها[٥].

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ بَدَلَ عُبُوسِ الكافرِ ﴿وَسُرُورًا﴾ فَرَحاً بَدَلَ حُزْنِه، ولا تكادُ تكونُ النَّضْرَةُ إلا مع فَرَحِ النَّفسِ وقُرَّةِ العين.

وقرأ الجمهور: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ وعليّ: «وجازاهم»[٦] على وزن فاعل.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: بستاناً فيه كلُّ مأكلٍ هنيّ، وحريراً فيه ملبسٌ بهيّ، وناسبَ ذكرُ الحرير مع الجنة لأنهم أوثروا على صبرهم على الجوع والعُرْي.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿شَمْسًا﴾ أي: حَرَّ شمسٍ ولا شدَّةَ برد، أي:

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٥٤٦، والكشاف ٤/١٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٠.
(٢) القصة بطولها في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٣-٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦١-٤٦٦، وذكر القرطبي في صدر إيراده الخبر أنه لا يصحُّ ولا يثبت، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٥٠٣-٥٠٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٧.
(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: بخفة.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١.
(٦) المصدر السالف.

لا شمسَ فيها فتُرَى فيؤذي حرُّها، ولا زمهريرَ يُرَى فيؤذي بشدَّتِه، أي: هي معتدلةُ الهواء[١]، وفي الحديث: «هواءُ الجنة سَجْسَج، لا حَرَّ ولا قَرَّ»[٢].

وقيل: لا يرون فيها شمساً ولا قمراً، والزَّمهرير في لغة طيِّئ القمر[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وَدَانِيَةً﴾ قال الزجَّاج: هو حال عطفاً على «مُتَّكِئين» وقال أيضاً: ويجوزُ أن يكون صفة للجنة، فالمعنى: وجزاهم جنَّةً دانيةً[٤].

وقال الزمخشري ما معناه: إنها حالٌ معطوفةٌ على حال، وهي «لا يَرَوْنَ» أي: غيرَ رائين، ودخلت الواو للدلالةِ على أنَّ الأمرَيْن مجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنةً جامعين فيها بين البُعد عن الحَرِّ والقَرِّ ودُنُوِّ الظِّلالِ عليهم.

وقرأ أبو حَيْوَة: «ودانيةٌ» بالرفع[٥]، واستدلَّ به الأخفش على جواز رفع اسم الفاعل من غير أن يعتمد، نحو قولك: قائم الزيدون، ولا حجَّة فيه لأنَّ الأظهر أن يكون «ظِلالُها» مبتدأ، و«دانيةٌ» خبرٌ له.

وقرأ الأعمش: «ودَانِياً عليهم»[٦] وهو كقوله: خاشعاً أبصارُهم، وقرأ أُبيّ: «ودَانٍ» مفرد مرفوع[٧]، فهذا يمكن أن يستدلَّ به الأخفش.

---

(١) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٩٧.
(٢) الكشاف ٤/ ١٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧١، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٥) وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٠عن عبد الله بن مسعود موقوفاً. والسَّجْسَج ـ كما في تفسير القرطبي ـ الظلُّ الممتدّ كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.
(٣) الكشاف ٤/ ١٩٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧١ عن ثعلب، وسلف في المفردات قول الراجز، وفيه: والزَّمهريرُ ما ظَهَرْ.
(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، وينظر معاني الزجاج ٥/ ٢٥٨.
(٥) القراءة في الكشاف ٤/ ١٩٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣ دون نسبة، ونُسبت في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٤١١ لأبي جعفر، ولعله خطأ، فلم تُذكر هذه القراءة لأبي جعفر في النشر.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، ونُسبت في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣ لابن مسعود ﷺ.
(٧) القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ قال قتادة ومجاهد وسفيان: إنْ كانَ الإنسان قائماً تناولَ الثمرَ دون كُلْفة، وإن كان قاعداً أو مضطجعاً فكذلك، فهذا تذليلُها لا يردُّ اليدَ عنها بُعدٌ ولا شَوْك(١).

فأمَّا على قراءة الجمهور: «ودانيةً» بالنصب؛ كان «وذُلِّلت» معطوفاً على «دانيةً» لأنها في تقدير المفرد، أي: ومُذلَّلَةً، وعلى قراءة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية، ويجوزُ أن تكونَ في موضع الحال، أي: وقد ذُلِّلَتْ، رفعتَ «دانية» أو نصبتَ.

* * *

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

لمَّا وصفَ تعالى طعامَهم وسُكناهم وهيئةَ جُلوسِهم، ذكرَ شرابَهم، وقدَّمَ ذِكْرَ الآنية التي يُسْقَوْنَ منها.

والآنية جمع إناء، وتقدَّم شرحُ الأكواب.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٥٣-٥٥٤، والنكت والعيون ٦/ ١٦٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣.

وقرأ نافع والكسائيّ وأبو بكر[(١)]: «قواريراً قواريراً» بتنوينهما وصلاً، وبإبدالِه ألفاً وقفاً، وابنُ عامر وحمزة وأبو عَمرو وحفص بمنع صرفِهما، وابنُ كثير بصرفِ الأوّل ومنع الصَّرف في الثاني[(٢)].

وقال الزمخشريّ[(٣)]: وهذا التنوينُ بدلٌ من ألف الإطلاق لأنه فاصلة، وفي الثاني لإتْباعِهِ الأول. انتهى. وكذا قال في قراءة مَنْ قرأ «سَلَاسِلاً» بالتنوين: إنَّه بدلٌ من حرف الإطلاق، أجرى الفواصل مُجرى أبيات الشعر، فكما أنه يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعاراً بترك الترنّم كما قال:

يا صاح ما هاجَ الدُّموعَ الذُّرَّفَنْ[(٤)]

فهذه النونُ بدلٌ من الألف، إذْ لو ترنَّم لوقفَ بألف الإطلاق.

﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ أي: مخلوقةٌ من فضَّة، ومعنى «كانَتْ» أنه أوجدَها تعالى في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ تفخيماً لتلك الخِلْقَةِ العجيبةِ الشأن الجامعةِ بين بياضِ الفضَّة ونُصوعِها وشفيفِ القوارير وصفائِها، ومن ذلك قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[(٥)].

وقرأ الأعمش: «قَوَاريرُ من فضَّة» بالرفع، أي: هي قوارير[(٦)].

وقرأ الجمهور: «قَدَّرُوها» مبنيًّا للفاعل، والضميرُ للملائكة، أو للطُّوَّافِ عليهم، أو للمنعَّمِين، والتقدير: على قَدْرِ الأكفّ؛ قاله الرَّبيع، أو على قَدْرِ الرِّيّ؛ قاله مجاهد[(٧)].

---

(١) قوله: وأبو بكر، من (يه)، وسقط من النسخ الأخرى والمطبوع.

(٢) ينظر الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/٣٦٨، والسبعة ص٦٦٣، والتيسير ٢١٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٠، والدر المصون ١٠/٦٠٨.

(٣) ٤/ ١٩٨.

(٤) الرَّجَز للعجَّاج، وهو في ديوانه ص٤٢١، والكتاب ٤/ ٢٠٧.

(٥) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٦، وهي في الكشاف ٤/ ١٩٨ دون نسبة.

(٧) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٥٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٥-٤٧٦.

وقال الزمخشريّ: «قَدَّرُوها» صفة لـ «قواريرَ من فضَّة»، ومعنى تقديرِهم لها أنهم قَدَّرُوها في أنفسهم على مقاديرَ وأشكالٍ على حسب شهواتِهم، فجاءت كما قَدَّرُوها.

وقيل: الضمير للطائفين بها، دَلَّ عليه قولُه: «ويُطافُ عليهم» على أنهم قَدَّرُوا شَرابَها على قَدْرِ الرِّيّ، وهو ألذُّ الشراب[1]، لكونِه على مقدارِ حاجتِه لا يفضُلُ عنها ولا يَعْجِز، وعن مجاهد: لا تَفِيضُ ولا تَغِيض[2]. انتهى.

وقرأ عليٌّ، وابنُ عبَّاس، والسُّلَميُّ، والشعبيُّ، وابنُ أَبْزَى، وقتادةُ، وزيدُ بنُ عليّ، والجَحْدَرِيُّ، وعبدُ الله بنُ عُبيد بنِ عُمير[3]، وأبو حَيْوَة، وعبَّاس عن أبانَ، والأصمعيُّ عن أبي عَمرو، وابنُ عبد الخالق عن يعقوب: «قُدِّرُوها» مبنياً للمفعول[4].

قال أبو علي: كأنَّ اللفظ: قُدِّرُوا عليها، وفي المعنى قلبٌ، لأنَّ حقيقةَ المعنى أن يقال: قُدِّرَتْ عليهم، فهي مثلُ قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] ومثلُ قولِ العرب: إذا طلعتِ الجوزاءُ أَلْفَى العُودُ على الحِرْباء[5].

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٩٨ (والكلام منه): للشارب.

(٢) المصدر السالف. ولفظه في النكت والعيون ٦/ ١٧٠: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض.

(٣) كذا في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠١-١٠٢، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٦: عُبيد بن عمير. وينظر التعليق التالي.

(٤) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وزاد المسير ٨/ ٤٣٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٦. ونُسب في القراءات الشاذة ص١٦٦ لعبد الله بن عُبيد: قَدَرُها، بالتخفيف.

(٥) لفظة «أَلْفَى» من (يه)، وفي (ع) والمطبوع: ألقى، وهي غير واضحة في (أ) و(ت)، وكلام أبي علي في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وينظر الحجة له ٦/ ٣٥٣-٣٥٤. وجاء هذا القول في المصادر بألفاظ متقاربة، فأورده الطبري في تفسيره ١٦/ ٢٧٣ بلفظ: إذا طلعتِ الشِّعْرَى واستوى العُودُ على الحِرْباء، أي: استوتِ الحِرْبَاءُ على العُود، وفي مغني اللبيب ٢/ ٩١٣: إذا طلعتِ الجوزاء انتصبَ العُودُ في الحِرْبَاء، وجاء في شعر أبي زبيد الطائي ـ كما في =

وقال الزمخشري: ووَجْهُهُ أنْ يكونَ من «قَدَّرَ» منقولاً من «قَدَرَ» تقول: قَدَرْتُ الشيءَ، وقَدَرَنِيهِ فلانٌ: إذا جعلكَ قادراً له[1]، ومعناه: جُعِلُوا قادرين لها كما شاؤوا، وأطلق لهم أن يقدِّروا على حَسَبِ ما اشتَهَوْا. انتهى.

وقال أبو حاتم: قُدِّرتِ الأواني على قَدْرِ رِيِّهم. ففسَّرَ بعضُهم قولَ أبي حاتم هذا قال: فيه حذفٌ على حذف، وهو أنه كان قُدِّرَ على قَدْرِ رِيِّهِم إيَّاها، ثم حُذف «على» فصارَ: «قَدْرُ رِيِّهم» ما لم[2] يُسَمَّ فاعلُه، ثم حُذف «قَدْرُ» فصارَ «رِيُّهُمْ» ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، فحُذفَ «الرِّيُّ»[3] فصارت الواو مكانَ الهاء والميم لمَّا حُذف المضافُ ممَّا قبلَها وصارتِ الواوُ مفعولَ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، واتصلَ ضمير المفعول الثاني في تقدير النَّصب بالفعل بعد الواو التي تحوَّلت من الهاء والميم حتى أُقيمت مقامَ الفاعل. انتهى[4].

والأقربُ في تخريج هذه القراءةِ الشاذَّةِ أن يكون الأصلُ: قُدِّرَ رِيُّهم منها تقديراً، فحُذِفَ المضاف ـ وهو الرِّيّ ـ وأُقيمَ الضميرُ مُقامَه، فصار التقدير: قُدِّرُوا منها، ثم اتُّسِعَ في الفعل فحُذفت «من» ووُصِلَ الفعلُ إلى الضمير بنفسِه، فصار «قُدِّروها» فلم يكن فيه إلا حذفُ مضافٍ واتساعٌ في المجرور[5].

والظاهر أنَّ الكأس تُمزجُ بالزَّنجبيل، والعربُ تستلذُّه وتذكرُه في وصفِ رِضَابِ أفواه النِّساء كما أنشَدْنا لهم في الكلام على المفردات.

= الشعر والشعراء وغيره ـ في وصف شدَّة الحَرّ:

واستظلَّ العصفورُ كَرْهاً مع الضَّـ ـبِّ وأَوْفَى في عُودِهِ الحِرْبَاءُ

(١) في (أ) والمطبوع: عليه، وهو خطأ، والكلام في الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٢) في المطبوع: مفعول، بدل: ما.

(٣) في المطبوع: فصار رِيُّهم قائماً مقامه ثم حذف الرِّيّ... الخ. وسقط من (أ) بعض الكلام في موضعين.

(٤) أورد السمين في الدر المصون ١٠/ ٦١١ هذا الكلام وتعقَّبه بقوله: في هذا التخريج من التكلُّف ما لا يخفى مع عجرفة ألفاظه.

(٥) قال السمين: وهذا منتزعٌ من تفسير كلام أبي حاتم.

وقال الزمخشريّ: تسمَّى العينُ زنجبيلاً لطعم الزَّنجبيلِ فيها[١]. انتهى.

وقال قتادة: الزَّنجبيل اسمٌ لعينٍ في الجنة يشربُ منها المقرَّبون صِرْفاً، ويُمزَجُ لسائر أهل الجنة[٢].

وقال الكلبيّ يُسْقَى بجامَيْن[٣]: الأولُ مِزَاجُه الكافور، والثاني مِزَاجُه الزَّنجبيل.

و«عَيْناً» بدل من «كأس» على حذف، أي: كأسَ عَيْنٍ، أو من «زنجبيل» على قول قتادة. وقيل: منصوبة على الاختصاص.

والظاهر أنَّ هذه العين تسمَّى «سلسبيلاً» بمعنى توصف بأنها سَلِسَةٌ في الانسياغ[٤]، سهلةٌ في المَذَاق، ولا يُحملُ «سَلْسَبِيل» على أنه اسمٌ حقيقةً، لأنه إذْ ذاكَ كان يكون ممنوعَ الصَّرفِ للتأنيث والعلميَّة، وقد رُوِيَ عن طلحة أنه قرأه بغير ألف[٥]؛ جعله عَلَماً لها، فإنْ كانَ عَلَماً فوجهُ قراءةِ الجمهور بالتنوين المناسبةُ للفواصل كما قال ذلك بعضُهم في «سلاسلاً» و«قواريراً»، ويُحسِّنُ ذلك أنه لغةٌ لبعض العرب، أعني صرفَ ما لا يصرفُه أكثرُ العرب.

وقال الزمخشريّ: وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية. انتهى. وكان قد ذكرَ: «يُقال: شرابٌ سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ وسَلْسَبِيل» فإنْ كان عَنَى أنه زِيدَ حقيقةً فليس بجيِّد، لأنَّ الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو، وإنْ عَنَى أنها حرف جاء في سِنْخِ[٦] الكلمة وليس في «سَلْسَل» ولا في

(١) لفظة «فيها» ليست في الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٦١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢-٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٧.

(٣) الجامُ ـ كما في القاموس ـ إناءٌ من فضَّة.

(٤) تحرفت اللفظة في المطبوع إلى: الاتِّساع.

(٥) يعني دون تنوين، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٦، وذكرت في الكشاف ٤/ ١٩٨ دون نسبة.

(٦) أي: أصل.

«سَلْسَال» فيصحُّ، ويكون ممَّا اتفقَ معناه وكان مختلفاً في المادَّة.

وقال بعض المفسِّرين[١]: «سلسبيلا» أمرٌ للنبيّ ﷺ ولأمَّتِهِ بسؤال السبيلِ إليها[٢]، وقد نسبُوا هذا القولَ إلى عليٍّ كرَّم الله وجهه، ويجبُ طرحُه من كتب التفسير، وأعجبُ من ذلك توجيهُ الزمخشريّ له واشتغالُه بحكايته ويذكر نسبته إلى عليّ كرَّم الله وجهه ورضيَ عنه.

وقال قتادة: هي عينٌ تنبعُ من تحتِ العرشِ من جنَّةِ عَدْنٍ إلى الجنان[٣].

وقال عكرمة: عينٌ سَلِسٌ ماؤُها.

وقال مجاهد: عَيْنٌ جديدةُ الجرية سَلِسَةٌ سهلةُ المَساغ[٤].

وقال مقاتل: عينٌ يَتَسَلْسَلُ عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاؤوا[٥].

وتقدَّم شرح «مخلَّدون»[٦].

وتشبيهُ الوِلْدانِ باللؤلؤ المنثور في بياضِهم وصفاءِ ألوانِهم وانتشارِهم في المساكن في خدمة أهلِ الجنة يجيئون ويذهبون[٧].

وقيل: شُبِّهوا باللؤلؤ الرَّطْب إذا نُثِرَ من صَدَفِهِ[٨]، فإنه أحسنُ في العين وأبهجُ للنَّفس.

---

(١) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع وروح المعاني ٢٨/ ١٥٢: المعربين.
(٢) أي: سَلْ سبيلاً. وهذا القول في النكت والعيون ٦/ ١٧١، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣ وضعَّفه.
(٣) هذا القولُ هو قطعة من قول أبي العالية ومقاتل، كما في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٨، ولفظ قول قتادة فيه (وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٦١): سَلِسَةٌ منقادٌ ماؤها حيث شاؤوا. وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٩.
(٤) ينظر (إضافة إلى ما سلف): النكت والعيون ٦/ ١٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.
(٥) هو قطعة من قوله المشار إليه قبل تعليق، وفي تفسير الثعلبي والقرطبي: تسيل، بدل: يتسلسل. وينظر النكت والعيون ٦/ ١٧١.
(٦) في سورة الواقعة (١٧).
(٧) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.
(٨) الكشاف ٤/ ١٩٩.

وجوابُ «إذا رأيتَ ثَمَّ»: «رأيتَ نعيماً»[١]، ومفعولُ فعل الشرط محذوف؛ حُذف اقتصاراً، والمعنى: وإذا رَمَيْتَ ببصرِك هناك. و«ثَمَّ» ظرف، والعاملُ فيه «رأيتَ».

وقيل: التقدير: وإذا رأيتَ ما ثَمَّ، فحذف «ما» كما حُذف في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم[٢].

وقال الزجَّاج وتبعَه الزمخشري فقال[٣]: ومن قال: معناه: ما ثَمَّ، فقد أخطأ لأنَّ «ثَمَّ» صلة لـ «ما» ولا يجوزُ إسقاط الموصول وتركُ الصِّلة. انتهى.

وليس بخطأ مُجْمَعٍ عليه، بل قد أجازَ ذلك الكوفيون، ولهم شواهدُ من لسان العرب كقوله:

فمن يَهْجُو رسولَ اللهِ منكُمْ ويَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَوَاءُ[٤]

أي: ومَنْ يمدحُهُ، فحذفَ الموصولَ وأبقَى صِلتَه.

وقال ابنُ عطية: و«ثَمَّ» ظرف، والعاملُ فيه «رأيتَ» أو معناه. والتقدير[٥]: رأيتَ ما ثَمَّ، حُذفت «ما» انتهى.

وهذا فاسدٌ، لأنه من حيث جَعْلُه معمولاً لـ «رأيتَ» لا يكون صلةً لـ«ما» لأنَّ العاملَ فيه إذ ذاك محذوف، أي: ما استَقرَّ ثَمَّ[٦].

---

(١) يعني أن جواب «إذا» «رأيت» الثانية. وعبارة (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: وجواب إذا: رأيتَ نعيماً، والمثبت من (يه).

(٢) هو قول الفرَّاء، ينظر معانيه ٣/ ٢١٨.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩٩، وينظر معاني الزجاج ٥/ ٢٦١.

(٤) البيت لحسان ﷺ، وهو في ديوانه ص٦٤، وسلف في تفسير سورة البقرة (١٦٤) (٢٧٠) (٢٨٦)، وسورة العنكبوت (٢٢) والحديد (١٨) وهو في بعض المواضع برواية: أمَنْ، بدل: فَمَنْ.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣ (والكلام منه): وقال الفراء: التقدير... الخ. وسلفت الإشارة إلى قول الفراء قبل تعليقين.

(٦) ينظر تعقُّب السمين الحلبي المصنفَ في ردِّه على ابن عطية. الدر المصون ١٠/ ٦١٥.

وقرأ الجمهور: «ثَمَّ» بفتح الثاء، وحُميد الأعرج «ثُمَّ» بضمّ الثاء حرف عطف[١]، وجوابُ «إذا» على هذا محذوف، أي: وإذا رَمَيْتَ ببصرِك ثُمَّ رمَيْتَ ببصرِك رأيتَ نعيماً.

والملك الكبير؛ قيل: النظرُ إلى الله تعالى[٢].

وقال السُّدِّيُّ: استئذانُ الملائكةِ عليهم[٣].

وقال أكثرُ المفسّرين: الملكُ الكبيرُ اتّساعُ مواضِعِهم[٤].

وقال الكلبيّ: «كبيراً» عريضاً، يُبْصِرُ أدناهم مَنْزِلةً في الجنة في مُلْكِهِ مسيرةَ ألفِ عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه[٥]، وقاله عبد الله بن عمر[٦]، وقال: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف غلام كلُّهم مختلفٌ شغلُه من شغل أصحابِه[٧].

وقال الترمذيّ ـ وأظنُّه الترمذيَّ الحكيم[٨] لا أبا عيسى الحافظ[٩] صاحب

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.

(٢) لم أقف عليه. وأورد القرطبي ٢١/ ٤٨٠-٤٨١ خبراً مطَّولاً (الله أعلم بصحته) يستفادُ منه ذلك.

(٣) المصدر السالف، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٧ عن سفيان، وأخرج أيضاً عنه وعن مجاهد أنه تسليم الملائكة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.

(٥) هو في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٩ والكشاف ٤/ ١٩٩ دون نسبة، وأورده القرطبي ٢١/ ٤٨١ مرفوعاً. وينظر التعليق التالي.

(٦) أخرجه عنه أحمد في المسند (٤٦٢٣) بنحوه أطول منه، وضعَّف محقِّقوه إسناده، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١١ واللالكائي (٨٦٦) عنه موقوفاً. وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ بإثر الخبر الآتي بعده، ووقع في النسخة (يه): عَمرو، بدل: عُمر، وينظر التعليق التالي.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٦ عن عبد الله بن عَمرو، وأورده ابن عطية عن ابن عُمر مع الخبر الذي قبله.

(٨) صرَّح القرطبي في تفسيره ٢١/ ٤٨١ أنه الترمذي الحكيم، وكلامه فيه بنحوه.

(٩) في (ع) و(يه): المحدِّث.

الجامع ـ: هو مُلْكُ التكوين والمشيئة، إذا أرادَ شيئاً كان، لقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [ق: ٣٥].

وقيل غير هذه الأقوال.

وقرأ عُمر وابنُ عبَّاس والحسنُ ومجاهد والجَحْدَرِيُّ وأهلُ مكة وجمهورُ السبعة: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ بفتح الياء، وابنُ عباس بخلاف عنه والأعرجُ وأبو جعفر وشيبة وابنُ مُحَيْصن ونافع وحمزة بسكونها، وهي رواية أبان عن عاصم[١].

وقرأ ابنُ مسعود والأعمش وطلحة وزيد بنُ عليّ بالتاء مضمومة[٢]، وعن الأعمش وأبان أيضاً عن عاصم بفتح التاء[٣].

وقرأ «عَلَيْهِم» حرف جرّ ابنُ سيرِين ومجاهد وقتادة وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة والزَّعفرانيّ وأبانُ أيضاً.

وقرأت عائشة رضي الله عنها: «عَلَتْهُمْ» بتاء التأنيث فعلاً ماضياً[٤]، فـ «ثيابُ» فاعل، ومن قرأ بالياء ساكنةً أو بالتاء مضمومةً فمبتدأ خبرُه «ثيابُ»، ومن قرأ «عليهم» حرفَ جرّ، فـ «ثيابُ» مبتدأ، ومن قرأ بنصب الياء أو التاء[٥] فعلى الحال، وهو حالٌ من المجرور في «ويطوفُ عليهم» فذو الحالِ المَطُوفُ عليهم، والعاملُ «يطوفُ».

وقال الزمخشري[٦]: و«عالِيَهم» بالنصب على أنه حال من الضمير في «يطوفُ عليهم» أو في «حَسِبْتَهم» أي: يطوفُ عليهم ولدانٌ عالياً للمَطُوفِ عليهم ثيابٌ، أو

(١) ينظر السبعة ص٦٦٤، والتيسير ص٢١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، والنشر ٢/ ٣٩٦.

(٢) أي: عالِيَتُهُمْ، ووقع في (أ) والمطبوع: بالياء، وهو خطأ. والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٢.

(٣) في (أ) والمطبوع: الياء، وهو خطأ، والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، وينظر زاد المسير ٨/ ٤٣٩.

(٤) هذه القراءة والتي قبلها في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وينظر زاد المسير ٨/ ٤٣٩.

(٥) في المطبوع: وبالتاء ساكنة، وهو خطأ.

(٦) الكشاف ٤/ ١٩٩.

حَسِبْتَهم لؤلؤاً عالياً لهم ثياب. ويجوزُ أن يُراد: رأيتَ أهلَ نعيمٍ ومُلْكٍ عالِيَهُمْ ثياب. انتهى.

أمَّا أن يكونَ حالاً من الضمير في «حَسِبْتَهم» فإنه لا يعني إلا ضمير المفعول، وهو عائدٌ على «وِلْدَان»، ولذلك قدَّرَ «عاليَهم» بقوله: عالياً لهم، أي: للوِلْدان، وهذا لا يصحُّ، لأن الضمائر الآتية بعد ذلك تدلُّ على أنها للمَطُوفِ عليه من قوله: «وحُلُّوا» «وسقاهم» و«إنَّ هذا كان لكم جزاءً»، وفَكُّ الضمائرِ بجعلِ هذا لذا وذا لذا مع عدم الاحتياجِ والاضطرارِ إلى ذلك لا يجوز.

وأمَّا جعلُه حالاً من محذوف وتقديرُه: أهلَ نعيم، فلا حاجة إلى ادِّعاء الحذفِ مع صحَّةِ الكلام وبَراعتِهِ دون تقدير ذلك المحذوف.

و«ثيابُ» مرفوع على الفاعلية بالحال.

وقال ابنُ عطيَّة: ويجوزُ[1] في النصب في القراءتين أن يكون على الظرف، لأنه بمعنى: فوقَهم. انتهى.

وعالٍ وعاليةٌ اسمُ فاعل فيحتاجُ في إثبات كونِهما ظرفَيْن إلى أن يكون منقولاً من كلام العرب: عاليك أو عاليتك ثوب[2].

وقرأ الجمهور: «ثيابُ» بغير تنوين على الإضافة إلى «سُنْدُس»، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة وأبو حَيْوَة: «عَلَيهم ثيابٌ سندسٌ خضرٌ وإستبرقٌ» برفع الثلاثة، فرفعُ «سُنْدُس» بالصفة لأنه جنس[3]، كما تقول: ثوبٌ حريرٌ، تريد: من حرير، ورفعُ «خُضْر» بالصفة أيضاً لأنَّ الخُضْرة لونُها، ورفعُ «إستبرق» بالعطف عليها، وهو صفة أُقيمت مقام الموصوف، تقديرُه: وثيابٌ إستبرقٌ، أي: من إستبرق.

وقرأ الحسن وعيسى ونافع وحفص «خُضْرٌ وإستبرقٌ» برفعهما.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣: وقد يجوز.

(٢) ينظر تعقُّب السمين للمصنف في ردّه على ابن عطية هنا وعلى الزمخشري في الكلام قبله في الدر المصون ١٠/ ٦١٦-٦١٧.

(٣) القراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤ عن أبي حَيْوة.

وقرأ العَرَبيَّان ونافع في رواية: «خُضْرٌ» بالرفع صفة لـ«ثيابُ»، و«إستبرقٍ» جرّ عطفاً على «سُنْدس».

وقرأ ابنُ كثير وأبو بكر بجرّ «خُضْرٍ» صفة لـ«سُنْدُس» ورفع «إستبرق» عطفاً على «ثيابُ».

وقرأ الأعمشُ وطلحةُ والحسنُ وأبو عَمرو بخلاف عنهما[١] وحمزةُ والكسائيّ بجرِّهما[٢]. وَوَصْفُ اسمِ الجنسِ الذي بينَه وبين واحدِهِ تاء التأنيث بالجمع جائز فصيح، كقوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]. وقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] فجعل الحال جمعاً وإذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس بينه وبين واحدِهِ تاء التأنيث المحكي بأل بالجمع[٣] كقولهم: أهلكَ الناسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدِّرْهمُ البِيض، فَلأَنْ يجمعوا صفةَ هذا أولَى[٤]، وقولُ ابنِ عطية[٥]: وفي هذا قُبحٌ؛ يشيرُ إلى الدِّينار الصُّفر والدرهم البِيض[٦] حيث جُمع وصفُهما = ليس بسديد، بل هو جائز أوردَه النُّحاةُ موردَ الجواز بلا قُبح.

وقرأ ابن مُحَيْصِن: «واسْتَبْرَقَ»[٧] وتقدَّم ذلك والكلامُ عليه في الكهف [٣١].

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤: وابن عمر بخلاف عنه، بدل: وأبو عمرو بخلاف عنهما.

(٢) ينظر السبعة ص٦٦٥، والتيسير ص٢١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، والعَرَبِيَّان هما أبو عمرو البصري، وابنُ عامر الشامي.

(٣) كذا في النسخ، وثمة إشكال في السياق، والظاهر أن كلمة «المحكي» محرَّفة عن: المحلَّى، ولفظة «بالجمع» مكررة بالمعنى، وينظر التعليق التالي.

(٤) في الدر المصون ١٠/ ٦٢٠: وإذا كانوا قد وصفوا المفرد المحلَّى لكونه مراداً به الجنس بالجمع في قولهم: «أهلك الناسَ الدينار الحُمْرُ والدرهم البيض»... فَلأَن يُوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤.

(٦) من قوله: البيض، فَلأَن يجمعوا... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وذكر ابن عطية أنها بوصل الألف وفتح القاف، كأنها مثال الماضي من برق واستبرق.

وقال الزمخشريّ هنا[١]: وقُرئَ «وإستبرقَ» نصباً في موضع الجرّ على منع الصَّرف لأنه أعجميّ، وهو غلط لأنه نكرةٌ يدخلُه حرفُ التعريف؛ تقول: الإستبرق، إلا أن يزعمَ ابنُ مُحَيْصِن أنه قد يُجعل عَلَماً لهذا الضَّرب من الثياب.

وقرئ: «واسْتَبْرَقَ» بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضاً لأنه معرَّبٌ مشهورٌ تعريبُه، وأنَّ أصله استبره. انتهى.

ودلَّ قولُه: إلا أن يزعُمَ ابنُ مُحيصن، وقولُه بعدُ: وقُرئ «واستبرقَ» بوصل الألف والفتحِ أنَّ قراءة ابنِ مُحَيْصِن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف، والمنقولُ عنه في كتب القراءات أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف.

وقال أبو حاتم: لا يجوزُ، والصواب أنه اسمُ جنسٍ لا ينبغي أن يَحمِلَ ضميراً، ويُؤيِّدُ ذلك دخولُ لام المعرفة عليه، والصوابُ قطعُ الألف وإجراؤه على قراءة الجماعة. انتهى.

ونقول: إنَّ ابنَ مُحَيْصِن قارئٌ جليلٌ مشهورٌ بمعرفةِ العربيَّة، وقد أخذَ عن أكابر العلماء، ويُتَطَلَّبُ لقراءتِه وَجْهٌ، وذلك أنه يجعلُ «استفعل» من البريق، تقول: بَرِقَ واستبرقَ كعَجِبَ واستعجَبَ، ولمَّا كانَ قولُه: «خُضْر» يدلُّ على الخُضْرَة، وهي لونُ ذلك السُّندس، وكانت الخُضرةُ ممَّا يكون فيها لشدَّتها دُهْمةٌ وغَبَشٌ أخبرَ أنَّ في ذلك اللونِ بريقاً وحُسْناً يُزيلُ غُبْشَتَهُ، فـ «استبرقَ» فعلٌ ماضٍ، والضمير فيه عائد على السُّندس، أو على الاخضرار الدالِّ عليه قوله: «خُضْر»، وهذا التخريجُ أولى من تلحينِ من يعرفُ العربية وتوهيمِ ضابطٍ ثقة[٢].

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: [٣١] أي: يُحَلَّونَ منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنِّساء في الدُّنيا.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٩.

(٢) ذكر السمين في الدُّرِّ المصون ١٠/ ٦٢١ أنَّ مكِّيًّا سبقَ الزمخشريَّ في الكلام على قراءة ابن محيصن، وأورد السمين كلام مكّيّ، ثم خلص منه إلى أنَّ ابنَ مُحيصن قد رُوِيَ عنه قراءتان: قطع الألف ووصلُها. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٧.

قال الزمخشريّ[١]: وما أحسنَ بالمِعْصَمِ أن يكونَ فيه سِوَاران؛ سوارٌ من ذهب وسوارٌ من فضة. انتهى.

فقوله: بالمِعْصَم، إمَّا أن يكونَ مفعول «أحْسَنَ» و«أن يكون»[٢] بدلاً منه، وإمَّا أن يكون مفعولَ «أَحْسَنَ» وقد فُصل بينهما بالجارّ والمجرور، فإنْ كان الأولَ فلا يجوزُ؛ لأنه لم يُعهد زيادةُ الباء في مفعول «أفعل» للتعجُّب، لا تقول: ما أَحْسَنَ بزيد! تريدُ: ما أَحْسَنَ زيداً! وإنْ كان الثاني ففي مثلِ هذا الفصلِ خلافٌ، والمنقولُ عن سيبويه أنه لا يجوز، والمولَّدُ منَّا إذا تكلَّم ينبغي أن يتحرَّزَ في كلامِه ممَّا فيه الخلاف[٣].

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ «طَهُور» صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم، وطهارتُها بكونها لم يؤمر باجتنابِها، وليست كخمر الدُّنيا التي هي في الشرع رِجْس، أو لكونِها لم تُدَسْ برِجْلٍ دَنِسَة، ولم تُمَسَّ بيدٍ وَضِرَة، ولم توضع في إناء لم يُعْنَ بتنظيفه، ذكره بأبسطَ من هذا الزمخشريّ[٤] ثم قال: أو لأنه لا يؤولُ إلى النَّجاسة لأنه يَرْشَحُ عَرَقاً من أبدانهم له رِيحٌ كرِيحِ المِسْك. انتهى.

وهذا الأخير قاله أبو قِلابة والنَّخَعيُّ وإبراهيمُ التَّيْمِيّ، قالوا: لا ينقلبُ إلى البول بل يكون رَشْحاً من الأبدَانِ أطيبَ من المِسْك[٥].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: النعيم السَّرْمَدِيّ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: لأعمالكم الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً مثاباً، قال قتادة: لقد شكر الله سعياً قليلاً[٦].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٠.

(٢) في المطبوع: وإما أن يكون. وهو خطأ.

(٣) تعقَّب السمينُ شيخَه أبا حيان في الدُّرّ المصون ١٠/ ٦٢٣، وذكر أن الصحيح جوازُه، وأنَّ عَمرو بن معد يكرب قال: للهِ دَرُّ بني فلان، ما أشدَّ في الهيجاء لقاءَها!

(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٠.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٦٩-٥٧٠، والنكت والعيون ٦/ ١٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٤-٤٨٥.

(٦) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧٢، وأخرج عنه أيضاً قبله قوله: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن.

وهذا على إضمار: يقال لهم، وهذا القولُ لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم بضدِّ ما يقال للمعاقَب: إن هذا بعملك الرَّديء، فيزدادُ غمًّا وحُزناً.

ولمَّا ذكرَ أوَّلاً حالَ الإنسان وقسمته[١] إلى العاصي والطائع وأمعن فيما أعده للطائع[٢] ذكرَ ما شرَّف به نبيَّه وحبيبَه محمداً ﷺ فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وأمرَه بالصبر لحُكْمِهِ، وجاء التوكيد بـ «نحن» بعد التوكيد[٣] بـ «إنَّ» لمضمونِ الخبر ومدلولِ المخبَرِ عنه، وأكّد الفعل بالمصدر.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل قال: إنْ رأيتُ محمداً يصلِّي لأَطَأَنَّ على عنقه، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ الآية[٤].

والنهيُ عن طاعة كلِّ واحدٍ منهما أبلغُ من النهي عن طاعتهما؛ لأنه يستلزمُ النهيُ عن أحدِهما النهيَ عن طاعتهما[٥]؛ لأنَّ في طاعتهما طاعةَ أحدِهما، ولو قال: لا تضربْ زيداً وعَمراً لجازَ أن يكون نهياً عن ضربِهما جميعاً لا عن ضرب أحدِهما.

وقال أبو عبيدة: «أو» بمعنى الواو[٦].

والكفور وإن كان آثماً فإنَّ فيه مبالغةً في الكفر، ولمَّا كان [مَنْ] يُوصَفُ بالكفور[٧] مبايناً للموصوف بمجرَّد[٨] الإثم صَلَحَ التغايرُ، فحسُنَ العطف.

---

(١) في (أ) والمطبوع: وقسمه.
(٢) قوله: وأمعن فيما أعدَّه للطائع، من (ع) و(يه).
(٣) قوله: بنحن بعد التوكيد، من (يه).
(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٥١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٧.
(٥) قوله: النهي عن طاعتهما، سقط من المطبوع. وينظر الكشاف ٤/ ٢٠١.
(٦) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٠.
(٧) في النسخ الخطية: الكفور، والمثبت من النهر الماذّ بهامش البحر ٨/ ٣٩٧، ولفظة «من» السالفة بين حاصرتين منه، وجاء في المطبوع: ولما كان وصف الكفور. . .
(٨) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: لمجرّد.

وقيل: الآثمُ عُتبة، والكَفُور الوليدُ، لأنَّ عُتبة كان رَكَّاباً للمآثم متعاطياً لأنواع الفُسوق، وكان الوليدُ غالياً في الكفر شديدَ الشَّكِيمةِ في العُتُوّ[١].

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ يعني صلاةَ الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء، وقال ابنُ زيد وغيره: كان ذلك فرضاً ونُسخ، فلا فرضَ إلا الخَمْس، وقال قوم: هو مُحْكَم على وَجْهِ النَّدْب[٢].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارةٌ إلى الكَفَرة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يُؤثرونها على الآخرة[٣]. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ أي: أمامَهم، وهو ما يستقبلون من الزَّمان ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استُعير الثِّقل لليوم لشدَّتِه وهَوْلِه، من ثِقل الجِرْمِ الذي يُتعب حاملَه[٤].

وتقدَّم شرح الأَسْر في سورة القتال.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أي: تبديلَ أمثالِهم بإهلاكهم ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ ممن يطيع[٥].

وقال الزمخشريّ: وحقُّه أنْ يجيءَ بـ «إنْ» لا بـ «إذا» كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] انتهى. يعني أنهم قالوا: إنَّ «إذا» للمحقَّق[٦] و«إنْ» للمُمْكن، وهو تعالى لم يشأ [ذلك][٧] لكنَّه قد توضع «إذا» موضعَ «إنْ» و«إنْ» موضع «إذا» كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة، أو آيات القرآن، أو جملة الشريعة. [وقولُه تعالى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٠، وذكر القرطبي ٢١/ ٤٨٧ خبراً في سبب نزول هذه الآية في عتبة والوليد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨، والناسخ والمنسوخ له ٣/ ١٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٧.

(٣) في (أ) والمطبوع: الدنيا!

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠١.

(٥) في الكشاف: بدَّلْنَا غيرهم ممن يطيع.

(٦) في (يه): للتحقُّق.

(٧) لفظة «ذلك» بين حاصرتين مستفادة من الدُّرّ المصون ١٠/ ٦٢٦، وهو أسلمُ للسِّياق.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾][1] ليس على جهة التخيير، بل على جهة التحذير من اتخاذِ غيرِ سبيلِ الله.

وقال الزمخشري: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ فمن اختارَ الخيرَ لنفسه وحُسْنَ العاقبة[2]، واتخاذُ السبيلِ إلى الله عبارةٌ عن التقرُّب إليه والتوسُّلِ بالطاعة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يَقْسِرُهُم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾بأحوالهم وما يكون منهم ﴿حَكِيمًا﴾ حيث خلقَهم مع علمه بهم. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

وقرأ العَرَبيَّان وابنُ كثير: «وما يشاؤون» بياء الغَيْبة، وباقي السبعة بتاء الخطاب[3].

ومذهبُ أهلِ السُّنَّة أنه نفيٌ لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في أنفسهم، ولا يردُّ هذا وجودَ ما لهم من الاكتساب[4].

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

قلت: النصبُ على الظرف، وأصلُه: إلا وقتَ مشيئةِ الله، وكذلك قرأ ابنُ مسعود: «إلا ما يشاءُ الله»[5] لأنَّ «ما» مع الفعل كـ «أنْ» معه. انتهى.

ونصُّوا على أنَّه لا يقومُ مقامَ الظرف إلا المصدر المصرَّح به، كقولك: أجِيئُك صياحَ الدِّيك، ولا يُجيزون: أَجِيئك أنْ يصيحَ الدِّيك، ولا: ما يصيحُ الدِّيك، فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشريّ[6].

---

(١) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥ (والكلام منه بنحوه) وهو ضروري لصحَّة السياق.

(٢) المثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ٢٠١ (والكلام منه)، وفي النسخ الأخرى: والعاقبة، بدل: وحُسن العاقبة.

(٣) السبعة ص٦٦٥، والتيسير ص٢١٨، والعربيَّان: أبو عمرو البصريّ، وابن عامر الشاميّ.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٦، والكشاف ٤/ ٢٠١ (والكلام منه)، وجاء في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥: إلا ما شاء الله.

(٦) قال الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٦٩: كأنه لهذا قيل: إن «أنْ يشاء» بتقدير حرف الجرِّ

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ وهم المؤمنون.

وقرأ الجمهور: «والظالمين» نصباً بإضمار فعل يُفَسِّره قوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ وتقديرُه: ويعذِّبُ الظالمين، وهو من باب الاشتغال: عطف جملة فعليَّة على جملة فعليَّة.

وقرأ ابنُ الزُّبير وأبان بن عثمان وابنُ أبي عَبْلَة: «والظالمون»[1] عطف جملة اسمية على فعلية، وهو جائزٌ حسن.

وقرأ عبد الله: «وللظالمين» بلام الجرّ[2]، وهو متعلّق بـ «أعدَّ»، و«لهم» توكيد، ولا يجوز أن يكون من باب الاشتغال ويقدَّرَ فعل يفسِّره الفعل الذي بعده فيكونَ التقدير: وأعدَّ للظالمين أعدَّ لهم، وهذا مذهبُ الجمهور، وفيه خلافٌ ضعيف مذكور في النَّحو، فتقول: بزيدٍ مررتُ به، ويكون التقدير: مررتُ بزيدٍ مررتُ به، ويكون من باب الاشتغال، والمحفوظُ المعروف عن العرب نصب الاسم وتفسير «مَرَرْتُ» المتأخِّر وما أَشبهَه من جهة المعنى فعلاً ناصباً[3].

= والاستثناء من أعمّ الأسباب، أي: وما تشاؤون بسبب من الأسباب إلا بأن يشاء الله تعالى.

(١) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، والكشاف ٤/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٥، وزاد المسير ٨/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٣. قال ابن جنّي: هذا على ارتجال جملة مستأنفة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٦، والكشاف ٤/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٥.

(٣) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: فعلاً ماضياً، وهو خطأ.

مفردات سورة المُرْسَلات

فَرَجْتُ الشيء: فتحتُه فانْفَرَجَ؛ قال الرَّاجز:

الـفَـارِجُـو بـابِ الأمـيـرِ الـمُـبْـهَـمِ[(١)]

كَفَتَ: ضَمَّ وَجَمَعَ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «اكْفِتُوا صِبْيَانَكُم»[(٢)]، ومنه قيل لبقيع الغَرْقَد: كَفْت وكَفْتَة[(٣)]، والكِفاتُ اسمٌ لِما يَكْفِتُ، كالضِّمام والجِماع، يقال: هذا البابُ جِماعُ الأبواب[(٤)]، وقال الصَّمْصَامة بنُ الطِّرِمَّاح:

فـأنـتَ الـيـومَ فـوقَ الأرضِ حـيٌّ وأنـتَ غـداً تـضـمُّـك فـي كِـفـاتِ[(٥)]

وقال أبو عبيدة: الكِفاتُ الوعاء[(٦)].

شمَخَ: ارتفعَ.

الشَّرَرُ: ما تطايرَ من النار متبدِّداً في كلِّ جهة، واحدُهُ: شَرَرَة، ولغة تميم شَرَار، بالألف، واحدُهُ: شَرَارَة.

القَصْر: الدارُ الكبيرة المشيَّدة، والقَصْرُ قِطَعٌ من الخشب قَدْرَ الذِّراع وفوقَه

---

(١) الكتاب ١/ ١٨٥ ونُسب فيه لرجل من بني ضبة، والكشاف ٤/ ٢٠٣ برواية: الفارجي.

(٢) هو قطعة من حديث جابر ﷺ، أخرجه أحمد (١٥١٦٧)، والبخاري (٣٣١٦).

(٣) في المعاجم وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٥ والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٩ وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠٦ أنه يقال لبقيع الغرقد: كفتة، ولم أقف على أنه يقال له: كفت.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠٦، وفيه: حيًّا، بدل: حيّ.

(٦) مجاز القرآن ٢/ ١٩٥.

ودونَه، يُسْتَعَدُّ به للشتاء، واحِدُهُ قَصْرَة[١]، والقَصَرُ بفتح الصاد أعناقُ الإبل والنَّخل والناس، واحدُهُ قَصَرَة[٢]، وبكسر القاف وفتح الصاد جمع قَصْرَة، كحَلَقة من الحديد وحِلَق، والله تعالى أعلم.

* * *

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، وحُكِيَ عن ابن عباس وقتادة ومقاتل أنَّ فيها مدنيًّا آية، وهي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨﴾[٣].

---

(١) بنحوه عن ابن عباس ﷺ أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٦٠١-٦٠٢، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ (والكلام منه): وهو المرادُ بالآية. اهـ. وقَصْرَة وقَصْر، مثل: جَمْرة وجَمْر، وتَمْرَة وتَمْر. قاله القرطبي ٢١/ ٥٠٩.

(٢) مثل: شَجَرَة وشَجَر. قاله الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٨٨. وينظر الدر المصون ١٠/ ٦٣٩.

(٣) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٦، وزاد المسير ٨/ ٤٤٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٤.

وأخرج أحمد (٣٥٧٤) والبخاري (١٨٣٠) ومسلم (٢٢٣٤) وغيرهم عن ابن مسعود قال=

ومناسبتُها لما قبلَها ظاهرةٌ جدًّا، وهو أنه ذكرَ أنه تعالى يرحمُ مَنْ يشاءُ ويعذِّبُ الظالمين، فهذا وَعْدٌ منه صادق، فأقسَمَ على وقوعِه في هذه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑦﴾.

ولمَّا كان المُقْسَمُ به موصوفاتٍ قد حُذفت وأُقيمت صفاتُها مقامَها وقعَ الخلاف في تعيين تلك الموصوفات.

فقال ابنُ مسعود وأبو هريرة وأبو صالح ومقاتل والفرَّاء: «والمُرْسَلات» الملائكة، أُرسلت بالعُرْف ـ ضدّ النُّكر ـ وهو الوَحْي، وبالتعاقب على العباد طرفي النهار[(١)].

وقال ابن عباس وجماعة: الأنبياء[(٢)].

ومعنى «عُرْفاً» إفضالاً من الله تعالى على عباده، ومنه قول الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ[(٣)]

وانتصابُه على أنه مفعولٌ له، أي: أُرْسِلْنَ للإحسان والمعروف.

أو متتابعة تشبيهاً بعُرْفِ الفَرَسِ في تتابعِ شعرِه وأعرافِ الجبال[(٤)]. وتقولُ العربُ: الناسُ إلى فلان عُرْفٌ واحد: إذا تَوجَّهُوا إليه متتابعين، وهم عليه كعُرْفِ الضَّبُع إذا تألَّبُوا عليه، وانتصابُه على الحال[(٥)].

= (واللفظ للبخاري): بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنًى إذ نزلَ عليه: «والمرسلات» وإنه ليتلوها وإني لأَتَلَقَّاها من فيهِ، وإنَّ فاه لَرَطْبٌ بها، إذْ وثَبَتْ علينا حيَّة، فقال النبي ﷺ: «اقتلُوها». فابْتَدَرْناها فذهبَتْ، فقال النبي ﷺ: «وُقِيَتْ شَرَّكم كما وُقِيتُم شرَّها».

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢١، وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٢، والنكت والعيون ٦/ ١٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ (والكلام منه بنحوه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٥.

(٢) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٧٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٥.

(٣) البيت للحطيئة، وهو في ديوانه ص٢٨٤، وسلف في تفسير آية النساء (١١٤).

(٤) المثبت من (يه)، والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: الخيل، بدل: الجبال. وعُرْفُ الجبل أعلاه.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٢.

وقال ابنُ مسعود أيضاً وابنُ عباس أيضاً ومجاهد وقتادة: الرِّياح[١].

وقال الحسن: السَّحاب[٢].

وقرأ الجمهور: «عُرْفاً» بسكون الراء وعيسى بضمِّها[٣].

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ قال ابنُ مسعود: الشديداتِ الهُبوب[٤].

وقيل: الملائكةُ تعصفُ بأرواح الكفار[٥]، أي تَنْزِعُها بشدَّة، أو تعصفُ في مُضِيِّها كما تعصفُ الرِّياح تخفُّفاً في امتثالِ أمرِه[٦].

وقيل: هي الآياتُ المُهلِكة، كالزلازل والصواعق والخسوف[٧].

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ قال السُّدِّيّ وأبو صالح ومقاتل: الملائكةُ تنشُرُ صُحُفَ العباد بالأعمال.

وقال الربيع: الملائكةُ تنشُرُ الناسَ من قبورهم.

وقال ابنُ مسعود والحسن ومجاهد وقتادة: الرِّياحُ تنشُرُ رحمةَ اللهِ ومَطَرَه.

وقال أبو صالح: الأمطار تُحيي الأرضَ بالنبات.

وقال الضحَّاك: الصُّحُف تُنْشَرُ على الله تعالى بأعمالِ العباد، فعلى هذا تكون الناشرات على معنى النَّسَب، أي: ذات النَّشْر[٨].

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦. وينظر النكت والعيون ٦/ ١٧٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، وهي في الكشاف ٤/ ٢٠٢ دون نسبة.

(٤) لفظُه في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٤ عنه: الريح، وفي النكت والعيون ٦/ ١٧٦ وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٦: الرياح العواصف، وأما قوله: الشديدات الهبوب فمن كلام الطبري ٢٣/ ٥٨٣، وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٥: هو قول الجمهور.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٦، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٥ للزجاج.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٠٢.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٧٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٦.

(٨) ينظر ما سلف في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٧، والنكت والعيون ٦/ ١٧٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، وزاد المسير ٨/ ٤٤٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٦.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾ قال ابن عباس وابنُ مسعود وأبو صالح ومجاهد والضحَّاك: الملائكة تفرُقُ بين الحقِّ والباطل والحلال والحرام.

وقال قتادة والحسن وابنُ كَيْسان: آياتُ القرآن فَرَقَتْ بين الحلال والحرام[١].

وقال مجاهد أيضاً: الرِّياح تفرِّق بين السَّحاب فتُبدِّدُه.

وقيل: الرُّسُل، حكاه الزَّجَّاج[٢].

وقيل: السَّحاب الماطِر تشبيهاً بالناقة الفاروق[٣]، وهي الحاملُ التي تَجْزَعُ حين تضع.

وقيل: العقول، تفرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ والصحيحِ والفاسد.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ قال ابنُ عباس وقتادة والجمهور: الملائكة، تُلقي ما حملَتْ من الوَحْي إلى الأنبياء.

وقال قطرب: الرُّسُل، تلقي ما أنزل عليها إلى الأمم[٤].

وقال الرَّبيع: آياتُ القرآن أُلقيت على النبي ﷺ[٥].

واختار الزمخشريّ من الأقوال أن تكون «والمرسلات» إلى آخر الأوصاف إمَّا للملائكة، وإمَّا للرِّياح، فللملائكة تكون عُذْراً للمُحِقِّين[٦]، أو نُذْراً للمُبْطِلين،

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٧-٥٨٨، والنكت والعيون ٦/ ١٧٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٧.
(٢) زاد المسير ٨/ ٤٤٦.
(٣) كذا في النسخ الخطية والمطبوع وروح المعاني ٢٨/ ١٧٩، ولم أقف على هذا اللفظ، والذي في المعاجم: الناقة الفارق، وهي (كما في القاموس) التي أخذها المخاض فندَّت في الأرض، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٧. وينظر الصحاح (فرق).
(٤) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٧٧، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٨.
(٥) لم أقف عليه، وسلف في أول سورة الصافات عن قتادة أن الزاجرات آيات القرآن، وذكره الماوردي في النكت والعيون عن الربيع.
(٦) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: للمحققين، والكلام في الكشاف ٤/ ٢٠٢.

وللرِّياح يكونُ المعنى: فأَلْقَيْنَ ذِكْراً إمَّا عُذْراً للذين يعتذرون إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم إذا رَأَوْا نعمةَ الله في الغيث ويشكرونها، وإمَّا إنذاراً للذين يُغْفِلُون[١] الشكرَ للهِ وينسُبون ذلك إلى الأنواء، وجُعلنَ مُلْقِياتٍ للذِّكْرِ لكونهنَّ سبباً في حصوله إذا شُكِرَتِ النعمةُ فيهنَّ أو كُفِرَتْ. قاله الزمخشريّ.

والذي يظهر[٢] أنَّ المُقْسَمَ به شيئان، ولذلك جاء العطف بالواو في «والناشرات»، والعطفُ بالواو يُشْعِرُ بالتغاير، بل هو موضوعُهُ في لسان العرب، وأما العطفُ بالفاء إذا كان في الصفات فيدلُّ على أنها راجعةٌ لموصوف واحد كقوله: والعاديات، فالموريات، فالمغيرات، فإنها راجعة[٣] إلى «العاديات»[٤] وهي الخيل، وكقوله:

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ لِلحارِثِ الصَّـ ـابِحِ[٥] فالغَانِمِ فالآيِبِ[٦]

فهذه راجعةٌ لموصوف واحد، وهو الحارث، فإذا تقرَّر هذا فالظاهر أنه أقسمَ أوَّلاً بالرِّياح؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾[٧] [الأعراف: ٥٧] فهي مرسلاتُه تعالى، ويدلُّ عليه عطفُ الصفة بالفاء كما قلنا، وأنَّ العَصْفَ من صفات الرِّيح في عدَّة مواضعَ من القرآن. والقَسَمُ الثاني فيه ترقٍّ إلى أشرفَ من المُقْسَم به الأوَّل، وهم الملائكة، ويكون «فالفارقات» «فالملقيات» من صفاتهم كما قلنا في عطف الصفات وإلقاؤهم الذِّكْر ـ وهو ما أنزل الله ـ يصحُّ إسنادُه إليهم.

---

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: يغفلون عن.

(٢) المثبت من (به). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: والذي أراه.

(٣) من قوله: لموصوف واحد... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٤) يعني قوله تعالى في سورة العاديات: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾.

(٥) في (أ) والمطبوع: فالصابح، وهو خطأ.

(٦) أي: الذي صبحَ فغنمَ فآبَ، والبيت لابن زيّابة (وزيّابة أمُّه)، وهو الشاهد (٣٥١) في خزانة الأدب، وسلف أول الصافات وأول الذاريات. وينظر مغني اللبيب ١/ ٢١٦ (الشاهد ٢٩٤).

(٧) الآية الكريمة من (به).

وقرأ الجمهور: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾ اسم فاعل خفيف، أي: تَطْرَحُهُ[١] إليهم، وابنُ عبَّاس مشدَّد من التلقية[٢]، وهي أيضاً إيصالُ الكلام إلى المخاطب، يقال: لقَّيتُه الذِّكرَ فتلقَّاه. وقرأ ابنُ عبَّاس أيضاً ـ فيما ذكرَه المَهْدَوِيّ ـ بفتح اللام والقاف مشدَّدة اسم مفعول[٣]، أي: تَلَقَّتْهُ من قِبَلِ اللهِ تعالى.

وقرأ إبراهيم التَّيميّ والنَّحْويَّان وحفص: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ بسكون الذالين[٤]. وزيدُ بنُ ثابت وابنُه خارجة[٥] وطلحة وأبو جعفر وأبو حَيْوَة وعيسى والحسن بخلاف والأعشى عن أبي بكر بضمِّهما[٦]، وأبو جعفر أيضاً وشيبةُ وزيدُ بنُ عليّ والحِرْميَّان وابنُ عامر وأبو بكر بسكونها في «عُذْراً» وضمِّها في «نُذُراً»[٧].

فالسُّكون على أنهما مصدران مفردان، أو مصدران جمعان فـ «عُذْراً» جمع عَذِير بمعنى المعذرة و«نُذْراً» جمع نذير بمعنى الإنذار، وانتصابُهما على البَدَل من «ذِكْراً» كأنه قيل: فالمُلقياتِ عُذراً أو نُذراً، أو على المفعول من أجله، أو على أنهما مصدران في موضع الحال، أي: عاذِرين أو مُنذِرين.

ويجوزُ مع الإسكان أن يكونا جَمْعَيْن لعاذر...[٨] وأمَّا قراءة «عُذْراً» بالسكون

(١) المثبت من (يه) (ووقع فيها: يطرحه) وفي النسخ الأخرى: تطرقه.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحتسب ٢/ ٣٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٨.
(٤) وقرأ أيضاً بسكون الذالين حمزة. ينظر السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧. والنحويان: أبو عمرو البصري، والكسائي.
(٥) في (أ) والمطبوع والدر المصون ١٠/ ٦٣١: ابن خارجة، وهو خطأ.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧. وينظر جامع البيان للداني ٢/ ٤٧٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٨.
(٧) المصادر السالفة، والنشر ٢/ ٢١٧.
(٨) في (يه) (والكلام منها كما في التعليق التالي): لعاذر ومعذور. ولم يتبيَّن لي. ولعله: لعاذر أو ناذر. قال أبو علي (فيما نقله عنه القرطبي ٢١/ ٤٩٨-٤٩٩): يجوز أن يكون العُذُر والنُّذُر بالتثقيل على جمع عاذر وناذر كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ فيكون نصباً على الحال من الإلقاء. وقال السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٦٣١: يجوز في كلٍّ من =

و«نُذُراً» بالضم فيجوز أن يكونا مصدرَيْن وأن يكونا جَمْعَيْن[١] على ما قَرَّرْناه. وقيل يصحُّ انتصاب «عُذراً أو نُذراً» على المفعول به بالمصدر الذي هو «ذِكْراً» أي: فالملقيات أي: تذكرُ[٢] عُذراً، وفيه بُعد، لأنَّ المصدر هنا لا يُراد به العملُ إنما يُراد به الحقيقة، كقوله: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ [القمر: ٢٥].

والإعذار هو بقيام الحُجَّةِ على الخلق، والإنذار هو بالعذاب والنِّقْمَة.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: من الجزاء بالثواب والعقاب ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ و«ما» موصولة وإن كانت قد كُتبت موصولةً بـ «إنَّ» وهذه الجملةُ هي المُقْسَمُ عليها.

وقرأ الجمهور: «أو نُذراً» و«أوْ» للتفصيل[٣]، وإبراهيمُ التَّيْميُّ: «ونُذراً» بواو العطف[٤].

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ أي: أذهبَ[٥] نورَها فاستوت مع جِرْمِ السماء، أو عَبَّرَ عن مَحْقِ[٦] ذواتِها بالطَّمْس، وهو انتثارُها وانكدارُها، أو أذهبَ نورَها ثم انتثرت ممحوقةَ النُّور.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ أي: صار فيها فُرُوجٌ بانفطارِها.

وقرأ عَمرو بنُ ميمون: «طُمِّسَتْ، فُرِّجَتْ» بشدّ الميم والراء[٧]، والجمهورُ بخفِّهما.

= المثقَّل والمخفَّف أن يكون مصدراً، وأن يكون جمعاً سُكّنت عينُه تخفيفاً. وينظر الكشاف ٤/٢٠٢-٢٠٣.

(١) من قوله: لعاذر. . . إلى هذا الموضع، من (يه).

(٢) المثبت من (يه) (وفيها: يذكر) ومثله في تفسير القرطبي ٢١/٤٩٩، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: فذكروا. وفي المحرر الوجيز ٥/٤١٧: أن يذكر عذراً.

(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: بواو التفصيل، وهو تحريف.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/٣٥٤، والمحرر الوجيز ٥/٤١٧، وزاد القرطبي ٢١/٤٩٨ نسبتها لقتادة.

(٥) في (يه): ذهب.

(٦) في (أ) والمطبوع: إلحاق، واللفظة غير واضحة في (ت) و(ع) والمثبت من (يه)، وينظر الكشاف ٤/٢٠٣.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٧، وهي في الكشاف ٤/٢٠٣، وزاد الزمخشري: نُسِّفَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ أي: فرَّقَتْها الرِّياح وذلك بعد التسيير، وقيل: كونُها هَباءً.

وقرأ الجمهور: ﴿أُقِّتَتْ﴾ بالهمز وشدِّ القاف.

وبتخفيف القاف والهمز النَّخَعيُّ والحسنُ وعيسى وخالد[١].

وقرأ أبو الأشهب وعَمرو بنُ عبيد وعيسى أيضاً وأبو عَمرو بالواو وشدِّ القاف، قال عيسى: وهي لغة سُفْلَى مُضَر[٢].

وعبدُ الله والحسنُ وأبو جعفر بواو واحدة وخفّ القاف[٣].

والحسنُ أيضاً: «وُوقِتَتْ» بواوَيْن على وزن: فُوعلت[٤]، والمعنى: جُعل لها وقتٌ منتَظَر، فحانَ وجاءَ، أو بلغَتْ ميقاتَها الذي كانت تنتظرُه، وهو يوم القيامة، والواوُ في هذا كلِّه أصلٌ، والهمزة بَدَل.

وقال الزمخشري: ومعنى توقيتِ الرُّسل تبيينُ وقتِها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم[٥].

وجوابُ «إذا» محذوف لدلالة ما قبلَه عليه، وتقديره: إذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ تعظيمٌ لذلك اليومِ وتعجيبٌ ممَّا يقعُ فيه من الهَوْل والشدَّة. والتأجيل من الأجل، أي: ليوم عظيمٍ أُخِّرَتْ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾ أي: بين الخلائق، وهو بَدَلٌ من «لأيِّ يوم».

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠١.

(٢) قراءة أبي عَمرو من السبعة، وهي في السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤١٨ (والكلام منه).

(٣) قراءة أبي جعفر من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٩٧، وذكرها ابن خالويه في الشاذة ص١٦٧، وابن جني في المحتسب ٢/ ٣٤٥.

(٤) المحتسب ٢/ ٣٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠١.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٣.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ مبالغةٌ في عِظَمِ ذلك اليومِ على الخلائق.

«وَيۡلٌ» تقدَّم الكلامُ فيه في أول ثاني حزب من سورة البقرة.

«يومئذ» يومَ إذْ طُمِسَت النجومُ وكان ما بعدَها.

وقرأ الجمهور: «نُهۡلِكِ» بضمّ النون وقتادةُ بفتحها[١]، قال الزمخشريّ: من «هَلَكَهُ» بمعنى: أهلكه، قال العجَّاج:

ومَهْمَهٍ هالِكِ مَنْ تَعَرَّجا[٢]

انتهى.

وخرَّجَ بعضُهم «هالِكِ مَنْ تعرَّجا» على أنَّ «هالِكاً» هو من اللازم، و«مَنْ» موصول، فاستدلَّ به على أنَّ الصفة المشبَّهة باسم الفاعل قد يكون معمولُها موصولاً.

وقرأ الجمهور: «نُتۡبِعُهُم» بضمّ العين على الاستئناف، وهو وعيدٌ لأهل مكة، ويقوِّي الاستئناف قراءةُ عبدِ الله: «ثم سنُتْبِعُهُمْ» بسين الاستقبال[٣]، والأعرجُ والعبَّاس عن أبي عَمرو بإسكانها[٤]، فاحتَملَ أن يكون معطوفاً على «نُهلك»، واحتَمَلَ أن يكون سُكِّن تخفيفاً كما سُكِّن «وما يُشْعِرْكُم»[٥] فهو استئناف، فعلى

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والكشاف ٤/ ٢٠٣.

(٢) ديوان العجَّاج ص٣٣٤، والمَهْمَهُ: القَفْرُ من الأرض، و«هالك» من وصف المَهْمَه، أي: هالِكِ المتعرِّجين فيه، أو أن «هالك» من فعل المتعرِّجين، أي: ومَهْمَهٍ هالكٍ متعرِّجوه. ينظر أدب الكاتب ص٣٣٧ وشرحه للجواليقي، والخصائص ٢/ ٢١٠-٢١١، واللسان والتاج (هلك)، وسلف في تفسير آية الكهف (٥٩).

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧، والكشاف ٤/ ٢٠٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠٣، وهي دون حرف عطف في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٥. وفي معاني الفراء ٣/ ٢٢٣ والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨ وزاد المسير ٨/ ٤٤٧: وسنُتبعهم.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحتسب ٢/ ٣٤٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠٣. وهي في الكشاف ٢/ ٢٠٣ دون نسبة.

(٥) من آية الأنعام (١٠٩)، وذكر ابن جنّي وجه التخفيف في المحتسب ٢/ ٣٤٦.

الاستئناف يكون «الأوَّلين» الأمَم التي تقدَّمت قريشاً أجمعَها، ويكون «الآخِرين» مَنْ تأخَّر من قريشٍ وغيرِهم، وعلى التشريك يكون «الأوَّلين» قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام ومن كان معهم، و«الآخِرين» قوم فرعون ومَن تأخَّر وقرُب من مدَّة رسول الله ﷺ[١].

والإهلاكُ هنا إهلاكُ عذابٍ ونكَال[٢]، ولذلك جاء: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ فأتى بالصفة المقتضية لإهلاكِ العذاب، وهي الإجرام.

ولمَّا ذكرَ إفناءَ الأوَّلين والآخِرين؛ ذَكَرَ ووقَفَ على أصلِ الخِلْقَة التي يقتضي النظرُ فيها تجويزَ البعث.

﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيف، وهو مَنِيُّ الرَّجل والمرأة ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرَّحِم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: عندَ الله تعالى، وهو وقتُ الولادة.

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب ونافعٌ والكسائيّ[٣]: «فقَدَّرْنا» بشدِّ الدال، من التقدير، كما قال ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ [عبس: ١٩] وباقي السبعة بخفِّها من القدرة.

وانتصب «أحياءً وأمواتاً» بفعل يدلُّ عليه ما قبله، أي: تَكْفِتُ أحياءً على ظهرِها وأمواتاً في بطنها، واستدلَّ بهذا من قال: إن النَّبَّاشَ يُقْطَعُ لأنَّ بطنَ الأرضِ حِرْزٌ للكَفَن، فإذا نبش وأخذ منه فهو سارق.

وقال الزمخشري[٤]: ويجوزُ أن يكون المعنى: تَكْفِتُكُم أحياءً وأمواتاً، فينتصبا على الحال من الضمير، لأنه قد عُلم أنها كِفاتُ الإنسان. انتهى.

﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثابتات ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ مرتفعات، ومنه: شَمَخَ بأنفه: ارتفع، شبّه المعنى بالجِرم.

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ جعلناه سقياً لمزارعكم ومنافعِكم.

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٨.
(٢) في (أ) والمطبوع: العذاب والنَّكال.
(٣) قوله: ونافع والكسائي، من (يه). وينظر السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨.
(٤) ينظر الكشاف ٤/ ٢٠٤، والكلام قبله فيه بنحوه.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقال للمكذّبين: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾أي: من العذاب.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أمرٌ، قراءةُ الجمهور، تكراراً وبياناً[١] للمنطَلَقِ إليه.

وقرأ رُوَيْس عن يعقوب بفتح اللام على معنى الخبر[٢]، كأنَّهم لمَّا أُمِرُوا امتثلُوا فانطلقُوا، إذ لا يمكنُهم التأخير، إذْ صارُوا مضطرِّين إلى الانطلاق.

﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾قال عطاء: هو دخانُ جهنم[٣]، ورُوِيَ أنه يعلُو من ثلاثة مواضعَ يظنُّ الكفارُ أنه مُغْنٍ من النار، فيُهْرَعُون إليه فيجدونه على أسوأ وصف.

وقال ابنُ عبَّاس: يقال ذلك لِعَبَدَةِ الصَّليب[٤]، فالمؤمنون في ظلِّ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهم في ظلِّ معبودِهم ـ وهو الصليب ـ له ثلاث شُعَب، والشُّعَبُ: ما تفرَّقَ من جسم واحد[٥].

---

(١) في المطبوع: أو بياناً. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/٤١٩.

(٢) المصدر السالف، والنشر ٢/٣٩٧، وزاد ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٨/٤١٩-٤٢٠ لأبيّ بن كعب وأبي عمران.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٤١٩. ونُسب القول في تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٠ لمجاهد، وبنحوه ٢٣/ ٦٠٠-٦٠١ عن قتادة.

(٤) قال مكيّ في الهداية: هو قول شاذّ يوجب أن يكون المأمور بهذا النصارى خاصة، والآية عامة في جميع الكفار.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/٤١٩-٤٢٠.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾نَفْيٌ لمحاسنِ الظِّلِّ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾أي: ولا مُغْنٍ عنهم من حَرِّ اللَّهَب شيئاً.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾الضمير في «إنَّها» لجهنَّم.

وقرأ الجمهور: «بشَرَرٍ» وعيسى: «بشَرَارٍ» بألف بين الراءين[(١)]، وابنُ عباس وابنُ مِقْسَم كذلك إلا أنه كسرَ الشِّين[(٢)]، فاحتمَل أن يكون جمعَ «شَرَرَة»[(٣)] أي: بشِرارٍ من العذاب، وأن يكون صفة أُقيمت مقام موصوفِها، أي: بشِرارٍ من الخلق كما تقول: قومٌ شِرار جمع «شَرّ» غير أفعل التفضيل، وقومٌ خِيار جمع «خَيْر» غير أفعل التفضيل، ويؤنث هذا فيقال للمؤنث: شَرَّة و«خَيْرَة» بخلافهما إذا كانا للتفضيل؛ فلهما أحكام مذكورة في النحو.

وقرأ الجمهور: ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾، وابنُ عبَّاس وابنُ جُبير ومجاهدٌ والحسنُ وابنُ مِقْسَم بفتح القاف والصاد[(٤)].

وابنُ جُبير أيضاً والحسنُ أيضاً «كالقِصَر» بكسر القاف وفتح الصاد[(٥)].

وبعض القرَّاء بفتح القاف وكسر الصاد[(٦)].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وفيهما أنها جمع شرارة، وهي لغة تميم. وسلف في المفردات.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٧ عن ابن عباس ﷺ.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: شَرَر، والمثبت من الدُّرّ المصون ١٠/ ٦٣٩ وقيَّدها السمين فيه على مثال: رَقَبَة ورِقاب، وكذا قُيِّدت في روح المعاني ٢٨/ ١٨٨، وكذا جاء مفردُها شَرَرَة في القاموس، وينظر تاج العروس (شرر)، وفيه تعقُّب.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٧ عن ابن عباس، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ عنه وعن ابن جُبير، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٠ عن ابن عباس ومجاهد وحُميد والسُّلَميّ، وزاد المسير ٨/ ٤٥٠ عن ابن عباس ومجاهد وأبي رزين وأبي الجوزاء. وينظر المحتسب ٢/ ٣٤٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٠ عن ابن جُبير، وفي المحتسب ٢/ ٣٤٦ عنه وعن ابن عباس، وفي زاد المسير ٨/ ٤٥٠-٤٥١ عن أبي الدرداء وابن جبير.

(٦) زاد المسير ٨/ ٤٥٠ عن سعد بن أبي وقاص وعائشة وعكرمة وأبي مِجْلَز وأبي المتوكّل وابن يَعمر.

وابنُ مسعود بضمِّهما[(١)]، كأنه مقصور من «القُصُور» كما قَصَرُوا النُّجُم والنُّمُر من النُّجوم والنُّمُور؛ قال الرَّاجز:

فيها عَيَايِيلُ أُسُودٌ ونُمُرْ[(٢)]

وتقدَّم شرح أكثر هذه القراءات في المفردات.

وقرأ الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ بكسر الجيم وبالألف والتاء جمع جِمال الجمع[(٣)]، وهي الإبل، كقولهم: رِجالات قريش.

وابنُ عبَّاس وقتادة وابنُ جُبير والحسنُ وأبو رجاء بخلاف عنهم كذلك، إلا أنَّهم ضَمُّوا الجيم[(٤)]. وهي حِبالُ السُّفُن، الواحد منها جُمْلَة لكونه جُملة من الطَّاقات والقُوَى، ثم جُمع على جُمَل وجُمال، ثم جُمع جُمال ثانياً جمع صحَّة فقالوا: جُمالات[(٥)]، وقيل: الجُمالات: قُلُوس[(٦)] الجُسور.

وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص وأبو عَمرو في رواية الأصمعي وهارون عنه

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والكشاف ٤/ ٢٠٤، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥ نسبتها لأبي هريرة والنَّخَعيّ.

(٢) الرَّجَز لحُكَيم بن مُعَيَّة الرَّبَعي، وهو في وصف قناةٍ تنبت في موضع محفوف بالجبال والشجر. والعَيَايِيل جمع عَيَّال، وهو المتبختر في مشيه، وفي التاج عن ابن السِّيرافي: كأنه قال: فيها متبخترات أُسُودٌ. وأُسُود بدل من عَيَايِيل، وقيل: عَيَايِيل جمع عَيِّل، وهو من الذئب ونحوه: الملتمسُ الباحث. وينظر الكتاب ٢/ ١٧٩، والأصول في النحو ٢/ ٤٣١، واللسان والتاج (عال - نمر) وشرح شافية ابن الحاجب ٤/ ٣٧٧-٣٧٩.

(٣) أي: «جِمال» التي هي جمع جَمَل. وعبارة المطبوع: جمع جمال جمع الجمع. وينظر الدر المصون ١٠/ ٦٤١.

(٤) المحتسب ٢/ ٣٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١١-٥١٢، وقرأ بها رُوَيْس عن يعقوب من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٩٧.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٨، والدر المصون ١٠/ ٦٤١.

(٦) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٧-٦٠٨، ووقع في مطبوع البحر: قلوص، وهو خطأ والقُلُوس جمع قَلْس، وهو حَبْلٌ ضخم من ليف أو خُوص أو غيرهما. ينظر القاموس (قلس).

«جِمالة» بكسر الجيم، لحقت جِمالاً التاء لتأنيث الجمع ك: حَجَر وحِجارة[(١)]. وقرأ ابنُ عبَّاس والسُّلَميُّ والأعمش وأبو حَيْوَة وأبو بَحْرِيَّة وابنُ أبي عَبْلَة ورُوَيْس كذلك إلا أنهم ضمُّوا الجيم[(٢)]. قال ابنُ عبَّاس وابنُ جُبير: الجُمالات قُلُوس السُّفن، وهي حِبالُهُ العِظام[(٣)]؛ إذا جُمِعَتْ مستديرةً بعضُها إلى بعض جاء منها أجْرَامٌ عِظام.

وقال ابن عبَّاس أيضاً الجُمَالاتُ قِطَعُ النُّحاس الكِبار، وكأنَّ اشتقاقَ هذه من اسم الجُملة[(٤)].

وقرأ الحسن: «صُفُر» بضمّ الفاء[(٥)]، والجمهورُ بإسكانها، شبَّه الشَّرَرَ أوَّلاً بالقَصْر - وهو الحِصْنُ - من جهة العِظَم، ومن جهة الطُّول في الهواء، وثانياً بالجِمالِ لبيانِ التشبيه، ألا تراهم يُشَبِّهون الإبلَ بالأفْدَان[(٦)]، وهي القُصُور، قال الشاعر:

فَوَقَفْتُ فيها ناقتي وكأنَّها فَدَنٌ لأقْضِيَ حاجةَ المُتَلَوِّمِ[(٧)]

ومن قرأ بضمّ الجيم[(٨)] فالتشبيهُ من جهة العِظَمِ والطُّولِ والصُّفْرَة[(٩)].

---

(١) قراءة حمزة والكسائي وحفص من السبعة، ينظر السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨. وينظر أيضاً المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٢.

(٢) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٢، وسلف قبل ثلاث تعليقات أن رُويساً قرأ بروايته عن يعقوب: جُمالات.

(٣) بنحوه في صحيح البخاري (٤٩٣٣)، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٦-٦٠٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠.

(٦) جمع فَدَن. وينظر الكشاف ٤/ ٢٠٤، والكلام فيه بنحوه.

(٧) البيت لعنترة العبسي، وهو من معلَّقته التي مطلعُها: هل غادر الشعراء من متردَّم، وينظر شرح القصائد السبع ص٢٩٧، وأساس البلاغة (لوم).

(٨) يعني في قوله: «جُمالات» وهي القُلُوس. وينظر الكشاف ٤/ ٢٠٥.

(٩) قوله: والصُّفرة، من (ع) و(يه)، ولم تتكرَّر في (أ) و(ت) والمطبوع. والكلام في المصدر السالف.

والصُّفْرة الفاقعةُ أشبهُ بلون الشَّرَر، قاله الجمهور، وقيل: صُفْرٌ: سُودٌ، وقيل: سُودٌ تضربُ إلى الصُّفرة[١]، وقال عِمْرانُ بنُ حِطَّان الرَّقاشيُّ:

دَعَتْهُمْ بأعلَى صَوْتِها وَرَمَتْهُمُ بمثل الجِمالِ الصُّفْرِ نَزَّاعَةُ الشَّوَى[٢]

وقرأ الأعرج والأعمش وزيد بنُ عليّ وعيسى وأبو حَيْوَة وعاصم في رواية: «هذا يَوْمَ لا ينطقون» بفتح الميم[٣]، والجمهورُ برفعها؛ قال ابنُ عطيَّة: لمَّا أضاف[٤] إلى غيرِ متمكِّن بناه، فهي فتحةُ بناء، وهي[٥] في موضع رفع.

وقال صاحب «اللَّوامح» قال عيسى: هي لغة سُفْلَى مُضَر، يعني بناءَهم «يَوْمَ» مع «لا» على الفتح، لأنَّهم جعلُوا «يَوْمَ» مع «لا» كالاسم الواحد، فهو في موضع رفع، لأنه خبرُ المبتدأ. انتهى.

والجملة المصدَّرة بمضارع مثبت أو منفيّ لا يُجيز البصريُّون في الظرف المضاف إليها البناء بوجه، وإنما هذا مذهبٌ كوفيّ.

قال صاحب «اللَّوامح»: ويجوزُ أن يكونَ نصباً صحيحاً على الظرف، فيصير «هذا» إشارةً إلى ما تقدَّمه من الكلام دون إشارة إلى يوم، ويكون العامل في نصب «يوم» ما[٦] تقدَّمَهُ من صفة جهنَّم ورَمْيِها بالشَّرَر في يوم لا ينطقون، فيكون «يومئذ» كلامٌ معترض[٧] لا يمنعُ من تفريغ العامل للمعمول كما كانت

(١) ينظر الكشاف ٤/ ٢٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٠-٥١١.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١١.
(٣) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٧، والكشاف ٤/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، وزاد المسير ٨/ ٤٥١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٤.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠: لما أُضيف.
(٥) في المصدر السالف (والكلام منه): وهو.
(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: نداء، بدل: ما، وهو خطأ، وهي غير واضحة في (ت)، والمثبت من (يه).
(٧) يعني بقوله: «يومئذ كلام معترض» قولَه تعالى: «ويلٌ يومئذ للمكذبين». ثم إن قوله: كلام معترض؛ الجادَّة فيه: كلاماً معترضاً، والله أعلم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ كذلك من حيث إنها لم تمنع إتباع الصفة للموصوف في نحو: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾[(١)] [الرحمن: ٤٦-٤٨] انتهى.

وقال ابنُ عطية[(٢)]: ويحتمل أن يكون ظرفاً، وتكون الإشارة بـ «هذا» إلى رميها بشَرَر.

وقال الزمخشريّ: ونَصَبَهُ الأعمش، أي: هذا الذي قَصَّ عليكم واقعٌ يومئذ[(٣)].

وهنا نَفَى نطقَهم، وقد أخبرَ الله تعالى عنهم أنهم نطقُوا في مواضعَ من هذا اليوم، وذلك باعتبار طولِ اليوم، فيصحُّ أن ينفيَ القولَ فيه في وقت ويثبت في وقت، أو نَفَى نطقَهم بحجَّةٍ تنفع، وجعلَ نطقَهم بما لا ينفع كلا نطق.

وقرأ القرَّاء كلُّهم فيما أعلم: «ولا يُؤْذَنُ» مبنيًّا للمفعول، وحكى أبو عليّ الأهوازيّ أن زيدَ بنَ عليّ قرأ: «ولا يأذنُ» مبنيًّا للفاعل، أي: الله تعالى.

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾عطف على «ولا يُؤذَنُ» داخلٌ في حيز نفي الإذن، أي: فلا إذْنَ فاعتذار، ولم يجعل الاعتذار متسبّباً عن الإذن فيُنصب.

وقال ابنُ عطيَّة: ولم يُنصب في جواب النفي لتشابُهِ رؤوس الآي، والوجهان جائزان. انتهى[(٤)].

فجعل سببَ امتناع النَّصب هو تشابه رؤوس الآي، وقال: والوجهان جائزان، فيظهر من كلامه استواءُ الرفع والنصب، وأنَّ معناهما واحد، وليس كذلك، لأنَّ الرفعَ كما ذكرنا لا يكونُ متسبِّباً، بل صريحُ عطف، والنصبُ يكون فيه متسبِّباً، فافترقا[(٥)].

---

(١) من قوله: كذلك من حيث... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٠٥.

(٤) وقاله الطبري في تفسيره ٢٣/ ٦١٠ قبل ابن عطية، ومَثَّلَ له بقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ رفعاً ونصباً.

(٥) بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠٥، وينظر شرح الكافية ٤/ ٦٦ و٧١/ ١١٨.

وذهب أبو الحجَّاج الأعلم إلى أنه قد يرتفعُ الفعل ويكون معناه معنى المنصوب بعدَ الفاء، وذلك قليل، وإنما جعل النَّحويُّون معنى الرفع غير معنى النَّصب رَعْياً للأكثر في كلام العرب، وجعل دليلَه في ذلك بهذه الآية كظاهرِ كلامِ ابنِ عطية، وقد رَدَّ ذلك عليه ابنُ عُصفور وغيرُه.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ﴾خطابٌ للكفار ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾قوم نوح عليه السلام وغيرهم من الكفار الذين تقدَّم زمانُهم على زمان المخاطَبين، أي: جمعناكم للفصل بين السُّعداء والأشقياء. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ أي: في هذا اليوم كما كان لكم في الدُّنيا ما تكيدون به دينَ الله وأولياءَهُ ﴿فَكِيدُونِ﴾ اليوم، وهذا تعجيز لهم وتوبيخ.

ولمَّا كان في سورة الإنسان ذكرَ نَزْراً من أحوال الكفار في الآخرة وأطنبَ في وصفِ أحوالِ المؤمنين فيها، جاء في هذه السورة الإطنابُ في وصف الكفار والإيجازُ في وصف المؤمنين، فوقعَ بذلك الاعتدال بين السورتين.

وقرأ الجمهور: ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾جمع «ظِلّ»، والأعمشُ: «في ظُلَل» جمع ظُلَّة[1].

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾خطابٌ لهم في الآخرة على إضمار القول، ويدلُّ عليه: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾خطابٌ للكفار في الدُّنيا ﴿قَلِيلًا﴾أي: زماناً قليلاً؛ إذْ قُصارى أكْلِكُم وتمتُّعِكُم الموتُ، وهو خطابُ تهديدٍ لمن أجرمَ من قريش وغيرِهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾مَنْ قال: إنها مكِّيَّة قال: هي في قريش، ومن قال: إنَّ هذه الآية مدنيَّة قال: هي في المنافقين.

وقال مقاتل: نزلت في ثَقِيف؛ قالوا لرسولِ الله ﷺ: حُطَّ عنَّا الصلاة، فإنَّا لا ننحني، إنها مَسَبَّة، فأبى وقال: «لا خَيْرَ في دينٍ لا صلاةَ فيه»[2]. ومعنى

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٧ والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥١٧، وجاء المرفوع منه في حديث عثمان بن أبي العاص في خبر وفد ثَقِيف في مسند أحمد (١٧٩١٣) وغيره بسياق آخر، وفيه: «لا خير في دين لا ركوع فيه».

«اركعوا»: اخشعُوا للهِ وتواضعُوا له بقبول وَحْيِه.

وقيل: الركوعُ هنا عبارة عن الصلاة[١] وخصَّ من أفعالها الرُّكوع لأنَّ العرب كانوا يأنفَون من الرُّكوع والسجود[٢].

وجاء في هذه السورة بعد كلِّ جملة قولُه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ لأنَّ كلَّ جملة منها فيها إخبارُ اللهِ تعالى عن أشياء، وبأشياء[٣] من أحوال الآخرة وتقريرات[٤] من أحوال الدُّنيا، فناسبَ أن يُذكرَ الوعيدُ عَقِيبَ كلِّ جملة منها للمكذِّبِ بالويلِ في يوم الآخرة.

والضميرُ في «بَعْدَهُ» عائدٌ على القرآن، والمعنى أنه قد تَضمَّنَ من الإعجازِ والبلاغةِ والإخبارِ بالمغيَّبات وغير ذلك ممَّا احتَوى عليه ما لم يَتَضَمَّنْهُ كتابٌ إلهيٌ، فإذا كانوا مكذِّبين به؛ فبأيِّ حديثٍ بعدَه يُصَدِّقون به؟! أي: لا يمكنُ تصديقُهم بحديثٍ بعد أن كذَّبوا بهذا الحديث الذي هو القرآن.

وقرأ الجمهور: «يؤمنون» بياء الغَيبة، ويعقوبُ وابنُ عامر في رواية بتاء الخطاب[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٦١٤ عن مجاهد.

(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١.

(٣) قوله: وبأشياء، من (ع) و(يه).

(٤) في (يه): وبتقريرات.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٢، وهي في الكشاف ٤/ ٢٠٥ دون نسبة. والقراءة المشهورة عنهما كقراءة الجمهور.

مفردات سورة النبأ

السُّبَاتُ: قال ابنُ قتيبة: السُّبَات: أَصْلُه: القَطْعُ والمَدُّ، فالنَّوم قَطْعٌ للأشغال الشَّاقَّة، ومِنَ المَدِّ قولُ الشاعر:

وإنْ سَبَّتَتْهُ مالَ جُثلاً كأنَّه   سدى واثلاتٍ مِن نواسِجِ خَثْعَما[1]

أي: إنْ مدَّتْ شَعْرَها مَالَ والْتَفَّ، كالتفافِ السُّدَى بأيدي نساءٍ ناسجات.

الوهَّاج: المُتوقِّد المُتَلَالي.

المُعْصِر، قال الفرَّاء: السَّحَاب الذي يَجلِب المطرَ[2] ولمَّا يجتمع، مِثْل الجارية المُعْصِر قد كادت تَحيضُ ولمَّا تَحِض. وقال نحوه ابنُ قتيبة[3]. وقال أبو النجم العِجْليُّ:

تَمشِي الهُوينا مائِلاً خمارُها   قَد أَعصَرَت أو قَدْ دَنَا إعصارُها[4]

---

(١) كلام ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، باب التناقض والاختلاف ص٥٥، والبيت في أمالي المرتضى ١/ ٣٥٠ نقلاً عن ابن قتيبة.

(٢) كذا في النسخ عدا (أ)، وفيها: يحلب المطر، وفي تفسير البغوي ٤/ ٤٣٧، وزاد المسير ٩/ ٦: تتحلَّب بالمطر. وينظر أيضاً تفسير الطبري ٢٤/ ١٢-١٣، وتهذيب اللغة (عصر)، واللسان (عصر).

(٣) زاد المسير ٧/ ٦.

(٤) الرجز في أمالي القالي، فصل في ذكر الحاطبي، ولم ينسبه، ونُسبَ في لسان العرب لنافع بن لقيط، وقيل: هو لمنظور بن مَرْثد، وروايته فيه هكذا:

جاريةٌ في سفوان دارها   قد أعصرت أو قد دنا إعصارها

تمشي الهوينا مائلاً خمارها   يسقط من غلمتها إزارها

الثَّجُّ: قال ثعلب: أَصله شِدَّةُ الانصباب. (١وقال الأزهريُّ: مَطَر ثَجَّاج: شديدُ الانصباب١)، ثَجَّ الماءُ وثَجَجْته أنا ثَجًا وثُجوجاً، يكون لازماً بمعنى الانصباب، وواقعاً بمعنى الصَّبِّ، قال الشاعر في وَصْف الغيث:

إذا رَجَفَت فيها رَحًى مُرْجَحِنَّةٌ تَبَعَّجَ ثَجَّاجاً غَزِيرَ الحوافِلِ[٢]

ألفافاً: جَمْعُ: لِفّ بكسر اللام ـ قاله جمهورُ أهلِ اللغة ـ قالوا: واللِّفُّ: الجنَّةُ المُلتفَّة بالأغصان، وقال الكسائيُّ: جمع: لَفِيْف، وقال الشاعر:

أحابيشُ ألفافٌ تبايَنَ فَرْعُهُم وجِذْمُهُم عن نسبةِ المتعرِّفِ[٣]

وقال ابنُ قتيبة: هو جَمْعُ الجَمْع، جمع لَفَّاء على لُفّ[٤]، ثم جُمعَ لُفّ على: أَلفَاف.

الكواعب: جَمْع: كاعِبٍ وهي التي بَرَزَ نهدُها، ومنه: كَعْبُ الرِّجْل؛ لبروزِه، ومنه: الكعبة، قال قيس بنُ عاصم المِنْقَري:

وكم مِن حَصَانٍ قد حَوَينا كريمةٍ ومِن كاعبٍ لم تَدْرِ ما البؤسُ مُعْصِرِ[٥]

الدِّهَاق: المَلْأَى، مأخوذ مِن الدَّهَق، وهو ضَغْطُ الشيء وشَدُّه باليد، كأنَّه لامتلائِه انضغَطَ.

(١-١) ليست في (يه)، وقول الأزهري في تهذيب اللغة.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٦٦، وينظر الصحاح (رجحن).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٥، وورد عنده: المتقرّب، بدل: المتعرّف، ولم نقف على البيت عند غيره، وأورده عن المصنِّف السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ١٠/ ٦٥٣، والأحابيش: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة، وكذلك الأُحْبُوش والحُبَاشَة. الصحاح (حبش)، والجِذْمُ: الأصل. القاموس (جذم).

(٤) من قوله: بكسر اللام. . . إلى هنا، ليست في (أ) ومطبوع البحر، وقول ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن ص٥٠٩، وينظر ما قاله الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٢١٧ حول هذا الكلام.

(٥) البيت في النكت والعيون ٦/ ١٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥، ولم نقف على البيت عند غيرهما، وأورده عن المصنِّف السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ١٠/ ٦٦١، وقيس بن عاصم شاعر مخضرم، تنظر ترجمته في الإصابة.

وقيل: الدِّهاق: المُتابعة، قال الشاعر:

أَتـانـا عـامِـرٌ يـبـغـي قِـرَانَـا   فـأَتْـرَعْـنـا لـه كَـأْسـاً دِهـاقَـا[1]

وقال آخر:

لأنـتِ إلـى الـفـؤادِ أَحَـبُّ قُـرْبـاً   مِـن الـصَّـادِي إلـى كـأسٍ دِهـاقِ[2]

* * *

سورة النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا
﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾
وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

هذه السورةُ مكِّيَّة، وروي أنَّه ﷺ لمَّا بُعِثَ جَعَلَ المشركونَ يتساءلونَ بينهم، فيقولون: ما الذي أَتَى به، ويتجادلونَ فيما بُعِثَ به. فنزلت[3].

ومناسبتها لِمَا قَبْلَها ظاهرةٌ، لمَّا ذَكَر: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بَعْدَ الحديثِ الذي هو القرآن، وكانوا يتجادلونَ فيه ويسائلون عنه، قال: «عمَّ يتساءلون».

---

(١) البيت في النكت والعيون ٦/ ١٨٩ دون نسبة، وهو في الصحاح (دهق) وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥ ونُسبَ لخداش بن زهير.

(٢) البيت في النكت والعيون ٦/ ١٨٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦ ولم يُنسَب فيهما، والصَّدَى: العَطَش، والصادي: العطشان. القاموس (صدي).

(٣) زاد المسير ٩/ ٤، والخبر أورده الطبريُّ في تفسيره ٢٤/ ٥ وعزاه للحسن.

وقرأ الجمهور: «عَمَّ»، وعبد الله وأُبَيّ وعكرمة وعيسى: «عمَّا» بالألف[١]، وهو أصل: «عَمَّ»، والأكثر حَذْفُ الألف مِن «ما» الاستفهاميَّة إذا دَخَلَ عليها حرفُ الجَرِّ أو أُضيف إليها، ومِن إثبات الألف قوله:

على ما قامَ يَشتمني لَئيمٌ كخنزيرٍ تَمرَّغَ في رمادِ[٢]

وقرأ الضحاك وابنُ كثير في رواية: «عَمَّه» بهاء السَّكْت[٣]، أجرى الوصل مجرى الوقف؛ لأنَّ الأكثرَ في الوقف على «ما» الاستفهاميَّة هو بإلحاق هاءِ السَّكْت، إلَّا إذا أُضيف إليها، فلا بُدَّ مِن الهاء، في الوقف نحو مَجِيْء: «مه»، والاستفهام عن هذا فيه تفخيمٌ وتهويل وتقريرٌ وتعجيب، كما تقول: أيّ رجلٍ زيد؟ وزيدٌ ما زيد، كأنَّه لمَّا كان عديمَ النَّظِير أو قليلَه، خَفي عليكَ جنسُه، فأخذتَ تستفهمُ عنه، ثمَّ جرَّد العبارةَ عن تفخيم الشيء فجاء في القرآن.

والضمير في «يتساءلون» لأهل مكَّة، ثم أَخبرَ تعالى أنَّهم يتساءلونَ «عن النَّبأ العظيم»، وهو أَمْرُ رسولِ الله ﷺ وما جاءَ به مِن القرآن.

وقيل: الضمير لجميعِ العالَم، فيكون الاختلافُ تصديقَ المؤمن وتكذيبَ الكافر.

وقيل: المُتساءَل فيه البعثُ والاختلاف فيه.

و«عَمَّ» متعلِّق بـ «يتساءلون»، ومَنْ قَرَأ «عَمَّه» بالهاء في الوصل، فقد ذُكَرنا أنَّه يكون أجرى الوصل مجرى الوقف.

و«عن النبأ» متعلِّق بمحذوف، أي: يتساءلون عن النَّبأ، وأجاز الزمخشريُّ أَنْ يكون وقف على «عمّه» ثم ابْتَدَأ بـ «يتساءلون عن النَّبأ العظيم» على أَنْ يُضمر لـ «عَمَّه» «يتساءلون»، وحذفت لدلالة ما بَعْدَها عليه كشيء مُبْهَم ثم يُفسَّر[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٣، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٤٧ عن عكرمة وعيسى.
(٢) البيت لحسان بن ثابت، وهو في شرح ديوانه ص١٩٩، وسلف.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٣ عن الضحاك، والكشاف ٤/ ٢٠٦، والقراءات الشاذة ص١٦٧ عن ابن كثير، والقراءة في النشر ٢/ ١٣٤ عن يعقوب أيضاً.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٦.

وقال ابنُ عطيَّة: قال أكثرُ النُّحاة: قوله: «عن النَّبَأ العظيم» متعلّق بـ «يتساءلون» الظاهرِ، كأنَّه قال: لِمَ يَتَساءَلون عن النَّبَأ العظيم، وقال الزجَّاج: الكلام تامٌّ في قوله: «عمَّ يتساءلون» ثمَّ كان مقتضى القول أنْ يُجيب مجيبٌ فيقول: يَتَساءَلون «عن النَّبَأ العظيم» فاقتضى إيجازُ القرآن وبلاغتُه أنْ يُبادِر المحتجُّ بالجواب الذي يقتضيه الحال والمحاورة اقتضاء للحجَّة وإسراعاً إلى موضع قَطْعهم[1].

وقرأ عبد الله وابنُ جبير: «تَسَّألون» بغير ياء وشدَّد السين[2]، وأصله: تتساءلون، بتاء الخطاب، فأدغم التاء الثانية في السين.

«كلا» رَدْعٌ للمتسائلين، وقرأ الجمهور: «سيعلمون» بياء الغيبة فيهما، ومالك بنُ دينار والحسن وابنُ عامر ـ بخلاف عنهما ـ وابنُ مقسم: بتاء الخطاب فيهما[3]، وعن الضَّحَّاك الأوَّل بالتاء على الخطاب، والثاني بالياء على الغيبة[4].

وهذا التكرار توكيدٌ في الوعيد، وحذف ما يتعلَّق به العِلْم على سبيل التهويل، أي: سيعلمون ما يحلُّ بهم، ثم قرَّرهم تعالى على النَّظَر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي ابتدعها مِن العَدَم الصِّرْف، وأنَّ النَّظَر في ذلك يُفضي إلى الإيمان بما جاءَت به الرُّسُل مِن البعث والجزاء، فقال: «أَلَم نجعلِ الأرضَ مهاداً» فبَدَأ بما هم دائماً يُباشرونه، و«المِهاد»: الفِراش المُوطَّأ.

وقرأ الجمهور: «مِهاداً»، ومجاهد وعيسى وبعضُ الكوفيِّين: «مَهْداً» بفتح الميم وسكون الهاء[5]، ولم يَنسُب ابنُ عطيَّة عيسى في هذه القراءة.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٣، وينظر كلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٢٧١.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٧.
(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٧، دون ذِكْر قراءة ابن مقسم، وقراءة ابن عامر من رواية ابنِ ذكوان في السبعة ص٦٦٨، وفيه أيضاً روايته الأخرى بالياء عن هشام بن عمار.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٨-٣٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، والقراءة في تفسير القرطبي ٢٢/ ٧، والكشاف ٤/ ٢٠٧ دون نسبة، ونُسبت في القراءات الشاذة ص١٦٧ لمجاهد وعيسى الهمداني. وينظر ما سيقوله المصنِّف عن عيسى هذا.

وقال ابنُ خالويه: «مَهْداً» على التوحيد: مجاهد وعيسى الهمداني. وهذا كوفيّ[١]، فاحتمل أنْ يكون قولُ ابنِ عطيَّة: وبعض الكوفيِّين، كنايةً عن عيسى هذا الهمداني، وإذا أطلقوا: عيسى، أو قالوا: عيسى البَصْرة، فهو عيسى بنُ عمر الثقفيّ، وتقدَّم الكلامُ في المهاد في سورة البقرة في أوَّل حزب: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الآية: ٢٠٣].

«والجبال أوتاداً» أي: ثبَّتنا الأرضَ بالجبال، كما يُثبَّت البيت بالأوتاد، كما قال الأفوه الأودِيّ:

والبيتُ لا يُبتنى إلَّا له عَمَدٌ ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ[٢]

«أزوجاً» أي: أنواعاً في اللَّون والصُّورة واللِّسان، وقال الزجَّاج وغيره: مزدوجين ذكراً وأنثى[٣]. «سباتاً» سُكُوناً وراحةً، سَبَتَ الرَّجُلُ: استراحَ وتَرَك الشُّغْلَ، والسُّباتُ عِلَّةٌ معروفة يفرطُ على الإنسان السكوتُ حتى يصيرَ ضارّاً قاتلاً، والنَّوم شبيهٌ به إلَّا في الضرر[٤].

وقال قتادة: النائم مسبوتٌ لا يعقلُ، كأنَّه ميتٌ[٥].

«لباساً» أي: يَستترون به عن العيون فيما لا يُحِبُّون أنْ يُظْهَرَ عليه «وجَعَلنا النهارَ» قابَلَ النومَ بالنَّهار، إذ فيه اليقظة، «معاشاً» وقتَ عيش، وهو الحياة تتصرَّفون فيه في حوائجكم.

«سَبْعاً» أي: سماوات «شِدَاداً» مُحكَمة الخَلْق قويَّة لا تتأثَّر لمرور الإعصار، إلَّا إذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ، وقال الشاعر:

فلمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي وأجلسني على السَّبعِ الشِّدادِ[٦]

---

(١) في النسخ عدا (يه): وهو الحوفي. والمثبت منها.
(٢) ديوان الأفوه الأودي (ضمن الطرائف الأدبية) ص١٠، وسلف.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٢٧٢.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٧-٨.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٩ دون عزوه لقتادة، وينظر أيضاً النكت والعيون ٦/ ١٩٠.
(٦) في (يه): الطباق. والبيت للمتنبي، وهو في ديوانه بشرح العكبري ١/ ٣٥٨.

«سِرَاجاً» هو الشمس «وهَّاجاً» حارًّا مُضْطَرِم الاتِّقاد، وقال عبد الله بنُ عمرو: الشمس في السماء الرابعة؛ إلينا ظَهْرُها، ولَهَبُها يَضْطَرِم عُلُوًّا[(١)].

«من المُعْصِرات» قال أُبَيّ والحسن وابنُ جبير وزيد بنُ أسلم[(٢)] وقتادة ومقاتل: هي السماوات، وقال ابنُ عباس وأبو العالية والربيع والضَّحَّاك: السَّحَاب القاطِرَة، مأخوذ مِن العَصْر؛ لأنَّ السحابَ يَنعصِر فيخرجُ منه الماء، وقيل: السَّحَاب التي فيها الماءُ ولم تُمطِر. وقال ابنُ كيسان: سُمِّيت بذلك مِن حيث تغيث، فهي مِن المُغْصِرة، ومنه: «وفيه يُعْصَرون»[(٣)] [يوسف: ٤٩].

والعاصِرُ: المُغِيث، فهو ثلاثيّ، وجاء هنا مِن: أَعْصَرَ، أي: دَخلت في حين العَصْر، فحانَ لها أَنْ تعصر، وأَفْعَل للدُّخول في الشيء.

وقال ابنُ عباس أيضاً ومجاهد وقتادة: الرِّياح؛ لأنَّها تَعْصِرُ السَّحَابَ[(٤)]، جعل الإنزال منها لمَّا كانت سبباً فيه.

وقرأ ابنُ الزُّبير وابنُ عباس والفَضْل بنُ عباس ـ أخوه ـ وعبد الله بنُ يزيد وعكرمة وقتادة: «بالمعصرات» بالباء بَدَل «مِن»، قال ابنُ عطيَّة: فهذا يُقوِّي أنَّه أرادَ الرياحَ[(٥)].

وقال الزمخشريُّ: فيه وجهان أَنْ يُراد الرِّياح التي حانَ لها أَنْ تَعصر السحابَ، وأَنْ يُراد السَّحَاب؛ لأنَّه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول: أعطى مِن يده درهماً، وأعطى بيدِه[(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، وأورده عن المصنِّف الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٢١٣.

(٢) بعدها في (يه): وداود.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥٩، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٧، وزاد المسير ٩/ ٦، والقرطبيّ ٢٢/ ٨-١١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١١-١٤، والقراءة السالفة في القراءات الشاذة ص٦٤، والمحتسب ١/ ٣٤٤ عن عيسى.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، وتنظر المصادر السالفة الذكر.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٤٧، والقراءات الشاذة ص١٦٧.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٠٧.

«ثجَّاجاً» مُنْصَبًّا بكثرة، ومنه: «أفضلُ الحَجِّ: العَجُّ والثَّجُّ»[١] أي: رَفْع الصوتِ بالتلبية، وصَبُّ دماءِ الهَدْي.

وقرأ الأعرج: «ثَجَّاحاً» بالحاء آخراً[٢]، ومثاجِحُ الماءِ: مَصَابّه، والماء يَنْثَجِح في الوادي[٣].

«حبًّا ونباتاً» بَدَأ بالحبِّ؛ لأنَّه الذي يتقوَّت به، كالحِنْطَة والشَّعِير، وثَنَّى بالنَّبات فشملَ كلَّ ما ينبت مِن شجرٍ وحشيش، ودخل فيه الحَبُّ.

«ألفافاً» ملتفَّة، قال الزمخشريُّ: ولا واحدَ له، كالأوزاع والأخياف[٤]. وقيل: الواحد: لُفٌّ، وقال صاحب «الإقليد»: أنشدني الحسن بنُ عليّ الطوسِيّ:

جَنَّةٌ لُفٌّ وعيشٌ مُغْدِق ... ونَدامَى كلُّهم بِيضٌ زُهُر[٥]

ولو قيل: هو جمع: مُلْتَفَّة، بتقدير حذفِ الزوائد، لكان قولاً وجيهاً[٦]. انتهى.

ولا حاجةَ إلى هذا القول، ولا إلى وجاهتِه، فقد ذكرَ في المفردات أنَّ مفردَه: لِفّ، بكسر اللام، وأنَّه قولُ جمهورِ أهل اللغة.

«إنَّ يومَ الفَصْلِ» هو يوم القيامة، يفصلُ فيه بين الحقِّ والباطل «كان ميقاتاً» أي: في تقديرِ الله وحُكْمِه حَدًّا يؤقّت به الدُّنيا، وينتهي عنده، أو حدًّا للخلائق يَنتهون إليه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤) من حديث أبي بكر الصديق ﷺ.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٧، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٧.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٠٧.
(٤) الأوزاع: الجماعات. القاموس (وزع)، وهم أخياف: أي: مختلفون، وإخوة أخياف: أُمُّهم واحدة والآباء شتّى. القاموس (خيف).
(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٨، والبيت نقله أيضاً القرطبيُّ في تفسيره ٢٢/ ١٢، ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر أدبية.
(٦) يُنظر المصدران الآنفا الذكر.

«يوم يُنفَخ في الصُّور» بَدَل من «يوم الفَصْل»، قال الزمخشريُّ: أو عطف بيان[١]. وتقدَّم الكلام في «الصُّور».

وقرأ أبو عياض: «في الصُّوَر» بفتح الواو[٢]، جمع: صُورَة، أي: يَردُّ اللهُ الأرواحَ إلى الأبدان، والجمهور بسكون الواو.

«فَتَأْتُون» مِن القبورِ إلى الموقف أُمَماً، كلُّ أمَّة بإمامها، وقيل: جماعات مختلفة، وذكر الزمخشريُّ حديثاً في كيفيَّات قَبيحة لعَشرةِ أصنافٍ يُخلَقون عليها وسبب خلقه مَن خلقَ على تلك الكيفيَّة، اللهُ أَعلم بصحَّته[٣].

وقرأ الكوفيُّون: «وفُتِحَت» خفّ، والجمهور: بالتشديد[٤]، «فكانت أبواباً» أي: تتشقَّق حتى يكون فيها فتوحٌ كالأبواب في الجُدُرات، وقيل: تتقطَّع قِطَعاً صغاراً حتى تكون كألواحِ الأبواب المعهودة.

وقال الزمخشريُّ: فُتحت «فكانت أبواباً»، أي: كَثُرت أبوابُها؛ لنزول الملائكة، كأنَّها ليست إلَّا أبواباً مفتَّحة، كقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]. كأنَّ كلّها عيونٌ تتفجَّر.

وقيل: الأبواب: الطُّرُق والمسالك، أي: تُكشَط فينفتح مكانها وتصير طُرُقاً لا يَسُدّها شيء، «فكانت سَرَاباً» أي: تصير شيئاً كَلَا شيء؛ لتفرُّق أجزائها وانْبِثاث جواهرها[٥]. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة: عبارة عن تلاشِيها وفنائِها بعد كونها هباءً منبثاً، ولم يُرد أَنَّ الجبالَ تُشبه الماءَ على بُعْدٍ مِن الناظرِ إليها[٦].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٨.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٥، ونقله عن المصنِّف الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٢١٩.
(٣) ينظر الكشاف ٤/ ٢٠٨.
(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. السبعة ص٦٦٨، والتيسير ص١٩٠، والنشر ٢/ ٣٦٤.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٨-٢٠٩.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٥.

وقال الواحديُّ: على حذف مضاف، أي: ذات أبواب[(١)].

* * *

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾
لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا
يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن
نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

«مِرْصاداً» مِفْعال، مِن الرَّصد، تَرصُد مَن حقَّت عليه كلمةُ العذاب. وقال مقاتل مَحبِساً[(٢)] للأعداء ومَمرًّا للأولياء، ومِفْعال للمذكَّر والمؤنَّث بغير تاء، وفيه معنى النَّسَب، أي: ذات رَصَد، وكلّ ما جاء مِن الأخبار والصفات على معنى النَّسَب فيه التكثير واللّزوم.

وقال الأزهريُّ: المِرْصاد: المكان الذي يُرصَد فيه العَدُوّ[(٣)].

وقال الحسن: ألا إنَّ على النار المرصاد، فمَن جاءَ بجوازٍ جَازَ، ومَن لم يَجِئ بجوازٍ احتُبس[(٤)].

وقرأ أبو عمرو المنقريّ وابنُ يَعْمَر: «أنَّ جهنَّم» بفتح الهمزة[(٥)]، والجمهور: بكسرها، «مآباً»: مَرْجعاً.

---

(١) الوسيط عند تفسير هذه الآية.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٠، والقرطبي ٢٢/ ١٥.

(٣) زاد المسير ٩/ ٧، وكلام الأزهريّ في تهذيب اللغة (رصد).

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ٢٠-٢١، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٠١).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٥، والقراءات الشاذة ص١٦٧، عن أبي معمر المنقري، والكشاف ٤/ ٢٠٩ عن ابن يعمر.

وقرأ عبد الله وعلقمة وزيد بنُ عليّ وابنُ وثّاب وعمرو بن ميمون وعمرو بنُ شُرحبيل وابن حبير وطلحة والأعمش وحمزة وقتيبة وسورة ورَوْح: «لَبِثِين» بغيرِ ألف بعد اللام[١]، والجمهور: بألفٍ بَعْدَها، وفاعِل يدلُّ على مَن وُجِدَ منه الفعل، وفَعِلَ على مَن شأنه ذلك، كحاذِر وحَذِر.

«أحقاباً» تقدَّم الكلام على ذلك في «الكهف» في قوله: ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] والمعنى هنا: حُقباً بَعْدَ حُقب، كلَّما مضى حُقب تَبِعَهُ آخَرُ إلى غيرِ نهاية، ولا يَكاد يُستعمل الحُقب إلَّا حيث يُراد تتابُع الأزمنة، كقول أبي تمام:

لقد أَخَذَت مِن دارِ ماوِيَّةَ الحُقبُ   أَنُحْلُ المغاني للبِلى هيَ أم نَهبُ[٢]

ويَجوز أَنْ يتعلَّق «للطاغين» بـ «مرصاداً»، ويجوز أَنْ يتعلَّق بـ «مآباً»، و«لبثين» حالٌ مِن الطاغين، و«أحقاباً» نصب على الظَّرف.

وقال الزمخشريُّ: وفيه وجهٌ آخَرُ، وهو أَنْ يكون مِن: حَقِبَ عامُنا: إذا قَلَّ مَطرُه وخَيْرُه، وحَقِبَ فلانٌ: إذا أخطأهُ الرِّزقُ، فهو حَقِب، وجمعه: أَحقاب، فينتصب حالاً عنهم يعني: لابثين فيها حَقِبين جَحِدِين، وقوله: «لا يَذوقونَ فيها بَرْداً ولا شَرَاباً» تفسيرٌ له، والاستثناءُ منقطع، يعني: لا يَذوقون فيها بَرْداً ورَوْحاً يُنفِّسُ عنهم حرَّ النار، ولا شَرْاباً يُسَكِّن مِن عَطَشهم، ولكِن يَذوقون فيها حميماً وغَسَّاقاً[٣]. انتهى.

وكان قد قدّم قَبْل هذا الوجه ما نصُّه: ويَجوز أَنْ يُراد، «لابثينَ فيها أحقاباً» غير ذائقينَ «بَرْداً ولا شراباً إلَّا حميماً وغسَّاقاً»، ثمَّ يُبدلون بعدَ الأحقاب غير الحميمِ والغسَّاق مِن جنسٍ آخَر من العذاب[٤]. انتهى. وهذا الذي قاله هو قولٌ للمتقدِّمين،

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٦١، والقرطبي ٢٢/ ١٧، وقراءة حمزة في السبعة ص٦٦٨، والتيسير ص٢١٩، والنشر ٢/ ٣٩٧.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١/ ١٧٧.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٠٩.

(٤) المصدر السابق.

حكاه ابنُ عطيَّة، قال: وقال آخَرون: إنَّما المعنى: «لابثين فيها أحقاباً» غير ذائقين «برداً ولا شراباً»، فبهذه الحال يَلبثون أحقاباً، ثم يَبقى العذابُ سَرْمداً وهم يَشربون أشربةَ جهنَّم[١].

والذي يظهر أنَّ قولَه: «لا يذوقون» كلامٌ مستأنَف، وليس في موضع الحال، و«إلَّا حميماً» استثناء متَّصل مِن قوله: «ولا شراباً»، وأنَّ «أحقاباً» منصوبٌ على الظرف، حَمْلاً على المشهور مِن لغة العرب، لا منصوبٌ على الحال على تلك اللغة التي ليست مشهورة.

وقول مَن قال: إنَّ[٢] الموصوفين باللُّبث أحقاباً هم عصاةُ المؤمنين، أواخِرُ الآي يَدْفَعُه، وقولُ مقاتل أنَّ ذلك منسوخٌ بقوله: «فذوقوا فلن نزيدكم إلَّا عذاباً» فاسدٌ، والظاهر ـ وهو قول الجمهور ـ أنَّ البَرْدَ هو مسُّ الهواءِ القُرّ، أي: لا يمسُّهم منه ما يستلذّ ويكسر شِدَّة الحَرِّ.

وقال أبو عبيدة والكسائيُّ والفَضْل بنُ خالد ومُعاذ النحويّ: البَرْد هنا النَّوم، والعرب تسمِّيه بذلك؛ لأنَّه يبردُ سَوْرَةَ العَطَش، ومِن كلامهم: مَنَعَ البَرْدُ البَرْدَ[٣]، وقال الشاعر:

فلو شئتُ حرَّمتُ النساءَ سِواكُمُ ... وإنْ شِئتُ لم أَطْعَمْ نُقاخاً ولا بَردا[٤]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦، ومن قوله: حكاه ابن عطية... إلى هنا، لم يرد في (يه)، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٢.

(٢) بعدها في (يه): ذلك منسوخ بقوله: «فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً» لا. وهي عبارة مكررة عمَّا بعدها، وستأتي قريباً في مكانها المناسب.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦-٤٢٧، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٢، والقرطبي ٢٢/ ١٩-٢٠، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٨٢، والفضل بن خالد هو أبو معاذ النحوي. ينظر الثقات لابن حبان ٩/ ٥، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٦١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٤٥، ومعاذ النحوي: لعلَّه معاذ بن مسلم الهراء، نحوي كوفي، وهو أستاذ الكسائي. ينظر إنباه الرواة ٣/ ٢٨٨، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٠.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٢، والكشاف ٤/ ٢٠٩، وزاد المسير ٩/ ٨، والقرطبي ٢٢/ ١٩، والبيت للعرجي، وسلف.

النُّقَاخ: الماء، والبَرد: النَّوم، وفي كتاب «اللُّغات في القرآن»[١] أنَّ البَرْدَ هو النومُ بلغة هُذَيل. والذَّوق على هذين القولين مجازٌ.

وقال ابن عبَّاس: البَرْد: الشَّراب البارِد المُستَلَذّ، ومنه قولُ حسان بنِ ثابت:

يَسقُونَ مَن وَرَدَ البَرِيصَ عليهم ... بَرداً يُصَفِّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

ومنه قولُ الآخَر:

أمانيُّ مِن سُعْدَى حِسَانٌ كأنَّما ... سَقَتْكَ بها سُعدى على ظَمَأٍ بَرْدا[٢]

والذَّوق على هذا حقيقةٌ، والنَّحويُّون يُنشِدون على هذا بيتَ حسان: بَرَدَى، بفتح الراءِ والدَّال بَعْدَها ألفُ التأنيث، وهو نَهرٌ في دمشق، وتقدَّم شَرْح الحميم والغسَّاق وخُلْفُ القُرَّاء في شَدِّ السِّين وخفِّها[٣].

«وِفاقاً» أي: لأعمالهم وكفرهم، وصف الجزاء بالمَصْدر لـ: وَافق، أو على حَذْف مضاف، أي: ذا وِفاق. وقال الفرَّاء: هو جمع: وِفْق[٤].

وقرأ الجمهور: بخفِّ الفاء، وأبو حيوة وأبو بحريَّة وابنُ أبي عبلة: بشدِّها[٥]، مِن: وَفِقَهُ كذا.

---

(١) لعلَّه: لابن حسنون، عبد الله بن الحسين، مسند القُرَّاء في زمانه وعالم اللغة، توفي (٣٨٦هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٣٢٧، والأعلام للزركلي ٤/ ٧٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧، وبيت حسان في ديوانه ص٣٦٥، ويروى: بَرَدى، والبيت الآخر اختُلف في نسبته؛ فهو في شعر ابن ميادة ص٢٤٥ (القسم الذي نُسب إليه أو إلى غيره)، ونسبه أبو تمام في الحماسة ٣/ ١٤١٣ (شرح المرزوقي) لرجل من بني الحارث، ونسبه الجاحظ في الحيوان ٥/ ١٩٢ لبعض الأعراب، ونسبه في معاهد التنصيص ٢/ ١٤١ لابن سارة.
ورُوي البيت بأسماء أخرى مِثْل: ليلى، سلمى، ويروى: عِذاب، بدل: حِسَان، ويروى: سقتني، سقتنا، ويروى: أمانيّ... حساناً، بإضمار فعل، كأنه قال: أذْكُر أمانيَّ من سعدى... والمعنى كما ذكر المرزوقي: أذكرُ أمانيَّ من هذه المرأة جميلةً، وكأن موقعها من قلوبنا موقعُ الماء البارد من ذي الغُلَّة الصادي.

(٣) ينظر تفسير الآية (٦٧) من سورة الصافات، والآية (٥٧) من سورة ﴿صٓ﴾.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٢، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٢٩: وفقاً لأعمالهم.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٩، ونقلها عنه الرازي.

«لا يَرجونَ» لا يخافون، أو: لا يأملون، والرَّجاء والأَمَل مقترنان[١]، والمعنى هنا: لا يُصدِّقون بالحساب، فهم لا يأملون ولا يخافون.

وقرأ الجمهور: «كِذَّاباً» بشدِّ الذَّالِ، مصدر: كَذَّبَ، وهي لغةٌ لبعض العرب يمانيَّة، يقولون في مصدر: فَعَّلَ: فِعَّالاً، وغيرُهم يَجعلُ مصدرَه على تَفْعِيل، نحو: تَكْذِيب، ومِن تلك اللغة قولُ الشاعر:

لقد طَالَ ما ثَبَّطتَني عن صحابتي وعن حاجةٍ قِضَّاؤها مِن شِفائِيا[٢]

ومِن كلام أحدِهم وهو يستفتي: آلحَلْقُ أَحَبُّ إليكَ أمِ القِصَّار؟ يريد: التقصير، يعني في الحَجِّ[٣].

وقال الزمخشريُّ: وفِعَّال في باب فَعَّل كلّه فاشٍ في كلام فُصحاء مِن العرب لا يقولون غيرَه، وسَمعني بعضُهم أُفسِّر آيةً، فقال: لقد فسَّرتها فِسَّاراً ما سُمِعَ بمثلِه[٤].

وقرأ عليّ وعوف الأعرابيّ وأبو رجاء والأعمش وعيسى بخلاف عنه: بخَفِّ الذال[٥].

قال صاحب «اللوامح»: عليّ وعيسى البَصْرة وعوف الأعرابيّ: «كذاباً» كلاهما بالتخفيف، وذلك لغةُ اليمن بأنْ يجعلوا مصدر: كَذَب مخفَّفاً «كِذَاباً»

(١) في النسخ عدا (يه): مفترقان. والمثبت منها، ولعلَّه الصواب.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢-٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧، وتفسير الطبري ٢٤/ ٣٥، والثعلبي ٦/ ٣٦٣، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٩، والبيت للأعور بن براء الكلبي، كما في تهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢/ ٥٦٦، والأضداد للسجستاني ص٧٩، ونسبه في تهذيب اللغة (كذب) لبعض بني كلاب، وفي لسان العرب (كذب) لبعض بني كليب، ويروى البيت: وعن حِوَج، بدل: وعن حاجة.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٩، ونقله عنه الطبريُّ ٢٤/ ٣٥، والأزهري في تهذيب اللغة (قصر)، وابنُ منظور في لسان العرب (كذب).
(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٤٨.

بالتخفيف، مثل: كَتَب كتاباً، فصار المصدرُ هنا مِن معنى الفِعْل دونَ لفظه، مِثْل: أَعطيته عطاءً. انتهى.

وقال الأعشى:

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمَرْءُ يَنفعه كِذَابُه[١]

وقال الزمخشريُّ: هو مِثْل قولِه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] يعني: «وكذبوا بآياتنا» فكذّبوا «كذاباً»، أو تنصبه بـ «كذبوا» لأنَّه يتضمَّن معنى كذبوا، لأنَّ كلَّ مكذِّب بالحقّ كاذب، وإنْ جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه: وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة، أو كذبوا بها مكاذبين؛ لأنَّهم إذا كانوا عند المسلمين كاذِبين، وكان المسلمون عندهم كاذبين، فبينهم مُكاذَبة، أو لأنَّهم يتكلَّمون بما هو إفراطٌ في الكذب، فِعْل مَن يُغالِب في أمرٍ فيَبلُغ فيه أقصى جهده[٢]. انتهى. والأظهر الإعراب الأوَّل وما سِواه تكلُّف.

وفي كتاب ابنِ عطيَّة وكتاب «اللوامح»: وقرأ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ـ وفي كتاب ابنِ خالويه: عمر بن عبد العزيز ـ والماجشون، ثم اتّفقوا «كُذَّاباً» بضمِّ الكاف وشَدّ الذال[٣]، فخرّج على أنَّه جمع: كاذب، وانتصبَ على الحال المؤكِّدة، وعلى أنَّه مُفرَد صفة لمصدر، أي: تكذيباً كذاباً مفرطاً في التكذيب.

وقرأ الجمهور: «وكُلَّ شيء» بالنصب، وأبو السَّمَّال بالرَّفع[٤]، وانتصب «كتاباً» على أنَّه مصدر مِن معنى: أحصيناه، أي: إحصاء، أو يكون «أحصيناه» في معنى: كتبناه، والتجوز إمَّا في المصدر، وإما في الفِعْل، وذلك لالتقائهما في معنى

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٩، ولم نقف عليه في ديوان الأعشى، وقال المبرِّد في الكامل ٢/ ٧٤٧: وأنشدني المازني للأعشى، وليس ممَّا روت الرواة متصلاً بقصيدة، ثم ذكره برواية: فصدقتهم وكذبتهم.. وهو برواية المصنِّف في اللسان وتاج العروس (صدق).

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧، والقراءات الشاذة ص١٦٨، والمحتسب ٢/ ٣٤٨.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤، والقراءات الشاذة ص١٦٨.

الضبط، أو على أنَّه مصدر في موضع الحال، أي: مكتوباً في اللوح وفي صُحُف الحَفَظة.

«وكُلّ شيء» عامٌّ مخصوص، أي: وكلَّ شيء ممَّا يقعُ عليه الثواب والعقاب، وهي جملة معترضة، و«فذوقوا» مسبَّب عن كفرهم بالحساب فتكذيبهم بالآيات.

وقال عبد الله بنُ عمرو: ما نزلت في أهل النار آيةٌ أشدّ مِن هذه[١]. ورواه أبو برزة عن النبيِّ ﷺ[٢]، وفي خطابهم بذلك على طريق الالتفات توبيخٌ وشِدَّةُ غَضَبٍ عليهم.

ولمَّا ذَكَر شيئاً مِن حالِ أهلِ النار ذَكَر مَا لأهلِ الجنَّة، فقال: «إنَّ للمتقين مفازاً» أي: موضعَ فَوز وظَفَر؛ حيث زُحْزِحوا عن النَّار وأُدخلوا الجنة، و«حدائق» بَدَل مِن «مفازاً» أو: فوزاً، فيكون أبدلَ الجزم مِن المعنى على حذف، أي: فوزَ حدائق، أي: بها.

«دِهَاقاً» قال الجمهور: مُترَعة، وقال مجاهد وابنُ جبير: متتابعة[٣].

وقرأ الجمهور: «ولا كِذَّاباً» بالتشديد، أي: لا يُكذِّب بعضُهم بعضاً، وقرأ الكسائيُّ: بالتخفيف[٤]، كاللَّفظ الأوَّل في قوله تعالى: «وكذبوا بآياتنا كِذَّاباً» مصدر: كَذب، ومصدر: كاذَب.

قال الزمخشريُّ: «جزاءً» مصدر مؤكِّد منصوب بمعنى قوله: «إنَّ للمتقين مفازاً»

---

(١) أخرجه الطبريُّ ٢٤/ ٣٦.

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ١٥/ ٢٠٦، عن الحسن، عن أبي برزة مرفوعاً، وأخرجه عنه أيضاً موقوفاً عليه، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني كما في الدر المنثور ١٥/ ٢٠٦، وينظر تفسير ابن كثير، عند تفسير هذه الآية، وفتح الباري ٦/ ٣٣٣، ومجمع الزوائد ٧/ ١٣٣، قال ابن كثير: جسرين بن فرقد، ضعيف الحديث بالكلية، وقال الهيثمي: فيه شعيب بن بيان، وهو ضعيف.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦، والثعلبي ٦/ ٣٦٣، وقول مجاهد وابنِ جبير عند الطبري ٢٤/ ٤٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، والقراءة في السبعة ص٦٦٩، والتيسير ص٢١٩، والنشر ٢/ ٣٩٧.

كأنَّه قال: جازَى المتَّقين بمفازٍ، و«عطاءً» نصب بـ «جزاءً» نصبَ المفعول به، أي: جَزَاهُم عطاءً[١]. انتهى.

وهذا لا يَجوز؛ لأنَّه جعله مصدراً مؤكِّداً لمضمون الجملة التي هي «إنَّ للمتقين مفازاً» والمصدر المؤكِّد لا يَعمل؛ لأنَّه ليس ينحلُّ لحرفٍ مصدريّ والفعل، ولا نَعلم في ذلك خلافاً.

وقرأ الجمهور: «حِسَاباً» وهو صفة لعطاء، أي: كافياً، مِن قولهم: أَحْسَبَني الشَّيءُ، أي: كَفاني.

وقال مجاهد: معنى «حساباً» هنا بتقسيط على الأعمال؛ إذ دخول الجنَّة برحمةِ الله والدَّرَجات فيها على قَدْر الأعمال، فالحساب هنا بموازنة الأعمال[٢].

وقرأ ابن قُطَيْب: «حَسّاباً» بفتح الحاء وشدِّ السين[٣]، قال ابنُ جِنّيّ: بنى فَعّالاً مِن أَفْعَل، كدَرَّاك مِن أدرك[٤]. انتهى. فمعناه: مُحْسِباً، أي: كافياً.

وقرأ شريح بنُ يزيد الحمصيّ وأبو البرهسم: بكسر الحاء وشدِّ السين[٥]، وهو مصدر، مثل: كِذَّاب، أُقيم مقامَ الصفة، أي: عطاءً محسباً، أي: كافياً.

وقرأ ابنُ عباس وسراج: «حَسَناً» بالنون، مِن الحُسْن، وحكى عنه المهدويُّ: «حَسْباً» بفتح الحاء وسكون السين والباء[٦]، نحو قولك: حَسْبُك كذا، أي: كافِيك.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٤/ ٤٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، والكشاف ٤/ ٢١٠، وهي في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٤، والقرطبي ٢٢/ ٢٨، عن أبي هاشم، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٤٩ عن يزيد بن قطيب.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، وكلام ابن جنّيّ في كتابه المحتسب ٢/ ٣٤٩.

(٥) أي: «حِسَّاباً». المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨ عن شريح، والقراءات الشاذة ص١٦٨ عن أبي البرهسم هكذا: «عِطاء حِسَّاناً».

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، وقراءة ابنِ عباس أخرجها عنه الثعلبيُّ في تفسيره ٦/ ٣٦٤، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٨، وهي عندهم جميعاً: «عطاءً حَسَناً»، قال ابن خالويه: وهي في مصحف عبد الله كذلك.

وقرأ عبد الله وابنُ أبي إسحاق والأعمش وابنُ محيصن وابنُ عامر وعاصم: «ربِّ» «الرَّحمنِ» بالجرِّ فيهما، والأعرج وأبو جعفر وشيبة وأبو عمرو والحِرْميَّان: برفعهما، والأَخَوان: «رَبِّ» بالجرِّ، «الرَّحمنُ» بالرَّفع، وهي قراءة الحسن وابنِ وثَّاب والأعمش وابنِ محيصن بخلاف عنهما(١)، في الجرِّ على البَدَل «مِن ربِّك» و«الرحمن» صفة أو بَدَلٌ مِن «ربّ»، أو عطف بيان، وهل يكون بَدَلاً مِن «ربِّك»؟ فيه نَظَر؛ لأنَّ البدلَ الظاهر أنَّه لا يتكرَّر، فيكون كالصِّفات، والرَّفع هو على إضمار: هو «ربّ»، أو على الابتداء وخبره «لا يملكون»، و«الرحمن» صفة، أو هما خبران، وجُرَّ «ربّ» على البدل، ورُفع «الرحمن» على إضمار: هو، أو على الابتداء وخبره «لا يملكون».

والضمير في «لا يملكون» عائدٌ على المشركين، قاله عطاء، عن ابنِ عباس، أي: لا يُخاطِب المشركون اللهَ؛ أمَّا المؤمنون فيَشفعون ويَقبلُ اللهُ ذلك منهم، وقيل: عائدٌ على المؤمنين، أي: لا يملكون أنْ يُخاطبوه في أَمْرٍ مِن الأمور؛ لعِلْمهم أنَّ ما يَفعله عدلٌ منه. وقيل: عائدٌ على أهلِ السماوات والأرض(٢).

والضمير في «منه» عائدٌ عليه تعالى، والمعنى أنَّهم لا يَملكون مِن الله أنْ يُخاطِبوه في شيءٍ مِن الثواب والعقاب، خطابَ واحدٍ يتصرَّفون فيه تَصرُّف المُلَّاك فيزيدونَ فيه أو يُنقِصون منه.

والعامل في «يوم» إمَّا «لا يملكون»، وإمَّا «لا يتكلَّمون»، وقد تقدَّم الخلافُ في الرُّوح أهو جبريل، أم مَلَكٌ أكبرُ الملائكةِ خِلْقَةً، أو خلق على صورة بني آدم، أو خلق حَفَظة على الملائكة أو أرواح بني آدم، أو القرآن(٣)؟ وقيامُه مجازٌ، يعني به ظهورَ آثارِه الكائنة عن تصديقه أو تكذيبه.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٢٨، والثعلبي ٦/ ٣٦٤، والقرطبي ٢٢/٢٩، والقراءة في السبعة ص٦٦٩، والتيسير ص٢١٩، والنشر ٢/ ٣٩٧.

(٢) تفسير الرازي ٣١/ ٢١.

(٣) ينظر تفسير الآية (٢) من سورة النحل، والآية (٨٥) من سورة الإسراء، والآية (٤) من سورة المعارج، وينظر أيضاً المحرر الوجيز ٥/٤٢٨-٤٢٩، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٥-٦٦، والقرطبي ٢٢/ ٣٠-٣٢، والكشاف ٤/ ٢١٠-٢١١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٤٠.

والظاهر عودُ الضمير في «لا يتكلَّمون» على «الرُّوح والملائكة»، وقال ابنُ عباس: عائد على الناس، فلا يتكلَّم إلا بإذنٍ منه تعالى ونطق بالصَّواب، وقال عكرمة: الصواب: لا إله إلَّا الله، أي: قالها في الدنيا[1].

وقال الزمخشريُّ: هما شَريطتان أنْ يكون المتكلِّم منهما مأذوناً لهم في الكلام، وأَنْ يتكلَّم بالصواب فلا يَشفع لغيرِ مرتضًى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2] [الأنبياء: ٢٨] انتهى.

«ذلك اليومُ الحقّ» أي: كيانه ووجوده، «فمَن شاءَ» وعيدٌ وتهديد، والخطاب في «أنذرناكم» لمَن حَضرَ النبيَّ ﷺ، واندرجَ فيه مَن يأتي بَعْدَهم.

«عذاباً» هو عذابُ الآخرة «قريباً» لتحقُّق وقوعِه، وكلُّ آتٍ قريب.

«يومَ ينظرُ المَرءُ» عامٌّ في المؤمن والكافر «ما قدَّمت يداه» من خيرٍ أو شرٍّ، لقيام الحجَّة له وعليه.

وقال الزمخشريُّ ـ وقاله قَبْلَه عطاء ـ: «المَرْءُ» هو الكافر، لقوله: «إنَّا أَنذرناكم عذاباً قريباً» والكافر ظاهرٌ وضعَ موضعَ الضمير لزيادةِ الذَّمِّ، ويعني: «ما قدَّمت يَدَاهُ» مِن الشَّرِّ كقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[3] [الحج: ١٠].

وقال ابنُ عباس وقتادة والحسن: «المَرْء» هنا المؤمن، كأنَّه نَظَرَ إلى مقابله في قوله: «ويقول الكافر».

وقرأ الجمهور: «المَرْء» بفتح الميم، وابنُ أبي إسحاق: بضمِّها، وضعَّفها أبو حاتم[4]، ولا ينبغي أنْ تُضعَّف؛ لأنَّها لغةٌ يُتبِعون حركةَ الميمِ لحركة الهمزة،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٩.
(٢) الكشاف ٤/ ٢١١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٩، ونقلها عن المصنِّف الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٢٤٥.

فيقولون: مُرْءٌ، ومَرْأً، ومِرْءٍ، على حَسب الإعراب.

و«ما» منصوب بـ «ينظر»، ومعناه: يَنتظر ما قدَّمت يداهُ، فـ «ما» موصولة، ويجوز أَنْ يكون «يَنْظر» مِن النَّظَر، وعلّق عن الجملة، فهي في موضع نصبٍ على تقدير إسقاط الخافض، و«ما» استفهاميَّة منصوبة بـ «قدَّمت»، وتمنِّيه ذلك، أي: تراباً في الدنيا ولم يُخلَق، أو في ذلك اليوم.

وقال أبو هريرة وعبد الله بنُ عمر: إنَّ الله تعالى يُحضِر البهائمَ يوم القيامة فيقتصُّ مِن بعضها لبعض، ثم يقول لها بَعْدَ ذلك: كُوني تراباً. فتعود جميعها تراباً، فإذا رَأى الكافر ذلك تمنَّى مِثْلَه.

وقيل: الكافر هنا إبليس إذا رَأى ما حَصَل للمؤمنين مِن الثواب، قال: «يا ليتني كنتُ تراباً» كآدم الذي خلق مِن تراب واحتقره هو أوَّلاً[1].

وقيل: «كنت تراباً» أي: متواضعاً لطاعة اللهِ تعالى، لا جبَّاراً ولا متكبِّراً.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٢٩، وينظر تفسير الثعلبي ٦/٣٦٦-٣٦٧، والبغوي ٤/٤٤٠-٤٤١، والكشاف ٤/٢١١.

مفردات سورة النازعات

أغرقَ في الشيء: بالَغَ فيه وأنهاه، وأغرقَ النازعُ في القَوس: بَلَغَ غايةَ المدِّ حتى ينتهيَ إلى النَّصْلِ. والاسْتِغْرَاق: الاسْتِيعاب، والغِرْقِئ: قِشْرَة البيضة.

نَشَطَ البعيرَ والإنسان: رَبَطه، وأنشطه: حَلَّه، ومنه: وكأنَّما أُنشطَ مِن عِقال[1]، ونَشَطَ: ذَهَبَ مِن قُطْر إلى قُطْر، ولذلك قيل لبَقَر الوَحْشِ: النَّواشِط؛ لأنَّهنَّ يذهَبْنَ بسرعةٍ مِن مكانٍ إلى مكان، ومنه قولُ الشاعر، وهو هميان بن قحافة:

أَرَى هُمومي تَنشِطُ المَنَاشِطا ... الشامَ بي طَوراً وطَوراً واسِطَا[2]

وكأنَّ هذه اللفظة مأخوذةٌ مِن النّشاط، وقال أبو زيد: نَشَطْتُ الحبلَ أَنشُطُه نَشطاً: عَقَدتُه أنشوطة، وأنشطتُه: حَلَلْته، وأنشطْتُ الحبلَ: مَدَدْتُه. وقال الليث: أَنْشَطْتُه بأُنْشُوطة، أي: أوثقته، وأنشطتُ العِقالَ: مددتُ أنشوطته فانحلَّت، ويقال: نَشَطَ بمعنى أَنْشَطَ، والأنشوطة: عُقْدَةٌ يسهل انحلالُها إذا جُذِبَت، مِثْل عُقدة التِّكَّة[3].

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٠، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٠، وقوله: وكأنما أُنشط من عقال، رواه أبو داود ضمن خبر عن أبي سعيد الخدري (٣٤١٨) في رقية لَدْغ سيّد حَيّ من أحياء العرب.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٠-٤٣١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٠، والثعلبي ٦/ ٣٦٩، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٤، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٢، والصحاح (نشط)، وتهذيب اللغة ١١/ ٣١٤، والنكت والعيون ٦/ ١٩٣، وورد عند بعضهم: أمست، وعند آخرين: باتت، بدل: أرى، وتحرَّف اسم الشاعر في مطبوع النكت والعيون إلى: همام، وفي المحرر الوجيز إلى: همان. وهو: هِميان بن قُحافة أحد بني عُوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ويقال: أحد بني عامر بن عبيد بن الحارث، راجز إسلامي محسن، وكان في الدولة الأموية. المؤتلف والمختلف ص٣٠٤.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٨، وينظر الصحاح (نشط).

وَجَفَ القلبُ وَجِيفاً: اضْطَرَب مِن شِدَّة الفَزَع، وكذلك: وَجَبَ وَجيباً[١]، وفي كتاب «لغات القرآن» المرويّ عن ابنِ عباس: «واجفة» خائفة بلغة هَمدان[٢].

«الحافرة»: يُقال: رَجَعَ فلانٌ في حافِرَته ـ أي: في طريقه التي جاء منها ـ فحَفَرها، أي: أثَّر فيها بمَشْيه فيها، جَعَلَ أثَر قدمَيْه حفراً، وتُوقعها العربُ على أوَّل أمرٍ رُجع إليه مِن آخِرِه، ومنه قول الشاعر:

أَحافِرَةً على صَلَعٍ وشَيْبٍ … معاذَ اللهِ مِن سَفَهٍ وعَارِ[٣]

أي: أأَرْجِعُ إلى الصِّبا بعد الصَّلَع والشَّيْب.

النَّاخِرَة: المُصَوِّتة بالرِّيح المُجوّفة، والنَّخِرَة بمعناها، كطَامِع وطَمِع، وحاذِر وحَذِر، قاله الفرَّاء وأبو عبيد وأبو حاتم وجماعة[٤].

وقيل: النَّخِرة: البالية المُتعفِّنة الصائِرَة رميماً.

نُخِرَ العودُ والعَظْمُ: بَليَ وتَفَتَّتَ، فمعناه مُغاير للنَّاخِرة، وهو قول الأكثرين. وقال أبو عمرو بنُ العلاء: النَّاخِرَة: التي لم تنخر بَعْدُ، والنَّخِرَة التي قد بَلِيت[٥]. وقال الراجِزُ لفرسه يوم ذي قار:

أَقْدِمْ مَحَاجُ إنَّها الأساوِرَه
ولا يهولَنَّكَ رِجْلٌ نَادِرَهْ

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٦.
(٢) ينظر المصدر السابق، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٩.
(٣) البيت في أدب الكاتب ص٤١٥، وإصلاح المنطق، والصحاح (حفر)، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وتفسير الطبري ٢٤/ ٧٠، وهو عند الأخير برواية: وطيش، بدل: وعار. ونصب: أحافرة، على أنه اسم في معنى المصدر أقيم مقامه، والتقدير: أرُجُوعاً إلى أوَّل أمري؟ يريد: أأرجع رجوعاً؟ فحذف الفعلَ واكتفى بمصدره. شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص٤٦٧.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٢، والقرطبي ٢٢/ ٤٨-٥٠، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٢، والكشاف ٤/ ٢١٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩.

فـإنَّـمـا قَـصـرُك تُـربُ السَّـاهِـرَهْ
ثـمَّ تـعـودُ بَـعْـدَهـا فـي الـحـافِـرَهْ
مِـن بَـعْـدِ مـا صِـرتَ عـظـامـاً نـاخِـرَهْ[1]

وقال الشاعر:

وأخـلـيـتـهـا مِـن مُـخِّـهـا فـكـأنَّـهـا   قـواريـرُ فـي أجـوافِـهـا الـرِّيـحُ تَـنْـخِـرُ

ويُروَى: تَصْفِر[2].

ونُخْرَةُ الرِّيح، بضمِّ النون: شِدَّة هبوبها، والنُّخْرَةُ أيضاً: مقدَّمُ أنفِ الفرسِ والحمارِ والخنزيرِ، يقال: هشَّم نُخْرَته[3].

السَّاهرة: وَجْهُ الأرضِ والفَلاةُ، وصفت بما يَقَعُ فيها، وهو السَّهَرُ للخوفِ، وقال أُميَّة بن أبي الصَّلْت:

وفـيـهـا لَـحْـمُ سَـاهِـرَةٍ وبَـحْـرٍ   ومـا فـاهـوا بِـهِ لَـهُـمُ مُـقـيـمُ[4]

وقال أبو كبير الهذليُّ:

يَـرتـدنَ سَـاهِـرَةً كـأنَّ جَـمـيـمَـهـا   وعـمـيـمَـهـا أسـدافُ لـيـلٍ مُـظْـلِـمِ[5]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١، والطبري ٢٤/ ٧٥، والنكت والعيون ٦/ ١٩٦، وذكرها القالي في أماليه ١/ ٢٦، وابنُ دريد في جمهرة اللغة ٢/ ٢١٥ على أنها قيلت في القادسية، مع اختلافٍ يسير فيها، ونسبت في سمط اللآلي ١/ ١٢٣-١٢٤ للحارث بن سمي بن رؤاس الهمداني، وقال البكري: وكان قد ضُربت رجله فَنَدرت، أي: بانت، وقَصْرُك: قصارك.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، والبيت لمجنون ليلى، وهو في ديوانه.

(٣) أي: أنفه. تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠، والكلام من الصحاح (نخر).

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٥، وتفسير الطبري ٢٤/ ٧٤-٧٥، والبيت في ديوان أمية ص١٢١، وقوله: فاهوا، قال أبو عبيدة: أي: تكلموا.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١، والصحاح (سهر)، والبيت في شرح ديوان الهذليين ٣/ ١٠٩٠، قال شارح الديوان: الجميم: النبت الذي قد نبت وارتفع قليلاً ولم يتم كل التمام، =

والسَّاهُور كالغلاف للقَمَر يَدْخُلُ فيه إذا كُسِفَ، وقال أُميَّة بنُ أبي الصَّلْت:

قَـمـرٌ وسـاهـورٌ يُـسَـلُّ ويُـغْـمَـدُ[١]

وقال آخَر في وَصْفِ امرأةٍ:

أو شُـقَّـةٌ خـرجـت مِـن بَـطْـنِ سـاهـورِ

يريد: شُقَّةَ القمر[٢].

وقال الزمخشريُّ: السَّاهِرة: الأرضُ البيضاء المستوية، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ السرابَ يجري فيها، من قولهم: عينٌ ساهِرَة: جاريةُ الماء، وفي ضدِّها: نائِمَة. وقال الأشعثُ بنُ قيس:

وساهرةٍ يُضْحِي السَّرابُ مُجَلِّلاً لأقطارِها قد جئتُها مُتَلَثِّماً[٣]

سَمَكْتُ الشَّيءَ: رَفَعْتُه في الهواء، وسَمَكَ هو سُمُوكاً: ارتفعَ، وقيل: كلُّ شَيءٍ حَمَلَ شيئاً مِن البناء وغيرِه، فهو سَمْك، وبناءٌ مَسْمُوك، وسَنامٌ تامِكٌ سامِك، أي: عالٍ، ويقال: اَسْمُكْ في الدَّرَجة، أي: اصْعَدْ[٤].

غَطَشَ: أَظْلَم، وهو لازم: غَطَشَ اللَّيلُ، ومتعدٍّ بالهمزة: أَغْطَشَهُ اللهُ، وقال الأعشى:

= والعميم: المكتهل التامّ من النبت. اهـ. والأسداف جمع: سَدَفٍ، بالتحريك، وهو ظلمة الليل. اللسان (سدف).

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢، وصدر البيت: لا نقص فيه غير أن خبيئه. وهو في ديوان أميّة ص٤٩، والصحاح (سهر)، وخزانة الأدب ١/ ٢٤٩.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢، والمحكم واللسان (سهر)، وصدره: كأنّها عرقُ سامٍ عند ضاربه، وفي تهذيب اللغة ٦/ ١٢٠، وأساس البلاغة (سهر)، وصدره: كأنها بُهْتة ترعى بأقرية. وفي اللسان: أو فلقة، بدل: أو شقّة. والسام: عروق الذهب والفضة، واحدتها: سامَة، والبهتة: البقرة. اللسان (سهر) و(سوم).

(٣) الكشاف ٤/ ٢١٣، ونقله عن المصنّف السمينُ في الدر المصون ١٠/ ٦٧٤، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٢٦٣، ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر أدبية.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧-٥٨، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٤.

عَـقَـرْتُ لـهـم نـاقـتـي مَـوْهِـنـاً ... فَـلَـيْـلُـهـم مُـدْلَـهِـمٌّ غَـطِـشْ[(١)]

وغَطِشَ فهو ليلٌ أَغْطَش، وليلةٌ غَطْشاء، وفي كتاب «اللغات في القرآن»: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أَظْلَم، بلغة أنْمار وأشعر[(٢)].

دَحَا يَدْحُو دَحْواً، ودَحَا يَدْحِي دَحْياً: بَسَطَ، ويقال لعشِّ النَّعامة: أُدْحِيٌّ وأُدْحُوٌّ، لأنَّه مبسوطٌ على وَجْهِ الأرض، وقال أُمَيَّة بنُ أبي الصَّلْت[(٣)]:

وبَـثَّ الـخَـلْـقَ فـيـهـا إذْ دَحَـاهـا ... فـهـم قُـطَّـانُـهـا حـتـى الـتـنـادِي[(٤)]

وقيل: «دَحَاها» سَوَّاها، قال زيد بنُ عمرو:

وأَسْلَمْتُ وجهي لمَن أَسْلَمتْ ... لـه الأرضُ تَحمِلُ صَخْراً ثِقَالا

دَحَاها فلمَّا استوت شدَّها ... بأَيْدٍ وأَرْسَى عليها الجِبَالا[(٥)]

«الطامّة»: الدَّاهِيَة التي تطمُّ على الدَّواهي، أي: تَعلُو وتَغْلب، وفي أمثالهم: جَرَى الوادِي فَطَمَّ على القَرِيِّ، ويقال: طَمَّ السَّيْلُ الرَّكِيَّة: إذا دفَنَها، والطَّمُّ: الدَّفْنُ والعُلُوُّ[(٦)].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٨، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٤، ولم نقف على البيت في مطبوع ديوان الأعشى، وهو في جمهرة أشعار العرب للقرشي ١/ ١٢١، والنكت والعيون ٦/ ١٩٨، ووقع في الجمهرة: وغامرنا، وفي القرطبي والنكت: وغامرهم، بدل: فليلهم. وقوله: مَوهِناً: هو نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه. القاموس المحيط (وهن).

(٢) ونقله عن المصنِّف الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٢٧١.

(٣) من قوله: قمرٌ وساهور... إلى هنا، ليست في (أ) ومطبوع البحر المحيط.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٩، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٩٩، والبيت في ديوان أمية ص٦٤.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٩، والبيتان في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٣١، والأغاني ٣/ ١٢٨، والنكت والعيون ٦/ ١٩٩، والبيت الثاني في تفسير الرازي ٣١/ ٤٧، ووقع عند بعضهم: سواء، بدل: بأيد.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٢، والرازي ٣١/ ٤٩، والمَثَل في جمهرة الأمثال ١/ ٣٠٠، ومجمع الأمثال ١/ ١٥٩، والمستقصى ٢/ ٥١، قال الزمخشري: القري: هو مستجمع الماء الكثير، يضرب مثلاً في غلبة الرجل قرنَه. وقال العسكري: يضرب مثلاً للأمر العظيم، فيجيء فيعمُّ الصغير والكبير.

سورة النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾
فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا
كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾
وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، ولمَّا ذكرَ في آخِرِ ما قَبْلَها الإنذار بالعذاب يومَ القيامة أقسم في هذه على البعث يوم القيامة، ولمَّا كانت الموصوفات المُقسَم بها محذوفات وأُقيمت صفاتُها مقامها، وكان لهذه الصفات تعلُّقات مختلفة، اختلفوا في المراد بها:

فقال عبد الله وابنُ عباس: «والنازعات»: الملائكة تَنْزِع نفوسَ بني آدم، و«غَرْقاً» إغراقاً، وهو المبالغة في الفعل، أو «غَرْقاً» في جهنَّم، يعني: نفوس الكفار، قاله عليٌّ وابنُ عبَّاس.

وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة وابنُ كيسان والأخفش: هي النُّجوم تَنزِع مِن أُفقٍ إلى أُفقٍ.

وقال السُّدِّيُّ وجماعة: النفوس تنزعُ بالموت إلى ربِّها، و«غَرْقاً»: إغْرَاقاً في الصَّدْر.

وقال السُّدِّيُّ أيضاً: النفوس تَحِنُّ إلى أوطانها وتَنِزع إلى مذاهبها، ولها نَزْعٌ عند الموت.

وقال عطاء وعكرمة: القِسِيُّ أنفسها تَنْزِعُ بالسِّهام، وقال عطاء أيضاً: الجماعات النازعات بالقِسِيِّ وغيرها إغراقاً[(١)].

وقال مجاهد: المنايا تَنزِع النفوسَ، وقيل: النازعات: الوَحش تَنزِع إلى الكَلَأِ، حكاه يحيى بنُ سلَّام[(٢)].

وقيل: خيل الغُزاة التي تَنزِع في أعنَّتها نَزْعاً تغرقُ فيه الأعنَّة، لطُول أعناقها؛ لأنَّها عِرَاب، والتي تَخرج مِن دار الإسلام إلى دار الحرب، قاله في «الكشاف»[(٣)].

«والناشِطات»: قال ابنُ عباس ومجاهد: الملائكة تَنْشِط النفوسَ عند الموت، أي: تحلّها وتنشط بأمْرِ الله إلى حيث كان[(٤)].

وقال ابنُ عباس أيضاً وقتادة والحسن والأخفش: النجوم تَنْشُطُ مِن أُفقٍ إلى أُفقٍ، أي: تذهب وتسيرُ بسرعة[(٥)].

وقال مجاهد أيضاً: المنايا، وقال عطاء: البَقَر الوحشيَّة وما جرَى مجراها مِن الحيوان الذي يَنشط مِن قطرٍ إلى قطر[(٦)].

وقال ابن عباس أيضاً: النفوسُ المؤمنة تَنشط عند الموت للخروج[(٧)]. وقيل: التي تنشط: الأوهاق[(٨)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٠، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٨-٣٦٩، والنكت والعيون ٦/ ١٩٢، وتفسير البغوي ٤/ ٤٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٦، والآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٥٧-٥٩.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٧، والنكت والعيون ٦/ ١٩٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٠، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ٦٠ عن ابن عباس ﷺ.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٠، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٩، والبغوي ٤/ ٤٤٢، وزاد المسير ٩/ ١٦، والقرطبي ٢٢/ ٣٧-٤٠، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٤/ ٦١.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٠، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٩، والقرطبي ٢٢/ ٣٩، وقول مجاهد عند الطبري ٢٤/ ٥٨.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٤١، والقرطبي ٢٢/ ٣٨، وهو عند الطبري ٢٤/ ٦٠.

(٨) الكشاف ٤/ ٢١٢، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٩، والبغوي ٤/ ٤٤٢، والقرطبي ٢٢/ ٣٩، =

«والسَّابِحات»: قال عليٌّ ومجاهد: الملائكة تَتصرَّف في الآفاق بأَمْرِ اللهِ، تَجِيْءُ وتذهب.

وقال قتادة والحسن: النُّجوم تَسْبَح في الفَلَك، وقال أبو روق: الشمس والقمر واللَّيل والنهار، وقال عطاء وجماعة: الخيل، ويقال للفرس: سَابِح، وقيل: السَّحاب[١]؛ لأنَّها كالعائمة في الهواء.

وقيل: الحيتان دَوَابّ البحر فما دُونها، وذلك مِن عظيم المخلوقات، فيُروى أنَّه تعالى بَثَّ في الدُّنيا ألف نوعٍ مِن الحيوان؛ منها أربع مئة في البَرِّ، وستّ مئة في البحر.

وقال عطاء أيضاً: السُّفُن، وقال مجاهد أيضاً: المنايا تسبح في نفوس الحيوان[٢].

«فالسابقات»: قال مجاهد: الملائكة سَبَقَت بني آدمَ بالخير والعمل الصالح، وقاله أبو روق[٣].

وقال ابنُ مسعود: أنفس المؤمنين تَسبقُ إلى الملائكة الذينَ يقبضونها وقد عايَنت السُّرور؛ شوقاً إلى لقاءِ الله تعالى[٤].

وقال عطاء: الخيل، وقيل: النُّجوم، وقيل: المنايا تَسبقُ الآمال.

«فالمدبِّرات»: قال ابنُ عطيَّة: لا أَحفظُ خلافاً أنَّها الملائكة، ومعناها أنَّها التي تُدبِّر الأمورَ التي سخَّرها اللهُ تعالى لها وصرَّفها فيه، كالرِّياح والسَّحاب وسائر المخلوقات[٥]. انتهى.

= ونُسب عندهم القول إلى عطاء وعكرمة، وقول عطاء عند الطبري ٢٤/ ٦١، والوَهَق، محرَّكة ويُسكَّن: الحبل يُرْمى في أُنشوطة فتؤخذ به الدَّابَّةُ والإنسانُ. القاموس (وهق).

(١) في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، والكلام منه: السماوات.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦٩-٣٧٠، والقرطبي ٢٢/ ٤٠-٤١.

(٣) المصادر الآنفة الذكر، وينظر أيضاً تفسير الطبري ٢٤/ ٦٤.

(٤) ينظر التعليق السابق.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١.

وقيل: الملائكة الموكَّلون بالأحوالِ: جبريل للوحي، وميكائيل للمَطَر، وإسرافيل للنَّفْخ في الصُّور، وعزرائيل لقَبْض الأرواح[١].

وقيل: تدبيرُها: نزولها بالحلال والحرام[٢]. وقال معاذ: هي الكواكب السَّبْعَة[٣]، وإضافةُ التدبيرِ إليها مجازٌ، أي: يظهر بقَلْب الأحوالِ عند قِرانها وتَرْبيعها وتسديسها وغير ذلك.

ولفَّق الزمخشريُّ مِن هذه الأقوال أقوالاً اختارها وأدارها أوَّلاً على ثلاثة: الملائكة، أو الخيل، أو النُّجوم، ورتَّب جميعَ الأوصاف على كلٍّ واحدٍ مِن الثلاثة، فقال:

أَقْسَم سبحانه بطوائف الملائكة التي تَنزِع الأرواحَ مِن الأجساد، وبالطوائف التي تُنشطها، أي: تُخرجها مِن نشط الدَّلو مِن البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تَسْبَح في مُضيِّها، أي: تُسرِع فتسبق إلى ما أُمِروا به، فتدبِّر أمراً مِن أمورِ العباد ممَّا يُصلحهم في دينهم أو دنياهم، كما رسم لهم، «غَرْقاً» إغراقاً في النَّزْع، أي: تَنزعها مِن أقاصي الأجساد مِن أناملها وأظفارها، أو أَقسم بخيل الغُزاة التي تنزع في أعنَّتها، إلى آخِرِ ما نَقَلْناه عنه قَبْلُ، ثم قال: مِن قولك: ثورٌ ناشِطٌ، إذا خرجَ مِن بلدٍ إلى بلدٍ، والتي تَسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبِّر أَمْر الغَلَبة والظَّفَر، وإسناد التدبير إليها؛ لأنَّها مِن أسبابه.

أو أقسمَ بالنُّجوم التي تَنزِع مِن المشرق إلى المغرب، وإغْراقها في النَّزع أَنْ تَقطعَ الفَلَكَ كلَّه حتى تَنْحطَّ في أقصى الغَرْب، والتي تَخْرج مِن بُرْجٍ إلى بُرْجٍ، والتي تَسبح في الفَلَك مِن السَّيَّارة فتسبق فتدبِّر أمراً من عِلْم الحساب.

---

(١) زاد المسير ٩/ ١٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣، ونسب القول عندهما لعبد الرحمن بن سابط، وأخرجه عنه الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٦/ ٣٧٠، ولم يُصرَّح في الخبر أنَّ ملك الموت اسمه: عزرائيل، وتسميته بذلك فيها نظر!.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢-٤٣، والنكت والعيون ٦/ ١٩٤.

وقيل: «النازعات»: أيدي الغُزاة أو أنفسُهم تَنزع القِسِيَّ بإغراقِ السِّهام والتي تنشط الأوهاق[١]. انتهى.

والذي يَظهر أنَّ ما عُطفَ بالفاء هو مِن وَصْف المُقسَم به قَبْلَ الفاء، وأنَّ المعطوفَ بالواو هو مغايرٌ لِمَا قَبْلَه، كما قرَّرناه في «والمرسلات»، على أنَّه يحتمل أنْ يكون المعطوف بالواو مِن عَطْف الصفات بعضِها على بعض، والمختار في جواب القَسَم أَنْ يكون محذوفاً، وتقديره: لَتُبْعَثُنَّ؛ لدلالة ما بَعْدَه عليه، قاله الفرَّاء[٢].

وقال محمد بنُ عليّ الترمذيُّ: الجواب: «إنَّ في ذلك لعبرةً لمَن يَخشى»، والمعنى: فيما اقتصصتُ مِن ذِكْرِ يوم القيامة وذِكْرِ موسى عليه السلام وفرعون[٣]. قال ابنُ الأنباريّ: وهذا قبيحٌ؛ لأنَّ الكلامَ قد طَالَ[٤].

وقيل: اللام التي تلقى بها القَسَم محذوفةٌ مِن قوله: «يوم ترجف الراجفة» أي: ليوم كذا «تَتْبَعها الرَّادفة» فالمقسم عليه هو «تتبعها الرادفة»[٥]، ولم تَدخُل نونُ التوكيد؛ لأنَّه قد فصلَ بين اللام المقدَّرة والفعل.

وقول أبي حاتم: هو على التقديم والتأخير، كأنَّه قال: فإذا هم بالسَّاهِرة والنازعاتِ، قال ابنُ الأنباريّ: خَطَأ؛ لأنَّ الفاء لا يُفتتحُ بها الكلام[٦].

وقيل: التقدير: يومَ تَرجُف الراجفةُ تَتبعها الرَّادفةُ والنازعات، على التقديم والتأخير أيضاً، وليس بشيء[٧].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢١٢، وسلف قريباً تفسير الأوهاق.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣-٤٤، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٧١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٣٠-٢٣١.

(٣) بعدها في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤ والكلام منه: «العبرةً لمن يخشى»، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٣١.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤.

(٧) المصدر السابق، وتفسير البغوي ٤/ ٤٤٢.

وقيل: الجوابُ: «هل أتاكَ حديثُ موسى» لأنَّه في تقدير: قد أتاكَ[١]. وليس بشيء.

وهذا كلّه إعرابُ مَن لم يُحكِم العربيَّة، وحَذْفُ الجواب هو الوجهُ، ويقرب القول بحَذْف اللام مِن «يوم ترجف».

قال ابنُ عباس والحسن وقتادة ومجاهد: هما الصَّيْحتان، أي: النَّفْخَتان؛ الأُولى تُميت كلَّ شيء، والثانية تُحيي. وقال مجاهد أيضاً: «الراجفة»: الزلزلة، و«الرادفة»: الصَّيْحة[٢].

وقال ابنُ زيد: الأرض، و«الرادفة»: الساعة[٣].

والعامل في «يوم»: اذْكُر، مُضمَرة، أو: لَتُبْعَثُنَّ، المحذوف، واليوم مُتَّسع تقع فيه النَّفْخَتان، وهم يُبعَثون في بعض ذلك اليوم المُتَّسع، و«تَتْبَعها» حال، قيل: أو مستأنف.

«واجِفَة»: مُضْطَرِبة، ووَجِيْفُ القلبِ يكون مِن الفَزَع، ويكون مِن الإشفاق، ومنه قول قيس بنِ الخطيم:

إنَّ بني جَحْجَبى وأسرتَهم أكبادنا مِن وَرَائِهم تَجِفُ[٤]

«قلوبٌ»: مبتدأ، «واجفة» صفةٌ تعمل في: «يومئذٍ» «أبصارُها» أي: أبصار أصحابِ القلوب، «خاشعةٌ» مبتدأ، وخبر في موضع خبرِ «قلوب».

وقال ابنُ عطيَّة: رفع «قلوب» بالابتداء، وجاز ذلك وهي نَكِرة؛ لأنَّها قد تخصَّصت بقوله: «يومئذ»[٥]. انتهى.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤، وينظر تفسير الرازي ٣١/ ٣٨.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٥، وأخرجه عنهم الطبريُّ ٢٤/ ٦٥-٦٦.
(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٥، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ٦٨.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، والبيت في ديوان قيس بن الخطيم ص٦٤، وجحجبى: حيٌّ من الأنصار.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١.

ولا تتخصَّص الأجرام بظروفِ الزمان، وإنَّما تخصَّصت بقوله: «واجفة».

«يقولون» حكاية حالِهم في الدُّنيا، والمعنى: هم الذين يقولون.

و«الحافرة»: قال مجاهد: فَاعِلة بمعنى مَفْعُولة، وقيل: على النَّسَب، أي: ذات حُفَرٍ، والمراد القبور، أي: لمردودونَ أحياءً في قبورنا. وقال زيد بنُ أسلم: «الحافرة» النار[١].

وقيل: جمع: حافِر، بمعنى القَدَم، أي: أحياءً[٢] نمشي على أقدامنا ونَطَأُ بها الأرضَ.

وقال ابنُ عباس: الحياة الثانية هي أوَّل الأمر[٣]. وتقول التجار: النَّقْدُ في الحافِرَة، أي: في ابتداءِ السَّوْم[٤]، وقال الشاعر:

آلَيْتُ لا أَنْساكُمُ فاعلَمُوا حتى تُرَدَّ الناسُ في الحافِرَهْ[٥]

وقرأ أبو حيوة وأبو بحريَّة وابنُ أبي عبلة: «في الحَفِرَة» بغير ألف[٦]، والجمهور بالألف، فقيل: هما بمعنًى واحد، وقيل: هي الأرض المُنْتِنَة المتغيِّرة بأجسادِ موتاها، مِن قولهم: حَفِرَتْ أسنانُه: إذا تَآكَلَت وتغيَّرت[٧].

---

(١) المصدر السابق، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧-٤٨، حيث ورد عنده خبر زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن زيد ـ وكذا أخرجه الطبريُّ ٢٤/ ٧١-٧٢. وورد عنده أنَّ زيد بن أسلم قال: هي اسمٌ من أسماء النار، وعزاه أيضاً لمقاتل، وقول مجاهد عند الطبري ٢٤/ ٧١ بنحوه.

(٢) من قوله: في قبورنا. . . إلى هنا، ليست في (ع).

(٣) ينظر زاد المسير ٩/ ١٨.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧، والكشاف ٤/ ٢١٣، والصحاح (حفر)، قال الزمخشريُّ: يريدون عند الحالة الأولى، وهي الصَّفْقَة. وينظر أيضاً تفسير مفردات القرآن للراغب (حفر).

(٥) البيت في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٧١، والقرطبي ٢٢/ ٤٧، ولم نقف عليه عند غيرهما.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٨، والقراءات الشاذة ص١٦٨، والمحتسب ٢/ ٣٥٠.

(٧) تنظر المصادر الآنفة الذكر.

وقرأ عمر وأُبَيّ وعبد الله وابنُ الزبير وابنُ عباس ومسروق ومجاهد والأخوان وأبو بكر: «ناخِرَة» بألفٍ، وأبو رجاء والحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة والسُّلَميّ وابنُ جبير والنخعيُّ وقتادة وابنُ وثَّاب وأيوب وأهلُ مكَّة وشِبْل وباقي السبعة: بغيرِ ألف[1].

«قالوا تلك» أي: الرَّدَّة إلى الحافرة «إذاً» أي: إنْ رُدِدْنا «كَرَّةٌ خاسرة» أي: قالوا ذلك؛ لتكذيبهم بالبعث، أي: لو كان هذا حقًّا لكانت رِدَّتنا خاسرةً؛ إذ هي إلى النار.

وقال الحسن: «خاسرة»: كاذبة، أي: ليست بكائنة، وهذا القول منهم استهزاء، ورُويَ أنَّ بعضَ صناديدِ قريش قال ذلك[2].

«فإنَّما هي زَجْرَةٌ واحدةٌ» لمَّا تقدَّم: «يقولونَ أئِنَّا لمردودونَ» تضمَّن قولُهم استبعادَ النَّشْأة الثانية واستصعاب أَمْرِها، فجاء قوله: «فإنَّما» مراعاةً لِمَا دلَّ عليه استبعادهم، فكأنَّه قال: ليس بصعبٍ ما تقولون، «فإنَّما هي» نفخةٌ واحدةٌ، فإذا هم مَنشورونَ أحياءً على وَجْهِ الأرض. قال ابنُ عباس: السَّاهِرة: أرضٌ مِن فضَّة يَخلُقها اللهُ تعالى[3].

وقال وهب بن مُنَبِّه: جَبَلٌ بالشام يمدّه اللهُ تعالى يومَ القيامة لحَشْر الناس.

وقال أبو العالية وسفيان: أرضٌ قريبة مِن بيتِ المَقْدِس، وقال ابنُ عبَّاس: أرضُ مكَّة.

وقال قتادة: جهنَّم؛ لأنَّه لا نومَ لمَن فيها[4]. رَأَى أنَّ الضمائرَ قَبْلَها إنَّما هي للكفَّار، ففسَّرها بجهنَّم.

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٨، حيث قرأ بغير ألف من السبعة: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص. ينظر السبعة ص٦٧٠، والتيسير ص٢١٩، والنشر ٢/ ٣٩٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٢-٣٧٣، والقرطبي ٢٢/ ٥١-٥٢، والنكت والعيون ٦/ ١٩٦-١٩٧، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٧٤-٧٨.

وقيل: الأرض السابعة يأتي بها اللهُ يُحاسِب عليها الخلائقَ.

ولمَّا أنكروا البعثَ وتمرَّدوا، شَقَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ، فقصَّ عليه تعالى قصَّةَ موسى عليه السلام وتمرُّد فرعونَ على اللهِ عزَّ وجلَّ حتى ادَّعى الرُّبوبيَّة وما آلَ إليه حالُ موسى مِن النَّجاة وحالُ فرعون مِن الهلاك، فكان ذلك مسلاةً لرسولِ الله ﷺ وتبشيراً له بهلاك مَن يُكذِّبه، ونجاته هو مِن أذاهُم، فقال تعالى:

«هل أتاكَ» توقيفاً له على جَمْع النَّفْس لِمَا يُلقِيه إليه، وتقدَّم الكلام في الوادي المقدَّس، والخلاف في القراءات في ﴿طُوًى﴾[1].

«اذْهَبْ إلى فرعونَ» تفسيرٌ للنِّداء، أو على إضمارِ القول، «فقُلْ هل لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى» لطفٌ في الاستدعاء؛ لأنَّ كلَّ عاقل يُجيب مِثْلَ هذا السؤال بـ «نعم»، و«تزكَّى» تَتَحلَّى بالفضائل وتتطهَّر مِن الرذائل، والزَّكاة هنا يندرجُ فيها الإسلام وتوحيدُ الله تعالى.

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرٍو بخلافٍ: «تَزَّكَّى» و«تَصَّدَّى»: بشدِّ الزاي والصاد، وباقي السبعة: بخفِّها[2]، وتقول العرب: هل لك في كذا، أو: هل لك إلى كذا، فيحذفون المبتدأ الذي تتعلَّق به «إلى»، أي: هل لَكَ رغبةٌ أو حاجة إلى كذا، أو سبيلٌ إلى كذا، وقال الشاعر:

فهل لكم فيها إليّ فإنَّني بصيرٌ بما أَعْيا النِّطاسِيَّ حِذْيَما[3]

«وأهدِيَك إلى ربِّك فتخشى»: هذا تفسيرٌ للتزكية، وهي الهداية إلى توحيدِ الله

---

(١) عند تفسير الآية (١٢) من سورة «طه».

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٣، والقراءة في السبعة ص٦٧١، والتيسير ص٢١٩، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٣) تفسير الرازي ٣١/ ٣٧، والبيت في المستقصى للزمخشري ١/ ٢٢٠، والزاهر لأبي بكر الأنباري ١/ ٢٨٩، ولسان العرب (نطس)، وخزانة الأدب ٤/ ٣٧٣ ونُسب لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص١١١، وورد عندهم: طبيب، بدل: بصير، والنِّطاسيّ: دقيق النظر في الأمور، ويقال للطبيب: نطاسيٌّ؛ لدقَّة نظره في الطِّبِّ. وحِذْيَم، على حذف مضاف، أي: ابن حِذْيَم، وهو رجلٌ من أطباء العرب.

تعالى ومعرفتِه «فتَخشى» أي: تخافه؛ لأنَّ الخشيةَ لا تكون إلَّا بالمعرفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وذكر الخشية؛ لأنَّها مِلاكُ الأمْرِ، وفي الكلام حذفٌ، أي: فذَهَب وقال له ما أَمَرَهُ به ربُّه، وأَتْبَعَ ذلك بالمعجزة الدَّالَّة على صِدْقه «فَأراه الآيةَ الكُبْرى» وهي العَصَا واليَدَ، جَعَلهما واحدةً؛ لأنَّ اليدَ كأنَّها مِن جملة العَصَا؛ لكونها تابعة لها، أو العصا وَحْدَها؛ لأنَّها كانت المُقدَّمة والأصل، واليَد تَبَعٌ لها؛ لأنَّه كان يَتَّقيها بيده، فقيل له: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢].

«فكذَّب» أي: فرعونُ موسى عليه السلام وما أَتَى به مِن المُعجِز، وجَعَل ذلك مِن بابِ السحر، وعَصَى اللهَ تعالى بَعْدَ ما عَلِمَ صحَّة ما أَتَى به موسى، وإنَّما أوهم أنَّه سِحْر.

«ثُمَّ أَدْبَرَ يَسعى» قيل: «أَدْبَرَ» حقيقة، أي: قام مِن مكانه فارًّا بنفسه، وقال الجمهور: هو كنايةٌ عن إعراضه عن الإيمان «يسعى» يجتهد في مكايدة موسى عليه السلام، «فحَشَرَ» أي: جَمَعَ السَّحَرةَ وأربابَ دولتِه «فنادَى» أي: قام فيهم خطيباً، أو فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه، «فقال أنا ربُّكُم الأعلى»، قال ابنُ عطيَّة[1]: نهايةٌ في المَخْرَقة ونحوها باقٍ في ملوك مصر وأتباعهم. انتهى.

وإنَّما قال ذلك ابنُ عطيَّة؛ لأنَّ مَلِكَ مصر في زمانه كان إسماعيليًّا، وهو مذهبٌ يَعتقدون فيه إلهيَّة ملوكهم، وكان أوَّل مَن مَلَكها منهم المُعِزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله وآخِرهم العاضد[2]، وطهَّر اللهُ مصرَ مِن هذا المذهب الملعون[3] بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بنِ أيوب بنِ شاذي رحمه اللهُ تعالى وجزاهُ عن الإسلام خيراً.

«فأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولى» قال ابنُ عبَّاس: «الآخِرَة» قولته: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] والأُولى قولته: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقيل: العكس، وكان بين قولتَيْه أربعون سنة.

---

(١) بعدها في النسخ عدا (ع) و(يه): قول فرعون ذلك. والمثبت منهما ومن المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣.
(٢) ينظر تاريخ الخلفاء ص٤٥٠ وغيره من كتب التاريخ، وتنظر تراجم المذكورين أعلاه ثمَّة.
(٣) ليست في (ع) و(يه).

وقال الحسن وابنُ زيد: «نَكَالَ الآخِرَة» بالحَرْق، «والأُولى» يعني الدنيا بالغَرَق.

وقال مجاهد: عذاب آخِره حياته وأُولاها. وقال أبو رزين: «الأُولى» كفرُه وعصيانُه، و«الآخِرَة» قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

وقال مجاهد: عبارة عن أوَّل معاصيه وآخِرِها، أي: نكلَ بالجميع(١).

وانتصب «نكال» على المصدر، والعامل فيه «فأَخَذَهُ» لأنَّه في معناه، وعلى رأي المبرِّد بإضمار فِعْلٍ مِن لفظه، أي: نَكَّلَ نَكَالَ، والنَّكَال بمعنى التَّنكيل، كالسَّلام بمعنى التسليم.

وقال الزمخشريُّ: هو مصدرٌ مؤكِّد كـ: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢]، و﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]، كأنَّه قيل: نَكَّلَ اللهُ به نكالَ الآخِرَة والأولى(٢). انتهى. والمصدر المؤكِّد لمضمون الجملة السابقة يُقدَّر له عامل مِن معنى الجملة.

«إنَّ في ذلك» أي: فيما جَرَى لفرعونَ وأَخْذه تلك الأخْذَة «لَعِبْرَةً» لعظة «لِمَن يَخشى» أي: لمَن يَخاف عقوبةَ الله يومَ القيامة وفي الدُّنيا.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣-٤٣٤، والنكت والعيون ٦/ ١٩٨، والكشاف ٤/ ٢١٤، وتفسير الرازي ٣١/ ٤٣، والقرطبي ٢٢/ ٥٦، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٨٤-٨٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٢١٤.

الخطاب الظاهرُ أنَّه عامٌّ والمقصود الكفارُ مُنْكِرو البَعْثِ، وَقَفهم على قدرة اللهِ تعالى «أَشَدُّ خَلْقاً» أي: أصعب إنشاءً «أم السماء»؟ فالمسؤول عن هذا يُجيب ولا بُدَّ: السماء؛ لِمَا يَرَى مِن دَيمومة بقائها وعدمِ تأثُّرها.

ثم بيَّن تعالى كيفيَّة خَلقْها: «رَفَعَ سَمْكَها» أي: جَعَلَ مقدارَ ذهابِها في العُلُوِّ مَدِيداً رفيعاً مسيرة خمس مئة عام، والسَّمْك: الارتفاعُ الذي بين سَطْحِ السماء التي بيننا[1] وسَطْحِها الأعلى الذي يَلي ما فوقها «فسوَّاها» أي: جَعَلها ملساءَ مستويةً ليس فيها مرتفعٌ ولا مُنخفَض، أو تمَّمها وأَتقنَ إنشاءَها بحيث إنَّها مُحكَمة الصَّنْعَة.

«وأَغْطَشَ» أي: أَظْلَم «لَيْلَها وأَخْرَج» أَبْرَزَ ضوءَ شمسِها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: ١] وقولِهم: وقتُ الضُّحى الوقتُ الذي تُشرِق فيه الشمسُ، وأُضيف الليلُ والضحى إلى السماء؛ لأنَّ الليلَ ظِلُّها والضُّحى هو نورُ سراجها.

«والأرضَ بَعْدَ ذلك» أي: بَعْدَ خَلقِ السماءِ وما فُعِلَ فيها «دحاها» أي: بَسَطَها، فخَلَقَ الأرضَ ثم السماءَ، ثم دَحَا الأرضَ.

وقرأ الجمهور: «والأرضَ» و«الجبالَ» بنصبهما، والحسن وأبو حيوة وعمرو بنُ عبيد وابنُ أبي عَبْلَة وأبو السَّمَّال: برفعهما، وعيسى برَفع «والأرض»[2]، وأُضيفَ الماءَ والمرعى إلى الأرض؛ لأنَّهما يَظهران منها.

والجمهور: «متاعاً» بالنصب، أي: فَعَلَ ذلك تمتيعاً لكم، وابنُ أبي عَبْلَة: بالرفع، أي: ذلك متاعٌ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: فهلَّا أدخلَ حرفَ العطف على «أخرج»؟

قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنْ يكون معنى «دحاها» بَسَطها ومَهَّدها للسُّكْنى، ثم فسّر التمهيدَ بما لا بُدَّ منه في تأتِّي سُكْناها؛ مِن تسويةِ أَمْرِ المَأكل والمَشْرب

---

(١) في (ع): تلينا، وفي (أ) والمطبوع: تليها.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٦٠-٦١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٥، والكشاف ٤/ ٢١٥، والقراءات الشاذة ص١٦٨، والمحتسب ٢/ ٣٥٠.

وإمكانِ القرار عليها، والثاني: أنْ يكون «أخرج» حالاً بإضمار «قد»، كقوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[١] [النساء: ٩٠]. انتهى.

وإضمار «قد» قولٌ للبَصْريِّين، ومذهب الكوفيِّين والأخفش أنَّ الماضيَ يقع حالاً ولا يَحتاج إلى إضمار «قد»، وهو الصحيح، ففي كلام العرب وَقَعَ ذلك كثيراً[٢]. انتهى.

«ومَرْعاها» مَفْعَل مِن الرَّعْي، فيكون مكاناً وزماناً ومصدراً، وهو هنا مصدرٌ يُراد به اسمُ المفعول، كأنَّه قيل: ومَرْعيها، أي: النبات الذي يُرعى، وقدّم الماء على المرعى؛ لأنَّه سببٌ في وجود المَرْعَى، وشمل: «ومَرْعاها» ما يتقوَّت به الآدميُّ والحيوانُ غيره، فهو في حقِّ الآدميّ استعارةٌ، ولهذا قيل: دلَّ اللهُ سبحانه وتعالى بذِكْر الماء والمرعى على عامَّة ما يرتفقُ به ويتمتَّع ممَّا يَخرُج مِن الأرض حتى الملح؛ لأنَّه مِن الماء.

«فإذا جاءَتِ الطَّامَّةُ» قال ابنُ عبَّاس والضَّحَّاك: القيامة، وقال ابنُ عباس أيضاً والحسن: النَّفخَة الثانية[٣].

وقال القاسم: وقت سَوْقِ أهلِ الجنة إليها وأهلِ النَّار إليها، وهو معنى قولِ مجاهد[٤].

«يوم يتذكَّر الإنسان ما سَعَى» أي: عملَه الذي كان سَعَى فيه في الدنيا.

وقرأ الجمهور: «وبُرِّزَت» مبنيًّا للمفعول، مشدَّد الرَّاء «لمَن يَرَى» بياء الغيبة، أي: لكلِّ أحدٍ فيَشكر المؤمن نعمةَ الله، وقيل: «لمَن يَرَى» هو الكافر.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢١٥.

(٢) ينظر مغني اللبيب لابن هشام ص٥٦٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٤، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢٠٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٦٢، وقول ابن عباس عند الطبريّ ٢٤/ ٩٧.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٢، والنكت والعيون ٦/ ٢٠٠، وقول القاسم ـ وهو: ابن الوليد أبو عبد الرحمن الكوفي ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٥٦٧)، والطبري ٢٤/ ٩٧، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٧٥.

وعائشة وزيد بنُ عليّ وعكرمة ومالك بن دينار: مبنيًّا للفاعل مخفَّفاً وبتاء[1]، فجوّز أنْ يكون خطاباً للرَّسول ﷺ أي: لمَن ترى مِن أهلها، وأنْ يكون إخباراً عن الجحيم، فهي تاء التأنيث، قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]. وقرأ أبو نهيك وأبو السَّمَّال وهارون عن أبي عَمرو: «وبَرَزَت» مبنيًّا للفاعل ومخفَّفاً[2].

و«يوم يتذكَّر» بدلٌ مِن «فإذا»، وجواب «فإذا» قال الزمخشريُّ: فإنَّ الأمْرَ كذلك[3]. وقيل: عَاينوا وعلموا، ويحتمل أنْ يكون التقدير: انْقَسَم الرَّاؤونَ قسمَين، والأولى أنْ يكون الجواب «فأمَّا» وما بَعْدَه، كما تقول: إذا جاءَكَ بنو تميم؛ فأمَّا العاصي فأَهِنْهُ، وأمَّا الطائعُ فأَكْرِمْهُ.

«طغى»: تجاوز الحَدَّ في عصيانه «وآثَرَ الحياةَ الدُّنيا» على الآخِرَة، وهي مبتدأ، أو فَصْل، والعائد على «مَن» مِن الخبر محذوفٌ على رَأي البصريِّين، أي: المأوى له، وحسَّن حَذْفه وقوعُ «المأوى» فاصلةً، وأمَّا الكوفيُّون فمذهبهم أنَّ «أل» عوَضٌ مِن الضمير.

وقال الزمخشريُّ: والمعنى «فإنَّ الجحيم» مأواه، كما تقول للرجل: غُضَّ الطَّرْفَ، تريد: طَرْفَكَ، وليس الألف واللام بَدَلاً مِن الإضافة، ولكن لمَّا علم أنَّ الطاغي هو صاحبُ المأوى وأنَّه لا يغضُّ الرجلُ طَرْفَ غيرِهِ، تُركت الإضافة، ودخولُ حرفِ التعريف في «المأوى» والطَّرْف للتعريف[4]؛ لأنَّهما معروفان. انتهى.

وهو كلامٌ لا يتحصَّل منه الرابطُ العائدُ على المبتدأ، إذ قد نَفَى مذهبَ

---

(١) أي: «وبَرَزت الجحيمُ لِمَن تَرَى». المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٤، والقراءة في تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٣ عن مالك بن دينار: «وبَرَزت»، وعن عكرمة وغيره: «لمن تَرَى» بالتاء، وفي المحتسب ٢/ ٣٥٠ عن عكرمة بالتاء: «ترى»، وكذا هي في الكشاف ٤/ ٢١٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٢١٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) في النسخ عدا (ع) و(يه): للتحريف. والمثبت منهما ومن الكشاف ٤/ ٢١٦.

الكوفيِّين، ولم يُقدِّر ضميراً محذوفاً كما قدَّره البَصْرِيُّون، فرَامَ حصولَ الرَّبط بلا رابطٍ.

«وأمَّا مَن خافَ مقامَ ربِّه» أي: مقاماً بين يدي ربِّه يومَ القيامة للجزاء، وفي إضافة المقام إلى الرَّبِّ تفخيمٌ للمقام وتهويلٌ عظيم واقع مِن النفوس موقعاً عظيماً.

قال ابنُ عباس: خافَهُ عندما هَمَّ بالمعصية فانْتَهى عنها[١].

«ونهى النَّفْسَ عن الهوى» أي: عن شهوات النَّفْس، وأكثرُ استعمالِ الهوى فيما ليسَ بمحمودٍ، قال سهل: لا يَسْلَم مِن الهوى إلَّا الأنبياء وبعض الصِّدِّيقين. وقال بعضُ الحكماء: إذا أَردتَ الصوابَ فانْظُر هواكَ فخالِفْهُ[٢].

وقال أبو عمران المِيرَتُلِّي:

فخالف هواها واعصها إنَّ مَن يُطِع هوى نفسِه تَنزِعْ به شَرَّ مَنْزِعِ
ومَن يُطِعِ النفسَ اللَّجُوجَةَ تُرْدِهِ وتَرْمِ به في مَصْرَعٍ أَيِّ مَصْرَعِ[٣]

وقال الفُضَيل: أفضلُ الأعمال خلافُ الهوى[٤]. وهذا التفضيلُ هو عامٌّ في أهلِ الجنَّة وأهلِ النَّار.

وعن ابنِ عباس: نزل ذلك في أبي جهل ومصعب بنِ عمير العَبْدري.

وعنه أيضاً: «فأمَّا مَن طَغَى» فهو أَخٌ لمصعبِ بنِ عمير أُسِرَ فلم يَشدُّوا وَثَاقه وأكرموه وبيَّتوه عندهم، فلمَّا أصبحوا حدَّثوا مصعباً، فقال: ما هو لي بأخٍ، شُدُّوا أسيرَكم؛ فإنَّ أمَّه أكثرُ أهلِ البَطْحاء حُليًّا ومالاً. فأوثقوهُ، «وأمَّا مَن خافَ مقامَ ربِّه» فمصعب بنُ عمير وَقَى رسولَ الله ﷺ بنفسِه يومَ أُحُدٍ حين تَفرَّقَ الناسُ عنه حتى نفذتِ المشاقصُ في جوفه ـ وهي السِّهام ـ فلمَّا رَآه رسولُ الله ﷺ مُتشحِّطاً في دَمِه،

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٤.
(٣) سلفا في تفسير سورة الجاثية، عند تفسير الآية (٢٣) منها.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٥.

قال: «عندَ اللهِ أَحْتَسِبُكَ»، وقال لأصحابه: «لقد رَأيتُه وعليه بُرْدانِ ما تُعرَف قيمتُهما، وإنَّ شِرَاكَ نَعْلِهِ مِن ذهبٍ»، قيل: واسمُ أخيه عامِر[(١)].

وفي «الكشاف»: وقيل: الآيتان نزلتا في أبي عزير بنِ عمير ومصعب بنِ عمير، وقد قَتَلَ مصعبٌ أخاه أبا عزير يومَ أُحُدٍ، ووَقَى رسولَ الله ﷺ بنفسِه حتى نفذتِ المشاقِصُ في جوفه[(٢)]. انتهى.

«يسألونك» أي: قريش، وكانوا يُلحُّون في البحث عن وقتِ الساعة، إذ كان يتوعَّدهم بها ويُكثِر مِن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ[(٣)]. «أيَّانَ مُرْساها» متى إقامتها، أي: متى يُقيمها اللهُ ويُثْبِتها [(٤)]ويُكوِّنها، وقيل: أيّان مُنتهاها ومستقرُّها، كما أنَّ مرسى السفينة ومستقرّها[(٤)] حيث تنتهي إليه.

«فيمَ أنتَ مِن ذِكْراها»: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسولُ الله ﷺ يَسألُ عن الساعة كثيراً، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ انتهى[(٥)].

والمعنى: في أيِّ شيء أنتَ مِن ذِكْرِ تحديدها ووقتها، أي: ليستَ مِن ذلك في شيء «إنَّما أنتَ مُنْذِر».

«إلى ربِّك مُنتهاها» أي: انتهاءُ عِلْمِ وقتِها، لم يُؤْتِ عِلْمَ ذلك أحداً مِن خَلْقه، وقيل: «فيم» إنكارٌ لسؤالهم، أي: فيمَ هذا السؤال، ثم قال: «أنتَ مِن ذكراها» [(٦)]أي: إرسالُكَ وأنتَ خاتم الأنبياء وآخِر الرُّسل في نَسَم الساعة ذِكْرٌ مِن ذكراها[(٦)]

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٤-٦٥، وينظر الكشاف ٤/ ٢١٦، والخبر سلف في سورة الأنفال، عند تفسير الآية (٦٨) منها.

(٢) الكشاف ٤/ ٢١٦، وينظر التعليق السابق، والكافي الشاف ص١٨١، والإصابة ١١/ ٢٥٥، والروض الأنف ٣/ ٦٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٥.

(٤-٤) ليست في (ع).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٦، والخبر أخرجه البزار (٢٢٧٩ - كشف)، والطبري ٢٤/ ٩٩، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٤.

(٦-٦) زيادة من (ع) و(يه)، وليست في باقي النسخ الخطية ولا المطبوع، والكلام من الكشاف =

وعلامةٌ مِن علاماتها، فكفاهم بذلك دليلاً على دُنوِّها ومشارفتها ووجوبِ الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها «إنَّما أنتَ منذرُ مَن يخشاها» أي: لم تُبعَث لتُعْلِمهم بوقتِ الساعة الذي لا فائدةَ لهم في علمه، وإنَّما بُعثتَ لتُنذِرَ مِن أهوالها مَن يكون إنذارُك لطفاً به في الخشية منها. انتهى.

وهذا القول حكاه الزمخشريُّ وزَمَكَهُ[١] بكثرة ألفاظه، وهو تفكيكٌ للكلام وخروجٌ عن الظاهر المتبادر إلى الفَهْم، ولم يُخْلِه مِن دسيسة الاعتزال.

وقرأ الجمهور: «منذرُ مَن» بالإضافة، وقرأ عمر بنُ عبد العزيز وأبو جعفر وشيبة وخالد الحذَّاء وابنُ هرْمز وعيسى وطلحة وابنُ محيصن وأبو عمرو ـ في رواية ـ وابنُ مقسم: «مُنْذِرٌ» بالتنوين[٢].

وقال الزمخشريُّ: وقُرِئَ: «مُنْذِرٌ» بالتنوين، وهو الأصل، والإضافة تخفيفٌ، وكلاهما يَصلُح للحال والاستقبال، فإذا أُريدَ الماضي فليس إلَّا الإضافة، كقولك: هو منذرُ زيدٍ أَمْسِ[٣]. انتهى.

أمَّا قوله: وهو الأصل، يعني التنوين، فهو قولٌ قد قاله غيرُه ممَّن تقدَّم، وقد قرَّرنا في هذا الكتاب وفيما كتبناهُ في هذا أنَّ الأصلَ الإضافةُ؛ لأنَّ العملَ إنما هو بالشَّبه، والإضافة هي أصلٌ في الأسماء.

وأمَّا قوله: فإذا أُريدَ الماضي فليس إلَّا الإضافة. فهذا فيه تفصيلٌ وخلاف مذكورٌ في عِلْم النَّحْو.

= ٤/ ٢١٦، ونَسَم الساعة: هو من النَّسِيم أوَّل هبوب الرِّيح الضعيفة، ومنه قوله ﷺ: «بُعِثْتُ في نَسَم الساعة» أي: بُعِثتُ في أوَّل أشراط الساعة وضعف مجيئها. النهاية لابن الأثير (نسم).

(١) زَمَكَ القِرْبَةَ وزَمَجها: إذا مَلَأها. تاج العروس (زمك).

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٦٦-٦٧، والقراءات الشاذة ص١٦٨، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٩٨، ورواية أبي عمرو ـ وهي من طريق عباس ـ في السبعة ص٦٧١، والمشهور عن أبي عمرو: «منذرُ» بالإضافة كقراءة الجمهور.

(٣) الكشاف ٤/ ٢١٦.

وخصّ «مَن يَخْشاها» لأنَّه هو المُنتفِع بالإنذار، «كأنَّهم يوم يرونها» تقريبٌ وتقرير لقِصَر مقامهم في الدنيا، «لم يلبثوا» لم يقيموا في الدُّنيا «إلَّا عشيَّة» يوم أو بُكْرَته، وأضاف الضُّحى إلى العشيَّة؛ لكونهما طَرَفي النَّهار، بَدَأَ بذِكْر أحدِهما، فأضاف الآخَر إليه؛ تجوُّزاً واتِّساعاً، وحسَّن الإضافةَ كونُ الكلمة فاصلةً.

مفردات سورة عبس

«تَصَدَّى» تَعَرَّض، قال الرَّاعي:

تَـصَـدَّى لـوضـاحٍ كـأنَّ جـبـيـنَـه سِرَاج الدُّجَى تُجبَى إليه الأساوِرُ(١)

وأصله: تَصَدَّد مِن الصَّدَد، وهو ما استقبلك وصارَ قُبَالتَكَ، يقال: دَارِي صَدَدَ دارِه، أي: قُبالتَها، وقيل: مِن الصَّدَى وهو العَطَش(٢)، وقيل: مِن الصَّدَى، وهو الصوتُ الذي تَسمعه إذا تكلَّمت مِن بُعْدٍ وخَلَاءٍ، كالجبل، والمُصادَاة: المُعارَضة.

السَّفَرة: الكَتَبَة، الواحد: سَافِرٌ، وسَفَرَتِ المرأةُ: كَشَفَت النِّقابَ، وسَفَرتُ بين القومِ أسفِرُ سِفارةً: أصلحتُ بينهم، وقاله الفرَّاء، الواحد: سَفِير، والجمع: سُفَرَاء. وقال الشاعر:

فـمـا أَدَعُ الـسِّـفـارَةَ بـيـن قـومـي ومـا أَسْـعَـى بـغِـشٍّ إنْ مَـشَـيْـتُ(٣)

القَضْبُ: قال الخليلُ: القَضْبُ: الفِصْفِصةُ الرَّطْبَةُ، ويقال: بالسِّين، فإذا يبسَت

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٧٣، والثعلبي ٦/ ٣٧٨، والبيت في ديوان الراعي النميري ص١٠٩، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٦/ ٩٢، وروايته هكذا:

تـصـدَّى لـوضـاح الـجـبـيـن كـأنَّـه سراج الدُّجى تُجبَى إليه السـوائر

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٧٣-٧٤، والصحاح (صدد).

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٧٦، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٩، والطبري ٢٤/ ١٠٩، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٣٦، والبيت نسبه المرزباني في معجم الشعراء ص٢٨٥ لموسى بن جابر الجعفي اليمامي، وهو شاعر نصراني جاهليّ يلقّب: أُزَيْرق اليمامة، ويعرف بابن ليلى، وورد عند بعضهم: ولا أمشي، بدل: وما أسعى.

فهي القَتُّ، قال: والقَضْبُ اسمٌ يقعُ على ما يقعُ مِن أغصان الشَّجرة ليتّخذَ منها سِهامٌ أو قِسِيٌّ[١].

الغُلْبُ: جَمْعُ: غَلْباء، يقال: حديقةٌ غَلْباء: غليظةُ الشّجَر ملتفَّة، واغْلَولَبَ العشبُ: بَلَغَ والتَفَّ بعضُه ببعضٍ، ورَجُلٌ أَغْلَبُ: غليظُ الرَّقَبَة، والأصل في هذا الوصف استعمالُه في الرِّقاب، ومنه قول عَمرو بنِ مَعْدِي كَرِب:

يَسْعَى بها غُلْبُ الرِّقابِ كأنَّهم بُزْلٌ[٢] كُسِيْنَ مِن الكُحَيْلِ[٣] جِلَالَا[٤]

الأبُّ: المَرْعَى؛ لأنَّه يُؤَبُّ، أي: يُؤَمُّ ويُنتَجَعُ، والأَبُّ والأَمُّ أخوان، قال الشاعر:

جِذْمُنا قيسٌ ونَجْدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمَكْرَع[٥]

وقيل: ما يأكله الآدَمِيُّون مِن النبات يُسمَّى الحَصِيْد، وما يأكله غيرُهم يُسمَّى الأَبُّ، ومنه قول بعضِ الصحابة يمدحُ رسولَ الله ﷺ:

له دعوةٌ ميمونةٌ رِيْحُها الصَّبَا بها يُنبِتُ اللهُ الحصيدةَ والأَبَّا[٦]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٤، والكلام بنحوه في العين ٥/ ٥٢-٥٣.

(٢) في (ع) و(يه): نُزُل.

(٣) في النسخ عدا (ع) و(يه): الشعور. والمثبت منهما ومن تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٥.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٥، وينظر الكشاف ٤/ ٢٢٠، والصحاح (غلب)، والبُزُل: جمع: بَزُول، وهو البعير طلع نابه، وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة. المعجم الوسيط (بزل)، والجِلال: جمع: جُلّ، وهو ما تُلبَسه الدابَّةُ لتصانَ به. والكُحيل: النفط أو القطران تُطلَى به الإبلُ. القاموس (جلل) و(كحل)، وورد في المصادر: يمشي، بدل: يسعى.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٦، والكشاف ٤/ ٢٢٠، وينظر جمهرة اللغة ١/ ١٣، وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٩٩، وجِذْمنا: من الجِذْم: وهو الأصل: القاموس (جذم)، والمكرع: الذي تكرع فيه الماشية مثل ماء السماء.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٦، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢٠٨، والبيت نُسبَ في الوافي بالوفيات ١١/ ٣٣٢ لحرب بن ريطة بن عمرو بن مازن بن وهب بن الربيع السلمي، قَدِمَ على النبي ﷺ مع جماعة من أهله فلقوه بين جحفة والمدينة، فمات بعضهم واشتكى بعضهم، فتطيروا ورجعوا إلى بلادهم.

«الصَّاخَّة»: قال الخليل: صَيْحَةٌ تَصُخُّ الآذانَ صَخًّا، أي: تُصِمُّها لشِدَّة وقعتها. وقيل: مأخوذةٌ مِن: صَخَّهُ بالحَجَر: إذا صَكَّهُ[١].

وقال الزمخشريُّ: صَخَّ لحديثه مِثْل: أصاخَ له[٢].

الغَبَرة: الغُبَار، القَتَرة: سوادٌ كالدُّخان. وقال أبو عبيد[٣]: القَتَر في كلامِ العرب: الغُبَار جمع القَتَرة. وقال الفَرَزْدَق:

مُتَوَّجٌ بِرداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ فوجٌ تَرَى فوقَه الرَّاياتِ والقَتَرا[٤]

* * *

سورة عبس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ
٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ
يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣
مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ
١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢
كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ
شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا
٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٨-٨٩، وكلام الخليل في العين ٧/ ٢٥١.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٠.

(٣) في النسخ عدا (ع) و(يه): أبو عبيدة. والمثبت منهما ومن تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٢، وينظر الصحاح (قتر).

(٤) المصدران السابقان، والبيت في ديوان الفرزدق ١/ ٢٣٤ برواية: مُعتَصِبٌ، بدل: متوَّج.

مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

هذه السورةُ مكيَّة، وسببُ نزولها مَجِيْءُ ابنِ أمِّ مكتوم إليه ﷺ، وقد ذَكَر أهلُ الحديث وأهلُ التفسير قصَّته[١].

ومناسبتها لِمَا قَبْلَها: أنَّه لمَّا ذَكَر ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَنهَا﴾ [النازعات: ٤٥] ذَكَر في هذه مَن ينفعه الإنذارُ، ومَن لم ينفعه الإنذار وهم الذين كانَ رسولُ الله ﷺ يُناجِيهم في أمْرِ الإسلام عتبة بن ربيعة وأبو جهل وأُبَيّ وأُميَّة ويَدعُوهم إليه.

«أَنْ جاءَهُ» مفعول مِن أجله، أي: لأنْ جاءَهُ، ويتعلَّق بـ «تولَّى» على مختار البصريِّين في الإعمال، وبـ «عَبَس» على مختارِ أهلِ الكوفة.

وقرأ الجمهور: «عَبَسَ» مخفَّفاً «أَنْ» بهمزة واحدة، وزيد بن عليٍّ: بشدِّ الباء[٢]، وهو والحسن وأبو عمران الجونيّ وعيسى: «آَنْ» بهمزة ومدَّة بَعْدَها[٣]، وبعض القُرَّاء: بهمزتين مُحقَّقتين[٤]، والهمزة في هاتين القراءتين للاستفهام، وفيهما يقف على «تَولَّى»، والمعنى: ألِأَنْ جاءَهُ كان كذا.

وجاء بضمير الغائب في «عَبَسَ وتَولَّى» إجلالاً له عليه الصلاة والسلام ولُطفاً به أنْ يخاطبه؛ لِمَا في المشافهة بتاء الخطاب ممَّا لا يَخفى، وجاء لفظ «الأعمى» إشعاراً بما يُناسِب مِن الرِّفق به والصَّغْو لما يَقصده، ولابنِ عطيَّة هنا كلام °ولأبي عبد الله الرازيّ كلام كثير رغبت عن ذكره، يُطالَع في كتابيهما، وكذا للزمخشري كلامٌ° أَضْرَبْتُ عنه صَفْحاً[٦].

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٦٩-٧٢ ـ وتنظر الآثار الواردة عنده ـ والمحرر الوجيز ٥/ ٤٣٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٢١٧، والقراءات الشاذة ص١٦٨ دون نسبة.

(٣) الكشاف ٤/ ٢١٨، وتفسير الرازي ٣١/ ٥٤.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣١/ ٥٧، وزاد المسير ٩/ ٢٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٦، والقراءات الشاذة ص١٦٨.

(٥-٥) زيادة من (ع) و(يه)، ولم ترد في بقيَّة النسخ.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧، وتفسير الرازي ٣١/ ٥٤، والكشاف ٤/ ٢١٨.

والضمير في «لعلَّه» عائدٌ على «الأعمى» أي: يتطهَّر بما يتلقَّن مِن العِلْم، «أو يَذَّكَّر» أي: يَتَّعظ «فتَنْفَعه» ذِكْرَاك، أي: موعظتك.

والظاهر مَصَبُّ «يُدْرِيكَ» على جملة الترجِّي، فالمعنى: لا تدري ما هو مُتَرجّى منه مِن تَزَكٍّ أو تَذَكُّرٍ.

وقيل: المعنى: وما يُطلِعك على أمرِه وعُقبى حاله، ثم ابتدأ القول «لعلَّه يَزَّكَّى» أي: تَنمو بركته ويتطهَّر لله.

وقال الزمخشريُّ: وقيل: الضمير في «لعلَّه» للكافر، يعني أنَّك طَمعتَ في أنْ يتزكَّى بالإسلام، «أو يَذَّكَّر» فتُقرِّبه الذِّكرى إلى قَبول الحقِّ «وما يدريك» أنَّ ما طمعتَ فيه كائنٌ[1]؟ انتهى. وهذا قولٌ يُنزَّه عنه حَمْلُ القرآنِ عليه.

وقرأ الجمهور: «أو يَذَّكَّر» بشَدِّ الذَّالِ والكاف، وأصله: يَتَذكَّر، فأدغم، والأعرج وعاصم في رواية: «أو يَذْكُر» بسكون الذَّال وضمِّ الكاف[2].

وقرأ الجمهور: «فَتَنفَعُهُ» بضمِّ العين؛ عَطْفاً على «أو يَذَّكَّر»، وعاصم في المشهور والأعرج وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة والزعفرانيُّ: بنصبها[3].

قال ابنُ عطيَّة: في جواب التمنِّي؛ لأنَّ قوله: «أو يَذَّكَّر» في حكم قولِه «لعلَّه يَزَّكَّى»[4]. انتهى.

وهذا ليس تمنِّياً إنَّما هو تَرَجٍّ، وفَرْقٌ بين التمنِّي والترجِّي.

وقال الزمخشريُّ: وبالنصب جواباً لـ«لعلَّ»، كقوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[5] [غافر: ٣٧]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٤/٢١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٣٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٤٣٧، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/٧٣، وقراءة عاصم في السبعة ص٦٧٢، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/٣٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٤٣٧، وينظر الدر المصون ١٠/٦٨٦.

(٥) الكشاف ٤/٢١٨.

والترجّي عند البصريِّين لا جوابَ له فينصب بإضمار «أن» بعد الفاء، وأمَّا الكوفيون فيقولون: يُنصَب في جواب الترجّي، وقد تقدَّم لنا الكلامُ على ذلك في قوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٧] في قراءة حفص، ووجَّهنا مذهبَ البصريِّين في نصب المضارع.

«أمَّا مَنِ استغنى» ظاهره مَن كان ذا ثروةٍ وغِنًى، وقال الكلبيُّ: عن الله[١]، وقيل: عن الإيمان بالله.

قيل: وكونه بمعنى الثروة لا يَليق بمنصبِ النبوَّة، ويدلُّ على ذلك أنَّه لو كان مِن الثَّرْوَة لكان المقابل: وأمَّا مَن جاءَكَ فقيراً حقيراً.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش وجمهور السَّبْعَة: «تَصَدَّى» بخفِّ الصاد، وأصله: تتصدَّى، فحذف، والحِرْميَّان: بشدِّها، أدغم التاء في الصاد[٢]، وأبو جعفر: «تُصَدَّى» بضمِّ التاء وتخفيف الصاد[٣]، أي: يُصديكَ حِرْصُكَ على إسلامه، يقال: تصدى الرَّجُل وصديته.

وهذا المستغني هو الوليد، أو العبَّاس وأميَّة، أو عُتبة وشيبة، أو أميَّة، أو جميع المذكورين في سبب النزول، أقوالٌ خمسةٌ، قال القرطبيُّ: وهذا كلُّه غَلَطٌ مِن المفسِّرين؛ لأنَّ أُمَيَّة والوليد كانا بمكّة وابن أمِّ مكتوم كان بالمدينة ما حَضَرَ معهما، وماتا كافرين؛ أَحدُهما قَبْلَ الهجرة والآخَرُ في بدر، ولم يقصد قطّ أميَّةُ المدينةَ ولا حَضَرَ معه مفرداً ولا مع أحد[٤]. انتهى.

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ٥٤.

(٢) أي: «تَصَّدَّى». ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٧٤، وقراءة الحِرْمِيَّين ـ وهما نافع وابن كثير ـ في السبعة ص٦٧٢، والتيسير ص٢٢٠، وقرأ بها أيضاً أبو جعفر من العشرة. النشر ٢/ ٣٩٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧، والكشاف ٤/ ٢١٨، والقراءات الشاذة ص١٦٩، والمحتسب ٢/ ٣٥٢.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٧١، والكلام المذكور أعلاه قاله ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٣-١٨٩٤، ونقله عنه القرطبيُّ في تفسيره، فالكلام لابن العربي لا للقرطبي، فليُحرَّر.

والغَلَط مِن القرطبيِّ؛ كيف يَنفي حضورَ ابنِ أمِّ مكتوم معهما، وهو وَهَمٌ، وكلّهم مِن قريش، كان ابنُ أمِّ مكتوم بها، والسورة كلُّها مكِّيَّة بالإجماع، وكيف يقول: وابنُ أمِّ مكتوم بالمدينة كان أوّلاً بمكة، ثم هاجر إلى المدينة، وكانوا جميعهم بمكَّة حين نزولِ هذه السورة، وابنُ أمِّ مكتوم هو: عبد الله بنُ شريح بن مالك بنِ ربيعة الفهري مِن بني عامر بنِ لؤي[1]، وأمّ مكتوم أمُّ أبيه وهي عاتكة، وهو ابنُ خالِ خديجة ﷺ.

«وما عليك أنْ لا يَزَّكَّى» تحقيرٌ لأَمْرِ الكافر، وحضٌّ على الإعراض عنه وتَرْك الاهتمام به، أي: وأيّ شيء عليكَ في كونه لا يُفلِح ولا يتطهَّر مِن دَنَس الكفر.

«وأمَّا مَن جاءَكَ يَسْعَى» أي: يمشي بسرعة في أمْرِ دينه «وهو يَخْشَى» أي: يَخافُ اللهَ، أو: يَخافُ الكفَّار وأذَاهُم، أو: يَخاف العِثَار والسُّقوط؛ لكونه أعمى، وقد جاءَ بلا قائدٍ يَقودُه.

«تَلَهَّى» تشتغل، يقال: لَهِيَ عن الشيء يَلْهَى: إذا اشتغلَ عنه، قيل: وليس مِن اللَّهو الذي هو مِن ذواتِ الواو[2]. انتهى.

ويمكن أنْ يكون منه؛ لأنَّ ما يُبنَى على فَعل مِن ذوات الواو تَنقلب واوُه ياءً؛ لكسرة ما قَبْلَها، نحو: شَقِيَ يَشْقَى، فإنْ كان مصدره جاء بالياء، فيكون مِن مادةٍ غيرِ مادة اللَّهْو.

وقرأ الجمهور: «تَلَهَّى»، والبَزِّيّ عن ابنِ كثير: «عنهو تَّلَهَّى» بإدغام تاءِ

---

(١) كذا سمَّاه الثعلبيُّ في تفسيره ٦/ ٣٧٧، واختُلف في اسمه فقيل: عبد الله، وقيل: عمرو، وقال ابن إسحاق: عبد الله بن عمرو بن شُريح بن قيس بن زائدة بن الأصمّ، من بني عامر بن لؤي، وقيل: عمرو بن قيس بن شريح بن مالك، وأمُّه عاتكة هي: ابنة عبد الله بن عَنْكَثة بن عامر بن مخزوم، تزوَّجها قيس بن زائدة، وقيل: هَرِم بن رواحة، فولدت له الأعمى. طبقات ابن سعد ٤/ ٢٠٥، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٣/ ١٦٥٧، والإصابة ٤/ ٦٠١. وينظر التعليق السابق.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧.

المضارعة في تاء تَفَعَّل[١]، وأبو جعفر: بضمِّها مبنيًّا للمفعول[٢]، أي: يشغلكَ دعاءُ الكافرِ للإسلام، وطلحة: بتاءَين[٣]، وعنه: بتاء واحدة وسكون اللام[٤].

«كلَّا إنَّها» أي: سورَ القرآن أو الآيات «تَذْكِرَةٌ» عِظَةٌ يُنتفَع بها، «فمَن شاءَ ذَكَره» أي: فمَن شاءَ أنْ يَذكُر هذه الموعظةَ ذَكَرهُ، أتَى بالضمير مذكَّراً؛ لأنَّ التَّذْكِرةَ هي الذِّكْر، وهي جملة مُعترضة تتضمَّن الوعد والوعيد كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]. واعترضت بين «تذكرة» وبين صفته، أي: تَذكِرَة كائنةٌ.

«في صُحُفٍ» قيل: اللوح المحفوظ، وقيل: صُحُف الأولياء المنزلة، وقيل: صحف المسلمين، فيكون إخباراً بمغيَّب؛ إذ لم يُكتَب القرآنُ في صُحُفٍ زمانَ كونه عليه السلام بمكَّة ينزلُ عليه القرآن، «مُكرَّمة» عندَ الله، و«مَرْفُوعة» في السماء السابعة، قاله يحيى بنُ سلَّام، أو: «مَرْفُوعة» عن الشُّبَه والتناقض، أو: «مَرفُوعة» المقدار، «مُطهَّرة» أي: مُنزَّهة عن كلِّ دَنَسٍ، قاله الحسن، وقال أيضاً: مُطهَّرة مَن أنْ تنزلَ على المشركين[٥].

وقال الزمخشريُّ: مُنزَّهة عن أيدي الشياطين لا تَمسّها إلَّا أيدي ملائكة مُطهَّرة «سَفَرة» كَتَبَة ينتسخون الكُتُبَ مِن اللوح المحفوظِ[٦]. انتهى.

«بأيدي سفرة» قال ابنُ عباس: هم الملائكة؛ لأنَّهم كَتَبة، وقال أيضاً: لأنَّهم يَسْفِرون بينَ الله تعالى وأنبيائه.

وقال قتادة: هم القُرَّاء، وواحد السَّفَرة: سَافِر، وقال وهب: هم الصحابة؛

(١) المصدر السابق، والقراءة في السبعة ص٦٧٢، والنشر ٢/ ٣٩٨.
(٢) أي: «تُلَهَّى». ينظر الكشاف ٤/ ٢١٨، وتفسير الرازي ٣١/ ٥٨، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٥٢، والقراءات الشاذة ص١٦٩.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧، والكشاف ٤/ ٢١٨، وتفسير الرازي ٣١/ ٥٨، والقراءات الشاذة ص١٦٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٧٥، والنكت والعيون ٦/ ٢٠٣-٢٠٤، والكشاف ٤/ ٢١٨.
(٦) الكشاف ٤/ ٢١٨.

لأنَّ بعضَهم يَسفِر إلى بعضٍ في الخير والتعليم والتعلُّم[١].

«قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرهُ» قيل: نزلت في عُتْبَة بنِ أبي لهب غَاضَبَ أباه فأَسْلَم، ثم اسْتَصلحه أبوه وأعطاه مالاً وجهَّزه إلى الشام، فبعث إلى رسول الله ﷺ أنَّه كافرٌ بربِّ النَّجْم إذا هَوَى، ورُويَ أنَّه ﷺ قال: «اللَّهمَّ ابْعَث عليه كَلْبَكَ حتى يأكله»، فلمَّا انتهى إلى الغاضِرَة ذَكَر الدُّعاء، فجَعَل لمَن معه ألفَ دينار إنْ أصبحَ حيًّا، فجَعَلُوه وسطَ الرُّفْقَة، والمتاع حَولَه، فأقبل الأَسَدُ إلى الرِّحال ووَثَبَ، فإذا هو فوقَه فمزَّقه، فكان أبوه يَنْدُبُه ويَبكي عليه، وقال: ما قال محمَّدٌ شيئاً قطُّ إلَّا كان[٢].

والآيةُ وإنْ نزلت في مخصوصٍ فالإنسان يُراد به الكافر، و«قُتِلَ» دعاءٌ عليه، والقَتْلُ أعظمُ شدائد الدُّنيا.

«ما أَكفَرَهُ» الظاهر أنَّه تعجُّب مِن إفراط كفرِه، والتعجُّب بالنسبة للمخلوقين، إذ هو مُستحيلٌ في حقِّ الله تعالى، أي: هو ممَّن يُقال فيه: «ما أكفَرَهُ».

وقيل: «ما» استفهام توقيف، أي: أيُّ شيء أَكْفَرَهُ؟! أي: جَعَله كافراً، بمعنى: لأيِّ شيء يَسوغُ له أَنْ يَكفُرَ؟!.

«مِن أيِّ شيء خَلَقَه» استفهامٌ على معنى التقرير على حقارة ما خُلِقَ منه، ثم بيَّن ذلك الشيء الذي خُلِقَ منه، فقال: «مِن نُطفةٍ خَلَقَهُ فقدَّره» أي: فهيَّأه لِمَا يَصلُح له، وقال ابنُ عبَّاس: أي: في بَطْنِ أمِّه[٣]، وعنه: قدَّر أعضاءَهُ، وحَسَناً ودَميماً،

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/٤٣٨، والكشاف ٤/٢١٨-٢١٩، وتفسير القرطبي ٢٢/٧٦، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/١٠٨-١٠٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٣٨، وتفسير القرطبي ٢٢/٧٨، وسلف خبر عتبة في قوله ﷺ: «اللهمَّ سلِّط عليه كلباً من كلابك» عند تفسير الآية (٤) من سورة المائدة، والخبر المذكور أعلاه أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/٣١٥ وعزاه لابن المنذر، وأخرجه بنحوه عن عكرمة صاحبُ الأغاني ١٦/١٧٦، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك ٢/٥٣٩ عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه، وفيه أنَّ اسمَه لهب بن أبي لهب، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٤٣٨، وتفسير القرطبي ٢٢/٧٩.

وقَصيراً وطويلاً، وشقيًّا وسعيداً، وقيل: مِن حالٍ إلى حال: نُطْفَة ثم عَلَقة، إلى أنَّ تَمَّ خَلْقه.

«ثمَّ السبيلَ يَسَرَهُ» أي: ثمَّ يسَّر السبيل، أي: سَهَّل، قال ابنُ عبَّاس وقتادة وأبو صالح والسُّدِّيُّ: سبيل النَّظَرِ القويم المؤدِّي إلى الإيمان، وتَيْسيرُه له هو هبة العَقْلِ[١]. وقال مجاهد والحسن وعطاء وابنُ عباس في رواية أبي صالح عنه: السبيل عامَّة اسمُ الجنس في هدى وضلال، أي: يسَّر قوماً لهذا، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ الآية [الإنسان: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٢] [البلد: ١٠].

وعن ابنِ عباس: «يسَّره» للخروج مِن بطنِ أمِّه[٣].

«ثم أماتَهُ فأَقْبَرهُ» أي: جَعَلَ له قبراً؛ صيانةً لجسده أَنْ يأكله الطيرُ والسِّباع.

قَبرهُ: دَفَنَهُ، وأَقْبَره: صَيَّره بحيث يُقبَر وجَعَل له قبراً، والقَابِر: الدَّافن بيده، قال الأعشى:

لـو أَسْـنَـدَتْ مَـيْـتـاً إلـى نَـحْـرِهـا[٤] عـاشَ ولـم يُـنْـقَـلْ إلـى قـابِـرِ

«ثمَّ إذا شاءَ أَنْشَرَهُ» أي: إذا أراد إنشاره[٥] «أَنْشَرَهُ»، والمعنى: إذا بَلَغَ الوقت الذي قد شاءَهُ اللهُ، وهو يوم القيامة.

وفي كتاب «اللوامح»: شُعَيْب بن الحَبْحَاب: «شَاءَ نَشَرَهُ» بغير همز قبل النون،

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٨ لكن عن الحسن، والذي عنده عن ابن عباس وقتادة وأبي صالح والسدي هو: سبيل الخروج من بطن المرأة ورحمها. وكذا ورد في تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٠، وكذا أخرجه عنهم الطبريُّ ٢٤/ ١١١-١١٢، فلعلَّه سبقُ نظرٍ من المصنِّف رحمه الله تعالى.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٨-٤٣٩، وأثر مجاهد والحسن عند الطبريّ ٢٤/ ١١٢-١١٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٠، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ١١١.

(٤) في النسخ عدا (يه): قبرها. والمثبت من (يه) وتفسير القرطبي ٢٢/ ٨٠-٨١، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٦، والبيت في ديوان الأعشى ص١٨٩.

(٥) في (يه): إنشاءه.

وهما لغتان في الإحياء، وفي كتاب ابنِ عطيَّة: وقرأ شُعَيْب بنُ أبي حمزة: «شَاءَ نَشَرَهُ»[١].

«كلا» ردعٌ للإنسان عن ما هو فيه مِن الكفر والطُّغيان «لمَّا يَقْضِ» يَفي مِن أوَّل مدَّة تكليفه إلى حين إقبارِه «ما أَمَرَهُ» به اللهُ تعالى، فالضمير في «يَقْضِ» للإنسان، وقال ابنُ فورك: لله تعالى، أي: لم يَقْضِ اللهُ لهذا الكافرِ «ما أمره» به مِن الإيمان، بل أَمَره بما لم يقضِ له[٢].

ولمَّا عَدَّدَ تعالى نعمَه في نفس الإنسان ذَكَر النِّعَم فيما به قوامُ حياته، وأَمَرَهُ بالنَّظَر إلى طعامه وكيفيَّات الأحوال التي اعتَوَرت على طعامه حتى صارَ بصدد أَنْ يطعَم، والظاهر أنَّ الطعامَ هو المَطعوم وكيف ييسِّره اللهُ تعالى بهذه الوسائط المذكورة مِن صبِّ الماء وشَقِّ الأرض والإنبات، وهذا قول الجمهور.

وقال أُبَيّ وابنُ عباس ومجاهد والحسن وغيرهم: «إلى طعامه» أي: إذا صار رَجِيْعاً؛ ليتأمَّل عاقبة الدنيا وعلى أيِّ شيء يَتفانى أهلها[٣].

وقرأ الجمهور: «إِنَّا» بكسر الهمزة، والأعرج وابنُ وثَّاب والأعمش والكوفيُّون ورويس: «أَنَّا» بفتح الهمزة[٤]، والحسين بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما: «أَنَّى» بفتح الهمزة مُمالاً[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩، وكذا ذكرها القرطبي ٢٢/ ٨١ رواية لأبي حيوة عن نافع وشعيب بن أبي حمزة، وهي في المحتسب ٢/ ٣٥٢، وذكرها الزمخشريُّ في الكشاف ٤/ ٢١٩ دون نسبة، وشعيب بن أبي حمزة هو أبو بشر الأموي مولاهم الحمصي الكاتب، واسم أبيه: دينار، توفي سنة (١٦٢هـ). السير ٧/ ١٨٧.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٢، والرازي ٣١/ ٦١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٨٣، والقراءة في السبعة ص٦٧٢، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٣، والكشاف ٤/ ٢١٩، مع الإشارة إلى أنه وقع في النسخة الخطية (يه) من البحر: الحسن بن علي. وكذا ورد في النسخ الخطية للقرطبي ـ كما أشار إليه =

فالكسر على الاستئناف في ذِكْر تعداد الوصول إلى الطعام.

والفَتْحُ قالوا: على البَدَل، وردَّه قومٌ؛ لأنَّ الثاني ليس الأوَّل، وقيل: وليس كما رَدُّوا؛ لأنَّ المعنى: فلينظر الإنسان إلى إنعامنا في طعامه، فترتَّب البَدَل وصحَّ[1]. انتهى. كأنَّهم جَعَلوه بَدَلَ كلٍّ مِن كلٍّ، والذي يظهر أنَّه مِن بَدَل الاشتمال.

وقراءة أُبَيّ مُمالاً، على معنى: فلينظر الإنسان كيف صَبَبنا، وأسند تعالى الصَّبَّ والشَّقَّ إلى نفسه إسنادَ الفعل إلى السَّبب، وصَبّ الماءِ هو المطر.

والظاهر أنَّ الشَّقَّ كنايةٌ عن شَقِّ الفَلَّاح بما جَرَت العادةُ أن يشقّ به، وقيل: شقّ الأرض هو بالنبات.

«حبًّا» يشمل ما يُسمَّى حَبًّا مِن حِنْطَةٍ وشَعير وذُرَةٍ وسُلْتٍ وعدس[2] وغير ذلك.

«وقَضْباً» قال الحسن: العَلَف. وأهل مكَّة يُسمُّونَ القَتَّ القَضْبَ[3]، وقيل: الفِصْفِصةُ، وضُعِّفَ؛ لأنَّه داخلٌ في الأبِّ[4].

وقيل: كلُّ ما يُقضَب ليأكُلَه ابنُ آدم غَضًّا مِن النبات، كالبقول والهِلْيُون[5].

وقال ابنُ عبَّاس: هو الرُّطَبُ؛ لأنَّه يُقضَب مِن النَّخْل، ولأنَّه ذكرَ العِنَب قَبْلَه[6].

= محقِّقه - والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩، وفي إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٩٦٧ دون نسبة.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩.

(٢) في (يه): وعلسٍ. والعَلْس: ضربٌ من الحنطة. الصحاح (علس).

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨١، والقرطبي ٢٢/ ٨٤، وقول الحسن عند الطبريّ ٢٤/ ١١٦، والقَتُّ: الفِصْفِصة، وهو نبات كالبرسيم. المعجم الوسيط (قت) و(رطب)، وفي النهاية (فصفص): الفصفصة: هي الرطبة من علف الدوابّ، وتسمَّى: القتّ، فإذا جفَّ فهو قَضب، ويقال: فسفسة، بالسين.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩.

(٥) القائل ابنُ عطية، وكلامه في كتابه المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٤.

«غُلْباً» قال ابنُ عباس: غِلاظاً، وعنه: طِوالاً، وعن قتادة وابنِ زيد: كِراماً[١].

«وفاكهةً» ما يَأكُله الناسُ مِن ثَمَر الشجر، كالخَوخ والتِّيْن.

«وأبًّا» ما تَأكله البهائمُ مِن العُشب، وقال الضحاك: التِّبْنُ خاصَّة، وقال الكلبيُّ: كلُّ نباتٍ سوى الفاكهة، وقيل: الفاكهةُ رَطْبُها، والأبُّ يابِسُها[٢].

«الصَّاخَّة» اسمٌ مِن أسماء القيامة يَصُمُّ نَبَأُها الآذانَ، تقول العرب: صَخَّتهم الصَّاخَّةُ ونابتهم النائبة، أي: الدَّاهِية[٣].

وقال أبو بكر بنُ العربيّ: «الصَّاخَّة» هي التي تُورِث الصَّمَمَ، وإنَّها لَمُسْمِعَةٌ، وهذا مِن بديع الفَصَاحة، كقوله:

أَصَمَّهُم سِرُّهم أيَّامَ فُرقتهم ... فهل سَمِعْتُم بسِرٍّ يُورِثُ الصَّمَمَا

وقول الآخَر:

أصمَّ بِكَ النَّاعِي وإنْ كان أسمعا

ولَعَمْرُ اللهِ إنَّ صيحةَ القيامة مُسمِعَةٌ تُصِمُّ عن الدُّنيا وتُسمِعُ أمورَ الآخِرَة[٤]. انتهى.

«يوم يَفِرُّ» بدلٌ مِن «إذا» وجواب «إذا» محذوفٌ، تقديره: اشْتَغَلَ كلُّ إنسانٍ بنفسِه، يدلُّ عليه: «لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنِيه» وفراره مِن شِدَّة الهول يومَ القيامة، كما جاء مِن قول الرُّسُل: «نفسِي نفسِي»[٥].

(١) المصدر السابق ٢٢/ ٨٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١١٧-١١٩.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٥-٨٧، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢٠٨.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٩، وما بعده منه أيضاً، وورد في مطبوعه: وباقتهم البائقة، وفي نُسَخِه المخطوطة ـ عدا نسخة واحدة منها ـ: وباتتهم البائتة.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٨٩، والبيتان لأبي تمام، وهما في ديوانه بشرح التبريزي؛ الأول منهما في ٣/ ١٦٦، وعجزه عنده: هل كنت تعرف سرًّا يورث الصمما. والثاني منهما في ٤/ ٩٩، وعجزه: وأصبح مَغْنَى الجودِ بعدك بَلْقَعا.

(٥) طرف من حديث الشفاعة المشهور، وهو عند البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وأحمد (٩٦٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقيل: خوف التَّبِعات؛ لأنَّ الملابسةَ تقتضي المطالبةَ، يقول الأخُ: لم تواسِني بمالِك؟! والأبوان: قَصَّرتَ في بِرِّنا! والصاحبة: أَطعمتني الحرامَ وفَعَلْتَ وصَنَعتَ! والبَنون: لم تُعلِّمنا ولم تُرْشدنا!.

وقرأ الجمهور: «يُغْنِيْهِ» أي: عن النَّظَر في شأنِ الآخَر، مِن الإغناء، والزُّهريُّ وابنُ محيصن وابنُ أبي عبلة وحميد وابنُ السميفع: «يَعْنِيْهِ» بفتح الياء والعين المهملة[١]، مِن قولهم: عَناني الأَمْرُ: قَصَدني.

«مُسْفِرَة»: مُضِيْئَة، مِن: أَسفر الصبحُ أضاء، و«ترهقها» تَغْشَاها «قَتَرَةٌ» أي: غُبَار، والأُولى وهو ما يَغشاهُ مِن العُبُوس عند الهَمِّ، والثانية مِن غبار الأرض.

وقيل: «غَبَرة» أي: مِن تراب الأرض، و«قَتَرة» سواد، كالدُّخان.

وقال زيد بنُ أَسلم: الغَبَرة: ما انحطَّت إلى الأرض، والقَتَرة: ما ارتفعت إلى السماء[٢].

وقرأ الجمهور: «قَتَرة» بفتح التاء، وابنُ أبي عبلة: بإسكانها[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٩١، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٥٣ عن ابن محيصن.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٢، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ١٢٧ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٩.

مفردات سورة التكوير

«انْكَدَرت» النجومُ: انتَثَرت، وقال أبو عبيدة: انْصَبَّت كما تَنصَبُّ القُعابُ إذا كَسَرت، قال العجَّاج يَصفُ صقراً:

أَبْصَرَ خِرْبانَ[1] فلاةٍ فانْكَدَرْ تَقَضِّيَ البازي إذا البازِي كَسَرْ[2]

«العِشَار»: جمع: عُشَراء، وهي: النَّاقةُ التي مَرَّ لحَمْلها عَشَرةُ أشهرٍ، ثم هو اسمُها إلى أنْ تَضَعَ في تمامِ السَّنَة[3].

التَّعْطِيل: التفريغ والإهمال[4].

الوحش: حيوانُ البَرِّ الذِّي ليس في طَبْعِه التآنُس ببني آدم.

«المَوْؤُدة»: البنت التي تُدفَن حيَّةً، وأصله مِن النَّقْل، كأنَّها تُثْقَل بالتراب حتى تموتَ، ومنه: اتَّئِدْ، أي: تَوقَّر وأَثْقِل ولا تَخِفَّ.

الكَشْطُ: التَّقْشِير، كَشَطْتُ جِلْدَ الشاة: سَلَخْتُه عنها.

الخُنَّس: جمع: خانِس، والخُنُوس: الانقباض والاستخفاء، تقول: خَنَسَ بينَ

---

(١) في (ع): حربات، وفي المطبوع: حرمات. والخَرَب: الذَّكَر من الحُبارى، ويجمع على: خِربان. العين (خرب).

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٤، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧بنحوه، والبيتان في ديوان العجاج ص٨٣ على اختلاف في الترتيب بين البيتين، ويقال للطائر إذا ضمَّ جناحيه: كَسَر. سمط اللآلي ٢/ ٧٩١، وتقضَّى البازي: انقضَّ. القاموس (قضى).

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٥، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤١.

(٤) الصحاح (عطل).

القومِ وانْخَنَسَ[١].

«الكُنَّس»: جمع: كانِسٍ وكانِسَةٍ، يقال: كَنَسَ: إذا دخلَ الكِنَاس، وهو المكان الذي تأوي إليه الظِّباء.

والخَنَسُ: تأخُّر الأنف عن الشَّفَة مع ارتفاعٍ قليلٍ من الأرنبة.

«عَسْعَسَ»: قال الفرَّاء: عَسْعَسَ الليلُ وسَعْسَعَ: إذا لم يَبْقَ منه إلَّا القليل[٢].

وقال الخليل: عَسْعَسَ الليلُ: أَقْبَلَ وأَدْبَرَ. قال المُبَرِّد: هو مِن الأضداد، وقال عَلْقمةُ بنُ قُرْطٍ:

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنفَّسا ... وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا[٣]

وقال رؤبة:

يا هندُ ما أَسْرَعَ ما تَسَعْسَعا[٤] ... مِن بَعْدِ ما كانَ فتًى قَرَعْرَعَا[٥]

التَّنفُّس: خروج النَّسيم مِن الجوف، واستعير للصُّبح، ومعناه: امتدادُه حتى يصيرَ نهاراً واضِحاً[٦].

(١) تفسير الرازي ٣١/٦٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/١٠٩-١١٠.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٢، ولم نقف على كلام الفراء في كتابه معاني القرآن، وأورده الثعلبيُّ في تفسيره ٦/ ٣٩٠، والبغويّ ٤/ ٤٥٣ ولم ينسبه.
(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٢، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٨، والأضداد لابن السكيت ص١٦٧، ولابن الأنباري ص٣٣، والأزمنة والأمكنة ١/ ٣٢٥.
(٤) في المطبوع: ما تعسعسا.
(٥) في النسخ عدا (ع) و(يه): فرعرعا. والمثبت منهما، وفي تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٢: سرعرعا. والرجز في العين ١/ ٧٥، والأول منهما في ديوان رؤبة ص٨٨، وقوله: سرعرعاً، أي: شابًّا قويًّا، كما ذكر صاحب العين، وتسعسع الرجل، أي: كَبِر حتى هرم وولَّى. الصحاح (سعسع).
(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٣.

الظَّنِين: المُتهم، فَعِيْل بمعنى مفعول، ظَننتُ الرَّجُلَ: اتَّهَمْتُه، والضَّنِين: البخيل، قال الشاعر:

أَجُودُ بمَكنونِ الحديثِ وإنَّني ... بِسِرِّكِ عمَّن سالَني لضَنِينُ(١)

* * *

سورة التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

هذه السورة مَكِّيَّة، ومُناسبتها لِمَا قَبْلَها في غاية الظُّهور.

وتَكويرُ الشمس: قال ابنُ عباس: إدخالها في العَرْش، وقال مجاهد وقتادة والحسن: ذهابُ ضوئِها. وقال الربيع بنُ خثيم: رُميَ بها، ومنه: كَوَّرته فتكوَّر،

(١) تفسير القرطبي ٢٢/١١٧، والبيت لقيس بن الخطيم كما في أمالي القالي ٢/١٧٧، وفيه: التلاد، بدل: الحديث، وذكره أيضاً القالي في الأمالي ٢/٢٠٢، وابنُ عبد البرّ في بهجة المجالس ١/ ٤٦٠ برواية: بمضمون التلاد. والتلاد: ما وَلَد عندك من مالك أو نتج. القاموس (تلد).

وقال أبو صالح: نُكِّسَت[١].

وعن ابنِ عباس أيضاً: أظلمت، وعن مجاهدٍ: اضمحلَّت[٢]، وقيل: غُوِّرت[٣]، وقيل: يُلَفُّ بعضُها ببعض ويُرمَى بها في البحر.

وقال أبو عُبيدة: «كُوِّرت» مِثلَ تكوير العمامة[٤]، وقال القرطبيُّ: مِن كارَ العِمامةَ على رأسِه يَكُورُها، أي: لاثَها[٥] وجَمَعها، فهي تُكوَّر ثم يُمحَى ضوءُها ثم يُرمَى بها[٦].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ارتفاعُ «الشمس» على الابتداء أو الفاعليَّة؟

قلت: بل على الفاعليَّة، رافِعُها فِعْلٌ مُضمَر يُفسِّره «كُوِّرت»، لأنَّ «إذا» يطلبُ الفعلَ لما فيه مِن معنى الشَّرْط[٧]. انتهى.

ومِن طريقته أنَّه يُسمِّي المفعولَ الذي لم يُسَمَّ فاعله فاعلاً، ولا مشاحَّةَ في الاصطلاح، وليس ما ذكرَ مِن الإعراب مُجمَعاً على تحتُّمه عند النُّحاة، بل يَجوز رفع «الشمس» على الابتداء عند الأخفش والكوفيِّين؛ لأنَّهم يُجيزونَ أنْ تَجِيْءَ الجملة الاسميَّة بَعْدَ «إذا»، نحو: إذا زيد مُكْرِمك فأَكْرِمه.

«انْكَدَرت» عن ابنِ عباس: تساقَطت، وعنه أيضاً: تغيَّرت فلم يَبْقَ لها ضوءٌ؛

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٣-٩٤، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨٤-٣٨٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٢٦، ١٣٠، وقول الربيع بن خثيم عند عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٥٠-٣٥١، والطبريّ ٢٤/ ١٣١.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨٤.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٣، والثعلبي ٦/ ٣٨٤، والنكت والعيون ٦/ ٢١١، ونُسبَ لسعيد بن جبير، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ١٣٠.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٧، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٣.

(٥) أي: عَصَبها. الصحاح (لوث).

(٦) بعدها في تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٤: في البحر. وينظر ما قاله الآلوسي في روح المعاني ٣٠/ ٥٠ حول هذا المعنى.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٢١.

لزوالها عن أماكنها[١]، من قولهم: ماءٌ كَدِر، أي: مُتغيِّر اللَّون، وتَسيير الجبال، أي: عن وَجْهِ الأرض، أو سُيِّرت في الجَوِّ تسييرَ السَّحَاب، كقوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨] وهذا قَبْلَ نَسْفِها، وذلك في أوَّل هول يوم القيامة.

والعِشَار: أنْفَسُ ما عندَ العرب مِن المال، وتعطيلُها تَرْكُها مسيَّبة مُهمَلة، أو عن الحَلْب؛ لاشتغالهم بأنفسِهم، أو عن أنْ يحمل عنها الفُحُول، وأطلقَ عليها عشاراً؛ باعتبار ما سَبَقَ لها ذلك.

قال القرطبيُّ: وهذا على وَجْهِ المَثَل؛ لأنَّه في القيامة لا يكون عُشَراء، فالمعنى أنَّه لو كان عُشَراء لعطَّلها أهلُها واشتغلوا بأنفسِهم[٢].

وقيل: إذا قاموا مِن القبور وشاهدوا الوحوشَ والدَّوابَّ محشورةً، وعشارهم فيها التي كانت كرائمَ أموالهم لم يَعْبَؤوا بها؛ لشُغْلهم بأنفسِهم.

وقيل: العِشَار: السَّحاب، وتعطيلها مِن الماء فلا تُمطِر، والعرب تُسمِّي السحابَ بالحامل[٣].

وقيل: العِشار: الدِّيار تُعطَّل فلا تُسكَن، وقيل: العِشَار: الأرض التي يُعشَّر زَرْعُها، تُعطَّل فلا تُزرَع[٤].

وقرأ الجمهور: «عُطِّلَت» بتشديد الطاء، ومُضَر عن اليزيديِّ[٥]:

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٤-٩٥، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢١١، والخبر الثاني عن ابن عباس عند الطبريّ ٢٤/ ١٣٣، وفيه الخبر الأول أيضاً لكن عن قتادة.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٥-٩٦، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٥١.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٦، والرازي ٣١/ ٦٧.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٧، والنكت والعيون ٦/ ٢١٢.

(٥) كذا في النسخ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤١، واليزيدي هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي البصري، وعُرف باليزيدي لصحبته يحيى بن منصور الحميري خال المهدي، توفي سنة (٢٠٢هـ).
ومُضَر لعلَّه: مضر بن محمد بن خالد أبو محمد الضَّبّي الأسدي الكوفي، روى الحروف عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وغيرهما. طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٢٩٩ و٣٧٥.
=

بتخفيفها[(١)]، وكذا في كتاب ابنِ خالويه[(٢)]، وفي كتاب «اللوامح»: عن ابنِ كثير، قال في «اللوامح»: وقيل: هُوَ وَهْمٌ إنَّما هو: «عَطَلَتْ» بفتحتين بمعنى تعطَّلت؛ لأنَّ التشديدَ فيه التعدِّي، يقال منه: عَطَّلتُ الشيءَ، وأَعطلتُه فعَطَلَ بنفسِه، وعَطَلتِ المرأةُ فهي عاطِل: إذا لم يكن عليها الحَلْي، فلعلَّ هذه القراءة عن ابنِ كثير لغةٌ استوى فيها: فَعَلْت وأَفْعَلْت، والله أعلم. انتهى.

وقال امرؤ القيس[(٣)]:

وجِيْدٍ كجِيْدِ الرِّيم ليس بفاحشٍ إذا هي نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ

«حُشِرَت» أي: جُمعت مِن كلِّ ناحية، فقال ابنُ عباس: جُمعَت بالموت فلا تُبعَث، ولا يحضر في القيامة غيرُ الثَّقَلين.

وعنه وعن قتادة وجماعة: يُحشَر كلُّ شيءٍ حتى الذُّباب، وعنه: تُحشَر الوحوشُ حتى يقتصَّ مِن بعضها لبعض، ثم يقتصّ للجمَّاء مِن القَرْناء، ثم يقال لها: مُوتي، فتموت.

وقيل: إذا قضيَ بينها رُدَّت تراباً، فلا يَبقى منها إلَّا ما فيه سرورٌ لبني آدم وإعجابٌ بصورته، كالطاووس ونحوه.

وقال أُبيّ: في الدُّنيا في أوَّل الهولِ تفرُّ في الأرض وتَجتمع إلى بني آدم تأنُّساً بهم[(٤)].

= والقراءة سترد الآن عن ابن كثير. والراوي عن ابنِ كثير البَزيُّ، والراوي عنه: مُضَر، ينظر السبعة ص٦٠٠ و٦٥٠ و٦٩٩، فلعلَّ القراءةَ عن مضر، عن البزيّ، عن ابن كثير، والله أعلم.

(١) أي: «عُطِلَت».

(٢) القراءات الشاذَّة ص١٦٩ عن ابن كثير، وينظر السبعة ص٥٢٣.

(٣) ديوان امرئ القيس ص١٦، وسلف.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٧، والثعلبي ٦/ ٣٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤١، والنكت والعيون ٦/ ٢١٢-٢١٣، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٣٦-١٣٧.

وقرأ الجمهور: «حُشِرَت» بخفِّ الشين، والحسن وعمرو بن ميمون: بشدِّها[١].

«وإذا البحارُ سُجِّرَت» تقدَّم أقوالُ العلماء في سَجْرِ البحر وقولِه في «الطُّور»: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾.

وفي كتاب «لغات القرآن»: «سُجرَت»: جُمِعَت، بلغة خَثْعَم.

وقال فيها ابنُ عطيَّة: ويحتمل أنْ يكون المعنى: مُلِكَت وقيِّد اضطرابها حتى لا تخرجَ على الأرض مِن الهَوْل، فتكون اللفظة مأخوذةً مِن سَاجُور الكلب[٢].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: بخفِّ الجيم، وباقي السبعة: بشدِّها[٣].

قال ابنُ عطيَّة: وذهب قومٌ إلى أنَّ هذه الأشياء المذكورة استعاراتٌ في كلِّ ابنِ آدم وأحوالِه عند الموت، فالشمسُ نَفْسُه، والنُّجوم عيناهُ وحواسُّه، وهذا قولٌ ذاهب إلى إثباتِ الرُّموز في كتاب الله تعالى[٤]. انتهى.

وهذا مذهبُ الباطنيَّة ومذهبُ مَن ينتمي إلى الإسلام مِن غُلاة الصُّوفيَّة، وقد أَشرنا إليهم في خطبةِ هذا الكتاب، وإنَّما هؤلاء زنادقة تَستَّروا بالانتماء إلى ملَّة الإسلام، وكتابُ الله جاءَ بلسانٍ عربيٍّ مبين لا رمزَ فيه ولا لُغْزَ ولا باطنَ ولا إيماءَ لشيء ممَّا تنتحله الفلاسفةُ ولا أهلُ الطبائع، ولقد ضمَّن تفسيرَه أبو عبد الله الرازيُّ المعروف بابنِ خطيب الرَّيّ أشياءَ ممَّا قاله الحكماءُ عنده وأصحابُ النجوم وأصحابُ الهيئة وذلك كلّه بمعزلٍ من تفسيرِ كتاب الله عزَّ وجلَّ، وكذلك ما ذَكَره صاحبُ «التحرير والتحبير» في آخِرِ ما يفسّره مِن الآيات مِن كلامِ مَن ينتمي إلى

---

(١) أي: «حشّرت». القراءات الشاذة ص١٦٩ عن عمرو بن ميمون، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤١ عن الحسن، والكشاف ٤/ ٢٢٢ دون نسبة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، وسلف في تفسير سورة الطور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ أنها القلادة من عود أو حديد تُمسِكه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٠، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

الصُّوف ويُسمِّيها الحقائق، وفيها ما لا يَحلُّ كتابته، فَضْلاً عن أنْ يُعتَقد، نسألُ الله تعالى السلامةَ في أدياننا وعقائدنا وما به قوامُ ديننا ودنيانا.

«وإذا النفوسُ زُوِّجت» أي: المؤمن مع المؤمن، والكافر مع الكافر، كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧] قاله عمر وابن عباس، أو نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحُور العِيْن وغيرِهنَّ، قاله مقاتل بن سليمان، أو: الأرواحُ الأجسادَ، قاله عكرمة والضحاك والشعبيُّ[١].

وقرأ عاصم في رواية: «زُوْوِجَت» على فُوعِلَت[٢]، والمفاعلة تكون بين اثنين، والجمهور: بواوٍ مشدَّدة.

وقال الزمخشريُّ: وَأَدَ يَئِدُ، مقلوب مِن: آدَ يَؤُوْد، إذا أَثْقَلَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] لأنَّه إثقالٌ بالتراب[٣]. انتهى.

ولا يُدَّعى في وَأَدَ أنَّه مقلوبٌ مِن آدَ، لأنَّ كلًّا منهما كامل التصرُّف في الماضي والأمْر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول، وليس فيه شيءٌ مِن مسوِّغات ادِّعاء القَلْب.

والذي يُعلَم به الأصالةُ والآخَرُ[٤] مِن القَلْب أنْ يكون أحَدُ النَّظْمَين فيه حكمٌ يَشهد له بالأصالة والآخَر ليس كذلك، أو كونه مجرَّداً مِن حروف الزيادة والآخَر فيه مزيداً، وكونه أكثر تصرُّفاً، والآخَر ليس كذلك، أو أكثر استعمالاً مِن الآخَر، وهذا على ما قُرِّرَ وأُحْكِمَ في عِلْم التصريف، فالأوَّل كـ: يَئِسَ وأَيِسَ، والثاني: كـ: طَأْمَن واطْمَأنَّ، والثالث: كـ: شوايع وشواعٍ[٥]، والرابع كـ: لَعَمْرِي ورَعملي.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٠-١٠١، والثعلبي ٦/ ٣٨٦-٣٨٧، والنكت والعيون ٦/ ٢١٣-٢١٤، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٤١-١٤٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٢.

(٤) زيادة من (يه).

(٥) جاءت الخيلُ شوائعَ وشواعيَ ـ على القَلْب ـ أي: متفرِّقة. تاج العروس (شيع).

وقرأ الجمهور: «المَوءُودَة» بهمزةٍ بين الواوَين اسم مفعول، وقرأ البَزِيُّ في رواية: «المَؤُوْدَة» بهمزة مضمومة على الواو[١]، فاحتمل أنْ يكون الأصل: «الموءودة» كقراءة الجمهور، ثم نقل حركة الهمزة إلى الواو بَعْدَ حذف الهمزة، ثم همز الواو المنقول إليها الحركةُ، واحتمل أنْ يكون اسمَ مفعول مِن آدَ، فالأصل: مَأْوُودة، فحذف إحدى الواوين على الخلاف الذي فيه المحذوف؛ واو المدِّ أو الواو التي هي عين، نحو: مَقْوُوْل حيث قالوا: مَقُوْل.

وقرئ: «المَوُوْدَة» بضمِّ الواو الأولى وتسهيل الهمزة[٢]، أعني: التسهيل بالحذف ونقل حركتها إلى الواو.

وقرأ الأعمش: «المَوْدَة» بسكون الواو، على وزن الفَعْلَة[٣]، وكذا وقف حمزة، وابنُ مجاهد[٤]، وهو قولُ القُرَّاء، وعلَّةُ ذلك أنَّه حَذَفَ الهمزة اعتباطاً، فالتقى ساكنان، فحذف الثاني. قاله أبو الحسن بن الباذش.

وقال أبو محمد مكّيّ: خفّف على القياس في الموودة، فاستثقل الضَّمَّة على الواو فحذفها، فالتقى ساكنان فحذف[٤].

ونَقل القُرَّاء أنَّ حمزةَ يَقفُ عليها كالمَوْزَة؛ لأجل الخطِّ، لأنَّها رُسمت كذلك، والرَّسْمُ سُنَّةٌ مُتَّبعة[٥].

وقرأ الجمهور: «سُئِلَت» مبنيًّا للمفعول «بأيِّ ذنبٍ قُتِلَت» كذلك، وخَفَّ التاء، وبتاء التأنيث فيهما، وهذا السؤال هو لتوبيخ الفاعِلين للوَأْد؛ لأنَّ سؤالها يؤول إلى سؤالِ الفاعلين، وجاء: «قُتِلْتُ» بناءً على أنَّ الكلامَ إخبارٌ عنها، ولو حكى ما خُوطبت به حين سُئلت لقيل: قُتِلَتْ.

---

(١) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ١٠/ ٧٠٣، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٣٢٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

(٣) المصدر السابق، والقراءات الشاذة ص١٦٩.

(٤-٤) زيادة من (يه) ولم ترد في بقيّة النسخ، وجاء مكانها بياض في (ع) بمقدار سطرين.

(٥) من قوله: ونقل القُراء... إلى هنا، لم يرد في (ع) و(يه).

وقرأ الحسن والأعرج: «سِيلت» بكسر السين[١]، وذلك على لغة من قال: سأل، بغير همز.

وقرأ أبو جعفر: «سُيِّلَت» بشدِّ الياء[٢]؛ لأنَّ الموءودة اسمُ جنس، فناسبَ التكثيرَ باعتبار الأشخاص.

وقرأ ابنُ مسعود وعليٌّ وابنُ عباس وجابر بنُ زيد وأبو الضحى ومجاهد: «سَأَلَت» مبنيًّا للفاعل «قُتِلْتُ» بسكون اللام وضمِّ التاء، حكايةً لكلامها حينَ سَألت.

وعن أُبَيّ وابنِ مسعود أيضاً والربيع بن خثيم وابنِ يَعمر: «سَأَلَت» مبنيًّا للفاعل، «بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ» مبنيًّا للمفعول، بتاء التأنيث فيهما إخباراً عنهما[٣]، ولو حكى كلامها لكان: قُتِلْتُ، بضمِّ التاء.

وكان للعرب إذا وُلدَ لأحدهم بنتٌ واستحياها ألبسها جُبَّةً مِن صوفٍ أو شَعَر وتَرَكها تَرعى له الإبلَ والغنم، وإذا أرادوا قَتْلَها تَركوها حتى إذا صارت سداسيَّةً[٤] قالوا لأمِّها: طَيِّبيها وزَيِّنيها حتى أذهبَ بها إلى أحبَّائها[٥]، وقد حَفَرَ حفرةً أو بئراً في الصحراء فيَذهب بها إليها، ويقول لها: انظُري فيها. ثم يَدفعها مِن خَلْفِها ويُهيل عليها الترابَ حتى يستوي بالأرض[٦].

وقيل: كانت الحاملُ إذا قَرُبَ وَضْعُها حَفَرَت حفرةً فتمخَّضت على رأسِها، فإذا وَلَدت بنتاً رَمَت بها في الحفرة، وإن وَلَدت ابناً حَبَسَتْه[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٣٢٨.

(٣) القراءتان في المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، والقراءة الأولى في القراءات الشاذة ص١٦٩.

(٤) جاء بهامش النسخة الخطية من روح المعاني ٢٨/ ٣٢٦ ـ كما هو مذكور بهامش مطبوعه عند قوله: سداسيَّة ـ: بلغت قامتها ستَّة أشبار.

(٥) في المطبوع: أحمائها.

(٦) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨٧، والكشاف ٤/ ٢٢٢.

(٧) ينظر المصدران السابقان، وينظر أيضاً الوسيط للواحدي ٤/ ٤٢٩ حيث أخرج الخبرَ عن ابن عباس، والبغوي ٤/ ٤٥٢، وزاد المسير ٩/ ٤٠.

وقد افتخرَ الفرزدقُ ـ وهو أبو فراس همَّام بنُ غالب بنِ صَعْصَعَة بنِ ناجية بجدِّه صَعْصَعة إذ كان مَنَعَ وَأْدَ البناتِ، فقال:

ومِـنَّـا الــذي مَـنَـعَ الــوَائِـدَات فـأحـيـا الـوئِـيـدَ فـلـم يُـوأدِ[١]

وفي «الكامل» لأبي العباس المبرِّد أنَّ صعصعةَ بنَ ناجِية أحيا مئتي موءودة وثمانين وأنقذها من الوأد، يشتري البنت من أبيها بناقتين عُشَراوَين[٢] وجمل، وكانت تلك سُنَّة في الجاهليَّة، وأخبر بذلك ـ حين أسلم ـ رسولَ الله ﷺ، في خبرٍ طويل ذكره، وقال: هل ينفعني ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ينفعك ذلك؛ لأنَّك لم تبتغِ به وجهَ الله، وإنْ تعمل في إسلامك عملاً صالحاً ثُبِتَ عليه»[٣].

«وإذا الصُّحُف نُشِرَت» الصُّحُف المنشورةُ الأعمال كانت مطويَّةً على الأعمال فنُشِرَت يومَ القيامة ليقرأ كلُّ إنسانٍ كتابَه.

وقيل: الصُّحُف التي تتطاير بالإيمان والشمائل بالجزاء، وهي صُحُفٌ غيرُ صُحُفِ الأعمال.

وقرأ أبو رجاء وقتادة والحسن والأعرج وشيبة وأبو جعفر ونافع وابنُ عامر وعاصم: «نُشِرَت» بخفِّ الشين، وباقي السبعة: بشَدِّها[٤].

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٢، والكشاف ٤/ ٢٢٢، والبيت في ديوان الفرزدق ١/ ١٧٣، وصعصعة هو: ابن ناجية التميمي الدارمي، قال ابن السكن: له صحبة، وكان من أشراف بني مجاشع في الجاهلية والإسلام، وهو ابنُ عمّ الأقرع بن حابس. الإصابة ٥/ ١٤٢.

(٢) العُشَراء: الناقة التي قد أتَى عليها منذ حملت عشرة أشهر أو ثمانية. القاموس (عشر).

(٣) من قوله: وفي الكامل لأبي العباس المبرد... إلى هنا، زيادة من (يه) ولم ترد في بقيَّة النسخ، وجاء مكانها بياض في (ع) بمقدار ثلاثة أسطر، والكلام في الكامل للمبرِّد ٢/ ٦٤، وينظر أيضاً التذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٣٨٩، وينظر خبره عند الطبراني في المعجم الكبير (٧٤١٢)، وعند العقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٢٨، وفي إسناده: الطفيل بن عمرو التميمي، قال البخاريّ: لا يصحّ حديثه، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

وكَشْطُ السماءِ: طَيُّها كطَيِّ السِّجِل، وقيل: أُزيلَت كما يُكشَط الجِلْدُ عن الذَّبِيحة.

وقرأ عبد الله: «قُشِطَت» بالقاف[١]، وهما كثيراً ما يتعاقبان، كقولهم: عربيّ قحّ وكحّ، وتَقدّمت قراءته: «قافوراً»[٢] أي: كافوراً.

وقرأ نافع وابنُ عامر وحفص: «سُعِّرَت» بشدِّ العين، وباقي السبعة: بخفِّها، وهي قراءة عليٍّ[٣].

قال قتادة: سَعَّرَها غَضَبُ اللهِ تعالى وذنوبُ بني آدم[٤].

وجواب «إذا» وما عُطف عليه: «عَلِمَت نفسٌ ما أَحضرت»، و«نَفْس» نكرة تعمُّ في الإثبات من حيث المعنى «ما أَحضرت» مِن خيرٍ تدخل به الجنَّة، أو مِن شَرٍّ تدخلُ به النار.

وقال ابنُ عطيَّة: ووقع الإفراد؛ ليتنبَّه الذِّهنُ على حقارةِ المَرْء الواحد وقلَّة دفاعه عن نفسِه[٥]. انتهى.

وقُرئت هذه السورة عند عبد الله، فلمَّا بَلَغَ القارِئُ: «عَلِمت نفسٌ ما أحضرت»، قال عبد الله: واانقطاعُ ظهرياه[٦].

«بالخُنَّس» قال الجمهور: الدَّراري السَّبْعَة: الشمس، والقمر، وزُحَل، وعُطارِد، والمرِّيخ، والزُّهرة، والمُشتري.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، والقراءات الشاذة ص١٦٩.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٧، والثعلبي ٦/ ٣٨٩، والنكت والعيون ٦/ ٢١٥، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ١٥٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣.

(٦) أورده ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٩، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٢٣.

وقال علي: الخمسة دونَ الشمس والقمر[١]، تجري الخمسةُ مع الشمس والقَمَر وتَرجع حتى تخفى مع ضَوء الشمس، فخنوسُها رجوعُها، وكنوسُها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، قاله الزمخشريُّ[٢].

وقال ابنُ عطيَّة: تَخْنُسُ في جريها أي: تتقهقر فيما ترى العين وهي جَوَارٍ في السماء، وهي تكنسُ في أبراجها، أي: تَستتر، وقال عليٌّ أيضاً والحسن وقتادة: هي النجوم كلُّها؛ لأنَّها تَخنُس وتكنسُ بالنهار حين تختفي[٣].

وقال الزمخشريُّ: تَخْنُسُ بالنَّهار فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل، أي: تطلع في أماكنها كالوحش في كُنُسها[٤]. انتهى.

وقال عبد الله والنَّخَعيُّ وجابر بنُ زيد وجماعة: المراد بـ «الخُنَّس الجوارِ الكُنَّس» بَقَرُ الوَحْش؛ لأنَّها تفعل هذه الأفعال في كناسها، وقال ابنُ عباس وابنُ جبير والضحاك: هي الظِّباء، والخُنَّس مِن صفة الأُنُوق؛ لأنَّها يَلزمها الخَنَس، وكذا بَقَر الوحش[٥].

«عَسْعَسَ» أَدْبَرَ، بلغة قريش، وقال الحسن: أَقبل ظَلَامه[٦]، ويُرجِّحه مقابلته بقوله: «والصُّبْح إذا تنفَّس»، فهما حالتان.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٨، والنكت والعيون ٦/ ٢١٦، وزاد المسير ٩/ ٤٢، وأخرجه عنه الثعلبيُّ في تفسيره ٦/ ٣٨٩، والطبريُّ ٢٤/ ١٥٢-١٥٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢١٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٨، وقول عليّ والحسن وقتادة عند الطبريّ ٢٤/ ١٥٤.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٢٤، والكِنَاس: مولجٌ للوحش من البقر تسكن فيه من الحَرّ. تهذيب اللغة ١٠/ ٣٨ (كنس).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٠-١١١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٥٥-١٥٨.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١١، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ١٦١.

وقال المُبرِّد: أقسم بإقبالِه وإدبارِه[(١)]، وتنفُّسه كونه يَجِيْءُ معه رَوح ونَسِيم، فكأنَّه نَفَسٌ له، على المَجاز.

«إنَّه» أي: إنَّ هذا المُقسَم عليه، أي: إنَّ القرآن «لَقولُ رسولٍ كريم» الجمهور على أنَّه جبريل عليه السلام، وقيل: محمَّد ﷺ، و«كريم» صفة تقتضي نَفْيَ المذامِّ كلِّها وإثباتَ صفاتِ المدح اللائِقَة به.

«ذي قوَّة» كقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]. «عند ذي العرش» أي: كائن عند ذي العرش الكينونةَ اللائقةَ مِن شَرف المنزلة وعِظَم المكانة. وقيل: «عند ذي العرش» متعلِّق بـ «مكين».

«مُطَاعٍ ثَمَّ» إشارة إلى «عند ذي العرش»، أي: إنَّه مُطاعٌ في ملائكة اللهِ المقرَّبين يَصدُرون عن أمْره.

وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وأبو البَرَهْسم وابنُ مِقْسم: «ثُمَّ» بضمِّ الثاء[(٢)]، حرف عطف، والجمهور: «ثَمَّ» بفتحها، ظرف مكان للبعيد.

وقال الزمخشريُّ: وقُرئَ: «ثُمَّ» تعظيماً للأمانة وبياناً؛ لأنَّها أفضلُ صفاته المعدودة[(٣)]. انتهى.

وقال صاحب «اللوامح»: بمعنى: مُطاع وأَمين، وإنَّما صارت «ثمَّ» بمعنى الواو بَعْدَ «إنَّ» مُواضَعتها للمُهلة والتراخِي عطفاً، وذلك لأنَّ جبريلَ عليه السلام كان بالصِّفتين معاً في حالٍ واحدة، فلو ذهبَ ذاهبٌ إلى الترتيب والمُهلة في هذا العطف بمعنى: «مطاع» في المَلَأ الأعلى «ثُمَّ أمين» عند انفصاله عنهم حالَ وَحْيه على الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام = لجازَ إنْ لو وَرَدَ به أَثَرٌ. انتهى.

---

(١) ينظر المصادر السابقة، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢، وتهذيب اللغة للأزهري ١/ ٧٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤ عن أبي جعفر، والقراءات الشاذة ص١٦٩ عن أبي حيوة، وزاد المسير ٩/ ٤٣ عن أُبَيّ وابن مسعود وأبي حيوة.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٤-٢٢٥.

«أَمين» مَقبُول القولِ، يُصدَّق فيما يقوله، مُؤتَمن على ما يُرسَل به مِن وحي وامتثالِ أمرٍ.

«وما صاحِبُكم بمجنون» نفي عنه ما كانوا ينسبون إليه ويبهتونَهُ به مِن الجنون.

«ولقد رَآهُ» أي: رأى الرسولُ ﷺ جبريلَ عليه السلام، وهذه الرؤية بعد أمْرِ غارِ حِرَاء حين رَآهُ على كرسيٍّ بين السماء والأرض في صورته له ستُّ مئة جَنَاح[1].

وقيل: هي الرُّؤية التي رَآهُ فيها عند سِدْرَة المنتهى، وسمَّى ذلك الموضع أُفُقاً مجازاً، وقد كانت له عليه السلام رؤيةٌ ثانية بالمدينة، وليست هذه، ووصف الأُفُق بـ «المبين»؛ لأنَّه رُوي أنَّه كان في الشَّرْق مِن حيث تطلع الشمس، قاله قتادة وسفيان وأيضاً، فكلُّ أفقٍ في غاية البيان[2].

وقيل: في أفقِ السماء الغربيِّ، حكاه ابنُ شَجَرة، وقال مجاهد: رَآهُ نحو جِيَاد، وهو مشرق مكَّة[3].

وقرأ عبد الله وابنُ عباس وزيد بن ثابت وابنُ عمر وابنُ الزبير وعائشة وعمر بنُ عبد العزيز وابنُ جبير وعروة ومسلم وابنُ جندب ومجاهد وغيرهم، ومِن السبعة النَّحْوِيَّان وابن كثير: «بظَنِين» بالظاء، أي: بمتَّهم، وهذا نظير الوصفِ السابق بـ «أمين». وقيل: معناه بضعيف القوَّة على التبليغ مِن قولهم: بئر ظنون، إذا كانت قليلةَ الماء، وكذا هو بالظاء في مصحف عبد الله.

وقرأ عثمان وابنُ عباس أيضاً والحسن وأبو رجاء والأعرج وأبو جعفر وشَيبة

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١١٥، والخبر عند الطبريّ ٢٤/ ١٦٦-١٦٧ عن أبي الأحوص، وأخرج عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٥٢ عن ابن مسعود ﷺ أنَّه قال: رأى جبريلَ له خمس مئة جناح قد سَدَّ الأفق.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٤/ ١٦٦، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٩٠، والقرطبي ٢٢/ ١١٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٥، والنكت والعيون ٦/ ٢١٨-٢١٩، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٤/ ١٦٦.

وجماعة غيرهم وباقي السبعة: بالضَّاد[١]، أي: ببخيل يشحّ به ولا يُبلِّغ ما قيل له ويَبْخَل كما يفعل الكاهن حتى يُعطَى حُلوانَه[٢].

قال الطبريُّ: وبالضادِ خُطوطُ المصاحفِ كلّها[٣].

«وما هو بقولِ شيطانٍ رجيم» أي: الذي يَتراأى له إنَّما هو مَلَكٌ لا مِثْل الذي يَتراأى للكُهَّان.

«فأينَ تذهبون» استضلالٌ لهم؛ حيث نَسَبوه مرَّة إلى الجنون، ومرَّة إلى الكهانة، ومرَّة إلى غير ذلك، ممَّا هو بَريْء منه.

وقال الزمخشريُّ: كما يقال لتارِك الجادَّة [٤]اعتسافاً أو ذهاباً[٤] في بُنيَّات الطريق: أين تذهب؟ مُثِّلَت حالهم بحاله في تَرْكهم الحقَّ وَعُدُولهم عنه إلى الباطل. انتهى.

«ذِكْرٌ» تَذْكِرة وعِظَةٌ «لِمَن شاءَ» بدل مِن «للعَالَمِين»، ثم عذقَ مشيئةَ العبد بمشيئة الله تعالى، قال ابنُ عطيَّة: ثم خصّص تعالى مَن شاء الاستقامةَ بالذِّكر؛ تشريفاً وتنبيهاً وذكراً لتكسُّبهم أفعالَ الاستقامة، ثم بيَّن تعالى أنَّ تكسُّبَ المرء على العموم في استقامةٍ وغيرها إنَّما يكون مع خَلْقِ الله تعالى واختراعِه الإيمانَ في صَدْر المرء[٥]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما أبدلوا منهم؛ لأنَّ الذين شاؤوا الاستقامةَ بالدُّخول في الإسلام هم المنتفعون بالذِّكْر، فكأنَّه لم يُوعَظ به غيرُهم وإنْ كانوا موعوظين

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٦-١١٧، والثعلبي ٦/ ٣٩١، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٢) حُلْوان الكاهن: هو ما يُعطاه من الأجر والرّشوة على كهانته. النهاية في غريب الحديث (حلن).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ١٧٠.

(٤-٤) ليست في (يه).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٥.

جميعاً، «وما تشاؤون» الاستقامةَ يا مَن يَشاؤها إلَّا بتوفيقِ الله تعالى ولُطْفه، أو ما تشاؤونها أنتم يا مَن لا يشاؤها إلَّا بقَسْرِ الله وإلجائه[1]. انتهى. ففسّر كلٌّ مِن ابنِ عطيَّة والزمخشريّ المشيئةَ على مذهبه.

وقال الحسن: ما شاءَت العَرَبُ الإسلامَ حتى شاءَ اللهُ لها[2].

(١) الكشاف ٤/٢٢٦.

(٢) الكشف والبيان ٦/٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢٢/١١٩.

مفردات سورة الانفطار

بَعْثَرتُ المتاعَ: قَلَبْتُه ظهراً لبطنٍ، وبَعثرتُ الحوضَ وبَحْثَرتُه: هَدَمتُه، وجعلتُ أعلاه أسفَلَه[1].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ
عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ
ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧
ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، وانفطارُها تقدَّم الكلامُ فيه، وانتثارُ الكواكب سقوطُها مِن مواضعها كالنِّظام.

وقرأ الجمهور: «فُجِّرت» بتشديد الجيم، ومجاهد والربيع بن خثيم والزعفرانيُّ والثوريُّ بخفِّها[2].

---

(١) من قوله: بعثرت المتاع.. إلى هنا، زيادة من (ع) و(يه)، ولم ترد في بقيَّة النسخ، والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢١، وينظر زاد المسير ٩/ ٤٦، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٥١٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ١٧٥.

(٢) أي: «فُجِرَت». المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٥٣، والقراءة في القراءات =

وتفجيرها مِن امتلائِها، فتُفجَّر مِن أعلاها وتفيضُ على ما يَليها، أو مِن أسفلها فيُذهِبُ اللهُ ماءَها حيث شاءَ.

وعن مجاهد: «فَجَرَت» مبنيًّا للفاعل مخفَّفاً[1]، بمعنى: بَغَت؛ لزوالِ البَرْزَخ، نظراً إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] لأنَّ البغيَ والفجورَ متقابلان.

«بُعْثِرَت» قال ابنُ عباس: بُحِثَت، وقال السُّدِّيّ: أُثيرَت لبَعْثِ الأموات، وقال الفرَّاء: أخرجَ ما في بطنها مِن الذَّهب والفضَّة[2].

وقال الزمخشريُّ: بعْثرَ وبحْثرَ بمعنًى، وهما مركَّبان مِن البَعْث والبَحْث مع رَاءٍ مضمومة إليهما، والمعنى بحثت وأخرجَ موتاها، وقيل لـ «براءة» المُبَعْثِرَة؛ لأنَّها بعثرت أسرارَ المنافقين[3]. انتهى.

فظاهر قوله: أنَّهما مركَّبان، أنَّ مادَّتهما ما ذكر، وأنَّ الراءَ ضمّت إلى هذه المادة، والأمر ليس كما يقتضيه كلامُه؛ لأنَّ الراءَ ليست مِن حروف الزيادة، بل هما مادَّتان مختلفتان وإن اتَّفَقَتا مِن حيث المعنى، وأمَّا أنَّ إحداهما مركَّبة مِن كذا، فلا، ونظيره قولهم: دَمِث ودِمَثْر، وسَبِط وسِبَطْر[4].

«ما قَدَّمَت وأَخَّرَت» تقدَّم الكلام على شِبْهه في سورة «القيامة»[5].

وقرأ الجمهور: «ما غَرَّكَ»، فـ «ما» استفهاميَّة، وقرأ ابنُ جبير والأعمش: «ما أَغَرَّكَ» بهمزة[6]، فاحتمل أنْ يكون تعجُّباً، واحتمل أنْ تكون «ما» استفهاميَّة،

= الشاذة ص١٧٠ عن الربيع بن خثيم والثوري.

(١) القراءات الشاذة ص١٧٠.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢١، والثعلبي ٦/ ٣٩٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٢١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٦، وأثر ابنِ عباس عند الطبري ٢٤/ ١٧٥، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٤٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٧.

(٤) الدَّمْثَرَة: الدَّماثة، والسِّبَطر: الطويل. وسلفا.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [الآية: ١٣].

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٧، وينظر الكشاف ٤/ ٢٢٨، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٥٣.

و«أغرَّك» بمعنى: أَدْخلَكَ في الغِرَّة.

وقال الزمخشريُّ: مِن قولك: غرَّ الرَّجُل، فهو غارٌّ: إذا غفل، مِن قولك: بَيَّتهم العدوُّ وهم غارُّونَ، وأغرَّه غيرُه: جعله غارًّا[1]. انتهى.

ورُوي أنَّه عليه الصلاة والسلام قَرَأَ «ما غَرَّك بربِّك الكريم»؟ فقال: «جَهْلُه»[2]، وقاله عمر رضي الله تعالى عنه، وقرأ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3] [الأحزاب: ٧٢] وهذا يترتَّب في الكافر والعاصي.

وقال قتادة: عَدوُّه المسلَّطُ عليه[4]، وقيل: سَتْرُ اللهِ عليه، وقيل: كَرَمُ اللهِ ولطفُه «الكريم» تلقّن هذا الجواب، فهذا لطفٌ بالعاصي المؤمن، وقيل: عَفْوه عنه إنْ لم يعاقِبْه أوَّل مرَّة.

وقال الفُضَيل: سَتْره المرخيّ. وقال ابنُ السَّمَّاك:

يا كاتمَ الذَّنْبِ أَمَا تستحي ... واللهُ في الخَلْوة رائيكا
غَرَّك مِن رَبِّكَ إمهالُهُ ... وسَتْرُه طولَ مساوِيكا[5]

وقال الزمخشريُّ في جواب الفُضَيل: وهذا على سبيلِ الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالسّتر، وليس باعتذارٍ كما يظنّه الطّمَّاع[6] ويظنّ به قُصَّاص الحشويَّة ويَرْوُونَ عن أئمَّتهم: إنَّما قال: «بربِّك الكريم» دونَ سائر صفاته؛ ليلقِّن عبدَه

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٧.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٢، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٩٤-٣٩٥ عن صالح بن مسمار بلاغاً. وصالح هذا بصريٌّ سكن الجزيرة، وروى عن الحسن البصري وابن سيرين. ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ٢٠٠ تمييزاً.
(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٦، والنكت والعيون ٦/ ٢٢١.
(٤) المصادر السابقة، وتفسير البغوي ٤/ ٤٥٥، وأخرجه الطبري ٢٤/ ١٧٨بنحوه.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٩٥، والوسيط للواحدي ٤/ ٤٣٥، والقرطبي ٢٢/ ١٢٢-١٢٣، والكشاف ٤/ ٢٢٨، والخبر أخرجه الثعلبيُّ بإسناده إلى الفضيل بن عياض.
(٦) في (به): تظنه الطباع.

الجوابَ حتى يقول: غرَّني كَرَمُ الكريم[1]. انتهى. وهو على عادته في الطعن على أهل السُّنَّة.

«فسوَّاك» جَعَلك سويًا في أعضائك «فَعَدلكَ» صيَّركَ معتدلاً متناسبَ الخَلْق مِن غيرِ تفاوتٍ.

وقرأ الحسن وعمرو بنُ عُبيد وطلحة والأعمش وعيسى وأبو جعفر والكوفِيُّون: بخفِّ الدَّالِ، وباقي السبعة: بشدِّها[2]، وقراءة التخفيف إمَّا أَنْ تكون كقراءة التشديد، أي: عَدل بعضَ أعضائك ببعضٍ حتى اعتدلت، وإمَّا أَنْ يكون معناه: فصرفك، يقال: عَدَله عن الطريق، أي: عَدَلك عن خِلْقة غيرِك إلى خِلْقةٍ حسنةٍ مفارِقَة لسائرِ الخَلْق، أو: «فعدلك» إلى بعضِ الأشكال والهيئات.

والظاهر أنَّ قولَه: «في أيِّ صورةٍ» يتعلَّق بـ «ركَّبك» أي: وَضَعَكَ في صورةٍ اقتضتها مشيئته؛ مِن حُسْنٍ وطُول وذُكورةٍ وشَبَهٍ ببعض الأقارب، أو مقابل ذلك.

و«ما» زائدة، و«شاء» في موضع الصفة لـ «صورة»، ولم يعطف «ركَّبك» بالفاء كالذي قَبْله، لأنَّه بيانٌ لـ «عدلك».

وكون «في أيِّ صورة» متعلِّقاً بـ «ركَّبك» هو قولُ الجمهور، وقيل: يتعلَّق بمحذوفٍ، أي: ركَّبك حاصلاً في بعضِ الصُّور.

وقال بعض المتأوِّلين: إنَّه يتعلَّق بقوله: «فعدلك» أي: فعدلك في صورة أيِّ صورة، و«أيّ» تقتضي التعجيب والتعظيم، فلم يَجْعلك في صورة خنزير أو حمار[3]، وعلى هذا تكون «ما» منصوبةً بـ «شاء»، كأنَّه قال: أي تركيب حَسَنٍ شاء ركَّبك.

والتركيب: التأليف وجَمْعُ شيءٍ إلى شيء.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٨، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٩٥.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٣-١٢٤، والقراءة في السبعة ص٦٧٤، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٧، وينظر الكشاف ٤/ ٢٢٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٤-١٢٥، والدر المصون ١٠/ ٧١١، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٦.

وأدغم خارجة عن نافع «ركَّبكَ كلا» كأبي عمرو في إدغامه الكبير(١).

و«كلَّا» ردعٌ وزَجْر لما دلَّ عليه ما قَبْلَه مِن اغترارِهم بالله تعالى، أو لما دلَّ عليه ما بعدَ «كلَّا» مِن تكذيبهم بيوم الجزاء، و«الدِّين» الجزاء، أو شريعة الإسلام.

وقرأ الجمهور: «بل تكذِّبون» بالتاء؛ خطاباً للكفار، والحسن وأبو جعفر وشيبة وأبو بشر: بياء الغيبة(٢).

«وإنَّ عليكم لحافظين» استئناف إخبار أنَّ عليهم مَن يَحفظ أعمالهم ويَضبطها، ويَظهر أنَّها جملة حاليَّة، والواو واو الحال، أي: تكذبونَ بيوم الجزاء، والكاتبون الحَفَظَةُ يَضبطون أعمالَكم؛ لأنْ تُجازوا عليها، وفي تعظيم الكَتَبة بالثناء عليهم، تعظيمٌ لأمرِ الجزاء.

وقرأ الجمهور: «يَصْلَونَها» مضارع: صَلِيَ، مخفَّفاً، وابنُ مقسم مشدَّداً مبنيًّا للمفعول(٣).

«يَعلمونَ ما تَفعلونَ» فيَكتبون ما تعلَّق به الجزاء، قال الحسن: يَعلمون ما ظهرَ دونَ حديث النفس، وقال سفيان: إذا هَمَّ العبدُ بالحسنة أو السيئة وَجَدَ الكاتبان ريحَها(٤).

وقال الحسين بنُ الفَضْل: حيث قال: «يعلمون»، ولم يقل: يكتبون، دلَّ على أنَّه لا يكتب الجميع، فيخرج عنه السَّهو والخطأ وما لا تَبِعَةَ فيه.

«وما هم عنها بغائبين» أي: عن الجحيم، أي: لا يمكنهم الغيبة، كقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. وقيل: إنَّهم مشاهدوها في البَرْزَخ، لَمَّا أخبر

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٧، والإدغام في السبعة ص٦٧٤، والتيسير ص٢٠، والنشر ٢/ ٢٨١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٩٦-٣٩٧، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٩٩.

(٣) أي: «يُصَلَّونها». ولم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ١٠/ ٧١٣، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٣٦١.

(٤) القولان في تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٦، لكنَّ قولَ الحسن لم يَعْزُه له، بل صدَّره بقوله: وقيل. وأما قول الحسن فهو عنده هكذا: «يعلمون»: لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم.

عن صَلْيِهم يوم القيامة، أخبرَ بانتفاء غيبتهم عنها قَبْل الصَّلْي، أي: يَرَونَ مقاعدَهم مِن النار.

«وما أدراك» تعظيمٌ لهول ذلك اليوم.

وقرأ ابنُ أبي إسحاق وعيسى وابنُ جندب وابنُ كثير وأبو عمرو: «يَومُ لا تملك» برفع الميم[١]، أي: هو يوم، وأجاز الزمخشريُّ فيه أن يكونَ بدلاً ممَّا قبله[٢].

وقرأ محبوب عن أبي عمرو: «يومٌ لا تملك» على التنكير منوَّناً مرفوعاً، فَكَّهُ عن الإضافة[٣]، وارتفاعه على: هو «يومٌ»، و«لا تملك» جملة في موضع الصفة، والعائد محذوف، أي: لا تملك فيه.

وقرأ زيد بن عليٍّ والحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج وباقي السبعة: «يومَ» بالفتح على الظَّرف، فعند البصريِّين هي حركة إعراب، وعند الكوفيِّين يَجوز أنْ تكونَ حركةَ بناء.

وهو على التقديرين في موضع رفعٍ خبراً لمحذوف، تقديره: الجزاء يوم لا تملك، أو في موضع نصبٍ على الظَّرْف، أي: يدانون يومَ لا تملك، أو على أنَّه مفعول به، أي: اذكر يومَ لا تملك، ويجوز على رأي مَن يُجيز بناءَه أنْ يكون في موضع رفعٍ خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: «هو».

«يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئاً» عامٌّ، كقوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾ [سبأ: ٤٢]. وقال مقاتل: لنفس كافرة شيئاً مِن المنفعة.

«والأَمْرُ يومئذٍ لله» قال قتادة: وكذلك هو اليوم، لكنَّه هناك لا يَدَّعي أحدٌ منازعته، ولا يُمكِّن هو أحداً ممَّا كان يُمكِّنه في الدُّنيا[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٧-٤٤٨، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٧، والثعلبي ٦/ ٣٩٧، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٩.

(٣) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٣٦٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٨، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ١٨٤.

مفردات سورة المطففين

التَّطْفِيف: النُّقْصان، وأصله مِن الطَّفِيْف وهو النَّزْر الحقير، والمُطفِّف: الآخِذ في وزنٍ أو كيلٍ طفيفاً، أي: شيئاً حقيراً خفيًّا.

«رَانَ»: غطَّى وغشَّى، كالصَّدَأ يَغشى السَّيْفَ، قال الشاعر:

وكم رانَ مِن ذنب على قلبِ فاجِرٍ فتابَ مِن الذَّنْبِ الذي رانَ فانْجَلا[1]

وأصلُ الرَّيْن الغَلَبةُ، يقال: رَانَتِ الخمرُ على عقلِ شارِبها، ورَانَ الغَشْيُ[2] على عقلِ المريض، قال أبو زُبَيْدٍ:

ثُمَّ لمَّا رَآهُ رَانَتْ به الخَمْـ رُ وأَنْ لا تَرِينَه باتِّقاءِ[3]

وقال أبو زيد: يقال: رِيْنَ بالرَّجُلِ يران به رَيْناً: إذا وَقَعَ فيما لا يَستطيع منه الخروج[4].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٤، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥١، والبيت في النكت والعيون ٦/ ٢٢٩، ولم نقف عليه عند غيره من المصادر الأدبية.

(٢) ليست في (ع) و(يه).

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٤، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٠٢-٤٠٣، والطبري ٢٤/ ١٩٩، وتهذيب اللغة (ران)، واللسان (ران)، والبيت في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٠٤، والمعاني الكبير ١/ ٤٦٢، والأغاني ١٢/ ١٣٢ برواية: يريبه، بدل: تَرِينه. قال الأستاذ المحقِّق محمود شاكر بهامش طبقات فحول الشعراء: رابه يريبه: شكَّ في أمره، ودعاه إلى الريبة فيه، أراد: لم يشكّ فيه ولم يتق شرّه.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٥، وينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٧١، وتهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٥-٢٢٦.

الرَّحِيق: قال الخليلُ: أجودُ الخمر. وقال الأخفش والزجَّاج: الشَّرَابُ الذي لا غشّ فيه، قال حسان:

بردى يُصفق بالرَّحيق السَّلْسَلِ[(١)]

نافَسَ في الشيء: رَغِبَ فيه، ونفِسْتُ عليه بالشيء أنْفَسُ نفاسةً: إذا بَخِلْت به عليه ولم تحبّ أنْ يَصيرَ إليه[(٢)].

التسنيم: أصله: الارتفاع، ومنه تَسنيمُ القبر، وسنامُ البعير، وتَسَنَّمتُه: عَلوتُ سنامَهُ.

الغَمْز: الإشارةُ بالعَيْن والحاجِب.

* * *

سورة المطففين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾.

هذه السورة مكيَّة في قول ابنِ مسعود والضحاك ومقاتل، مدنيَّة في قول الحسن

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥١، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وكلام الخليل في كتابه العين ٣/ ٤٥بنحوه، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٣٠٠، وعجز البيت في ديوان حسان ص١٨٠، وصدره: يَسقُون مَن وَرَدَ البريصَ عليهمُ. وسلف.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٣، والرازي ٣١/ ١٠٠.

وعكرمة ومقاتل أيضاً. وقال ابنُ عباس وقتادة: مدنيَّة إلَّا مِن «إنَّ الذين أجرموا» إلى آخِرِها فهو مكِّيّ ثمان آيات[١].

وقال السُّدِّيُّ: كان بالمدينة رجل يكنى أبا جُهَينة له مكيلان يَأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص، فنزلت.

ويقال: إنَّها أوَّل سورة أُنزلت بالمدينة.

وقال ابنُ عباس: نزل بعضُها بمكَّة، ونزل أمْرُ التطفيفِ بالمدينة؛ لأنَّهم كانوا أشدَّ الناس فساداً في هذا المعنى، فأصلحهم اللهُ بهذه السورة.

وقيل: نزلت بين مكَّة والمدينة ليُصلِح اللهُ تعالى أمْرَهم قَبْلَ وُرودِ رسولِه ﷺ[٢].

والمناسبة بين السورتين ظاهرة: لمَّا ذَكَر تعالى السعداءَ والأشقياءَ ويومَ الجزاء، وعظَّم مِن شأنِ يومه، ذَكَر ما أعدَّ لبعضِ العُصاة، وذَكَرهم بأخسِّ ما يقع مِن المعصية، وهي التَّطْفِيف الذي لا يَكاد يُجدي شيئاً في تثمير المالِ وتنميته.

«إذا اكتالوا على الناس» قَبضوا لهم «وإذا كَالُوهم أو وَزَنُوهم» أقبضوهم.

قال الفرَّاء: «مِن» و«على» يَعتقبان هنا، اكتلتُ على الناس، واكتلت مِن الناس، فإذا قال: اكتلتُ منكَ، فكأنَّه قال: استوفيتُ منكَ، وإذا قال: اكتلتُ عليك، فكأنَّه قال: أخذتُ ما عليك[٣].

والظاهر أنَّ «على الناس» متعلِّق بـ «اكتالوا» كما قرَّرناه.

وقال الزمخشريُّ: لمَّا كان اكتيالُهم مِن الناس اكتيالاً يضرُّهم ويتحامل فيه عليهم، أبدلَ «على» مكان «مِن»؛ للدلالة على ذلك، ويجوز أن يتعلَّق «على»

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٢٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٨.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير القرطبي ٢٢/ ١٢٩، والثعلبي ٦/ ٣٩٩-٤٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٩، وقول السدي ذكره الواحديُّ في أسباب النزول ص٤٨٣، وأخرجه الثعلبيُّ ٦/ ٣٩٩.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٣١، والثعلبي ٦/ ٣٩٨-٣٩٩، والكشاف ٤/ ٢٣٠، وزاد المسير ٩/ ٥٢، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٤٦.

بـ «يستوفون» أي: يستوفون على الناس خاصَّة، فأمَّا أنفسهم فيَستوفون لها[١]. انتهى.

وكَالَ ووَزَنَ ممَّا يتعدَّى بحرفِ الجرِّ، فتقول: كِلْتُ لَكَ، ووَزَنْتُ لَكَ، ويجوز حذفُ اللام، كقولك: نَصَحْتُ لَكَ ونَصَحْتُكَ، وشَكَرْتُ لَكَ وشَكَرْتُكَ، والضمير ضميرُ نصب، أي: كَالُوا لهم أو وَزَنُوا لهم، فحذف حرفُ الجرّ ووصل الفعلُ بنفسِه، والمفعول محذوف، وهو: المكيل والموزون، وعن عيسى وحمزة: المكيل والمكيل له، والموزون والمَوزون له محذوفٌ، و«هم» ضمير مرفوعٌ تأكيدٌ للضمير المرفوع الذي هو الواو[٢].

وقال الزمخشريُّ: ولا يصحُّ أنْ يكون ضميراً مرفوعاً «للمطففين»؛ لأنَّ الكلامَ يخرج به إلى نَظْمٍ فاسد، وذلك أنَّ المعنى: إذا أَخذوا مِن الناس استَوفوا، وإذا أَعطوهم أَخسروا، وإنْ جعلت الضميرَ «للمطففين» انقلبَ إلى قولك: إذا أخذوا مِن الناس استوفوا، وإذا تَولوا الكيلَ أو الوزنَ هم على الخصوص أخسروا، وهو كلامٌ متنافِر، لأنَّ الحديث واقعٌ في الفعل لا في المباشر[٣]. انتهى.

ولا تنافرَ فيه بوجهٍ، ولا فرقَ بين أَنْ يؤكّد الضمير أو لا يؤكّد، والحديث واقعٌ في الفعل، غايةُ ما في هذا أنَّ متعلّق الاستيفاء ـ وهو «على الناس» ـ مذكورٌ وهو في «كالوهم» أو «وزنوهم» محذوفٌ؛ للعِلْم به؛ لأنَّه معلوم أنَّهم لا يُخسِرونَ الكيلَ والميزانَ إذا كان لأنفسِهم، إنَّما يُخسِرون ذلك لغيرِهم.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: هلَّا قيل: أوِاتَّزنوا، كما قيل: «أو وزنوهم»؟

قلت: كأنَّ المطففين كانوا لا يَأخذون ما يُكال ويُوزَن إلَّا بالمكاييل دون الموازين لتمكُّنهم بالاكتيال مِن الاستيفاء والسرقة؛ لأنَّهم يُدَعْدِعون ويَحتالون في

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٠، والكشاف ٤/ ٢٣٠، والمشهور عن حمزة كمذهب الجمهور.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٣٠.

المَلْء، وإذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكُّنهم مِن البَّخْسِ في النوعين جميعاً «يُخْسِرون» يُنْقِصون[١]. انتهى.

و«يُخسِرون» معدًّى بالهمزة، يقال: خَسِرَ الرَّجُلُ وأَخْسَرَهُ غيرُه.

«أَلَا يظنُّ» توقيفٌ على أَمْرِ القيامة وإنكارٌ عليهم في فِعْلهم ذلك، أي: «اليوم عظيم» وهو يوم القيامة، و«يوم» ظرفٌ، العامل فيه مقدَّر، أي: يُبعَثون يومَ يقوم الناس، ويجوز أنْ يعمل فيه «مبعوثون» ويكون معنى «اليوم» أي: لحسابِ يوم.

وقال الفرَّاء: هو بَدَل مِن «يوم عظيم»، لكنَّه بُنِيَ[٢].

وقُرِئَ: «يوم يقوم» بالجرِّ، وهو بَدَل مِن «اليوم»، حكاه أبو معاذ[٣].

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «يومُ» بالرَّفْع[٤]، أي: ذلك يوم.

و«يظنّ» بمعنى: يُوقِن، أو هو على وَضْعه مِن الترجيح، وفي هذا الإنكار والتعجيب ووصف اليوم بالعِظَم وقيام الناس للهِ خاضعينَ، ووصفه بربِّ العالمين دليلٌ على عِظَمِ هذا الذَّنْب، وهو التَّطفيف.

«كلَّا» ردعٌ لما كانوا عليه مِن التَّطفيف، وهذا القيام تَختلف الناسُ فيه بحسَب أحوالهم، وفي هذا القيام إلجام العَرَق للناس، وأحوالهم فيه مختلفة، كما وَرَدَ في الحديث[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٠، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٤٦.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٣٢، والكشاف ٤/ ٢٣١، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٠.

(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٨، وللفراء ٣/ ٢٤٦، وتفسير الطبري ٢٤/ ١٨٨.

(٥) أخرج مسلم في صحيحه (٢٨٦٤) عن المقداد بن الأسود أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل».. قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فِيْهِ.

و«الفُجّار»: الكُفَّار، وكتابهم هو الذي فيه تحصيلُ أعمالهم، و«سِجِّين» قال الجمهور: فِعِّيل، مِن: السَّجْن، كسِكِّير، أي: في موضع ساجِن، فجاء بناء مبالغة، فـ «سِجِّين» على هذا صفةٌ لموضع المحذوف، قال ابنُ مقبل:

ورُفقةٍ يَضْرِبون البَيْضَ ضاحِيةً ضَرْباً تَوَاصَت به الأبطالُ سِجِّينا[١]

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: و«ما سِجِّين» أصفةٌ هو أم اسمٌ؟

قلت: بل هو اسمٌ عَلَمٌ مَنقولٌ مِن وَصْفٍ كحاتم، وهو مُنْصَرِف؛ لأنَّه ليس فيه إلَّا سببٌ واحد، وهو التَّعْرِيف[٢]. انتهى.

وكان قد قدّم أنَّه كتاب جامعٌ، وهو ديوان الشَّرِّ، دَوَّنَ اللهُ فيه أعمالَ الشياطين وأعمالَ الكفرة والفَسَقَة مِن الجنِّ والإنس، وهو «كتابٌ مرقومٌ» مَسطُورٌ بيِّن الكتابة أو مُعلم يَعْلَم مَن رَآهُ أنَّه لا خيرَ فيه، والمعنى أنَّ ما كُتِبَ مِن أعمال الفُجّار مُثْبَت في ذلك الديوان[٣]. انتهى.

واختلفوا في «سِجِّين» إذا كان مكاناً أيَّ مكان هو، اختلافاً مُضْطَرباً حَذَفنا ذِكْرَه[٤].

والظاهر أنَّ سجِّيناً هو كتابٌ، ولذلك أبدلَ منه «كتابٌ مَرْقُوم»، وقال عكرمة: «سجِّين» عبارة عن الخَسَار والهَوَان، كما تقول: بلغَ فُلانٌ الحضيضَ: إذا صار في غاية الخمول. وقال بعضُ اللغويِّين: «سجِّين» نونه بَدَلٌ مِن لام، وهو مِن السِّجِّيل[٥].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤١، والثعلبي ٦/ ٤٠٢، والبيت في ديوان ابن مقبل ص٣٣٣، برواية: ورَجْلَة يضربون البيض عن عُرُضٍ، والبيض جمع: بيضة وهي الخوذة.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٣٩-١٤١، والثعلبي ٦/ ٤٠١-٤٠٢، والنكت والعيون ٦/ ٢٢٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ١٩٣-١٩٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥١، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤١.

فتلخَّص مِن أقوالهم أسجِّين نونه أصليَّة، أو بَدَل مِن لام، وإذا كانت أصليَّة فاشتقاقه مِن: السّجْن.

وقيل: هو مكان، فيكون «كتاب مَرقوم» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو كتابٌ، وعنى بالضمير عوده على «كتاب الفُجَّار» أو على «سجِّين»، على حذفِ أي: هو محلّ كتاب مرقوم، [(١]أو كتابٌ جامعٌ لديوان الشَّرِّ، فيه أعمال الأشقياء من الثَّقَلَيْن[١)]، و«كتاب مرقوم» تفسيرٌ له على جهة البَدَل، أو خبر مبتدأ، والضمير التقدير الذي هو عائد على «سجِّين»، أو كناية عن الخَسَار والهَوَان، وهل هو صفة أو عَلَم؟

«وما أدراكَ ما سجِّين» أي: ليس ذلك ممَّا كنت تعلم «كتابٌ مرقومٌ» أي: مُثْبَت كالرَّقْم لا يَبْلَى ولا يُمْحَى، قال قتادة: رُقِمَ لهم بِشَرٌ[(٢)]، لا يُزادُ فيهم أحدٌ ولا ينقصُ منهم أحدٌ.

وقال ابنُ عباس والضَّحَّاك: «مرقوم»: مختوم بلغة حِمْيَر، وأصلُ الرّقْمِ الكتابةُ، ومنه قول الشاعر:

سَأَرْقُمُ في الماءِ القَرَاحِ إليكُمُ على بُعْدِكم إنْ كان للماءِ رَاقِمُ[(٣)]

وتبيَّن مِن الإعراب السابق أنَّ «كتاب مَرْقوم» بَدَل، أو خبر مبتدأ محذوف،

(١-١) زيادة من (ع) و(يه).

(٢) كذا في النُّسَخ والنُّسَخِ الخطيَّة لتفسير القرطبي كما جاء بهامشه ٢٢/ ١٤١، ولعلَّه الصواب، وأُثبِتَ في مطبوعه: رُقِمَ له بَشَرٌ. بناءً على ما جاء في مطبوع النكت والعيون ٦/ ٢٢٨، والذي ورد في مطبوع تفسير الثعلبي ٦/ ٤٠٢ عن قتادة أنَّه قال: رُقِمَ لهم بِشَرٌ، وكذا أخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ١٩٨، وهو في تفسير البغوي ٤/ ٤٥٩، وزاد المسير ٩/ ٥٥ بلفظ: رُقِمَ له بِشَرٌ، كأنَّه عُلِّمَ بعلامة يُعرَف بها أنَّه كافر، وفي تفسير الرازي ٣٢/ ٩٣: رُقِمَ لهم بسوء، أي: كتب لهم بإيجاب النار.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤١-١٤٢، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٠٢، والبغوي ٤/ ٤٥٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٢٨، والبيت لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص١١٦، واللسان (رقم)، وفيه: وقولهم: هو يَرقم في الماء، أي: بلغ من حذقه بالأمور أن يرقم حيث لا يثبت الرقم. انتهى. والقراح: الخالص. القاموس (قرح).

وكان ابنُ عطيَّة قد قال: إنَّ سجِّيناً موضعُ ساجن، على قول الجمهور، وعبارة عن الخَسَار على قول عكرمة، ثم قال: «كتابٌ مرقوم» مَن قال بالقول الأوَّل في «سجِّين»، فـ «كتاب» مرتفعٌ عنده على خبر «إنَّ» والظرف الذي هو «لفي سجِّين» ملغًى، ومن قال: في سجين بالقول الثاني، فـ «كتاب» مرتفع على خبر ابتداء مُضمَر، التقدير: هو كتابٌ مرقوم، ويكون هذا الكلام مفسِّراً لسِجِّين ما هو[1]؟ انتهى.

فقوله: والظَّرْف الذي هو «لفي سجِّين» ملغًى، قولٌ لا يصحُّ؛ لأنَّ اللام التي في «لفي سجِّين» داخلةٌ على الخبر، وإذا كانت داخلة على الخبر فلا إلغاءَ في الجارِّ والمجرور، بل هو الخبر، ولا جائز أنْ تكون هذه اللام دخلت في «لفي سجِّين» على فَضْلةٍ هي معمولة للخبر، أو لصفة الخبر، فيكون الجارُّ والمجرور ملغًى لا خبراً؛ لأنَّ «كتاب» موصوف بـ «مرقوم»، فلا يعمل، ولأنَّ مرقوماً الذي هو صفة لـ «كتاب» لا يَجوز أنْ تَدخُل اللام في معموله، ولا يجوز أنْ يتقدَّم معموله على الموصوف، فتعيَّن بهذا أنَّ قوله: «لفي سِجِّين» هو خبر «إنَّ».

«الذين يُكذِّبون» صفة ذمٍّ «كلّ مُعْتَدٍ» مُتجاوزِ الحدَّ «أثيم» صفة مبالغة.

وقرأ الجمهور: «إذا»، والحسن: «أئذا» بهمزة الاستفهام[2].

والجمهور: «تُتْلَى» بتاء التأنيث، وأبو حيوة وابنُ مقسم: بالياء[3].

قيل: ونزلت في النَّضْر بنِ الحارث[4].

«بَل رَان» قُرئَ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥١.

(٢) القراءات الشاذة ص١٧٠.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥١، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٠ عن أبي حيوة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥١، وينظر تفسير الطبري ٩/ ٢٠١.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٣٢، وقراءة الإدغام قراءةُ الجماعة سوى حفص. التيسير ص١٤٢.

ووقف حفصٌ على «بل» وَقْفاً خفيفاً يسيراً؛ لتبيين الإظهار(١).

وقال أبو جعفر بنُ الباذش: وأجمعوا ـ يعني القُرَّاء ـ على إدغامِ اللام في الراء إلَّا ما كان مِن سكتِ حفصٍ على «بل»، ثم يقول: «رَانَ».

وهذا الذي ذَكَره ليس كما ذكرَ مِن الإجماع، ففي كتاب «اللوامح»(٢) عن قالون مِن جميعِ طُرُقه إظهار اللام عند الرَّاء، نحو قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]. ﴿بَل رَّبُّكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٥٦].

وفي كتاب ابنِ عطيَّة: وقرأ نافع: «بلْ رَانَ» غير مُدْغم، وفيه أيضاً: وقرأ نافع أيضاً بالإدغام والإمالة(٣).

وقال سيبويه: اللام مع الراء، نحو: اشغل رحمة(٤)، البيان والإدغام حَسَنان.

وقال الزمخشريُّ: وقُرِئَ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار، والإدغام أجودُ، وأُمليت الألف وفخِّمت(٥). انتهى.

وقال سيبويه: فإذا كانت ـ يعني اللام ـ غيرَ لامِ المعرفة، نحو: لام «هل» و«بل» فإنَّ الإدغامَ في بعضها أحسنُ، وذلك نحو: هل رّأيت، فإن لم تدغم، فقلت: هل رأيت، فهي لغةٌ لأهل الحِجَاز وهي عَربيَّة جائزة(٦). انتهى.

وقال الحسن والسُّدِّيُّ: هو الذَّنْب على الذَّنْب. وقال الحسن: حتى يموت قلبهُ. وقال السُّدِّيُّ: حتى يَسودَّ القلب. وفي الحديث نحوٌ مِن هذا، فقال الكلبيُّ: طبعَ على قلوبهم. وقال ابنُ سلَّام: غطى(٧).

---

(١) التيسير ص١٤٢ و٢٢٠، والسبعة ص٦٧٥، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٢) في (يه): «المنهج».

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٢، وينظر السبعة ص٦٧٥.

(٤) كذا في النسخ، والذي في الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٥٢: رحبة. والرَّحَبة: الأرض الواسعة المِنْبات المِحْلال. القاموس (رحب).

(٥) الكشاف ٤/ ٢٣٢.

(٦) الكتاب ٤/ ٤٥٧.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٢، والنكت والعيون ٦/ ٢٢٨-٢٢٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٣- =

«ما كانوا يَكسِبون» قال ابنُ عطيَّة: وعلّق اللوم بهم فيما كسبوه وإن كان ذلك بخَلْقٍ منه تعالى واختراعٍ؛ لأنَّ الثوابَ والعقابَ متعلِّقان بكَسْب العبد[1].

والضمير في قوله: «إنَّهم» للكفار، فمَن قال بالرُّؤية ـ وهو قول أهل السُّنَّة ـ قال: إنَّ هؤلاء لا يَرَوْنَ ربَّهم، فهم مَحجوبونَ عنه، واحتجَّ بهذه الآية مالك على مسألة الرُّؤيَة مِن جهة دليلِ الخطاب، وإلَّا فلو حجب الكُلّ لما أغنى هذا التخصيص.

وقال الشافعيُّ: لمَّا حَجَبَ قوماً بالسُّخْطِ، دلَّ على أنَّ قوماً يَرَوْنَه بالرِّضا.

ومَن قال بأنَّه لا رُؤية ـ وهو قول المعتزلة ـ قال: إنَّهم محجوبونَ عن رحمةِ ربِّهم وغفرانه[2]. انتهى.

وقال مالك بنُ أنس[3]: لمَّا حَجَبَ أعداءَه فلم يَرَوْهُ، تجلَّى لأوليائه حتى رَأَوهُ.

وقال الزمخشريُّ: «كلَّا» ردعٌ عن الكَسْب الرائن على قلوبهم، وكونهم محجوبينَ عنه تمثيلٌ للاستخفاف بهم وإهانتهم؛ لأنَّه لا يُؤذَن على الملوك إلَّا للوُجهاء المُكرمين لديهم، ولا يُحجَب عنهم إلَّا الأدنياء المهانون عندهم، قال الشاعر:

إذا اعْتَرَوا بابَ ذي عُبِّيَّةٍ رُجِبوا ... والناسُ ما بينَ مَرْجوبٍ ومَحْجوبِ

= ١٤٥، والثعلبي ٦/٤٠٢، والحديث المعنيُّ هو ما أخرجه الترمذي (٣٣٤) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نُكِتَت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَع واستغفر اللهَ وتاب صُقِلَ قلبُه، فإن عاد زِيدَ فيها حتى تعلوَ على قلبه، وهو الرَّان الذي ذكر اللهُ في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وهو عند أحمد (٧٩٥٢).

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في النسخ: أنس بن مالك. والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/١٤٦، والثعلبي ٦/٤٠٣، وزاد المسير ٩/٥٦، وهو الصواب.

وعن ابنِ عباس وقتادة وابنِ أبي مليكة: محجوبينَ عن رحمته، وعن ابنِ كيسان: عن كرامته[١]. انتهى.

وعن مجاهد: المعنى: محجوبونَ عن كرامته ورحمته[٢].

و«عن ربِّهم» متعلّق بمحجوبون، وهو العامل في «يومئذٍ» والتنوين تنوينُ العِوَض مِن الجملة المحذوفة، ولم تتقدَّم جملةٌ قريبة تكون عِوَضاً منها، لكنّه تقدَّم «يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين» فهو عِوَضٌ مِن هذه الجملة، كأنَّه قيل: يوم إذ يقوم الناس ثمّ مع الحجابِ عن الله هم صَالو النار، وهذه ثمرةُ الحجاب.

«ثم يقال» أي: تقولُ لهم خَزَنة النار «هذا» أي: العذاب وصَلْي النار، أو هذا اليوم «الذي كنتم به تُكذِّبون»، قال ابنُ عطيَّة: «هذا الذي» يعني الجملة مفعولٌ لم يُسمَّ فاعله؛ لأنَّه قولٌ بُنيَ له الفعلُ الذي هو: «يقال»[٣]. انتهى.

وتقدَّم الكلام على نحو هذا في أوَّل «البقرة»، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: ١١].

❋ ❋ ❋

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٢، والبيت أورده عنه أيضاً الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٨/ ٣٨٢، وجاء بهامش مخطوطه ومطبوعه: عراه واعتراه: إذا غَشِيَهُ، وذي عُبِّيَّة: مَلِكٍ ذي كبر، ورُجِبوا: عُظِّموا.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٦، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٦٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٢.

فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

لمَّا ذَكَر تعالى أَمْرَ كتابِ الفُجَّار عقّبه بذِكْر كتابِ ضدِّهم؛ ليتبينَ الفرقُ، «عِلِّيون» جمعٌ، واحدُه: عِلِّيّ، مُشتقٌّ مِن العُلُوِّ وهو للمبالغة، قاله يونس وابنُ جِنِّيّ، قال أبو الفتح: وسبيله أَنْ يقال: عِلِّيَّة، كما قالوا للغرفة: عِلِّيَّة، فلمَّا حذفت التاء عَوَّضوا منها الجمعَ بالواو والنون[١].

وقيل: هو وصفٌ للملائكة، فلذلك جمعَ بالواو والنون.

وقال الفرَّاء: هو اسمٌ موضوعٌ على صفة الجَمْع ولا واحدَ له مِن لفظه، كقولك: عشرين وثلاثين، والعربُ إذا جَمعت جَمْعاً ولم يكن له بناءٌ مِن واحدِه ولا تثنيةٌ، قالوا في المذكَّر والمؤنَّث بالواو والنون.

وقال الزجَّاج: أعربَ هذا الاسم كإعراب الجَمْعَ كما تقول: هذه قِنَّسْرُون ورأيتُ قِنَّسْرِين[٢].

و«عِلِّيّون»: الملائكة، أو المواضع العِلِّيَّة، أو عَلَم لديوانِ الخير الذي دوّن فيه كلّ ما علمته الملائكة وصُلَحاء الثقلين، أو عُلُوٌّ في عُلُوٍّ مضاعَف، أقوال ثالثها للزمخشري[٣].

وقال أبو مسلم: «كتاب الأبرار» كتابةُ أعمالهم «لفي علِّيين»، ثم وصف علِّيّين بأنَّه «كتابٌ مرقوم» فيه جميعُ أعمالِ الأبرار[٤].

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٨، وكلام أبي الفتح بن جِنِّيّ في كتابه سرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦١٤ و٦٢٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٨، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٤٧بنحوه، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٣٢.

(٤) تفسير الرازي ٣١/ ٨٩.

وإذا كان مكاناً فاختلفوا في تعيينه اختلافاً مُضطَرباً رَغِبْنا عن ذِكْره[١].

وإعراب «لفي علِّيِّين» و«كتابٌ مرقوم» كإعراب «لفي سجِّين» و«كتابٌ مرقوم».

وقال ابنُ عطيَّة: و«كتاب مرقوم» في هذه الآية خبر «إنَّ» والظرف ملغًى[٢]. انتهى، كما قال في «لفي سجِّين»، وقد رَدَدنا عليه ذلك، وهذا مِثْلُه.

و«المقرَّبون» هنا قال ابنُ عباس وغيره: هم الملائكة أهل كلِّ سماءٍ «يَنظرون» قال ابنُ عباس وعكرمة ومجاهد: إلى ما أعدَّ لهم مِن الكرامات، وقال مقاتل: إلى أهلِ النار، وقيل: يَنظر بعضُهم إلى بعض[٣].

وقرأ الجمهور: «تَعْرِف» بتاء الخطاب للرسولِ ﷺ، أو للناظر، «نَضْرَةَ النَّعيم» نصباً، وقرأ أبو جعفر وابنُ أبي إسحاق وطلحة وشيبة ويعقوب والزعفرانيُ: «تُعْرَف» مبنيًّا للمفعول «نَضْرَةُ» رفعاً[٤]، وزيد بن عليٍّ كذلك إلَّا أنَّه قرأ: «يُعْرَف» بالياء[٥]، إذ تأنيثُ «نَضْرَة» مجازيٌّ، والنَّضْرَة تقدَّم شَرْحها في قوله: ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

«مختوم» الظاهر أنَّ الرحيقَ يُختَم عليه تَهَمُّماً وتنظُّفاً بالرائحة المسكيَّة، كما فسَّره ما بَعْدَهُ، وقيل: تختم أوانيه مِن الأكواب والأباريق بمِسْك مكان الطِّيْنَة.

وقرأ الجمهور: «خِتَامه» أي: خَلْطه ومِزَاجه، قاله عبد الله وعلقمة، وقال ابنُ

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٠٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٢-٤٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٤٨-١٤٩، وتنظر الآثار الواردة في ذلك عند الطبري ٢٤/ ٢٠٧-٢١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٠، والثعلبي ٦/ ٤٠٤-٤٠٥، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٢١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٠-١٥١، والثعلبي ٦/ ٤٠٥، وقراءة أبي جعفر ويعقوب في النشر ٢/ ٣٩٧، وقراءة أبي جعفر أيضاً وطلحة وابن أبي إسحاق في القراءات الشاذة ص١٧٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣ دون نسبة، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٨.

عباس وابنُ جبير والحسن معناه: خاتمته، أي: يَجد الرائحةَ عند خاتمة الشَّراب رائحة المِسْك. وقال أبو عليٍّ: أي: (١)لذاذةُ المنقطع(١) وذَكاءُ الرائحة مع طِيْب الطَّعْم[٢].

وقيل: يُمزَج بالكافور ويُختَم مزاجُه بالمِسْك، وفي «الصحاح»: الخِتَام: الطِّيْن الذي يُختَم به، وكذا قال مجاهد وابنُ زيد: خُتمَ إناؤه بالمِسْك بَدَل الطِّين[٣]، وقال الشاعر:

كَأَنَّ مُشَعْشَعاً مِن خَمْرِ بُصْرَى نَمَتْهُ البُخْتُ مَشدودَ الخِتَامِ[٤]

وقرأ عليٌّ والنخعيُّ والضحاك وزيد بنُ عليٍّ وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة والكسائيُّ: «خَاتَمه» بألفٍ بعد الخاء وفتح التاء[٥]، وهذه بيِّنة المعنى أنَّه يُراد بها الطبع على الرحيق.

وعن الضحاك وعيسى وأحمد بنِ جبير الأنطاكيّ عن الكسائيّ: كسر التاء[٦]، أي: آخِره، مثل قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفيه حذفٌ، أي: خاتم رائحته المسك، أو خاتمة الذي يُختَم به ويُقطَع «مِن تسنيم»، قال عبد الله وابنُ عباس: هو أشرفُ شرابِ الجنَّة، وهو اسمٌ مذكَّر لماءِ عينٍ في الجنَّة[٧].

(١-١) في النسخ عدا (ع) و(يه): إبرازه المقطع. والمثبت منهما ومن المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥١، والثعلبي ٦/ ٤٠٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢١٦-٢١٩.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٢، وكلام الجوهري في الصحاح (ختم).

(٤) القائل النابغة الذبياني، والبيت في ديوانه ص١٣١ (ت: محمد أبو الفضل إبراهيم)، والمشعشعة: الخمر التي أُرِقَّ مزجُها.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٠٥ وفيه قراءة عليّ وعلقمة بن قيس أيضاً بإسناده إليهما، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٨، وقراءة الكسائي في السبعة ص٦٨٦، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٦) ينظر الكشاف ٤/ ٢٣٣، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٨، وللزجاج ٥/ ٣٠٠، وزاد المسير ٩/ ٥٩.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٣، والثعلبي ٦/ ٤٠٦، والأثران عند الطبريّ ٢٤/ ٢٢١-٢٢٢.

وقال الزمخشريُّ: «تسنيم» عَلَم لعينٍ بعينها، سُمِّيت بالتسنيم الذي هو مصدر: سَنمه، إذا رَفَعه، و«عَيْناً» نصب على المَدْح، وقال الزجَّاج: على الحال[١]. انتهى.

وقال الأخفش[٢]: «يُسقَون عَيناً يَشربُ بها» أي: يَشربها، أو منها، أو ضمّن «يَشربُ» معنى يُروى بها، أقوالٌ.

«المقرَّبون» قال ابنُ مسعود وابن عباس والحسن وأبو صالح: يَشربها المقرَّبون صِرْفاً ويمزج للأبرار[٣]. ومذهب الجمهور أنَّ «الأبرار» هم أصحاب اليمين وأنَّ المقرَّبين هم السابقون.

وقال قوم: الأبرار. والمقرَّبون في هذه الآية بمعنًى واحد يقع لكلِّ مَن نُعِّمَ في الجنَّة.

رُويَ أنَّ عليًّا وجَمْعاً معه مِن المؤمنين مَرُّوا بجمع مِن كفار مكَّةَ، فضحكوا منهم واستخفُّوا بهم عَبَثاً، فنزلت: «إنَّ الذين أَجْرَموا» قَبْلَ أنْ يَصِلَ عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى الرَّسول ﷺ، وكفَّار مكَّة هؤلاء؛ قيل: أبو جهل والوليد بنُ المغيرة والعاصي بنُ وائل، والمؤمنون: عمَّار وصُهَيب وخبَّاب وبلال وغيرهم مِن فقراء المؤمنين[٤].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «مَرُّوا» عائد على «الذين أجرموا» إذ في ذلك تناسق الضمائر لواحدٍ.

وقيل: للمؤمنين، أي: وإذا مَرَّ المؤمنون بالكافرين يتغامز الكافرون، أي: يُشيرونَ بأعينهم.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٣، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٨٢.
(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٣٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٣، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٠٦، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٢٢-٢٢٥.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٤-١٥٥، والثعلبي ٦/ ٤٠٦-٤٠٧.

«فاكهين» أي: متلذِّذين بذِكْرهم وبالضَّحك منهم.

وقرأ الجمهور: «فاكهين» بالألف، أي: أصحاب فكاهة[١] ومَرح وسُرورٍ باستخفافهم بأهل الإيمان، وأبو رجاء والحسن وعكرمة وأبو جعفر وحفص: بغير ألف[٢].

والضمير المرفوع في «رَأَوْهُم» عائدٌ على المجرمين، أي: إذا رَأوا المؤمنين نَسَبوهم إلى الضلال، «وما أرسلوا» على المؤمنين حَفَظةً يحفظون عليهم أحوالهم، وقيل: عائدٌ على المؤمنين، أي: وإذا رأى المؤمنون الكفارَ نسبوهم إلى الضلال[٣]، وهم محقُّون في نسبتهم إليه، «وما أُرسلوا» على الكفار «حافظين» ففي الإشارة إليهم بأنَّهم ضالُّون إثارةٌ للكلام بينهم، وكأنَّ في الآية بعضَ موادعة، أي: إنَّ المؤمنين لم يُرسَلوا حافظين على الكفار، وهذا على القول بأنَّ هذا منسوخٌ بآية السيف.

وقال الزمخشريُّ: وإنَّهم لم يُرسَلوا عليهم حافظين إنكاراً لِصَدِّهم إيَّاهم عن الشِّرك ودُعائهم إلى الإسلام وجِدِّهم في ذلك[٤].

ولما تقدَّم ذِكْرُ يوم القيامة قيل: «فاليومَ الذين آمنوا» واليوم منصوبٌ بـ«يضحكون» [٥]أي: إن كان قد ضحك الكفار من المؤمنين في وقتٍ مّا في الدنيا، فالمؤمنون يضحكون[٥] منهم في الآخِرَة، و«ينظرون» حالٌ مِن الضمير في «يضحكون»، أي: يَضحكون ناظرينَ إليهم وإلى ما هم فيه مِن الهَوَان والعذاب بعد العزَّة والنعيم.

---

(١) في النسخ عدا (ع) و(يه): فاكهة.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٥، والقراءة في السبعة ص٦٧٦، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٢٥٤-٢٥٥ و٣٩٩.

(٣) من قوله: «وما أرسلوا» على المؤمنين حفظة... إلى هنا، زيادة من (يه) ولم ترد في بقيَّة النُّسخ.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٣.

(٥-٥) زيادة من (ع) و(يه).

وقال كعب: لأهلِ الجنَّة كُوًى يَنظرونَ منها إلى أهلِ النَّار[١]. وقيل: جسرٌ شَفَّاف بينهم يَرَون منه حالهم.

«هل ثُوِّبَ» أي: هل جُوزِيَ، يقال: ثَوَّبه وأثابه: إذا جازاه، ومنه قول الشاعر:

سَأَجْزِيكِ أو يَجْزِيكِ عنِّي مُثَوِّبٌ   وحَسْبُكِ أَنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدي[٢]

وهو استفهامٌ بمعنى التقرير للمؤمنين، أي: هل جُوزوا بأفعالهم السَّيِّئة، أي: قد جُوزوا بها.

وقيل: «هل ثُوِّبَ» متعلِّق بـ «ينظرون»، و«ينظرون» معلَّق، فالجملة في موضع نصب بعد إسقاطِ حرفِ الجرِّ الذي هو «إلى».

وقرأ الجمهور: «هل ثُوِّبَ» بإظهار لام «هل»، والنحويَّان وحمزة وابنُ محيصن بإدغامها في الثاء[٣].

وفي قوله: «ما كانوا» حذف، تقديره: جزاء أو عقاب ما كانوا يفعلون.

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/١٥٦، والثعلبي ٦/٤٠٧، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/٢٢٨.

(٢) الكشاف ٤/٢٣٣، ونُسِبَ البيت فيه لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص٢٧ من قصيدة قالها في حليمة بنت فضالة بن كلدة.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٤٥٥، والقراءة في السبعة ص٦٧٦، والنشر ٢/٦، والمحتسب ١/١٦٥.

مفردات سورة الانشقاق

الكَدْحُ: جهدُ النَّفس في العمل حتى يُؤثّر فيها، مِن: كدح جلده: إذا خَدَشَه. قال ابنُ مُقْبِل:

وما الدَّهْرُ إلَّا تارتانِ فمنهما أموتُ وأُخرى أبتغي العيشَ أَكْدَحُ[1]

وقال آخَرُ:

ومَضَتْ بشاشةُ كلِّ عيشٍ صالِحٍ وبَقِيتُ أَكْدَحُ للحياةِ وأَنصبُ[2]

حَارَ: رَجَعَ، قال الشاعر:

وما المَرْءُ إلَّا كالشِّهابِ وضَوئِهِ يَحورُ رَماداً بعد إذ هو ساطِعُ[3]

الشَّفَق: الحُمْرَة بعد مَغيب الشمسِ حتَى تأتيَ صلاةُ العِشاء الآخِرَة، قيل: أصله مِن رِقَّةِ الشيء، يقال: شَيءٌ شَفِقٌ، أي: لا يَتماسك لرقَّته، ومنه: أَشْفَقَ عليه: رَقَّ قلبُه، والشَّفَقَة الاسمُ مِن الإشفاق، وكذلك الشَّفَق، قال الشاعر:

تَهوى حَياتي وأَهوى موتَها شَفَقاً والموتُ أَكرمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ[4]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦١، والبيت في ديوان ابن مقبل ص٢٤، وسلف.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦١، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٣-١٦٤، ونُسب البيت فيه إلى لبيد، وهو في ديوانه ص١٦٩.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٦-١٦٧، والبيت نُسبَ لإسحاق بن خلف كما في زهر الآداب ١/ ٤٥٨، والحماسة البصرية ١/ ٢٧٥، وفوات الوفيات ١/ ١٦٤، واللسان (شفق). قال ابن منظور: هو لابن المعلى، ونسبه ابنُ المعتز في كتابه طبقات الشعراء ص٢٨١-٢٨٢ لمحمد بن يسير الرياشي، وهو دون نسبة في عيون الأخبار ٣/ ٩٤، والصحاح (شفق).

وَسَقَ: ضَمَّ وَجَمَعَ، ومنه: الوَسْقُ: الأصواع المجموعةُ، وهي ستُّون صاعاً، وطعامٌ مَوسُوق، أي: مجموع، وإبلٌ مُسْتَوسِقَةٌ، قال الشاعر:

إنَّ لنا قلائِصاً حَقَائِقا ... مُستَوسقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقا[(١)]

اتَّسَقَ: قال الفَرَّاء: اتِّساقُ القَمَر: امتلاؤه واستواؤه لياليَ البدر، وهو افتعالٌ مِن الوَسْقِ الذي هو الجَمْع، يقال: وَسَقْتُه فاتَّسَقَ، ويقال: أَمْرُ فلانٍ مُتَّسِق، أي: مُجتَمِع على الصَّلاح مُنتَظِم[(٢)].

«طَبَقاً عن طَبَقٍ»، حال بعد حالٍ، والطَّبَق: ما طابقَ غيرَه، وأَطباقُ الثَّرَى ما تَطابَقَ منه، ومنه قيل للغِطاء: الطَّبَق، قال الأقرع[(٣)] بنُ حابس:

إنِّي امْرُؤٌ قد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَه[(٤)] ... وساقني طَبَقٌ منه إلى طَبَقِ

وقال امرؤ القيس:

دِيمَةٌ هَطلاءُ فيها وَطَفٌ ... طَبَقُ الأرضِ تحرَّى وتَدُرّ[(٥)]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/١٦٩، والرجز للعجاج كما في اللسان (وسق)، وليس في ديوانه، وهما بلا نسبة في الكامل ٣/ ١١٤٥، والفاضل للمبرد ص١٠، والثاني في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٩١، وتفسير الطبريّ ٢٤/ ٢٤٥.
والقلائص: جمع قلص، وهي الناقة الشابة، والحقائق جمع حِقَّة، وهي من الإبل ما دخل في السنة الرابعة إلى آخرها، سمِّي بذلك؛ لأنه استحقّ الركوب والتحميل. النهاية (قلص) و(حقق). قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي ٨/ ٣٤١: الشاهد فيه ورود مستوسقات بمعنى: متَّسقات، أي: مجتمعات.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧١، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥١: اتساقه امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ستّ عشرة.

(٣) في النسخ عدا (يه): الأعرج. والمثبت منها ومن تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٤، وزاد المسير ٩/ ٦٧.

(٤) يقال: حَلَب فلانٌ الدهرَ أَشْطُرَه، أي: خَبَرَ ضُروبَه، أي: مَرَّ به خير وشرّ. تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٧.

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٤٤، والديمة: المطر الدائم، والهطلاء: الغزيرة، والوطف: الدنو من الأرض، وهذه السحابة تطبِّق الأرض وتعمُّها، وتحرَّى: تثبت في المكان، وتدرّ: يكثر ماؤها.

سورة الانشقاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ
﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ
أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ
أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا
﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا
وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾
فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، واتِّصالها بما قَبْلها ظاهرٌ.

قال ابنُ عباس: «انشقت» لنزول الملائكة، وعن عليّ: تنشق من المَجَرَّة[1].

وعن ابن عباس: «انشقَّت»: تنشق، أي: تتصدَّع بالغمام، وقاله الفرَّاء والزجَّاج، وقيل: تَنشقُّ لهولِ يومِ القيامة، كقوله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾[2] [الحاقة: ١٦].

وقرأ الجمهور: بسكون تاءِ «انشقَّت» وما بَعْدَها وَصْلاً ووقفاً، وقرأ عبيد بنُ عقيل عن أبي عمرو: بإشمام الكسرِ وقفاً بَعْدُ ما لم تختلف في الوصل إسكاناً[3].

قال صاحب «اللوامح»: فهذا مِن التغييرات التي تَلحقُ الرَّوِيَّ في القوافي، وفي هذا الإشمام بيانُ أنَّ هذه التاء مِن علامة ترتيب الفِعْل للإناث، وليست ممَّا تَنقلبُ

(١) من قوله: قال ابن عباس... إلى هنا، زيادة من (يه).
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/٤٥٦، وتفسير القرطبي ٢٢/١٥٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/٢٤٩، وللزجاج ٥/٣٠٣.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/٤٥٦، والقراءات الشاذة ص١٧٠.

في الأسماء، فصار ذلك فارقاً بين الاسمِ والفعل فيمَن وَقَفَ على ما في الأسماء بالتاء، وذلك لغةُ طيِّئ، وقد حمل في المصاحف بعضُ التاءات على ذلك[(١)]. انتهى.

وقال أبو عبد الله ابنُ خالويه: «إذا السماءُ انشقَّتِ» بكسر التاء، عبيد عن أبي عمرو.

وقال ابنُ عطيَّة: وقرأ أبو عمرو: «انشقَّت» يقف على التاء، كأنَّه يُشِمُّها شيئاً مِن الجرِّ، وكذلك في أخواتها، قال أبو حاتم: سمعتُ أعرابيًّا فصيحاً في بلاد قَيس يَكسِرُ هذه التاءات، وهي لغة[(٢)]. انتهى.

وذلك أنَّ الفواصلَ قد تجري مجرى القوافي، فكما أنَّ هذه التاء تُكسَر في القوافي تُكسَر في الفواصل، ومثال كَسْرِها في القوافي قولُ كُثَيِّر عَزَّة:

وما أَنَا بالدَّاعي لِعَزَّةَ بالرَّدَى ولا شامت إنْ نَعْلُ عزَّة زلَّتِ[(٣)]

وكذلك باقي القصيدة، وإجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيعٌ معروفٌ، كقوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦] في سورة «الأحزاب»، وحَمْلُ الوصل على حالة الوقف أيضاً موجودٌ في الفواصل.

ومعنى «وأَذِنَت» أي: استمعت وسَمعت أَمْرَه ونهيَه، وفي الحديث: «ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ أَذَنَه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن»[(٤)]، وقال الشاعر:

صُمٌّ إذا سَمعوا خيراً ذُكِرْتُ به وإنْ ذُكِرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنوا[(٥)]

(١) القراءات الشاذة ص١٧٠، ومرَّت آنفاً.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٦.

(٣) ديوان كثير عزَّة ص٨٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢٣٣-٢٣٤، والحديث أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو عند أحمد (٧٦٧٠).

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨، والبيت لقعنب بن أمّ صاحب، كما في عيون الأخبار ٣/ ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٤، ومختارات ابن الشجري =

وقال قعنب بن أمّ صاحب:

إنْ يَـأْذَنُـوا رِيـبـةً طـارُوا بـهـا فـرحـاً ... ومـا هُـمُ أذنـوا مـن صـالـحٍ دَفَـنُـوا[١]

وقال الجحَّاف بنُ حكيم:

أَذِنْـتُ لـكـم لـمَّـا سَـمِـعـت هَـرِيـرَكـم[٢]

وإِذْنها انقيادُها لله تعالى حينَ أرادَ انشقاقها[٣]، فِعْلَ المطيع إذا وَرَدَ عليه أمرُ المُطاع أَنْصَتَ وانقادَ، كقوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

«وحُقَّت»: قال ابنُ عباس ومجاهد وابنُ جبير: وحُقَّ لها أنْ تسمع، وقال الضحاك: أطاعت وحقَّ لها أنْ تطيع. وقال قتادة: وحقَّ لها أن تفعل ذلك[٤].

وهذا الفعلُ مبنيٌّ للمفعول، والفاعل هو اللهُ تعالى، أي: وحقَّ اللهِ تعالى عليها الاستماع، ويقال: فلانٌ محقوقٌ بكذا، وحقيقٌ بكذا، والمعنى أنَّه لم يكن في جِرْمِ السماء ما يَمنع مِن تأثير القدرة في انشقاقه وتفريقِ أجزائه وإعدامه.

قيل: ويَحتمل أنْ يريد: وحقَّ لها أنْ تَنشقَّ؛ لشدَّة الهول وخوفِ اللهِ تعالى.

= ص٧، واللسان (أذن) و(شور)، وهو دون نسبة في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠٣.

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨، والبيت ورد في عيون الأخبار ٣/ ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، وللمرزوقي ٣/ ١٤٥٠، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٥، ومختارات ابن الشجري ص٧، واللسان (أذن) و(شور) مقروناً مع البيت الذي سبقه من قصيدة واحدة لكن برواية:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٤، ولم نقف على تمامه عند غيره، وكذا أورده السمين في الدر المصون ٩/ ٧٣٢، والجحَّاف شاعر معاصر لعبد الملك بن مروان، أهدر دمه، فهرب إلى الروم، توفي نحو سنة (٩٠هـ). طبقات فحول الشعراء ص٤١١-٤١٥، والأعلام للزركلي ٢/ ١١٣.

(٣) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٤/ ٢٣٤ ومخطوطه (الورقة ٣٩٨): والمعنى أنها فَعَلَت في انقيادها حين أراد انشقاقها... إلى آخر الكلام.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٤، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٣١-٢٣٢.

وقال الزمخشريُّ: وهي حقيقة بأَنْ تنقادَ ولا تَمتنِع، ومعناه الإيذان بأنَّ القادرَ الذاتِ يَجب أَنْ يتأتّى له كلُّ مقدور ويَحِقُّ ذلك[١]. انتهى.

وفي قوله: القادر الذات، دسيسةُ الاعتزال، وما أُولع هذا الرَّجُل بمذهب الاعتزال يَدسُّه متى أمكنه في كلِّ ما يتكلَّم به.

«وإذا الأرضُ مُدَّت»: قال مجاهد: سُوِّيت، وقال الضَّحَّاك: بُسِطَت باندِكاك جبالِها، ومنه الحديث: «تُمَدُّ الأرضُ مَدَّ الأديم العكاظي حتى لا يكونَ لبشرٍ مِن الناس إلَّا موضع قدمَيْه»[٢]، وذلك أنَّ الأديمَ إذا مُدَّ زالَ ما فيه مِن تَثَنٍّ وانبسطَ، فتصير الأرضُ إذ ذاك، كما قال تعالى: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦-١٠٧].

«وألقت ما فيها وتَخلَّت» قال ابنُ جبير والجمهور: «ألقت ما» في بطنها مِن الأموات «وتخلَّت» ممَّن على ظهرها مِن الأحياء، وقيل: «تَخلَّت» ممَّا على ظهرها مِن جبالها وبحارها[٣].

وقال الزجَّاج: ومِن الكنوز، وضعَّف هذا بأنَّ ذلك يكون وقتَ خروج الدَّجَّال، وإنَّما تُلقي يوم القيامة الموتى، «وتَخلَّت» أي: عمَّن كان فيها، لم تتمسَّك منهم بشيء[٤].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨-١٥٩، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٦، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٤-٢٣٥، والحديث أخرجه الطبريّ ١٣/ ٧٣٥-٧٣٦ من طريق إسماعيل بن رافع القاص، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسماعيل بن رافع ويزيد بن أبي زياد متروكان. ميزان الاعتدال ١/ ٢٢٧ و٤/ ٤٢٥.

وأخرجه أيضاً الحاكم في مستدركه ٤/ ٥٧٠ من حديث جابر ﷺ، قال ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٣٧٦: ورجاله ثقات إلا أنه اختلف على الزهري في صحابيه.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٦، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٣٠٣.

وجاء: «تَخلَّت» أي: تَكلَّفت أقصى جهدها في الخُلوّ، كما تقول: تَكرَّمَ الكريمُ: بَلَغَ جهدَه في الكَرَم، وتكلَّف فوقَ ما في طَبْعِه، ونسبة ذلك إلى الأرض نسبة مجازيَّة، واللهُ تعالى هو الذي أَخرج تلك الأشياء مِن باطنها.

وجواب «إذا» محذوف؛ فإمَّا أنْ نقدّره الذي صرَّح به في سورة «التكوير»(١) أو «الانفطار»(٢)، أو ما يدلُّ عليه «إنَّك كادحٌ» أي: لاقى كلُّ إنسانٍ كَدْحَه(٣).

وقال الأخفش والمبرِّد: هو «فملاقيه»، أي: إذا انشقَّت السماء فأنتَ ملاقيه(٤).

وقيل: «يا أيُّها الإنسانُ» على حذفِ الفاء، تقديره: فيا أيُّها الإنسان، وقيل: «وأذنت» على زيادة الواو(٥).

وعن الأخفش: «إذا السماءُ» مبتدأ، خبره: «وإذا الأرضُ» على زيادة الواو، والعامل فيها على قولِ الأكثرين الجواب؛ إمَّا المحذوف الذي قدَّروه، وإمَّا الظاهر الذي قيل إنَّه جواب.

قال ابنُ عطيَّة: وقال بعضُ النَّحاة: العامل «انشقَّت»، وأَبَى ذلك كثيرٌ مِن أئمَّتهم؛ لأنَّ «إذا» مضافةٌ إلى «انشقَّت»، ومَن يُجيز ذلك تَضعُف عنده الإضافة ويقوى معنى الجزاء(٦). انتهى.

وهذا القول نحن نختاره، وقد اسْتَدْلَلنا على صحَّته فيما كَتبناه، والتقدير: وقتُ انشقاقِ السماءِ وقتُ مَدِّ الأرضِ.

---

(١) يعني قوله تعلى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [الآية: ١٤].
(٢) يعني قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الآية: ٥].
(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠٣.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٠، وزاد المسير ٩/ ٦٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧ ونَقَل القولَ الثاني عن الفراء عن بعض النُّحاة، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٩-٢٥٠.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧.

وقيل: لا جوابَ لها، إذ هي قد نصبت بـ: اذكر، نصبَ المفعول به، فليست شرطاً[١].

«وأذِنَت لربِّها» أي: في إلقاء ما في بطنها وتخلِّيها، والإنسان يُراد به الجنس والتقسيم بَعْدَ ذلك يدلُّ عليه.

وقال مقاتل: المرادُ به الأسود بنُ عبد الأسد بنِ هلال المخزوميّ جَادَلَ أخاه أبا سَلَمة في أَمْرِ البعث، فقال أبو سلمة: والذي خَلَقك لتركبنَّ الطَّبَقةَ، ولتوافينَّ العَقَبة. فقال الأسود: فأينَ الأرضُ والسماءُ وما حالُ الناس؟! انتهى. وكان مقاتلاً يريد أنَّها نزلت في الأسود، وهي تعمُّ الجنسَ.

وقيل: المراد أُبَيُّ بنُ خَلَف، كان يَكدح في طلب الدنيا وإيذاء الرَّسولِ ﷺ والإصرار على الكفر[٢].

وأَبْعَدَ مَن ذهب إلى أنَّه الرَّسول ﷺ، والمعنى: إنَّكَ تَكدحُ في إبلاغ رسالاتِ الله تعالى وإرشادِ عباده، واحتمالِ الضُّرّ مِن الكفَّار، فأَبْشِر فإنَّك تَلْقى اللهَ بهذا العمل، وهو غيرُ ضائعٍ عنده[٣].

«إنَّكَ كادحٌ» أي: جاهِد في عملك مِن خيرٍ وشَرٍّ «إلى ربِّك» أي: طولَ حياتِكَ إلى لقاءِ ربِّك، وهو أَجَلُ موتِك، «فملاقيه» أي: مُلاقي كدحَكَ، أي: جزاءَه مِن ثوابٍ وعقاب.

قال ابنُ عطيَّة: فالفاء على هذا عاطفةٌ جملةَ الكلامِ على التي قَبْلها، والتقدير: فأنتَ مُلاقيه[٤]. ولا يتعيَّن ما قاله، بل يصحُّ أنْ يكون معطوفاً على «كادح» عَطْف المفردات.

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٠، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٨٥.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦١، وتفسير الرازي ٣١/ ١٠٥.
(٣) تفسير الرازي ٣١/ ١٠٥.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧.

وقال الجمهور: الضمير في «ملاقيه» عائدٌ على «ربِّك»، أي: فملاقي جزائه، فاسم الفاعل معطوفٌ على اسم الفاعل.

«حساباً يسيراً» قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: تقرّر ذنوبه ثم يتجاوزُ عنه، وقال الحسن: يُجازى بالحسنة ويتجاوز عن السيئة، وفي الحديث: «مَن حُوسِبَ عُذِّب» فقالت عائشة: أَلَم يقل اللهُ تعالى: «فسوف يحاسب حساباً يسيراً»؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «إنّما ذلك العَرْضُ، وأمَّا مَن نُوقِش الحسابَ فيهلك»[1].

«ويَنقلِبُ إلى أهله» أي: إلى مَن أعدَّ اللهُ له في الجنَّة مِن نساءِ المؤمنات ومِن الحُور العِيْن، وإلى عشيرته المؤمنين فيخبرهم بخَلَاصه وسلامته، أو إلى المؤمنين، إذ هم كلّهم أهل الإيمان.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «ويُقْلَب» مضارع: قَلَبَ، مبيَّنًا للمفعول[2].

«وَرَاءَ ظَهْرِه»: رُويَ أنَّ شماله تَدخُل مِن صدره حتى تخرجَ مِن وراء ظهرِه، فيَأخذ كتابَه بها[3].

قال ابنُ عطيَّة: وأَمَّا مَن ينفذ عليه الوعيدُ مِن عصاتهم ـ يعني عصاة المؤمنين ـ فإنَّه يُعطَى كتابه عند خروجه مِن النار، وقد جوَّز قومٌ أَنْ يُعطاهُ أوّلاً قَبْلَ دخوله النار، وهذه الآية تردُّ على هذا القول[4]. انتهى.

والظاهر مِن الآية أنَّ الإنسانَ انقسمَ إلى هذين القسمَيْن ولم يُتعرَّض للعصاة الذين يدخلهم اللهُ النارَ.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥-٢٣٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧، وقول عائشة الأوَّل ورد في حديث مرفوع، وهو عند أحمد (٢٤٢١٥)، والحاكم ١/ ٥٧ و٢٥٥، وأمَّا الحديث المرفوع فهو عند البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، وأحمد (٢٤٢٠٠).

(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٤٠٢.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧.

«يَدعُو ثبوراً» يقول: واثْبُوراه، والثُّبور: الهَلَاك، وهو جامعٌ لأنواع المكاره.

وقرأ قتادة وأبو جعفر وعيسى وطلحة والأعمش وعاصم وأبو عمرو وحمزة: «ويَصْلَى» بفتح الياء مبنيًّا للفاعل، وباقي السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء والحسن والأعرج بضمِّ الياء وفتح الصاد واللام مشدَّدة[١].

وأبو الأشهب وخارجة عن نافع وأبان عن عاصم وعيسى أيضاً والعتكي وجماعة عن أبي عمرو: بضمِّ الياء ساكن الصاد مخفَّف اللام[٢]، بُنِيَ للمفعول مِن المتعدِّي بالهمزة، كما بُني «ويُصَلَّى» المشدَّد للمفعول مِن المتعدِّي بالتضعيف.

«إنَّه كان في أهله» في الدُّنيا «مسروراً» أي: فَرِحاً بَطِراً مُترَفاً، لا يَعرف الله ولا يُفكِّر في عاقبةٍ، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] بخلاف المؤمن؛ فإنَّه حَزينٌ مُكتَئِب مفكِّر في الآخِرَة.

«إنَّه ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» أي: أنْ لَنْ يَرجع إلى الله، وهذا تكذيبٌ، قال عكرمة وداود بن هند: «يحور» كلمة بالحبشيَّة معناها: يرجع[٣] بالبَعْث.

«بلى» إيجابٌ بَعْدَ النَّفْي، أي: بلى لَيَحورنَّ، «إنَّ ربَّه كان به بصيراً» أي: لا تَخفى عليه أفعالُه، فلا بُدَّ مِن حَوره ومجازاته.

«فلا أُقْسِمُ بالشَّفَق» أَقسمَ تعالى بمخلوقاته؛ تشريفاً لها وتعريضاً للاعتبار بها، والشَّفَق تقدَّم شَرْحه، وقال أبو هريرة وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة: هو البياض الذي يَتلوه الحُمرة، وروى أسد بنُ عمرو أنَّ أبا حنيفة رَجَعَ عن قوله هذا إلى قول الجمهور[٤].

---

(١) أي: «ويُصَلَّى». المحرر الوجيز ٥/٤٥٧-٤٥٨، وتفسير القرطبي ٢٢/١٦٣، والثعلبي ٦/٤٠٩، والقراءة في السبعة ص٦٧٧، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/٣٩٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٥٨، وتفسير القرطبي ٢٢/١٦٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٠ عن أبان عن عاصم.

(٣) من قوله: قال عكرمة.. إلى هنا، زيادة من (يه)، ولم ترد في بقيَّة النُّسخ، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/١٦٤، والنكت والعيون ٦/٢٣٦، وتفسير الثعلبي ٦/٤١٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/١٦٦-١٦٧، والمحرر الوجيز ٥/٤٥٨، وينظر الكشاف ٤/٢٣٥.

وقال مجاهد والضحاك وابنُ أبي نجيح: الشَّفَق هنا النَّهار؛ كأنَّه لمَّا عطف عليه «الليل» قال ذلك، قال ابنُ عطيَّة: وهذا قولٌ ضعيف[١]. انتهى.

وعن مجاهد: هو الشمس، وعن عكرمة: ما بقيَ مِن النهار[٢].

«وما وَسَقَ» ما ضمّ مِن الحيوان وغيره، إذ جميعُ ذلك ينضمُّ ويَسْكُن في ظُلْمة الليل.

وقال ابنُ عباس: «وما وَسَقَ» أي ما غطَّى عليه مِن الظُّلْمة، وقال مجاهد: وما ضمَّ مِن خيرٍ وشَرٍّ، وقال ابنُ جبير: وما سَاق وحَمَلَ، وقال ابنُ بحر: وما عملَ فيه[٣]، ومنه قول الشاعر:

فيوماً تَرَانا صالحينَ وتَارَةً ... تقومُ بنا كالواسِقِ المُتَلَبِّبِ[٤]

وقال ابنُ الفضل: لفّ كلّ أحد إلى الله، أي: سَكَنَ الخَلْقُ إليه ورَجَعَ كلٌّ إلى مَأْوَاهُ، كقوله: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧].

وقرأ عمر وعبد الله وابنُ عباس ومجاهد والأسود وابنُ جبير ومسروق والشعبيُّ وأبو العالية وابنُ وثّاب وطلحة وعيسى والأَخَوان وابنُ كثير: بتاءِ الخطاب وفتحِ الباء[٥].

= وأسد بن عمرو هو أبو المنذر ـ وقيل: أبو عمرو ـ القاضي القشيري البجلي، سمع أبا حنيفة وتفقَّه عليه، توفي سنة (١٨٨هـ). الجواهر المضيّة ١/ ٣٧٦.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٨، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٣/ ٤٢٨، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ٢٤٤.

(٢) ينظر النكت والعيون ٦/ ٢٣٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٧-١٦٨، والبغوي ٤/ ٤٦٤.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧، وما بعده منه أيضاً، وفيه أنَّ قولَ ابن جبير هو عن عكرمة ـ وكذا أخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ٢٤٨ ـ وقولَ ابنِ بحر هو عن ابن جبير، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٩-١٧١، والثعلبي ٦/ ٤١٠-٤١١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٤٥-٢٤٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧١، واللسان (وسق)، والمتلبِّب: الذي تحزَّم بثوبه عند صدره. اللسان (لبب).

(٥) أي: «لَتَرْكَبَنَّ». المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧١، والثعلبي ٦/ ٤١١، =

فقيل: خطابٌ للرَّسول ﷺ، أي: حالاً بَعْدَ حالٍ مِن معالجة الكفار.

وقال ابنُ عبَّاس: سماءً بَعْدَ سماءٍ في الإسراء، وقيل: عِدَةٌ بالنَّصرِ، أي: لتركبنَّ أَمْرَ العرب قَبيلاً بَعْدَ قَبِيل، وفتحاً بَعْدَ فتحٍ، كما كان ووُجِدَ بَعْدَ ذلك[١].

وقال الزمخشريُّ: وقُرئَ: «لتركبنَّ» على خطاب الإنسان في «يا أيُّها الإنسان»[٢].

وقال ابنُ مسعود: المعنى: لتركبنَّ السماءُ في أهوال القيامة، حالاً بَعْدَ حالٍ، تكون كالمُهْل وكالدِّهان وتَنفطر وتنشقّ، فالتاء للتأنيث، وهو إخبارٌ عن السماء بما يَحدُث لها، والضمير الفاعل عائدٌ على السماء[٣].

وقرأ عمر وابنُ عباس أيضاً: بالياء مِن أسفل وفتح الباء على ذِكْر الغائب[٤]، قال ابنُ عباس: يعني نبيَّكم ﷺ، وقيل: الضمير الغائب يَعود على القَمَر، لأنَّه يتغيَّر أحوالاً؛ من إسرار واستهلال وإبدار.

وقال الزمخشريُّ: ليركبَنَّ الإنسانُ[٥].

وقرأ عمر وابنُ عباس أيضاً وأبو جعفر والحسن وابنُ جبير وقتادة والأعمش وباقي السَّبْعة: بتاءِ الخطاب وضمِّ الباء[٦]، أي: لتركبن أيُّها الناسُ.

= وتفسير الطبريّ ٢٤/ ٢٥٠-٢٥١، والقراءة في السبعة ص٦٧٧، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧١، وخبر ابن عباس عند البخاري (٤٩٤٠)، والطبري ٢٤/ ٢٥١.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٦.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٢، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) أي: «لَيَرْكَبَنَّ». المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، وقول ابن عباس الآتي منه، وزاد المسير ٩/ ٦٧، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٠ عن عمر رضي الله عنه.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٣٦.

(٦) أي: «لَتَرْكَبُنَّ». المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٢، وسلفت مصادر القراءة قريباً.

وقال الزمخشريُّ: و«لتركبُنَّ» بالضَّمِّ على خطاب الجنس؛ لأنَّ النداءَ للجنس[١]، فالمعنى: لتركبنّ الشدائدَ؛ الموت والبعث والحساب، حالاً بَعْدَ حالٍ، أو يكون الأحوال مِن النُّطْفَة إلى الهَرَم، كما تقول: طبقةً بَعْدَ طبقةٍ، قال نحوَه عكرمة[٢].

وقيل: «عن» تَجِيْءُ بمعنى «بعد»، وقيل: المعنى: لتركبنَّ هذه الأحوال أمَّة بَعْدَ أمَّة، ومنه قولُ العباسِ بنِ عبد المطلب في رسول الله ﷺ:

وأنتَ لـمَّا وُلِدْتَ أَشرقَتِ الأر ضُ وضاءَتْ بنورِك الأُفُقُ
تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقُ[٣]

وقال مكحول وأبو عبيدة: المعنى: لَتَرْكَبنَّ سَنَن مَن قَبْلَكم[٤]، وقال ابنُ زيد: المعنى: لتركبنُّ الآخِرَةَ بَعْدَ الأُولى[٥].

وقرأ عمر أيضاً: «لَيَركَبُنَّ» بياء الغيبة وضمِّ الباء[٦].

قيل: أرادَ به الكفار لا بيان توبيخهم بَعْدَه، أي: يركبون حالاً بَعْدَ أُخرى مِن المذلَّة والهَوَان في الدنيا والآخِرَة.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٦.
(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٣، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٨.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨-٤٥٩، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٥٧، واللسان (صلب) والبيتان وردا أيضاً ضمن خبرٍ أخرجه الطبرانيُّ في الكبير (٤١٦٧)، والحاكم ٣/ ٣٢٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٦٨.
قال الحاكم: هذا حديث تفرَّد به رواته الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون.
وقال ابن منظور في لسان العرب (صلب): أراد بالصالب الصُّلْب، وهو قليل الاستعمال.
وقال ابن قتيبة: العالَم: القرن من الناس، وكذلك الطبق من الناس.
وأورد البيت الثاني فقط القرطبيُّ في التفسير ٢٢/ ١٧٥.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٤، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٩٢، وقول ابنِ زيد الآتي عند الطبريِّ ٢٤/ ٢٥٤.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، وينظر زاد المسير ٩/ ٦٧، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٥٦.
(٦) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٤٠٨.

وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عبَّاس: «لتِرْكَبَنَّ» بكسر التاء[١]، وهي لغةُ تميم، قيل: والخطابُ للرَّسول ﷺ.

وقُرئَ: بالتاء وكسر الباء، على خطاب النَّفْس[٢].

وطبق الشيء مطابقةً؛ لأنَّ كلَّ حالٍ مُطبِقة للأخرى في الشِّدَّة، ويَجوز أَنْ تكون اسمَ جنسٍ، واحده: طَبَقَة، وهي المَرْتَبة، مِن قولهم: هم على طَبَقات.

و«عن طَبَق» في موضع الصفة لقوله: «طَبَقاً»، أو في موضع الحال مِن الضمير في «لتركبنَّ»، وعن مكحول: كلّ عشرين عاماً تجدونَ أَمْراً لم تكونوا عليه[٣].

«فما لهم لا يُؤمنون» تعجُّب مِن انتفاءِ إيمانهم وقد وَضَحَت الدلائلُ، «لا يَسجدون»: لا يَتواضعون ويَخضعون، قاله قتادة، وقال عكرمة: لا يُباشِرون بجباههم المُصلَّى، وقال محمد بنُ كعب: لا يُصَلُّون[٤].

وقرأ الجمهور: «يُكذِّبون» مشدَّداً، والضَّحَّاك وابنُ أبي عبلة: مخفَّفاً، وبفتح الياء[٥].

«بما يُوعُون» بما يَجمعون مِن الكفر والتكذيب، كأنَّهم يَجعلونه في أوعيةٍ، وَعَيْتُ العِلْمَ، وأَوعيتُ المتاعَ، قال نحوَه ابنُ زيدٍ، وقال ابنُ عبَّاس: بما تُضمِرون مِن عداوةِ الرَّسولِ ﷺ والمؤمنين، وقال مجاهد: بما يَكتمون مِن أفعالهم[٦].

---

(١) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٤٠٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٦، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٠، قال ابنُ خالويه: بالكسر فيهما. وقيَّدها السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٧٣٨ بفتح حرف المضارعة.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٤، والكشاف ٤/ ٢٣٦.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤١٢، وزاد المسير ٩/ ٦٨-٦٩، وتفسير البغوي ٤/ ٤٦٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، والقراءات الشاذة ص١٧٠.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٧، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٩، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٥٧-٢٥٨.

وقرأ أبو رجاء: «بما يعون» مِن: وَعَى يَعي[١].

«إلا الذين آمنوا» أي: سَبَقَ لهم في عِلْمه أنَّهم يُؤمنون.

«غيرُ ممنون» غيرُ مقطوع، وقال ابنُ عباس: «ممنون»: معدَّد عليهم مَحسُوب، مُنغَّصٌ بالمَنِّ[٢]. وتقدَّم الكلام على ذلك في «فُصِّلَت»[٣]، والله الموفِّق.

---

(١) لمن نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٤١٣، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢٣٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٨.

(٣) عند تفسير الآية (٨) منها.

مفردات سورة البروج

«الأُخْدُود»: الخَدُّ في الأرض، وهو الشَّقُّ، ونَحوُهما بناءً ومعنًى: الخَقُّ والأخقوق، ومنه: فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان[1].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ
﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾
إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾
وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٧، والخبر ورد في قصّة الرجل الذي وَقَصَتْه دابَّتُه وهو مُحرِم، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه وكفِّنوه، ولا تُخمِّروا رأسه...» كما ذكره أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٩٥، والزمخشريّ في الفائق ٤/ ٧٤، والمُطرِّزي في المُغرب (وقص)، وابنُ الأثير في النهاية (خقق) ولفظه عندهم: فوقصت به ناقته في أخاقيق جرذان.
وأصل خبر هذا الرجل المحرم عند مسلم (٩٤) ص٨٦٥ من حديث ابن عباس لكن دون ذكر هذه العبارة.

هذه السورة مكِّيَّة، ومناسبتها لِمَا قَبْلَها؛ أنَّه لمَّا ذَكَر أنَّه تعالى أعلم بما يَجمعون للرَّسول ﷺ وللمؤمنين مِن المَكْرِ والخِدَاع وإذاية مَن أَسْلَم بأنواعِ مِن الأذى، كالضَّرب والقَتْل والصَّلْب والحَرْق بالشمس وإحماء الصَّخْر ووضع أجسادِ مَن يُريدون أنْ يفتنُوه عليه = ذَكَر أنَّ هذه الشِّنْشِنة كانت فيمَن تقدَّم مِن الأُمم يُعذَّبون بالنَّار، وأنَّ أولئك الذين أُعرضوا على النّار كان لهم مِن الثبات في الإيمان ما مَنَعَهم أنْ يَرجعوا عن دينهم أو يُحرَقوا، وأنَّ أولئك الذين عذَّبوا عبادَ اللهِ ملعونونَ، فكذلك الذين عذّبوا المؤمنين مِن الكفَّار ملعونونَ، فهذه السورة عِظَةٌ لقريش، وتثبيتٌ لمَن يُعذَّب.

«ذات البروج» قال ابنُ عباس والجمهور: هي المنازل التي عَرَفتها العرب، وهي اثنا عَشَر على ما قَسمته، وهي التي تقَطعها الشمسُ في سَنَة والقَمَرُ في ثمانية وعشرين يوماً.

وقال عكرمة والحسن ومجاهد: هي القُصُور.

وقال الحسن ومجاهد أيضاً: هي النجوم.

وقيل: عِظَام الكواكب، سُمِّيت بروجاً؛ لظُهورها. وقيل: أبوابُ السماء[(١)]، وقد تقدَّم ذِكْر البروج في سورة «الحِجْر»[(٢)].

«واليوم الموعود» هو يوم القيامة، أي: الموعود به «وشاهِدٍ ومَشْهود» هذان مُنكَّران، وينبغي حَمْلهما على العموم؛ كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] وإن كان اللفظ لا يَقتضيه لكنَّ المعنى يقتضيه، إذ لا يُقسم بنَكِرةٍ لا يُدرى مَن هي، فإذا لُوحِظَ فيها معنى العموم اندرجَ فيها المعرفةُ فحسن القَسَم، وكذا ينبغي أنْ يحمل ما جاء مِن هذا النوع نكرةً، كقوله: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ٢]. ولأنَّه إذا حمل «وكتاب مَسْطُور» على العموم دَخَلَ فيه مغيَّبات الكتبُ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٠، والكشاف ٤/ ٢٣٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٦٠-٢٦١.

(٢) عند تفسير الآية (١٦) منها.

الإلهيَّة، كالتوراة والإنجيل والقرآن، فيحسن إذ ذاك القَسَم به.

ولمَّا ذكرَ «واليوم الموعود» وهو يوم القيامة باتِّفاق، وروي ذلك عن النبيِّ ﷺ(١) ناسَبَ أَنْ يكون المُقسَم به مَن يَشهد في ذلك اليوم ومَن يُشهَد عليه إن كان ذلك مِن الشهادة، وإنْ كان مِن الحضور فالشاهد الخلائق الحاضرونَ للحساب، والمشهود اليوم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣] كان موعوداً به، فصار مشهوداً.

وقد اختلفت أقوال المفسِّرين في تعيينهما فعن ابنِ عباس: الشاهدُ: اللهُ تعالى، وعنه وعن الحسن بنِ عليٍّ وعكرمة: الرَّسول ﷺ، وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بنِ يسار: آدَم عليه السلام وذرِّيَّته، وعن ابنِ عباس أيضاً والحسن: الشاهد يومُ عرفة ويومُ الجمعة، وفي كلِّ قول منها المشهود يوم القيامة.

وعن عليٍّ وابنِ عباس وأبي هريرة والحسن وابنِ المسيِّب وقتادة: «وشاهد» يوم الجمعة، وعن ابنِ المسيِّب: يوم التروية، وعن عليٍّ أيضاً: يوم القيامة، وعن النخعيِّ: يوم الأضحى، «ومشهود» في هذه الأقوال يومُ عرفة.

وعن ابنِ عمر: يوم الجمعة، «ومشهود»: يوم النحر، وعن جابر: يوم الجمعة، «ومشهود» الناس. وعن محمد بنِ كعب: ابنُ آدم، «ومشهود» اللهُ تعالى، وعن ابنِ جبير عكسُ هذا.

وعن أبي مالك: عيسى، «ومشهود» أمَّته، وعن عليٍّ: يوم عرفة، «ومشهود» يوم النحر.

وعن الترمذيِّ: الحَفَظة، «ومشهود» عليهم الناس، وعن عبد العزيز بنِ يحيى:

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وقال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عُبيدة، وموسى بن عُبيدة يُضعَّف في الحديث... وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه. انتهى. والرواية الموقوفة على أبي هريرة عند أحمد (٧٩٧٣).

محمَّد ﷺ، «ومشهود» عليه أمّته، وعنه: الأنبياء، «ومشهود» أُممهم، وعن الحسن بن الفضل: محمد عليه الصلاة والسلام، «ومشهود» قوم نوحٍ وسائر الأمم، وعن ابنِ جبير ومقاتل: الجوارح يومَ القيامة، «ومشهود» أصحابها.

وقيل: هما يوم الاثنين ويوم الجمعة، وقيل: الملائكة المُتعاقِبون، وقرآن الفَجْر، وقيل: النجم، والليل، والنهار. وقيل: الله والملائكة وأُولو العلم، «ومشهود به» الوحدانيَّة، و﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقيل: مخلوقاته تعالى، «ومشهود به» وحدانيَّته.

وقيل: هما الحَجَر الأسود والحَجِيج، وقيل: الليالي، والأيام، وبنو آدم، وقيل: الأنبياء ومحمَّد ﷺ.

وهذه أقوالٌ سبعةٌ وعشرون[١]، ولكلٍّ منها مُتمسَّك، وللصوفيَّة أقوالٌ غير هذه، والظاهر ما قلناه أوَّلاً.

وجواب القَسَم قيل: محذوف، فقيل: لَتُبْعَثُنَّ، ونحوه، وقال الزمخشريُّ: يدلُّ عليه «قُتلَ أصحابُ الأُخدود»، كأنَّه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنَّهم ملعونون ـ يعني كفار مكَّة ـ كما لُعنَ أصحابُ الأخدود[٢].

وقيل: الجوابُ مذكور؛ فقيل: «إنَّ الذين فتنوا»[٣]. وقال المُبرِّد: «إنَّ بَطْشَ ربِّك لشديد»[٤]، وقيل: «قُتلَ» وهذا نختاره[٥]، وحُذفت اللام أي: لقتل، وحسنَ

(١) تنظر هذه الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٠-٤٦١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٠-١٨٣، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤١٥-٤١٨ وأغلب الآثار والأقوال عنده بإسناده إلى أصحابها، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٠-٢٤١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٦٦-٤٦٧، وزاد المسير ٩/ ٧٠-٧٣، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٦٢-٢٧٠، وثمَّة تتمَّة تخريج هذه الآثار.

(٢) من قوله: كأنه قيل أقسم. . . إلى هنا، زيادة من (يه) والكشاف ٤/ ٢٣٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٤.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٩٥، وكلام المبرِّد في كتابه المقتضب ٢/ ٣٣٧.

(٥) وهو ما اختاره الفراء أيضاً، ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٣، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٣، وللأخفش ٢/ ٧٣٦.

حذفها كما حسنَ في قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]. ثم قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] أي: لقد أفلح مَن زكَّاها، ويكون الجوابُ دليلاً على لعنةِ مَن فَعَلَ ذلك وطَرْدِه مِن رحمةِ الله، وتنبيهاً لكفَّار قريش الذين يُؤْذُون المؤمنين لِيَفتنوهم عن دينهم، على أنَّهم ملعونونَ بجامع ما اشتركا فيه مِن تعذيبِ المؤمنين.

وإذا كان «قُتِلَ» جواباً للقَسَم، فهي جملة خبريَّة، وقيل: دعاء، فيكون الجوابُ غيرَها.

وقرأ الحسن وابن مقسم: بالتشديد[(١)]، والجمهور: بالتخفيف.

وذَكَر المفسِّرون في أصحاب الأُخدود أقوالاً فوق العَشَرة، ولكلِّ قولٍ منها قصَّةٌ طويلة، كَسِلْنا عن كتابتها في كتابنا هذا[(٢)].

ومضمَّنها أنَّ ناساً مِن الكفَّار خَدُّوا أُخدوداً في الأرض، وسَجَروه ناراً، وعَرَضوا المؤمنينَ عليها، فمَن رَجَعَ عن دينه تَرَكُوه، ومَن أَصَرَّ على الإيمان أَحرقوه، و«أصحاب الأُخدود» هم المُحْرِقون للمؤمنين.

وقال الربيع وأبو العالية وابنُ إسحاق: بَعَثَ اللهُ على المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحَهم، أو نحو هذا، وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذينَ كانوا على حافَّتي الأخدود[(٣)]، فعلى هذا يكون القَتْلُ حقيقةً لا بمعنى اللَّعْن، ويكون خبراً عمَّا فَعَلَه اللهُ بالكفار الذين أرادوا أنْ يَفتنوا المؤمنين عن دينهم، وقولُ هؤلاء مخالفٌ لقول الجمهور ولِمَا دلَّ عليه القصص الذي ذَكَروه.

وقرأ الجمهور: «النَّار» بالجرِّ، وهو بَدَل اشتمال، أو بَدَل كلٍّ مِن كلّ، على تقدير محذوف، أي: أُخدودِ النَّار، وقرأ قومٌ: «النَّارُ» بالرَّفْع[(٤)]، قيل: على معنى:

---

(١) أي: «قُتِّلَ». ينظر الكشاف ٤/ ٢٣٩، والقراءات الشاذة ص١٧١.

(٢) تنظر المصادر السالفة قريباً في تحديد اليوم الموعود.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٩٣، وقول الربيع عند الطبريّ ٢٤/ ٢٧٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، ونُسبت القراءة في تفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٤ لأشهب العقيلي =

قتلتهم، ويكون «أصحاب الأخدود» إذ ذاك المؤمنين، و«قُتِلَ» على حقيقته.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة وعيسى: «الوُقُود» بضمِّ الواو[1]، وهو مصدر، والجمهور: بفتحها، وهو ما يُوقَد به، وقد حكى سيبويه أنَّه بالفتح أيضاً مصدرٌ كالضَّمِّ[2].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «إذ هم» عائدٌ على الذين يُحرِّقون المؤمنين، وكذلك في «وهم»، وعلى قولِ الربيع يَعود على الكافرين، ويكون «هم» عائداً أيضاً عليهم، ويكون معنى «على ما يفعلون» ما يُريدون مِن فِعْلهم بالمؤمنين.

وقيل: «أصحاب الأخدود» مُحرِّق وآلُهُ الذي حرقَ مِن بني تميم المئة[3]، وتمَّ الكلامُ عند قوله: «ذات الوقود»، ويكون المراد بقوله: «وهم» قريش الذين كانوا يَفتنون المؤمنين والمؤمنات.

و«إذ» العاملُ فيه «قُتلَ» أي: لُعنوا إذ قعدوا على النار، أو على ما يَدنُو منها مِن حافَّات الأخدود، كما قال الأعشى:

تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يَصْطَلِيانِها وباتَ على النار النَّدَى والمحلَّقُ[4]

«شُهُود» يَشهدُ بعضُهم لبعضٍ عند المَلِك أنَّه لم يُفرِّط فيما أمرَ به، أو «شهود»

= وأبي السَّمَّال العدوي وابنِ السميفع، وفي إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٢ لأبي عبد الرحمن السلمي.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٤، والقراءات الشاذة ص١٧١.

(٢) ينظر الكتاب ٤/ ٤٢، باب ما جاء من المصادر على فعول.

(٣) قوله: وآله الذي حرق من بني تميم المئة. زيادة من (ع) و(يه)، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢. قال ابن دريد في جمهرة اللغة (حرق): ومُحرِّق: لَقَب ملك من ملوك العرب كان حرَّق قوماً فسمِّي: مُحرِّقاً، وهما مُحرِّقان؛ مُحرِّق الأكبر امرؤ القيس اللخمي، ومُحرِّق الثاني عمرو بن هند مضرِّط الحجارة الذي أحرق بني تميم يوم أُوارة. انتهى، وينظر أيضاً المعارف للدينوري ص٦٤٨ ترجمة عمرو بن هند.

(٤) ديوان الأعشى ص٢٧٥، والبيت من قصيدة في مدح المحلَّق بن حنتم بن شداد، قال شارح الديوان: أي: بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويسمُران، وهما الكرم والمحلَّق.

يومَ القيامة على ما فعلوا بالمؤمنين، يوم تشهد عليهم جوارحُهم بأعمالهم.

وقرأ الجمهور: «نَقَموا» بفتح القاف، وزيد بنُ عليٍّ وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة: بكسرها[١]، أي: ما عابُوا ولا أنكروا إلَّا الإيمان، كقوله: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] وكقول ابن الرُّقَيَّات:

ما نَقَموا مِن بني أُمَيَّة إلَّا أنَّهم يَحلُمونَ إن غَضِبُوا[٢]

جعلوا ما هو في غاية الحُسْنِ قبيحاً حتى نقموا عليه، كما قال الشاعر:

ولا عَيْبَ فيها غيرَ شُكْلَةِ عَيْنها كذاكَ عِتاقُ الطَّيرِ شُكْلاً عيونُها[٣]

وفي «المنتخب»: إنَّما قال: «إلَّا أنْ يؤمنوا» لأنَّ التعذيبَ إنَّما كان واقعاً على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا في المستقبل لم يُعذَّبوا على ما مضى، فكأنَّه قال: إلَّا أنْ يَدوموا على إيمانِهم. انتهى.

وذكر الأوصاف التي يستحقُّ بها تعالى أنْ يُؤمَن به، وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يُخشَى عقابُه حميداً مُنعِماً يَجبُ له الحمدُ على نعمته، له مُلْكُ السماوات والأرض، وكلُّ مَن فيهما يحقُّ عليه عبادته والخشوع له تقريراً؛ لأنَّ ما نقموا منهم هو الحقّ الذي لا ينقمه إلَّا مُبطِل مُنهمِكٌ في الغيّ، «واللهُ على كلِّ شيء شهيدٌ» وعيدٌ لهم، أي: إنَّه عَلِمَ ما فَعلوا فهو مُجازيهم[٤].

والظاهر أنَّ الذين فتنوا عامٌّ في كلِّ مَن ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيبٍ أو أذًى، وأنَّ لهم عذابين؛ عذاباً لكفرهم، وعذاباً لفِتنتهم.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٩٤، والقراءات الشاذة ص١٧١.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٩، والبيت في ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ص٤، وسلف في سورة التوبة، عند تفسير الآية (٧٤) منها.

(٣) البيت في كتاب الحيوان للجاحظ ٥/ ٣٣٠، والزاهر ١/ ٣٩٤، و٢/ ١٢٣، واللسان (شكل)، دون نسبة، ونُسبَ لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ملحق ديوانه، والشُّكْلَة: حُمرة تكون في بياض العين، فإذا كانت في سواد العين فهي شُهْلَة. وورد البيت عند بعضهم كثمار القلوب للثعالبي ص٤٤٦: زرقة، بدل: شُكْلة، و: زُرقاً، بدل: شُكْلاً.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣١/ ١١٠.

وقال الزمخشريُّ: يجوز أنْ يريد بالذين فتنوا أصحابَ الأخدود خاصَّة، وبالذين آمنوا المَطروحينَ في الأخدود، ومعنى: فتنوهم: عذَّبوهم بالنَّار وأحرقوهم «فلهم» في الآخِرَة «عذابُ جهنَّم» بكفرهم «ولهم عذابُ الحريق» وهي نارٌ أُخرى عظيمة تتَّسع كما يتَّسع الحريق، أو: لهم عذابُ جهنَّم في الآخِرَة، ولهم عذابُ الحريق في الدنيا، لِمَا رُويَ أنَّ النارَ انقلبَت عليهم فأحرقتهم[١]. انتهى.

وينبغي أنْ لا يَجوز هذا الذي جَوَّزه؛ لأنَّ في الآية «ثم لم يَتوبوا» وأولئك المُحرِّقون لم يُنقَل لنا أنَّ أحداً منهم تابَ، بل الظاهر أنَّهم لم يُلعَنوا إلَّا وهم قد وافوا على الكفر.

وقال ابنُ عطيَّة: «ثم لم يَتوبوا» يُقوِّي أنَّ الآياتِ في قريش، لأنَّ هذا اللفظَ في قريش أحْكَم منه في أولئك الذين قد علموا أنَّهم ماتوا على كفرهم، وأمَّا قريش فكان فيهم وقت نزولِ الآية مَن تاب وآمَنَ[٢]. انتهى.

وكذلك قوله: «إنَّ الذين آمَنُوا» المراد به العمومُ لا المطروحون في النَّار.

والبَطْشُ: الأَخْذُ بقوَّة. «يُبدِئ ويُعيد» قال ابنُ زيد والضحاك: «يبدئ» الخَلْق بالإنشاء، ويُعيده بالحَشْر، وقال ابنُ عبس: عامٌّ في جميع الأشياء، أي: كلّ ما يُبْدَأ، وكلّ ما يُعاد[٣].

وقال الطبريُّ: «يُبدِئُ» العذاب، ويُعيده على الكفار[٤]، ونحوه عن ابنِ عباس، قال: تأكلهم النارُ حتى يَصيروا فحماً ثم يُعيدهم خَلْقاً جديداً[٥].

وقرئ: «يَبْدَأ» مِن: بَدَأ، ثلاثيًا، حكاه أبو زيد[٦].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٩٦، وقول الطبريّ في تفسيره ٢٤/ ٢٨٣.

(٥) تفسير الرازي ٣١/ ١١٢.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٤٠، والقراءات الشاذة ص١٧١.

ولمَّا ذَكَر شِدَّةَ بطشِه ذَكَر كونه غفوراً ساتراً لذنوب عباده، وَدُوداً لطيفاً بهم مُحسناً إليهم، وهاتان صفتا فِعْل، والظاهر أنَّ «الودود» مبالغة في الوادِّ، وعن ابنِ عباسٍ: المتودِّد إلى عبادِه بالمغفرة[1].

وحكى المُبرِّد عن القاضي إسماعيل بن إسحاق أنَّ الودودَ هو الذي لا وَلَدَ له، وأنشد:

وأرْكَبُ في الرَّوعِ عُرْيانةً ذَلولَ الجِماحِ لِقاحاً وَدُودا

أي: لا وَلَد لها تَحنُّ إليه[2].

وقيل: «الوَدود» فَعُول بمعنى مفعول، كرَكُوب وحَلُوب، أي: يودّه عبادُه الصالحون.

«ذو العرش» خصَّصَ العرشَ بإضافة نفسِه؛ تشريفاً للعَرْش وتنبيهاً على أنَّه أعظمُ المخلوقات.

وقرأ الجمهور: «ذو» بالواو، وابنُ عامر في رواية: «ذي» بالياء[3]، صفة «لربِّك».

وقال القَفَّال: «ذو العرش» ذو المُلْك والسُّلْطان، ويجوز أَنْ يُراد بالعرش السرير العالي، ويكون خَلَقَ سريراً في سمائه في غاية العَظَمة بحيث لا يَعرف عظمته إلَّا هو ومَن يُطلِعه عليه. انتهى.

(١) تفسير القرطبي ٢٢/١٩٦، والثعلبي ٦/٤٢٥، وأورده أيضاً الرازي ٣١/١٢٣ لكن عن الكلبي.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/١٩٦، وينظر النكت والعيون ٦/٢٤٣، وذكر الرازيُّ في تفسيره ٣١/ ١٢٤، وابن منظور في اللسان (ورد) البيتَ برواية:

وأعددتُ للحرب خيفانةً جَمُومَ الجِراء وَقَاحاً ودودا

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤٠، والقراءات الشاذة ص١٧١، والقراءة المشهورة عن ابنِ عامر كقراءة الجمهور.

وقرأ الحسن وعمرو بنُ عبيد وابنُ وثّاب والأعمش والمفضَّل عن عاصم والأَخَوان: «المجيد» بخفضِ الدَّالِ[١]، صفةً للعرش، ومجادتُه عِظَمه وعُلُوّه ومقدارُه وحُسْن صورته وتركيبه، فإنَّه قيل: العرش أحسنُ الأجسام صورةً وتركيباً.

ومَن قرأ «ذي العرش» بالياء، جاز أَنْ يكون «المجيد» بالخفضِ صفة لـ «ذي»، والأحسن جَعْل هذه المرفوعات أخباراً عن «هو»، فيكون «فَعَّال» خبراً، ويجوز أن يكون «الودود ذو العرش» صفتين للغفور، و«فعَّال» خبر مبتدأ، وأتى بصيغة «فعَّال»؛ لأنَّ ما يريد ويفعل في غاية الكَثْرة، والمعنى أنَّ كلَّ ما تعلَّقت به إرادتُه فَعَلَه لا معترضَ عليه.

«هل أتاكَ حديثُ الجنود» تقرير لحالِ الكفرة، أي: قد أتاكَ حديثُهم وما جَرَى لهم مع أنبيائِهم، وما حلَّ بهم مِن العقوبات بسبب تكذيبهم، فكذلك يحلُّ بقريش مِن العذاب مِثْلُ ما حلَّ بهم.

و«الجنود» الجمُوع المعدَّة للقتال، «فرعون وثمود» بَدَل مِن «الجنود» كأنَّه على حذف مضاف، أي: جنود فرعون، واختصر ما جَرَى لهم إذ هو مذكورٌ في غيرِ ما سورةٍ مِن القرآن، وذكر «ثمود»، لشُهْرَة قصَّتهم في بلاد العرب، وهي متقدِّمة، وذكر «فرعون»، لشُهْرة قصَّته عند أهلِ الكتاب وعند العرب الجاهلية أيضاً، ألا ترى إلى زهير بن أبي سُلْمى وقوله:

أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ أهلكَ تُبَّعا ... وأهلكَ لُقمانَ بنَ عادٍ وعَادِيا

وأَهْلكَ ذا القَرْنينِ مِن قَبْلِ ما تَرَى ... وفرعونَ جَبَّاراً طَغَى والنَّجاشِيا[٢]

وكان فرعون مِن المتأخِّرين في الهلاك، فدلَّ بقصَّته وقصَّة ثمود على أمثالهما مِن قصص الأُمَم المكذِّبين وهلاكهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٩٧، والقراءة في السبعة ص٦٧٨، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٢) شرح ديوان زهير ص٢٨٨.

«بل الذين كفروا» أي: مِن قومِك «في تكذيب» حَسداً لك، لم يَعتبروا بما جرى لمَن قَبْلَهم حين كذَّبوا أنبياءهم.

«واللهُ مِن ورائهم محيط» أي: هو قادرٌ على أنْ يُنزل بهم ما أنزل بفرعون وثمود ومَن كان محاطاً به، فهو محصورٌ في غاية لا يستطيع دَفْعاً، والمعنى دُنُوُّ هلاكهم.

ولمَّا ذكرَ أنَّهم «في تكذيب» وأن التكذيبَ عمَّهم حتى صارَ كالوِعاء لهم، وكان ﷺ قد كذَّبوه، وكذَّبوا ما جاءَ به وهو القرآن أخبر تعالى عن الذي جاء به فكذَّبوا، فقال: «بل هو قرآن» أي: بل الذي كذَّبوا به «قرآنٌ مجيدٌ» ومجادتُه شَرَفُه على سائرِ الكتب بإعجازه في نَظْمه وصحَّة معانيه وإخباره بالمغيَّبات وغير ذلك مِن محاسنه.

وقرأ الجمهور: «قرآنٌ مَجيدٌ» موصوف وصفة، وقرأ ابنُ السَّميفع: «قرآنُ مجيدٍ» بالإضافة[١]، قال ابنُ خالويه: سمعت ابنَ الأنباريّ يقول: معناه: بل هو قرآنُ ربٍّ مجيدٍ، كما قال الشاعر:

ولكنَّ الغِنَى ربٌّ غفورٌ

معناه: ولكنَّ الغِنَى غِنَى رَبٍّ غفور[٢]. انتهى. وعلى هذا خرَّجه الزمخشريُّ[٣].

وقال ابنُ عطية: وقرأ اليمانيُّ: «قرآنُ مجيدٍ» على الإضافة، وأنْ يكون اللهُ تعالى هو المجيد[٤]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٠، والقراءات الشاذة ص١٧١.

(٢) القراءات الشاذة ص١٧١، ووقع عنده عجزُ البيت هكذا: ولكنَّ الغنيّ غِنى غفور. وهو خطأ، فالبيت لعروة بن الورد كما في عيون الأخبار ١/ ٢٤٢، والعقد ٣٠/ ٢٩، والبيان والتبيين ١/ ٢٣٤، والإمتاع والمؤانسة ١/ ٦١، وروايته عند الأخيرين هكذا:

قليلٌ ذنبُه والذنبُ جَمٌّ ... ولكنَّ الغِنَى ربٌّ غفورٌ

وجاء عجزه عند الأولَين هكذا:

ولكنْ للغني ربٌّ غفورٌ

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣.

ويجوز أَنْ يكون مِن باب إضافة الموصوف لصفته، فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورَفْع «مجيد» واحداً، وهذا أَولى؛ لتوافق القراءتين.

وقرأ الجمهور: «في لَوح» بفتح اللام «محفوظٍ» بالخفض صفة لـ «لوح»، واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الأشياء.

وقرأ ابنُ يَعْمَر وابنُ السَّميفع: بضمّ اللام، قال ابنُ خالويه: اللُّوح الهواء[١].

وقال الزمخشريُّ: يعني اللوحَ فوقَ السماء السابعة الذي فيه اللّوح «محفوظ» مِن وصولِ الشياطين إليه[٢]. انتهى.

وقرأ الأعرج وزيد بن عليّ وابن محيصن ونافع بخلاف عنه: «مَحفوظٌ» بالرَّفع صفة لـ «قرآن»[٣] كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أي: هو محفوظٌ في القلوب لا يَلحقه خطأٌ ولا تبديل.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧١ عن اليماني، وينظر الكشاف ٤/ ٢٤٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٤٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٠، وقرأ بها أيضاً أبو جعفر، والقراءة في السبعة ص٦٧٨، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

مفردات سورة الطارق

طَرَقَ يَطْرُقُ طُرُوقاً: أَتَى ليلاً، قال امرؤ القيس:

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعاً[1]

وأصله: الضَّرْب؛ لأنَّ الطارقَ يَطرق البابَ، ومنه: المِطْرَقَة وهي المِيْقَعة، واتَّسع فيه، فكلُّ ما جاء بليلٍ يُسمَّى طارقاً، ويقال: أَطرق فلانٌ: أمسكَ عن الكلام، وأَطرق بعينيه: رَمَى بهما نحوَ الأرض.

دَفَقَ الماءَ يَدْفُقُهُ دَفقاً: صَبَّه[2]، و«ماءٌ دافق» على النَّسَب، ويقال: دَفَقَ اللهُ روحَه: إذا دَعَا عليه بالموت.

التريبة: موضع القِلادة مِن الصَّدر، قال امرؤ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ تَرائبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[3]

---

(1) تفسير القرطبي ٢٢/٢٠٢، وصدر البيت في ديوان امرئ القيس ص١٢، وعجزه:

فألهيتها عن ذي تَمائمَ مُغْيِلِ

قال الشارح: مَن نصب مثلك، فعلى قوله: طرقت، ومن خَفَضه فعلى معنى: رُبَّ. والمغيل: المرضَع وأمّه حبلى، أو المرضَع وأمُّه تُجامَع.

(2) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/٢٠٦، والصحاح (دفق)، قال الأزهري في تهذيب اللغة ٩/٣٩: وقال الليث: يقال: دَفَق الماء دفوقاً ودفقاً: إذا انصبَّ، قلت: ولم أسمع دفقت الماء فدَفَق، لغير الليث. وينظر العين للخليل ٥/١٢٠.

(3) تفسير القرطبي ٢٢/٢٠٧، والبيت في ديوان امرئ القيس ص١٥، قال النحاس في شرح المعلقات ١/٢٣: المهفهفة: الحسنة الخَلْق، ولا تكون مهفهفةً حتى تكون مع حُسن خَلْقها ضامرةَ الخاصرة، والمفاضة: المسترخية البطن، والسجنجل: المرآة، وقيل: الغضَّة.

جَمَعها بما حولَها فقال: ترائبها، وقال الشاعر:

والــزَّعْــفَــرانُ عــلــى تَــرَائــبــهــا شَــرِقــت بــه الــلَّــبَّــاتُ والــنــحــرُ[1]

وقال أبو عبيدة: وجَمْع تَرِيْبَة: تَرِيبٌ، قال المُثقِّب العَبْدِي:

ومِــن ذَهَــبٍ يَــبِــيــنُ عــلــى تَــرِيــبٍ كــلــونِ الــعــاجِ لــيس بــذي غُــضُــونِ[2]

الهَزْل: ضِدُّ الجِدّ، وقال الكُمَيْت:

يَــجِــدُّ بــنــا فــي كــلِّ يــوم ويــهْــزِلُ[3]

أَمهلتُ الرَّجُلَ: أَنْظَرْتُه، والمَهَلُ والمُهْلَة: السكينة، ومَهَّلْته أيضاً تمهيلاً وتمهَّل في أمره: اتَّأَد، واسْتَمْهلته: انتظرته، ويقال: مَهْلاً، أي: رِفْقاً وسُكُوناً[4].

«رُوَيْداً» مصدر: أَرْوَدَ يُرْوِد، مصغّر تصغير الترخيم، إذ أصله: إرواد، وقيل: هو تصغير: رُوْد، مِن قوله:

يَــكــادُ لا يَــلــثــمُ الــبــطــحــاءَ وَطْــأَتُــهُ كــأنَّــه ثَــمِــلٌ يَــمــشــي عــلــى رَوَدِ[5]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/٢٠٨، والبيت للمخبل كما في اللسان (شرق)، وهو دون نسبةٍ في معاني القرآن للفراء ٣/١٤٦، وتفسير الطبري ٢٢/٥٤٦ و٢٤/٢٩، وإعراب القرآن للنحاس ٤/٤٠١، ووقع في المصادر: شرقاً، وعند القرطبي: شَرِق، بدل: شرقت.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٩، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٣ ٥، والبيت في المفضليات ص٢٨٩، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٥، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٤/ ١٦.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٦، والبيت في هاشميات الكميت ص١٤٨، وصدره: أرنا على حبِّ الحياة وطولها. قال ابن زيد الأسدي الشارح: يقول: نحبُّ أن تطول حياتنا، ونحن كلَّ يومٍ نقرب إلى آجالنا.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٧، وينظر تهذيب اللغة ٦/ ٣٢١.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٧-٢١٨، وينظر الصحاح (رود) مقتصرَين على عجز البيت، والبيت كاملاً في حروف المعاني للزجاجي (رويدا) دون نسبة، وأورده ابنُ منظور في اللسان (رود) هكذا:

تــكــاد لا تــلــثــم الــبــطــحــاء وطــأتُــهــا كــأنَّــهــا ثَــمِــلٌ يــمــشــي عــلــى رُود

=

أي: مَهَلٍ، ويُستعمل مصدراً نحو: رُوَيْدَ عَمْرٍو بالإضافة، أي: إمهال عمرو، كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] ونَعْتاً لمصدرٍ نحو: سَاروا سَيْراً رُوَيداً، وحالاً: نحو سارَ القومُ رُويداً، ويكون اسمَ فِعْلٍ، وهذا كلّه موضَّح في عِلْم النَّحْو.

* * *

سورة الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ② ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ③ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ
④ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ⑦ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ⑨ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ⑪ وَٱلْأَرْضِ
ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯
فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ⑰﴾.

هذه السورة مكّيَّة، ولمَّا ذكرَ فيما قَبْلَها تكذيبَ الكفَّار للقرآن، نَبَّهَ هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد منه إلى أنَّ هذا القرآن قولٌ فَصْلٌ جِدٌّ لا هَزْلَ فيه، ولا باطِل يأتيه، ثم أَمَرَ نبيَّه بإمهال أولئك الكَفَرة المكذِّبين، وهي آيةُ موادعةٍ منسوخةٌ بآية السيف.

«والسماء» هي المعروفة، قاله الجمهور، وقيل: السماء هنا المَطَر، «والطارق»: هو الآتي ليلاً، أي: يَظهر بالليل، وقيل: لأنَّه يَطرُق الجِنِّيَّ، أي: يَصكُّه، مِن: طرقتُ البابَ: إذا ضربتَه ليُفتحَ لَكَ.

= ونسبه للجموح الظَّفَري، وأورده أيضاً ابنُ قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص٤٢٣ برواية:
كأنها مثلُ من يمشي على رُودِ.
وأورده أيضاً الزمخشري في أساس البلاغة (رويد) وعزاه للهذلي، والرازي في التفسير ٣١/ ولم ينسبه.

أتى بالطارق مُقسَماً به وهي صفة مشتركة بين النَّجم الثاقِب وغيرِه، ثم فسَّره بقوله: «النجمُ الثاقب» إظهاراً لفخامة ما أَقسم به، لِمَا علمَ فيه مِن عجيب القُدْرة ولطيفِ الحكمة وتنبيهاً على ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

وقال ابنُ عطيَّة: معنى الآية: «والسماء» وجَميع ما يَطرق فيه مِن الأمور والمخلوقات، ثم ذكرَ بَعْدَ ذلك على جهة التَّنبيه أَجَلَّ الطارقاتِ قَدْراً وهو «النجمُ الثاقِب»، وكأنَّه قال: «وما أدراكَ ما الطَّارق» حقُّ الطارق[١]. انتهى.

فعلى هذا يكون «النجمُ الثاقب» بعضاً ممَّا دلَّ عليه «والطارق»، إذ هو اسمُ جنسٍ يُراد به جميع الطوارق، وعلى قولِ غيره يُراد به واحدٌ مُفسَّر بالنجم الثاقب.

و«النجم الثاقب» عند ابنِ عباس: الجدي، وعند ابنِ زيد: زُحَل، وقال هو أيضاً وغيره: الثريا، وهو الذي تطلق عليه العربُ اسمَ النجم، وقال عليّ: نجمٌ في السماء السابعة لا يَسكنها غيرُه مِن النجوم، فإذا أَخذتِ النجومُ أَمكنتها مِن السماء هَبَطَ فكان معها، ثم رَجَعَ إلى مكانه مِن السماء السابعة، فهو طارقٌ حين ينزل، وطارقٌ حين يصعد[٢].

وقال الحسن: هو اسمُ جنس؛ لأنَّها كلّها ثواقب، أي: ظاهرة الضوء[٣].

وقيل: المراد جنسُ النجوم التي يُرمَى بها ويُرجَم.

و«الثاقب»: قيل: المُضِيْء، يقال: ثَقَبَ يَثْقُبُ ثُقُوباً وثَقَابة: أضاءَ، أي: يَثقبُ الظلامَ بضوئه، وقيل: المرتفع العالي، ولذلك قيل: هو زُحَل؛ لأنَّه أَرْفعها مكاناً.

وقال الفرَّاء: ثَقَبَ الطائرُ: ارتفعَ وعلا[٤].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠١، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤-٤٦٥، وزاد المسير ٩/ ٨١، وأثر ابن زيد عند الطبريّ ٢٤/ ٢٩٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤.
(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٤٢٩.

وقرأ الجمهور: «إنْ» خفيفة «كلُّ» رَفْعاً «لَمَا» خفيفة، فهي عند البصريِّين مخفَّفة مِن الثقيلة، و«كلّ» مبتدأ، واللام هي الدَّاخلة للفَرْق بين «إن» النافية و«إن» المخففة، و«ما» زائدة، و«حافظ» خبر المبتدأ، و«عليها» متعلِّق به، وعند الكوفيِّين: «إنْ» نافية واللام بمعنى «إلّا»، و«ما» زائدة، و«كل» و«حافظ» مبتدأ وخبر، والترجيح بين المذهبين مذكورٌ في عِلْم النحو[١].

وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابنُ عامر وحمزة وأبو عمرو ونافع بخلافٍ عنهما: «لمَّا» مشدَّدة[٢]، وهي بمعنى «إلَّا» لغة مشهورة في هُذَيل وغيرهم، تقول العرب: أَقسمتُ عليكَ لمَّا فعلتَ كذا، أي: إلَّا فعلت، قاله الأخفش[٣]، فعلى هذه القراءة يتعيَّن أنْ تكونَ نافيةً، أي: ما كلّ نفس إلّا عليها حافظ.

وحكى هارون أنَّه قُرِئَ: «أنَّ» بالتشديد «كلَّ» بالنَّصب[٤]، فاللام هي الداخلة في خبر «أنّ»، و«ما» زائدة، و«حافظ» خبر «أنّ»، وجواب القَسَم هو ما دخلت عليه «إن» سواء كانت المخفَّفة أو المشدَّدة، أو النافية، لأنَّ كلًّا منها يتلقَّى به القَسَم، فتلقيه بالمشدَّدة مشهور، وبالمخفَّفة: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] وبالنافية: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقيل: جواب القَسَم «إنَّه على رجعه لقادر» وما بينهما اعتراض.

والظاهر عمومُ كلِّ نفس، وقال ابنُ سيرين وقتادة وغيرهما: «إنْ كلّ نفسٍ» مكلَّفةٍ «عليها حافظٌ» يُحصِي أعمالَها ويَعُدُّها؛ للجزاء عليها، فيكون في الآية وعيدٌ

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٤-٢٠٥، والطبري ٢٤/ ٢٩٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٨، والحجة للفارسي ٦/ ٣٩٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥، والقراءة في السبعة ص٦٧٨، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٢٩١ و٣٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧١، والقراءة في زاد المسير ٩/ ٨١ ورسمت في مطبوعة بكسر همزة «إنَّ» وعزاها لأُبيّ بن كعب وأبي المتوكل.

وزجرٌ، وما بَعْدَ ذلك يدلُّ عليه[١]، وقيل: حَفَظة مِن الله يَذبُّون عنها، ولو وكل المرءُ إلى نفسه لاختطفته الغِيَر والشياطين[٢].

وقال الكلبيُّ والفرَّاء: «حافظٌ» مِن الله يَحفظها حتى يُسلِّمها إلى المقادير[٣].

وقيل: الحافظ: العقل يُرشِده إلى مصالحه ويَكفُّه عن مضارِّه، وقيل: «حافظ» مهيمنٌ رقيبٌ عليه، وهو اللهُ تعالى.

ولمَّا ذكرَ أنَّ كلَّ نفسٍ عليها حافظ أَتْبَعَ ذلك بوصيَّة الإنسان بالنَّظَر في أوَّل نَشْأَته الأولى حتى يَعلم أنَّ مَن أنشاهُ قادرٌ على إعادته وجزائِهِ فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه إلا ما يسُّره في عاقبته.

و«مِمَّ خُلِقَ» استفهام، و«مِن» متعلِّقة بـ «خُلِقَ» والجملة في موضع نصب بـ: «فلينظر» وهي معلَّقة، وجوابُ الاستفهام ما بَعْدَهُ وهو «خُلِقَ مِن ماءٍ دافق» وهو مَنِيُّ الرَّجُل والمرأةِ لمَّا امتزجا في الرَّحِم واتَّحدا عبَّر عنهما بماءٍ، وهو مُفْرَد، و«دافق» قيل: هو بمعنى: مَدْفُوق، وهي قراءة زيد بنِ عليٍّ[٤]، وعند الخليل وسيبويه هو على النَّسَب كلابِن وتامِر، أي: ذي دَفْق[٥].

وعن ابنِ عباس: بمعنى: دافق لَزِج[٦]، وكأنَّه أطلقَ عليه وَصْفَه لا أنَّه موضوعٌ في اللغة لذلك، والدَّفْق: الصَّبُّ فِعْله متعدٍّ.

وقال ابنُ عطيَّة: والدَّفْق: دَفْعُ الماء بعضِه ببعضٍ تدفق الوادي والسَّيْل إذا جاء

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥، وفي هذا المعنى حديث مرفوع أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٠٤)، وفي إسناده: عفير بن معدان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص١٨٣.
(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٥.
(٤) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٧٥٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.
(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٦.

يَركبُ بعضه بعضاً، ويصحُّ أن يكون الماء دافقاً؛ لأنَّ بعضَه يَدفع بعضاً، فمنه «دافق» ومنه مدفوق[١]. انتهى.

وركبَ قوله هذا على تدفّق، وتَدفَّق لازمُ: دَفَقْتُه فتَدفَّق، نحو: كَسَرْتُه فتكسَّر، ودفق ليس في اللغة معناه ما فسّر مِن قوله: والدَّفْق: دُفعُ الماء بعضه ببعض، بل المحفوظ أنّه الصَّبُّ[٢].

وقرأ الجمهور: «يَخرُج» مبنيًّا للفاعل «مِن بين الصُّلْب» بضمِّ الصاد وسكون اللام، وابنُ أبي عبلة وابنُ مقسم: مبنيًّا للمفعول[٣]، وهما وأهلُ مكَّة وعيسى: بضمِّ الصاد واللام[٤]، واليمانيُّ: بفتحهما، قال العَجَّاج:

فـي صَـلَـبٍ مِـثْـلِ الـعِـنـانِ الـمُـؤْدَمِ[٥]

وتقدَّمت اللغاتُ في «الصُّلب» في سورة «النِّساء»[٦]، وأغربُها[٧]: صَالِب، كما قال:

تُـنْـقَـلُ مِـنْ صـالـبٍ إلـى رَحِـمٍ[٨]

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.
(٢) سلفت الإشارة إليه قريباً.
(٣) القراءات الشاذة ص١٧١ عن اليماني.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، عن أهل مكّة وعيسى، وهي في القراءات الشاذة ص١٧١ عن عيسى.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٠، وينظر القراءات الشاذة ص١٧١، والبيت في ديوان العجاج ص٢٨١، وقبله: ريًّا العظام فَعمةُ المخدَّم. قال شارح الديوان: الفَعْم: الممتلئ، والمخدَّم: موضع الخِدام، وهو الخلخال. وقال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص١٢٣: ريّا: ليست بمهزولة تَبينُ عظامها، وصُلْبها مثل العنان نعمة واستواءً. والعنان المؤدم: الذي لم تُقشَر أَدَمتُه، فهو أَلينُ له، وقوله: في صَلَب، أي: مع صَلَب. وفي أساس البلاغة (عنن): امرأة معنَّنة، أي: مجدولة جَدْلَ العنان.
(٦) عند تفسير الآية (٢٣) منها.
(٧) في النسخ: وإعرابها. والمثبت من الدر المصون ٩/ ٧٥٤ وهو الصواب.
(٨) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٠، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨-٤٥٩، وعجز البيت: إذا مضى عالَمٌ بَدَا طَبَقٌ. وقبله:

=

قال قتادة والحسن: معناه: مِن بينِ صُلْب كلٍّ واحد مِن الرَّجُل والمرأةِ وتَرائبه. وقال سفيان وقتادة أيضاً: مِن بين صُلْب الرَّجُل وترائبِ المرأة[١]، وتقدَّم شَرْح «التَّرائِب» في المفردات.

وقال ابنُ عباس: موضع القِلادة، وعن ابنِ جبير: هي أضلاعُ الرجل التي أَسْفَل الصُّلب. وقيل: ما بينَ المَنْكِبينِ والصَّدْر، وقيل: هي التراقي، وعن معمر: هي عُصارة القلب، ومنه يكون الوَلَد، ونقل مكّيّ عن ابنِ عباس أنَّ الترائبَ أطرافُ المرء؛ رِجْلاه ويَدَاه وعَيْناه، قال ابنُ عطيَّة: وفي هذه الأقوال تَحكُّم على اللغة[٢]. انتهى.

«إنَّه» الضمير يعود على الخالق الدَّالّ عليه «خلقَ»، «على رَجْعِه» قال ابنُ عباس وقتادة: الضمير في «رَجْعه» عائد على الإنسان، أي: على رَدِّه حيًّا بعد موته، أي: مَن أنشأهُ أوَّلاً قادرٌ على بَعْثِه يومَ القيامة لا يُعجِزه شيء.

وقال الضحاك: على ردِّه مِن الكِبَر إلى الشباب.

وقال عكرمة ومجاهد: الضمير عائد على الماء، أي: على ردِّ الماء في الإحليل، أو في الصُّلب.

وعلى هذا القول وقولِ الضحاك يكون العامل في «يومَ تُبلَى» مُضمَر، تقديره:

= وأنتَ لمَّا وُلدْتَ أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفقُ

والأبيات في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٥٧، والقراءات الشاذة ص١٧١-١٧٢، قالها العباس بن عبد المطلب يمدحُ رسولَ الله ﷺ، والبيتان الآنفان وردا ضمن خبر أخرجه الطبرانيُّ في الكبير (٤١٦٧)، والحاكم ٣/ ٣٢٨، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٢٦٨. قال الحاكم: هذا حديث تفرَّد به رواته الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون. وقال ابن منظور في اللسان (صلب): أراد بالصالب الصُّلْب، وهو قليل الاستعمال. وقال ابن قتيبة: العالَم: القرن من الناس، وكذلك الطبق من الناس.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٩-٢١٠، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٧، والثعلبي ٦/ ٤٣٠-٤٣١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٩٢-٢٩٦.

اذكُر، وعلى قولِ ابنِ عباس ـ وهو الأظهر ـ فقال بعضُ النُّحاة: العامل «ناصر» مِن قوله: «ولا ناصر»، وهذا فاسدٌ؛ لأنَّ ما بَعْدَ الفاء لا يَعمل فيما قَبْلَها، وكذلك «ما» النافية لا يَعمل ما بَعْدَها فيما قَبْلَها على المشهور المنصور(١).

وقال آخرون ومنهم الزمخشريُّ: العامل «رجعه»(٢)، وردَّ بأنَّ فيه فَصْلاً بين الموصول ومتعلّقه وهو مِن تمام الصِّلَة، ولا يجوز.

وقال الحُذَّاق مِن النُّحاة: العامل فيه مُضمَر يدلُّ عليه المصدر، تقديره: يرجعه يومَ تُبلَى السرائر(٣).

قال ابنُ عطيَّة: وكلّ هذه الفِرَق فرَّت مِن أنْ يكون العاملُ «لقادر» لأنَّ ذلك يظهر منه تخصيصُ القُدْرة في ذلك اليوم وَحْدَه، وإذا تُؤمِّل المعنى وما يقتضيه فصيحُ كلامِ العرب جاز أَنْ يكون العامل: «لقادر»، وذلك أنَّه قال: «إنَّه على رَجعه لقادر» على الإطلاق أوّلاً وآخِراً وفي كلّ وقت، ثم ذَكَر تعالى وخصَّص مِن الأوقات الوقت الأهمَّ على الكفار؛ لأنَّه وقتُ الجزاءِ والوصولِ إلى العذاب ليَجتمع الناسُ إلى حَذَره والخوفِ منه(٤). انتهى.

«تُبْلَى» قيل: تُختَبر، وقيل: تُعرَف وتُتصفَّح ويميَّز صالحُها مِن فاسدها، و«السرائر» ما أكنَّته القلوبُ مِن العقائد والنِّيَّات، وما أَخفته الجوارحُ من الأعمال، والظاهر عمومُ السرائر، وفي الحديث أنَّها التوحيد والصلاة والزكاة والغُسْل مِن الجنابة(٥)، وكأنَّ المذكورَ في الحديث أعظمُ السرائر، وسمع الحسن مَن ينشد:

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١١، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٣١، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٢٩٧-٢٩٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٤١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، والقائل بذلك ابنُ جنِّيّ، وكلامه في كتابه الخصائص ٢/ ٤٠٢ و٣/ ٢٥٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦.

(٥) المصدر السابق، والحديث وغيره صرَّح بها القرطبيُّ في تفسيره ٢٢/ ٢١٣ نقلاً عن المهدوي، منها أنَّه ﷺ قال: «ائتمن الله تعالى خلقه على أربع: على الصلاة، والصوم، =

سيَبقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا سـريـرةُ وُدٌّ يـومَ تُـبْـلَـى الـسَّـرائِـرُ

فقال: ما أغفله عمَّا في «السماء والطارق»؟![١]، والبيت للأحوص.

ولمَّا كان الامتناعُ في الدنيا إمَّا بقوَّةٍ في الإنسان، وإمَّا بناصرٍ خارجٍ عن نفسه، نَفَى عنه تعالى ما يَمتنع به، وأتَى بـ: «مِن» الدَّالَّة على العموم في نفي القوَّة والناصِر.

«والسماء» أَقسم ثانياً بالسماء وهي المِظَلَّة، قيل: ويَحتمل أن يكون السَّحاب، «ذات الرَّجْع» قال ابنُ عبَّاس: الرَّجْع: السحاب فيه المَطَر، وقال الحسن: تَرجعُ بالرِّزق كلَّ عام. وقال ابنُ زيد: الرَّجْع مصدر: رجوعُ الشمسِ والقمر والكواكب مِن حالٍ إلى حالٍ، ومِن منزلةٍ إلى منزلة، تَذهب وتَرجع، وقيل: الرَّجْع: المطر، ومنه قول الهُذَليّ:

أبـيـضُ كـالـرَّجْـعِ رَسُـوبٌ إذا مـا ثـاخ فـي مُـحْـتَـفَـلٍ يـخـتـلـي[٢]

يَصِفُ سيفاً شَبهَّه بماءِ المطر في بياضِه وصفائه.

وسُمِّيَ رَجْعاً، كما سُمِّيَ أَوْباً[٣]، قال الشاعر:

رَبَّـاءُ شَـمَّـاءُ لا يـأوِي لِـقُـلَّـتـهـا إلَّا الـسَّـحابُ وإلَّا الأَوْبُ والـسَّبَلُ[٤]

= والزكاة، والغُسْل، وهي السرائر التي يَختبرها الله عز وجل يوم القيامة». وهو عند البيهقي في الشعب (٢٧٥١) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(١) الكشاف ٤/ ٢٤١، والبيت في ديوان الأحوص ص٨٤، وخزانة الأدب ٢/ ١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٥، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٨، والبيت في شرح ديوان الهذليين ٢/ ١٢، ومجاز القرآن ٢/ ٢٩٤، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١٢، والصحاح (رجع) و(ثوخ). قال شارح ديوان الهذليين: المحتفل: مُعظم الشيء، ومحتفل الوادي: معظمه، وثاخ وساخ واحد، أي: غاب، يختلي: يقطع، والرسوب: الذي إذا وقع غَمُضَ مكانه لسرعة قطعه. اهـ. وقال الجوهريُّ: ثاخت قدمه بالوحل تثوخ وتثيخ: خاضت وغابت فيه.

(٣) في النسخ عدا (يه): أرباً. والمثبت من (يه) وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٥.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٥، والبيت للمتنخل الهذلي من قصيدة في رثاء =

تسميةً بمصدَرَي: آبَ ورَجَع، تزعم العربُ أنَّ السحابَ يَحمل الماءَ مِن بحار الأرض، ثم يُرجِعه إلى الأرض، أو أرادوا التفاؤلَ فسمَّوه رَجْعاً وأَوْباً، ليَرجعَ ويَؤُوب.

وقيل: لأنَّ اللهَ تعالى يُرجعه وقتاً فوقتاً، قالت الخنساء:

كالرَّجْعِ في المُدْجِنَةِ السَّارِيَةِ[1]

وقيل: الرَّجْع: الملائكة، سُمُّوا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد، وقيل: السحاب.

والمشهور عندَ أهلِ اللغة وقول الجمهور أنَّ «الرَّجْعَ» هو المَطَر، و«الصَّدْع» ما تتصدَّع عنه الأرضُ مِن النبات، ويناسب قول مَن قال: «الرَّجْع» المَطَر.

وقال ابنُ زيد: ذات الانشقاق للنبات، وقال أيضاً: ذات الحرث، وقال مجاهد: «الصَّدْع» ما في الأرض مِن شعاب[2] ولصاب[3] وخَنْدَق وتَشقُّق بحَرْث وغيره، وهي أمورٌ فيها مُعتبر.

وعنه أيضاً: ذات الطُّرُق تصدعها المُشاة. وقيل: ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور[4].

= ابنه، وهو في شرح ديوان الهذليين ٢/ ٣٧، وقوله: ربَّاء، هو صيغة مبالغة من ربأت الجبل: إذا صعدته، فيكون ربَّاء شمَّاءَ، كقولهم: طلَّاعُ أَنْجُدٍ، وهو مضاف إلى شماء، والمعنى: ربَّاءُ هضبةٍ شمَّاءَ. وقوله: لا يدنو لقلتها، أي: لرأسها، أي: لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب. والسَّبَل: المطر النازل. ينظر خزانة الأدب ٥/ ٣-٦.

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٢، وعجز البيت في ديوان الخنساء ص١٤٧، وصدره: عطَّافُه أبيض ذو رونق. والمدجنة: سحابة لها ظلام؛ لكثافتها وقُرْبها من الأرض، يقال: هذا يوم دَجْنٍ، أي: يوم إلباس غيم، والدُّجُنَّة: الظُّلمة، والسارية: التي تسري ليلاً. ينظر شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٤٢.

(٢) في النسخ عدا (يه): شقاق. والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦-٤٦٧.

(٣) اللِّصْب: مضيق الوادي، وجمعه: لُصُوب، ولِصَاب، واللِّصْب: شقٌّ في الجبل أضيق من اللِّهْب وأوسع من الشِّعْب. لسان العرب (لصب).

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٩، وتنظر الآثار السالفة عند الطبريّ ٢٤/ ٣٠٤-٣٠٦.

والضمير في «إنّه» قالوا عائدٌ على القرآن، «فَصْلٌ» أي: فاصل ما بين الحقِّ والباطل، كما قيل له: فرقان.

وأقول: ويجوز أنْ يعودَ الضمير في «إنَّه» على الكلام الذي أخبر فيه ببَعْث الإنسان يومَ القيامة وابتلاءِ سرائره، أي: إنّ ذلك «لَقولٌ» جَزْمٌ مطابِق للواقع لا هزلَ فيه، ويكون الضمير قد عادَ على مذكور، وهو الكلام الذي تضمَّن الإخبار عن البَعْث، وليس مِن الأخبار التي فيها هزل، بل هو جِدٌّ كلُّه.

«إنَّهم» أي: الكافرون «يَكيدون» أي: في إبطال أَمْرِ الله وإطفاءِ نُور الحقّ «وأَكِيْدُ» أي: أُجازيهم على كَيْدِهم بسيِّئ الجزاءَ «كَيْداً» على سبيل المقابلة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

ثم أَمَرَ رسولَه ﷺ فقال: «فمهِّل الكافرين» أي: انْتَظِر عقوبتَهم ولا تستعجل ذلك، ثم أكَّد أمرَه، فقال: «أَمْهِلْهم رويداً» أي: إمهالاً يسيراً، فسيحيط العذاب بهم كما كان في يومِ بدر وغيره.

وقرأ الجمهور: «أمهلهم»[1] لمَّا كرَّر الأَمْرَ توكيداً خالفَ بين اللَّفظين، على أنَّ الأوَّل مُطلَق، وهذا الثاني مُقيَّد بقوله: «رويداً».

وقرأ ابنُ عباس: «مَهِّلْهُم» بفتح الميم وشدِّ الهاء[2]؛ موافقةً لِلَفظِ الأَمْرِ الأوَّل.

(١) زيادة من (يه) ولم ترد في بقيّة النسخ.
(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٤٥٩.

مفردات سورة الأعلى

الغُثَاء: مخفَّف الثاءِ ومشدَّدها: ما يَقْذِفُ به السَّيْلُ على جانب الوادي مِن الحَشِيْش والنَّبات والقُماش[1]، قال الشاعر:

كـأَنَّ طـمـيَّـة الـمُـجَـيْـمِـرِ غُـدْوةً   مِن السَّيْلِ والغُثَّاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ[2]

ورواه الفَرَّاء: والأغثاء، على الجَمْع، وهو غريبٌ مِن حيث جمعَ: فَعَال على أَفْعَال.

الحُوَّة: سوادٌ يَضْرِبُ إلى الخُضْرَة، قال ذو الرُّمَّة:

لـمـياءُ فـي شَـفَـتـيـهـا حُـوَّةٌ لَـعَـسٌ   وفـي اللِّثَاتِ وفـي أنيـابها شَـنَـبُ[3]

وقيل: خُضْرَة عليها سوادٌ، والأحوى: الظَّبْيُ الذي في ظَهْرِه خطَّانِ من سوادٍ وبياضٍ، قال الشاعر:

---

(١) القُماش: هو ما على وجه الأرض من فتاتِ الأشياء. القاموس (قمش).

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٤-٢٢٥، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٥، وشرح المعلقات للنحاس ١/ ٤٨، وللتبريزي ص٧٠، قال التبريزي: والمجيمر: أرض لبني فزارة، وطمية: جبل في بلادهم، يقول: قد امتلأ المجيمر، فكأن الجبل في الماء فلكة مغزل، لِمَا جمع السيلُ حوله من الغثاء. ورواه الفراء: من السيل والأغثاء ـ وكذا وقع عند القرطبي، وسيشير المصنِّف إلى هذه الرواية الآن ـ جمع الغُثاء، وهو قليل في الممدود.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٥، ووقع عنده البيت منسوباً للأعشى، وليس في ديوانه، وهو كما قال المصنِّف لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ١/ ٣٢. قال شارح الديوان: اللَّمى: سُمْرة في الشفتين، وكذلك الحُوَّة شبيهة باللَّمى تضرب إلى السواد، وكذلك اللَّعَس يكون بالشفتين واللثة.
والشنب: قال الأصمعي: بردٌ وعذوبة في الأسنان، وغيره يقول: تمديد الأسنان ودقتها، والأول أجود.

وفي الحَيِّ أَحوى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظاهِرُ سِمْطَي لُؤلؤٍ وَزَبَرْجَدِ[١]

وفي «الصحاح»: الحُوَّة: سُمْرَةٌ[٢]، وقال الأعلم: لونٌ يَضْرِبُ إلى السَّواد، وقال أيضاً: الشديدُ الخُضْرَة التي تَضْرِب إلى السَّواد.

* * *

سورة الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، ولمَّا ذكرَ فيما قَبْلَها: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥] كأنَّ قائلاً قال: مَن خَلَقه على هذا المثال؟ فقيل: «سَبِّح اسمَ ربِّك»، وأيضاً لمَّا قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطارق: ١٣] قيل هو: «سَنُقْرِئك» أي: ذلك القولُ الفَصْل.

«سَبِّح»: نَزِّه عن النقائص «اسمَ ربِّك» الظاهر أنَّ التنزيهَ يقع على الاسم، أي: نَزِّهه عن أنْ يُسمَّى به صَنَم أو وَثَن، فيقال له: ربّ أو إله، وإذا كان قد أمرَ بتنزيه اللفظ أنْ يُطلقَ على غيره فهو أَبلغُ وتنزيهُ الذات أَحرى.

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٨، والمَرْد: ثمر الأراك، والشادن: الظبي الذي كاد يستغني عن أمّه، والسمط: الخيط من اللؤلؤ.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٥، والصحاح (حوا).

وقيل: الاسم هنا بمعنى المُسمَّى، وقيل: معناه: نَزِّه اسمَ اللهِ عن أَنْ تَذكُره إلَّا وأنتَ خاشع.

وقال ابنُ عباس: المعنى: صَلِّ باسمِ ربِّك الأعلى، كما تقول: ابْدَأ باسمِ اللهِ، وحذف حرف الجرّ[١].

وقيل: لمَّا نزلَ: «فسبِّح باسمِ ربك العظيم»، قال رسولُ الله ﷺ: «اجعلُوها في ركوعكم»، فلمَّا نَزَلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودِكم». وكانوا يقولون في الرُّكوع: اللَّهمَّ لكَ ركعتُ، وفي السجود: اللَّهمَّ لكَ سجدتُ[٢].

قالوا: «الأعلى» يصحُّ أن يكون صفةً لـ «ربِّك»، وأن يكون صفةً لـ «اسم»، فيكون منصوباً، وهذا الوجه لا يصحُّ على أَنْ يعرب «الذي خَلَق» صفة لـ «ربِّك»، فيكون في موضع جرٍّ؛ لأنَّه قد حالت بينَه وبين الموصوف صفة لغيرِه، لو قلت: رأيتُ غلامَ هندٍ العاقلَ الحسنةِ، لم يَجز؛ بل لا بُدَّ أن تأتي بصفة هند، ثم تأتي بصفة الغلام، فتقول: رأيتُ غلامَ هندٍ الحسنةِ العاقلَ.

فإنْ لم يجعل «الذي» صفة لـ «ربِّك» بل تَرفعه على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أو تنصبه على المدح، جاز أَنْ يكون «الأعلى» صفة لاسم.

«الذي خَلَقَ» أي: كلَّ شيء «فسوَّى» أي: لم يَأْتِ متفاوِتاً، بل متناسباً على إحكام وإتقان؛ دلالة على أنَّه صادرٌ عن عالم حكيم.

وقرأ الجمهور: «قدَّر» بشدِّ الدَّالِ، فاحتمل أن يكون مِن القَدَر والقضاء، واحتمل أَنْ يكون مِن التقدير والموازنة بين الأشياء.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨، وخبر ابن عباس في تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٠، والثعلبي ٦/ ٤٣٤، والبغوي ٤/ ٤٧٥، وورد عندهم: بأمر، بدل: باسم.

(٢) الكشاف ٤/ ، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٣٣-٤٣٤، والخبر عقبة بن عامر الجهني ﷺ، وهو عند أبي داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

وقال الزمخشريُّ: «قدّر» لكلِّ حيوان ما يُصلحه فهداه إليه وعرَّفه وجه الانتفاع به[١]. انتهى.

وقرأ الكسائيُّ: «قَدَرَ» بخفِّ الدال[٢]، مِن القُدرة، أو مِن التقدير والموازنة.

وهدى عامٌّ لجميع الهدايات، وقال الفرَّاء: «فَهَدى» وأضلَّ، اكتفى بالواحدة عن الأُخرى.

وقال الكلبيُّ ومقاتل: هَدَى الحيوانَ إلى وَطْءِ الذكورِ للإناث.

وقال مجاهد: هَدَى الإنسان للخير والشَّرِّ، والبهائم للمراتع.

وقيل: هَدَى المولودَ عند وَضْعه إلى مصِّ الثَّدْي[٣].

وهذه الأقوال محمولةٌ على التمثيل لا على التخصيص، والظاهر أنَّ «أحوى» صفة لـ «غُثَاء»، قال ابنُ عبَّاس: المعنى «فجعله غثاءً أَحوى» أي: أسود؛ لأنَّ الغُثاءَ إذا قَدُمَ وأصابته الأمطارُ اسودَّ وتعفَّن، فصار أحوى[٤].

وقيل: «أحوى» حال مِن «المَرْعى»، أي: أخرج[٥] المرعَى أَحْوَى، أي: للسَّواد مِن شُدَّة خضرته ونَضَارته لكثرة رِيِّه.

وحسنَ تأخير «أحوى»؛ لأجلِ الفواصل، قال:

وغيثٍ مِن الوَسْمِيِّ حُوٍّ تِلاعُه تَبطَّنْتُهُ بشَيْظَمٍ صَلَتانِ[٦]

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٢ وزاد القراءة عن عليّ والسُّلَميّ، وقراءة الكسائي في السبعة ص٦٨٠، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨-٤٦٩، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٣-٢٢٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٢، وزاد المسير ٩/ ٨٨، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٦/ ٧٩-٨٠ و٢٤/ ٣١١-٣١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩.

(٥) في النسخ: أحوى. والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٦ والكلام منه، وهو الصواب، وينظر أيضاً الكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢٠/ ٢٢٦، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٧، والوسمي: مطر الربيع الأول، والتلاع: جمع التَّلعة، وهي مسيل الماء، أو ما اتَّسع من فوهة الوادي، أوِ

«سنقرئك فلا تنسى» قال الحسن وقتادة ومالك: هذا في معنى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] وَعَد اللهُ أنْ يقرئه وأخبره أنَّه لا يَنسى (١نسياناً لا يكون بَعْدَهُ ذِكْرٌ، إذ كان يُحرِّك شفتيه مبادرةً خوفاً من أنْ ينسى١)، وهذه آيةٌ للرَّسول ﷺ في أنَّه أُمِّيّ، وحَفِظَ اللهُ عليه الوحيَ وأمَّنَهُ مِن نسيانه.

وقيل: هذا وَعْدٌ بإقرار السُّوَر، وأَمْرٌ أنْ لا يَنْسى؛ على معنى التثبيت والتأكيد، وقد علم أنَّ النسيانَ ليس في قدرته، فهو نهيٌ عن إغفال التعاهد، وأُثبتت الألف في «فلا تنسى» وإن كان مجزوماً بـ «لا» التي للنهي؛ لتعديل رؤوس الآي[٢].

«إلّا ما شاءَ اللهُ» الظاهر أنَّه استثناء مقصود، قال الحسن وقتادة وغيرهما: معناه: ممَّا قضى اللهُ بنَسْخِه وأنْ ترتفعَ تلاوته وحكمَه، وقال ابنُ عباس: «إلَّا ما شاءَ اللهُ» أنْ يُنْسِيكَهُ لتَسُنَّ به، على نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «إنِّي لأُنَسَّى، وأُنَسَّى لأَسُنَّ»[٣].

وقيل: «إلَّا ما شاءَ اللهُ» أن يَغلبكَ النِّسيانُ عليه، ثم يذكّرك به بَعْدُ، كما قال عليه الصلاة والسلام حين سمعَ قراءةَ عَبَّاد بن بِشْر[٤]: «لقد ذكَّرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا»[٥].

= القطعة المرتفعة من الأرض. القاموس (وسم) و(تلع)، والصَّلَتان: القصير الشعر، وتبطنته: سلكت بطنه وسرت فيه، والشيظم: الطويل. قاله الشارح.

(١-١) زيادة من (يه).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر، وتنظر الآثار الواردة في ذلك عند القرطبي ٢٢/ ٢٢٧، وتفسير الطبري ٢٤/ ٣١٥-٣١٦.

(٤) في النسخ: عباد بن بشير، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وهو الصواب، وهو: عباد بن بشر بن وقش، من بني عبد الأشهل، ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، قالوا: واستُشهدَ باليمامة. الإصابة ٥/ ٣١١، وينظر تخريج الحديث الآتي.

(٥) أخرج البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨) عن عائشة أنها قالت: سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا». قال البخاري: وزاد عباد بن عبد الله، عن عائشة: تهجَّد النبيُّ ﷺ في بيتي، فسمع =

وقيل: «فلا تنسى» أي: فلا تترك العمل به «إلا ما شاءَ اللهُ» أنْ تَتْرُكَه بنَسْخه إيَّاه، فهذا في نَسْخ العمل.

وقال الفرَّاء وجماعة: هذا استثناء صلة في الكلام على سنَّة اللهِ تعالى في الاستثناء، وليس ثمَّ شيء أُبيح استثناؤه[1].

وأَخَذَ الزمخشريُّ هذا القولَ، فقال: أو قال: «إلَّا ما شاءَ اللهُ» والغرض نفيُ النِّسيان رأساً، كما يقول الرجلُ لصاحبه: أنتَ سهيمي فيما أملك إلَّا فيما شاءَ اللهُ، ولا يقصد استثناءَ شيءٍ، وهو مِن استعمال القِلَّة في معنى النفي[2]. انتهى.

وقول الفرَّاء والزمخشريّ يجعل الاستثناء كلا استثناء، وهذا لا ينبغي أَنْ يكون في كلام الله تعالى، بل ولا في كلام فصيح.

وكذلك القول بأنَّ «لا» في «فلا تنسى» للنهي، والألف ثابتة لأَجْلِ الفاصلة، وهو قولٌ ضعيف، ومفهوم الآية في غاية الظُّهور، وقد تعسَّفوا في فهمهما، والمعنى أنَّه تعالى أخبر أنَّه سَيُقْرِئه وأنَّه لا يَنسى إلَّا ما شاءَ اللهُ فإنَّه ينساه؛ إمَّا النَّسْخ وإمَّا أَنْ يَسُنّ، وإمَّا على أنْ يتذكَّر، وهو ﷺ معصومٌ مِن النسيان فيما أمرَ بتبليغه، فإنْ وَقَعَ نسيانٌ، فيكون على وجهٍ مِن هذه الوجوهِ الثلاثة.

ومناسبة «سَنُقْرِئك» لِمَا قَبْلَه: أَنَّه لمَّا أَمَره تعالى بالتسبيح، وكان التسبيحُ لا يتمُّ إلَّا بقراءةِ ما أنزلَ عليه مِن القرآن، وكان يتذكّر في نفسه مخافَةَ أنْ يَنسى، فأزال عنه ذلك وبشَّره بأنَّه تعالى يُقْرِئه وأنَّه لا يَنسى، واستثنى ما شاءَ أَنْ يُنْسِيَه؛ لمصلحة مِن تلك الوجوه.

= صوت عبَّاد يصلِّي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوت عبَّادٍ هذا»؟ قلت: نعم. قال: «اللَّهم ارحم عبَّاداً». قلنا: وَصَله أبو يعلى (٤٣٨٨) من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: تهجَّد رسول الله ﷺ في بيته وتهجَّد عبَّاد في المسجد، فسمع رسولُ الله ﷺ صوته... الحديث. وينظر فتح الباري ٥/ ٢٦٥.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٤٥.

«إنَّه يَعلمُ الجهرَ» أي: جَهْرَك بالقرآن «وما يَخفى» أي: في نفسك مِن خوف التفلُّت، وقد كفاكَ ذلك بكونه تكفَّل بإقرائك إيَّاه وإخبارِه أنَّكَ لا تَنسى إلَّا ما استثناه وتضمَّن ذلك إحاطة عِلْمه بالأشياء.

«ونُيسِّرك» معطوف على «سَنُقْرِئك»، وما بينهما مِن الجملة المؤكّدة اعتراض، أي: يوفِّقك للطريقة التي هي أيسرُ وأسهل، يعني: في حِفْظِ الوحي.

وقيل: للشريعة الحنيفيَّة السهلة، وقيل: يذهب بكَ إلى الأمور الحسنة في أَمْرِ دنياكَ وآخِرَتكَ مِن النَّصْر وعُلوِّ المنزلة والرفعة في الجنة.

ولمَّا أخبر أنَّه يُقرِئه وييسِّره أَمَرَه بالتَّذكير، إذ ثمرةُ الإقراءِ هي انتفاعُه في ذاته وانتفاعُ مَن أُرسل إليهم.

والظاهر أنَّ الأمرَ بالتذكير مشروطٌ بنَفْع الذِّكرى، وهذا الشَّرْط إنَّما جِيْءَ به؛ توبيخاً لقريش، أي: «إن نفعتِ الذِّكرى» في هؤلاء الطُّغاة العُتاة، ومعناه: استبعاد انتفاعهم بالذِّكرى، فهو كما قال الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياةَ لِمَن تُنادِي[1]

كما تقول لرجلٍ: قُلْ لفلانٍ وأعِدْ له إنْ سَمِعَكَ، فقوله: إنْ سمعك، إنَّما هو توبيخٌ وإعلام أنَّه لَنْ يَسمع.

وقال الفرَّاء والنَّحاس والزَّهْراويُّ والجرجانيُّ: معناه: وإنْ لم ينفع فاقتَصِر على القِسْم الواحد؛ لدلالته على الثاني[2].

وقيل: «إنْ» بمعنى «إذ» كقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم؛ لأنَّه لم يُخبِر بكونهم الأعلون إلَّا بعد إيمانهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وما بعده منه أيضاً، والبيت لعمرو بن معدي كرب، وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٢٣) منها.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٢١٥ (قسم التفسير) عن الثلاثة الأُوَل، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٩ عن الجرجاني، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٦.

«سَيذَّكَّر مَن يَخشى» أي: لا يتذكَّر بذكراك إلَّا مَن يخاف، فإنَّ الخوفَ حاملٌ على النَّظَر في الذي يُنجيه ممَّا يخافه، فإذا نَظَرَ قادَهُ النَّظَر والتذكُّر إلى الحقِّ، وهؤلاء هم العلماء والمؤمنون، كلٌّ على قَدرِ ما وفِّق له.

«ويتجنَّبها» أي: الذِّكرى «الأشقى»، أي: البالغ في الشقاوة؛ لأنَّ الكافرَ بالرَّسول ﷺ هو أشقى الكفَّار، كما أنَّ المؤمنَ به وبما جاءَ به هو أفضلُ ممَّن آمَنَ برسول قَبْلَه.

ثم وَصَفَه بما يؤول إليه حالُه في الآخِرَة وهو صَلْي النار، ووصفها بـ«الكُبْرى»، قال الحسن: النَّار الكبرى نارُ الآخِرَة، والصغرى نارُ الدنيا. وقال الفرَّاء: «الكُبرى» السُّفْلى مِن أطباق النار. وقيل: نارُ الآخِرَة تتفاضل، ففيها شيءٌ أكبر مِن شيء[(١)].

«ثم لا يموتُ» فيستريح «ولا يَحيى» حياةً هنيَّة، وجيء بـ «ثمَّ» المقتضية للتراخي؛ إيذاناً بتفاوت مراتب الشِّدَّة؛ لأنَّ الترددَ بين الحياة والموت أشدُّ وأفظع مِن الصَّلْي بالنار.

«قد أفلح» أي: فازَ وظَفِرَ بالبُغْية، «مِن تزكَّى» مَن تطهَّر، قال ابنُ عبَّاس: مِن الشِّرْك وقال: لا إله إلَّا الله.

وقال الحسن: مَن كان عمله زاكياً.

وقال أبو الأحوص وقتادة وجماعة: مَن رَضَخَ[(٢)] مِن ماله وزكَّاه[(٣)].

«وذَكَر اسمَ ربِّه» أي: وَحَّدَهُ لم يَقْرِنه بشيء مِن الأنداد، «فصلَّى» أي: الصلاةَ المفروضةَ وما أمكنه مِن النوافل، والمعنى أنَّه لمَّا تذكَّر آمَنَ بالله، ثمَّ أخبر عنه تعالى أنَّه أفلح مَن أتَى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وينظر تفسير الرازي ٣١/ ١٤٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٤، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٦.

(٢) الرَّضْخ: العطاء. تاج العروس (رضخ).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣١-٢٣٢، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٣٦، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٥، وزاد المسير ٩/ ٩١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٣١٩-٣٢٠.

واحتجَّ بقوله: «وذَكَر اسمَ ربِّه» على وجوبِ تكبيرة الافتتاح، وعلى أنَّه جائز بكلِّ اسمٍ مِن أسمائه تعالى وأنَّها ليست مِن الصلاة؛ لأنَّ الصلاةَ معطوفةٌ على الذِّكْر الذي هو تكبيرة الافتتاح[١]، وهو احتجاجٌ ضعيف.

وقال ابنُ عباس: «وذَكَر اسمَ ربِّه» أي: معادَه وموقفَه بين يدي ربِّه «فصلَّى» له[٢].

وقرأ الجمهور: «بل تُؤْثِرونَ» بتاء الخطاب للكفَّار، وقيل: خطابٌ للبَرِّ والفاجر، يُؤْثِرها البَرُّ؛ لاقتناء الثواب، والفاجِر؛ لرغبته فيها.

وقرأ عبد الله وأبو رجاء والحسن والجحدريُّ وأبو حيوة وابن أبي عَبْلَة وأبو عمرو والزعفرانيُّ وابنُ مقسم: بياء الغيبة[٣].

«إنَّ هذا» أي: الإخبار بإفلاح مَن تزكَّى وإيثار الناس للدنيا، قاله ابنُ زيد وابنُ جرير، ويُرجَّح بقُرْب المشار إليه بهذا. وقال ابنُ عباس وعكرمة والسُّدِّيُّ: إلى معاني السورة[٤].

وقال الضحاك: إلى القرآن، وقال قتادة: إلى قوله: «والآخِرَة خيرٌ وأبقى»[٥].

«لفي الصُّحُف الأُولى» لم ينسَخ إفلاح مَن تزكَّى «والآخِرَةُ خيرٌ وأبقى» في شرعٍ مِن الشرائع، فهو في الأولى وفي آخِر الشرائع.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٣، والكشاف ٤/ ٢٤٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٩-١٩١٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٣، والكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٤، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٨٠، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٤٠٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧١، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٦، وقول ابنِ زيد والطبريّ في تفسيره ٢٤/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٦، وقول قتادة عند الطبري ٢٤/ ٣٢٤، وقول الضحاك ذكره ابنُ العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩١٠، وقال: قول ضعيف؛ لأنَّه باطلٌ قطعاً.

وقرأ الجمهور: «الصُّحُف»: بضمِّ الحاء كالحرف الثاني، والأعمش وهارون وعصمة كلاهما عن أبي عمرو: بسكونها[١].

وفي كتاب «اللوامح» العتكيّ[٢] عن أبي عمرو: «الصُّحْف صُحْف» بإسكان الحاء فيهما، لغة تميم.

وقرأ الجمهور: «إبراهِيم» بألف وبياء والهاء مكسورة، وأبو رجاء: بحذفهما والهاء مفتوحة ومكسورة معاً، وأبو موسى الأشعريُّ وابن الزبير: «إبراهام» بألفين في كلِّ القرآن، ومالك بنُ دينار: «إبراهَم» بألف وفتح الهاء وبغير ياء، وعبد الرحمن بن أبي بَكْرة: «إبراهِم» بكسر الهاء وبغير ياء في جميع القرآن[٣].

قال ابنُ خالويه: وقد جاء «إبراهُم» يعني بألف وضمّ الهاء[٤].

وتقدَّم في ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾[٥] الكلامُ على صُحُف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧١ دون ذِكْر: عصمة.

(٢) في النسخ عدا (ع) و(يه): العبقلي. وهو تحريف. والمراد بالعتكي هارون بن موسى المذكور آنفاً والراوي عن عاصم وابن كثير وأبي عمرو وغيرهم. تنظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧١، والقراءات الشاذة ص١٧٢، وتنظر اللغات الواردة في «إبراهيم» في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٢٤) منها.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٢.

(٥) عند تفسير الآية (٣٦) و(٣٧) منها.

مفردات سورة الغاشية

الضَّرِيع: قال أبو حنيفة: ـ وأظنُّه صاحب «النَّبات»[1] ـ: الضَّرِيْع: الشِّبْرِق، وهو مَرْعى سُوءٍ لا تعقد السائمةُ عليه شَحْماً ولا لحماً، ومنه قول ابن عَيْزَارَة الهذليّ:

وحُبِسْنَ في هزمِ الضَّرِيعِ فكلُّها ... جرباء دامِيَةُ اليَدَيْنِ حَرُودُ[2]

وقال أبو ذؤيب:

رَعَى الشِّبرِقَ الرَّيَّانَ حتى إذا ذَوَى ... وصار ضريعاً بانَ عنه النَّحائصُ[3]

وقال بعضُ اللُّغويِّين: الضَّرِيع: يَبِيسُ العَرْفَج إذا تحطَّم. وقال الزجَّاج: هو نَبْتٌ كالعَوْسَج[4].

وقال الخليل: نبت أخضر مُنْتِن الرِّيح يرمي به البحر[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، وصاحب النبات هو أبو حنيفة أحمد بن داود الدِّينَوَري النَّحوي، تلميذ ابن السِّكِّيت، توفي سنة (٢٨٢هـ). سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٢، وكلامه نقله عنه ابن سِيْدَه في المحكم (ضرع).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، وذكره أيضاً القرطبيُّ ٢٢/ ٢٤٤، وفيه: حَدْباء، بدل: جرباء. والبيت في شرح ديوان الهذليين ٣/ ٧٣، قال الشارح: الهَزْم: ما تكسَّر من الضريع. وحَرُود: لا تكاد تَدُرّ.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، ووقع في مطبوعه: الخائض، بدل: النحائص. والنحائص جمع: نحوص: وهي الناقة الشديدة السِّمَن. القاموس (نحص)، ولم نقف على البيت في ديوان الهذليين، وهو في الكشاف ٤/ ٢٤٥، وتفسير الرازي ٣١/ ١٥٣، والقرطبي ٢٢/ ٢٤٤، والحور العين لنشوان الحميري ص٩، وفي الأخير: نازعته، بدل: بان عنه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٣٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤٤.

النَّمارِق: الوسَائِد، واحدها: نُمرُقة، بضمِّ النون والراء وبكسرهما،

وقال زهير:

كهولاً وشباناً حساناً وجوهُهُم على سُرُرٍ مصفوفةٍ ونمارِقِ(١)

الزَّرَابيّ: بُسُطٌ عِراض فاخرة، وقال الفرَّاء: هي الطَّنَافِس المخملة، وواحدها: زربيَّة، بكسر الزاي وفتحها(٢).

سُطِحَت الأرض: بُسِطَت ووُطِئت.

* * *

سورة الغاشية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

هي مكِّيَّة، ولـمَّا ذكر فيما قَبْلَها ﴿فَذَكِّرْ﴾ [الأعلى: ٩]، وذكر النارَ والآخِرة،

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤، وأورده أيضاً القرطبي ٢٢/ ٢٤٩ ولم ينسبه، ولم نقف عليه في ديوان زهير.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤٩، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٨.

قال: «هل أتاكَ حديثُ الغاشية» والغاشِية: الدَّاهِية التي تغشى الناسَ بشدائدها. يعني: القيامة، قاله سفيان والجمهور، وقال ابنُ جبير ومحمد بنُ كعب: النار، قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقال: ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] فهي تغشى سُكَّانها، وهذا الاستفهام توقيف، وفائدته تحريكُ نفسِ السامع إلى تلقِّي الخبر، وقيل: المعنى هل كان هذا مِن علمكَ لولا ما عَلمناك، وفي هذا تعديد النِّعْمَة، وقيل: «هل» بمعنى «قد»[(١)].

«وجوهٌ يومئذٍ» أي: يومَ إذْ غَشِيَت، والتنوين عِوَض مِن الجملة، ولم تتقدَّم جملة تَصلُح أَنْ يكون التنوين عِوَضاً منها، لكن تقدَّم لفظُ الغاشية، و«أل» موصولة باسمِ الفاعل فتنحلّ لـ: التي غشيت، أي: للدَّاهية التي غشيت، فالتنوين عِوَضٌ مِن هذه الجملة التي انحلَّ لفظُ «الغاشية» إليها وإلى الموصول الذي هو «التي».

«خاشِعَة» ذليلة، «عاملة ناصبة» قال ابنُ عبَّاس والحسن وابنُ جبير وقتادة: «عاملة» في النار[(٢)] «ناصِبَة» تعِبَة فيها؛ لأنَّها تكبَّرت عن العمل في الدُّنيا، قيل: وعَملها في النار جرُّها السلاسلَ والأغلالَ وخوضها في النار، كما تخوض الإبلُ في الوَحَل، وارتقاؤها دائبةً في صعودِ نارٍ وهبوطها في حدورٍ منها.

وقال ابنُ عبَّاس أيضاً وزيد بنُ أسلم وابنُ جبير: «عاملة» في الدنيا «ناصبة» فيها؛ لأنَّها على غيرِ هدى، فلا ثمرةَ لها إلَّا النَّصَب وخاتمته النار.

والآية في القِسِّيسين وعُبَّادِ الأوثان وكلّ مجتهدٍ في كفرٍ، وقال عكرمة والسُّدِّيُّ: «عاملة» في الدنيا، «ناصبة» يوم القيامة[(٣)].

وقرأ ابن كثير في رواية شبل وحميد وابن محيصن[(٤)]: «عاملةً ناصبةً» بالنَّصْب

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٨، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٧، وزاد المسير ٩/ ٩٤، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) الذي في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ والكلام منه: في الدنيا.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٩-٢٤١، والثعلبي ٦/ ٤٣٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٨، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٣٢٨-٣٢٩.

(٤) من قوله: عاملة في الدنيا... إلى هنا، زيادة من (ع) و(يه) ولم ترد في بقيَّة النسخ.

على الذَّمِّ[١]، والجمهور: برفعهما.

وقرأ الجمهور: «تَصْلَى» بفتح التاء، وأبو رجاء وابنُ محيصن والأَبَوان: بضمِّها[٢]، وخارجة: بضمِّ التاء وفتح الصاد مشدَّد اللام، وقد حكاها أبو عمرو بنُ العلاء[٣].

«حامية» مُتَسعِّرة «آنِيَة» قد انتهى حرُّها، كقوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] قاله ابنُ عباس والحسن ومجاهد، وقال ابنُ زيد: حاضرة لهم، مِن قولهم: أَنَى الشَّيْءُ: حَضَر[٤].

والضَّرِيع: قال ابنُ عبَّاس: شجرٌ مِن نار. وقال الحسن وجماعة: الزَّقُّوم. وقال ابنُ جبير: حجارة في النار. وقال ابنُ عباس أيضاً وقتادة وعكرمة ومجاهد: شِبْرِق النار، وقيل: العِشْرِق، وقيل: رطب العَرْفَج، وتقدَّم ما قيل فيه في المفردات، وقيل: وادٍ في جهنَّم[٥].

والضَّريع إنْ كان الغِسْلين والزَّقُّوم فظاهرٌ، ولا يَتنافى الحَصْر في «إلَّا مِن

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤٠، وزاد روايتها عن آخرين، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٥٦ رواية عبيد، عن شبل، عن ابن كثير.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، وقراءة الأبوين ـ أبو بكر شعبة وأبو عمرو ـ في السبعة ص٦٨١، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٤٠٠.

(٣) أي: «تُصَلَّى». المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، رواية عن أبي عمرو بن العلاء، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤٢ دون نسبة، والقراءات الشاذة ص١٧٢ عن خارجة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤٣، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٣٢٩-٣٣٠، ولقوله: أَنَى الشيء: حضر. ينظر الأفعال لابن القَطَّاع ١/ ٥٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٤٣-٢٤٥، والثعلبي ٦/ ٤٣٩-٤٤٠، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٩-٢٦٠، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٣٣١-٣٣٣، والشِّبْرِق: نبات غضّ، وقيل: شجر منبته نجد وتهامة، وثمرتها شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم، منبتها السباخ والقيعان. المحكم (شبرق)، والعِشْرِق: من الحشيش، ورقه شبيه بورق الغار. تهذيب اللغة (قشعر).

غِسْلِين» و«إلَّا مِن ضريعٍ»، وإنْ كانت أغياراً مختلفة فالجَمْع بأنَّ الزَّقُّومَ لطائفة، والغِسْلِين لطائفة، والضَّرِيع لطائفة.

وقال الزمخشريُّ: «لا يُسْمِن» مرفوع المحلّ، أو مجروره على وَصْف «طعام» أو «ضَرِيع» يعني أنَّ طعامهم من شيء ليس من مطاعم الإِنْس، وإنَّما هو شَوك، والشَّوك ممَّا تَرعاهُ الإبلُ وتتولَّع به، وهذا نوعٌ منه تَنفِرُ عنه ولا تَقْرَبه، ومنفعتا الغذاءِ مُنتفيتانِ عنه؛ وهما إماطة الجُوع وإفادةُ القوَّة والسِّمَن في البَدَن[1]. انتهى.

فقوله: مرفوع المحلّ أو مجرُوره على وَصف «طعام» أو «ضريع»، أمَّا جرُّه على وَصْفه لـ «ضريع»؛ فيصحُّ؛ لأنَّه مُثبتٌ نفى عنه السِّمَنَ والإغناءَ من الجوع، وأمَّا رَفْعه على وَصْفه لـ «طعام»، فلا يصحُّ؛ لأنَّ الطعامَ منفيٌّ و«لا يُسمِن» منفيٌّ، فلا يصحُّ تركيبه؛ إذ يصير التقدير: ليس لهم طعامٌ لا يُسمِن ولا يُغني مِن جوع إلَّا مِن ضَرِيع، فيصير المعنى أنَّ لهم طعاماً يُسمِن ويغني مِن جوع مِن غيرِ الضريع، كما تقول: ليس لزيدٍ مالٌ لا يُنتفع به إلَّا مِن مالِ عَمْرٍو، فمعناه أنَّ له مالاً يُنتفع به مِن غير مالِ عمرٍو.

ولو قيل: الجملة في موضع رَفْع صفةٌ للمحذوف المقدَّر في «إلَّا مِن ضَرِيع» كان صحيحاً؛ لأنَّه في موضع رَفْع على أنَّه بَدَل مِن اسم «ليس» أي: ليس لهم طعامٌ إلَّا كائنٌ مِن ضرِيع، أو إلَّا طعامٌ مِن ضريعٍ غير مُسمِّن ولا مُغْنٍ مِن جوع، وهذا تركيبٌ صحيحٌ ومعنًى واضحٌ.

وقال الزمخشريُّ: أو أريد: أنْ لا طعامَ لهم أصلاً؛ لأنَّ الضَّرِيع ليس بطعامٍ للبهائم فَضْلاً عن الإنس؛ لأنَّ الطعامَ ما أشبع أو أَسْمَنَ، وهو منهما بمعزلٍ، كما تقول: ليس لفلانٍ ظِلٌّ إلَّا الشمسُ، تريد نَفْيَ الظِّلِّ على التوكيد[2]. انتهى.

فعلى هذا يكون استثناءً منقطعاً، إذ لم يَندرج الكائنُ مِن الضَّرِيع تحت لفظة «طعام» إذ ليس بطعام، والظاهر الاتِّصال فيه وفي قوله: «ولا طعامٌ إلَّا مِن

(١) الكشاف ٤/٢٤٦، وينظر الدر المصون ١٠/٧٦٧.

(٢) الكشاف ٤/٢٤٦.

غِسْلِين»؛ لأنَّ الطعامَ هو ما يتطعّمه المَرءُ، وهذا قَدْرٌ مشترك بين المُستلَذِّ والمكروه وما لا يُستلَذّ ولا يُستَكْره.

«وجوه يومئذٍ نَاعِمةٌ» صحَّ الابتداء في هذا وفي قوله: «وجوهٌ يومئذٍ خَاشِعةٌ» بالنَّكِرة؛ لوجود مُسوِّغ ذلك، وهو التفصيل؛ «ناعمة» لحُسْنها ونَضَارتها أو متنعّمة.

«لِسَعيها رَاضِيةٌ» أي: لعَملها في الدُّنيا بالطَّاعة «راضِيَةٌ» إذ كان ذلك العملُ جزاؤه الجنَّة «في جنَّة عالية» أي: مكاناً ومَكانة.

وقرأ الأعرج وأهل مكَّة والمدينة ونافع وابنُ كثير وأبو عمرو بخلافٍ عنهم: «لا تُسْمَع» بتاء التأنيث، مبنيًّا للمفعول «لاغِيَةٌ» رفع[١]، أي: كلمةٌ لاغِيَةٌ، أو جماعةٌ لاغيةٌ، أو لغوٌ، فيكون مصدراً كالعافية، ثلاثة أقوالٍ، الثالث لأبي عبيدة[٢].

وابنُ محيصن وعيسى وابنُ كثير وأبو عمرو كذلك إلَّا أنَّهم قرؤوا بالياء؛ لمجاز التأنيث وللفَصل[٣].

والجحدريّ كذلك إلَّا أنَّه نصبَ «لاغيةً» على معنى «لا يَسمع فيها» أي: أحدٌ، مِن قولك: أَسمعت زيداً[٤].

والحسن وأبو رجاء وأبو جعفر وقتادة وابنُ سيرين ونافع ـ في رواية خارجة ـ وأبو عمرو ـ بخلاف عنه ـ وباقي السبعة: «لا تَسْمَعُ» بتاء الخطاب عموماً، أو للرَّسول عليه الصلاة والسلام، أو الفاعل الوجوه، «لاغيةً» بالنَّصب[٥].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤، وتفسير القرطبي ٢٢/٢٤٨، والثعلبي ٦/ ٤٤٠، والقراءة في السبعة ص٦٨١، والتيسير ص٢٢٢، والنشر ٢/ ٤٠٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣-٤٧٤، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، وقاله أيضاً ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٥٢٥.

(٣) تنظر المصادر في التعليق ما قبل السابق.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤.

(٥) المصادر السالفة المذكورة في بداية ذِكْر هذه القراءات.

«فيها عَينٌ جاريةٌ» عينٌ: اسمُ جنس، أي: عيون، أو مخصوصة ذكرت تشريفاً لها.

«فيها سُرُرٌ مرفوعة» مِن رِفْعة المنزلة، أو رِفْعَة المكان؛ ليرى ما خوَّله ربُّه مِن المِلْك والنَّعيم، أو مَخْبُوءَة، مِن رَفَعْتُ لكَ هذا، أي: خَبَأته.

«وأكواب موضوعة» أي: بأشربتها مُعَدَّة لا تحتاج إلى مالِئٍ، أو «موضوعة» بين أيديهم، أو «موضوعة» على حافَّات العيون.

«ونمارِقُ مصفوفة» أي: وَسائد صُفَّ بعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ؛ للاستناد إليها والاتِّكاء عليها، «وزرابيُّ مَبْثُوثة» متفرِّقة هنا وهنا في المجالس.

ولمَّا ذَكَر تعالى أَمر القِيامة وانقسام أهلها إلى أشقياء وسُعَداء وعلمَ أنَّه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلَّا بواسطة الصانع الحكيم أَتْبَعَ ذلك بذِكْر هذه الدلائل وذِكْرِ ما العربُ مُشاهِدوه ومُلابِسوه دائماً، فقال:

«أفلا يَنظرونَ إلى الإبلِ كيف خُلِقَت» وهي الجِمال، فإنَّه اجتمعَ فيها ما تفرَّق مِن المنافع في غيرها؛ مِن أكْل لحمها، وشُرْب لبنها، والحَمْلِ عليها، والتنقُّل عليها إلى البلاد الشاسِعة، وعَيْشها بأيِّ نباتٍ أكَلته، وصَبْرها على العَطَش حتى إنَّ فيها ما يَرِدُ الماءَ لعَشْرٍ، وطواعيتها لمَن يَقودها، ونهضتها وهي باركة بالأحمال الثِّقال، وكثرة حنينها، وتأثُّرها بالصوت الحَسَن على غِلَظ أكبادِها، وهي لا شيء مِن الحيوان جَمَعَ هذه الخصالَ غيرها، وقد أبانَ تعالى امتنانه عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ الآيات [يس: ٧١ وما بعدها]، ولكونها أفضل ما عندَ العرب جعلوها دِيَةَ القَتْل، ووَهَبوا المئةَ منها مَن يَقصِدهم ومَن أرادوا إكرامَه، وذَكَرها الشعراءُ في مَدْحِ مَن وَهَبها، كما قال:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوها ثمانيةٌ[1]

(١) صدر بيت لجرير، وهو في ديوانه ص٣٠٧، وعجزه: ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ، وقوله: هُنَيْدَة، قال الأصمعي كما في تهذيب اللغة ٦/ ٢٠٤: مئة من الإبل، معرفة لا تنصرف، ولا يدخلها الألف واللام، ولا تجمع، ولا واحد لها من جنسها.

وقال:

الواهب المئةَ المِعْكاءَ[١] زيَّنها[٢]

وناسب التنبيه بالنَّظَر إليها وإلى ما حَوَت مِن عجائب الصفات ما ذكرَ معها مِن السماء والجبال والأرض؛ لانتظام هذه الأشياء في نَظَر العرب في أوديتهم وبَواديهم، وليدلّ على أنَّ الاستدلالَ على إثبات الصانع ليس مختصًّا بنوعٍ دونَ نوعٍ، بل هو عامٌّ في كلِّ موجوداته، كما قال:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحِدُ[٣]

وقال أبو العبَّاس المُبرِّد: «الإبل» هنا السَّحاب؛ لأنَّ العربَ قد تُسمِّيها بذلك، إذ تأتي أرسالاً كالإبل، وتُزجى كما تُزجى الإبل، وهي في هيئتها أحياناً تُشبه الإبل والنَّعام، ومنه قول الشاعر:

كأنَّ السَّحابَ دُوَيْنَ السما ءِ نَعامٌ تَعلَّق بالأرْجُلِ[٤]

(١) اضطربت النسخ الخطية في رسم هذه الكلمة، ففي (يه): الدوكا، وفي (ع): البعكا، وجاءت في (أ) و(ت) والمطبوع: الهجان، والمثبت من (يه) وديوان النابغة الذبياني، والبيت بتمامه عنده:

الواهب المائةَ المِعْكَاءَ زَيَّنها سَعدانُ تُوضِحَ في أوبارِها اللِّبَدُ

والبيت في ديوانه ص٢٢ (ت: محمد أبو الفضل إبراهيم)، والمِعْكاء: الإبل المجتمعة، وهي ما كان منها سميناً غليظاً ممتلئاً، وينظر التعليق الآتي أيضاً لزاماً.

(٢) اضطربت النسخ الخطية أيضاً في رسم هذه الكلمة، ففي (أ) رسمت هكذا: مرفها، وفي (ت): برتها، وفي المطبوع: برمتها، والمثبت من (ع) و(يه) والمصدر السالف الذِّكر.

وعليه إن كان ما جاء في (أ) و(ت) والمطبوع صحيحاً في الكلمة الأولى ـ أي: الهجان ـ فقد ورد بيت مشهور عند النحاة ألا وهو:

الواهب المائة الهجان وعبدها عُوذاً تُزجّي خلفَها أطفالَها

وهو من شواهد سيبويه كما جاء في خزانة الأدب، الشاهد الرابع والتسعون بعد المئتين، وهو في كتاب سيبويه ١/ ١٨٣، والبيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٢٩.

(٣) سلف عند تفسير الآية (٣٨) من سورة البقرة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤-٤٧٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥١، والثعلبي ٦/ ٤٤١، والبيت في الكامل للمبرِّد. وأزجيتُ الإبلَ: سُقْتُها. الصحاح (زجا).

وقال الزمخشريُّ: ولم يَدْعُ ـ مَن زَعَم أنَّ الإبلَ السحابُ ـ إلى قوله إلَّا طَلَبُ المناسبة، ولعلَّه لم يُرد أنَّ الإبلَ مِن أسماءِ السَّحَاب كالغَمام والمُزْن والرَّباب والغَيْم وغير ذلك، وإنَّما رَأى السحابَ مُشَبَّهاً بالإبل كثيراً في أشعارهم، فجوَّز أنْ يُراد بها السَّحاب على طريقةِ التشبيه والمجاز[١]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «الإبِل» بكسر الباء وتخفيفِ اللام، والأصمعيُّ عن أبي عَمرو: بإسكان الباء[٢]، وعليٌّ وابنُ عباس: بشَدِّ اللام، ورُويت عن أبي عَمرو، وأبي جعفر، والكسائيِّ، وقالوا: إنَّها السَّحاب عن قومٍ مِن أهلِ اللغة[٣].

وقال الحسن: خصَّ الإبل بالذِّكْر؛ لأنَّها تَأْكل النَّوى والقَتَّ، وتُخرِج اللَّبنَ، فقيل له: الفيلُ أَعظم في الأعجوبة، فقال: العَرَبُ بَعيدةُ العهد بالفيل، ثم هو خنزير لا يُؤكَل لحمُه، ولا يُركَب ظَهْرُه، ولا يُحلَب دَرُّه[٤].

و«الإبل» لا واحدَ له مِن لفظه، وهو مؤنَّث ولذلك إذا صُغِّرَ دخلته التاء، فقالوا: أُبَيْلَة، وقالوا في الجمع: آبَال، وقد اشتقُّوا مِن لفظه، فقالوا: تأبَّل الرَّجُل[٥]، وتعجَّبوا مِن هذا الفعل على غيرِ قياس، فقالوا: ما آبل زيداً، وإبل اسمٌ جاء على فِعِلٍ، ولم يَحفظ سيبويه ممَّا جاء على هذا الوزن غيره[٦].

و«كيفَ خُلِقت» جملةٌ استفهاميَّة في موضع البَدَل مِن «الإبل»، و«ينظرون» تعدَّى إلى «الإبل» بوساطة: «إلى»، وإلى «كيف خُلِقت» على سبيل التعليق، وقد تُبدَل

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٧.
(٢) زاد المسير ٩/ ٩٩، والقراءات الشاذة ص١٧٢.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥١، وزاد المسير ٩/ ٩٩، والقراءات الشاذة ص١٧٢.
(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥١، والبغوي ٤/ ٤٨٠، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٤١.
(٥) ينظر تفسير مفردات غريب القرآن للأصبهاني (أبل)، والصحاح (أبل)، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٢.
(٦) الكتاب ٣/ ٥٧٤.

الجملة وفيها الاستفهام مِن الاسم الذي قَبْلَها، كقولهم: عرفت زيداً أبو مَن هو، على أصحِّ الأقوال.

على أنَّ العربَ قد أدخلت «إلى» على «كيف»، فحكي أنَّهم قالوا: انظر إلى كيف يصنع، و«كيف» سؤال عن حالٍ والعاملِ فيها «خُلِقت»، وإذا علّق الفعل عن ما فيه الاستفهام لم يَبْقَ الاستفهام على حقيقته، وقد بيَّنا ذلك في كتابنا المُسمَّى بـ «التذكرة» وفي غيره.

وقرأ الجمهور: «خُلِقَت» «رُفِعَت» «نُصِبَت» «سُطِحَت» بتاء التأنيث مَبْنيًّا للمفعول، وعليٌّ وأبو حيوة وابنُ أبي عَبْلَة: بتاء المتكلِّم مبنيًّا للفاعل، والمفعول محذوف[١]، أي: خَلَقْتُها، رَفَعْتُها، نَصَبْتُها، سَطَحْتُها؛ رفعت رفعاً بعيدَ المَدَى بلا عَمَدٍ، نُصبت نصباً ثابتاً لا تَميلُ ولا تَزولُ، سُطِحَت سَطْحاً حتى صارت كالمِهاد للمتقلِّب عليها.

وقرأ الجمهور: «سُطِحَت» خفيفة الطاء، والحسن وهارون الرشيد: بشَدِّها[٢].

ولمَّا حضَّهم على النَّظر أمَرَ رسولَه ﷺ بتذكيرهم، فقال: «فَذَكِّر» ولا يَهمنَّك كونهم لا يَنظرون، «إنَّما أنتَ مُذكِّر» كقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. «لستَ عليهم بمسيطر» أي: بمسلَّط، كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

وقرأ الجمهور: بالصَّاد وكسر الطاء، وابنُ عامر - في رواية - ونظيف[٣] عن قنبل، وزرعان عن حفص: بالسِّين[٤]، وحمزة في روايةٍ: بإشمام

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٤١، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٢، وفي المحتسب ٢/ ٣٥٦ عن عليّ.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥، والقراءات الشاذة ص١٧٢، والمحتسب ٢/ ٣٥٦.

(٣) في النسخ عدا (ع) و(يه): ونطيق. وهو تحريف. والمثبت منهما. وهو نظيف بن عبد الله، أبو الحسن الكسروي مولى بني كسرى الحلبي. القراء الكبار للذهبي.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥ عن بعض الناس، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٤١ عن هشام، وزاد المسير ٩/ ١٠٠ عن أبي رزين وأبي عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد وقتادة، والحلواني عن ابن عامر، والقراءة في السبعة ص٦٨٢ عن ابن عامر من رواية الحلواني عنه، وعن الكسائي من =

الزاي[١]، وهارون: بفتح الطاء[٢]، وهي لغة تميم.

مُسَيْطِر، مُتَعدٍّ عندهم، ويدلُّ عليه فِعْلُ المطاوَعة وهو: تسيطر، وليس في الكلام على هذا الوزن إلَّا: مُسَيْطِر ومُهَيْمِن ومُبَيْطِر ومُبَيْقِر، وهي أسماء فاعلين، مِن: سَيْطَرَ وهَيْمَنَ وبَيْطَرَ وبَيْقَرَ، وجاء: مُجَيْمر، اسم وادٍ، ومُدَيْبر، ويمكن أنْ يكون أصلهما: مُدْبِر ومُجْمِر، فصُغِّرا[٣].

وقرأ الجمهور: «إلَّا» حرف استثناء، فقيل: متَّصل، أي: فأنتَ مُسَيْطرٌ عليه، وقيل: متَّصل مِن «فذكِّر»، أي: فذكِّر إلَّا مَن انقطع طَمَعك مِن إيمانه، «وتولَّى» فاستحقَّ «العذاب الأكبر»، وما بينهما اعتراض، وقيل: منقطع، وهي آيةُ موادعة نُسِخَت بالسيف.

وقرأ ابنُ عباس وزيد بنُ عليٍّ وقتادة وزيد بنُ أسلم: «أَلَا» حرف تنبيه واستفتاح[٤]، و«العذاب الأكبر» هو عذابُ جهنَّم.

وقرأ الجمهور: «إيَابَهم» بتخفيف الياء، مصدر: آبَ، وأبو جعفر وشيبة: بشدِّها[٥]، مصدراً لـ فَيْعَل مِن: آبَ، على وزن: فِيْعال، أو مصدراً لـ: فَوْعَل كحَوْقَل، على وزن: فِيْعال أيضاً كحِيْقال[٦]، أو مصدراً لـ: فَعْول كجَهْوَر على وزن: فِعْوَال، كجِهْوار، فأصله: إِوْوَاب، فقلبت الواو الأُولى ياءً لسكونها وانكسار

= رواية الفراء عنه، وفي التيسير ص٢٢٢ عن هشام، وينظر أيضاً النشر ٢/ ٣٧٨.

(١) تنظر المصادر الآنفة الذكر.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٤١، والكشاف ٤/ ٢٤٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٣.

(٣) سلفت هذه الأسماء عند ذكر مفردات سورة الطور، وينظر أيضاً زاد المسير ٩/ ٥٦-٥٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥، وورد في مطبوعه: . . . وزيد بن علي، بدل: زيد بن أسلم، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٢ عن ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم، وهي عن جميعهم في المحتسب ٢/ ٣٥٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٥، وزاد المسير ٩/ ١٠١ وزاد نسبتها لأُبيّ وعائشة وعبد الرحمن، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٤٠٠.

(٦) حَوقَلَ الشيخُ حَوقَلَةً وحِيقالاً: إذا كَبِرَ وفَتَر عن الجماع. الصحاح (حوقل).

ما قَبْلَها، واجتمع في هذا البناء والبناءَين قَبْلَه واو وياء وسُبقت إحداهُما بالسُّكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغم، ولم يمنع الإدغامُ مِن القلب؛ لأنَّ الواوَ والياء ليستا عينين مِن الفعل، بل الياء في فَيْعَل والواو في فَوْعَل وفي فَعْوَل زائدتان.

وقال صاحب «اللوامح» وتَبِعَهُ الزمخشريُّ: يكون أصله: إوَّاباً، مصدر: أوَّب، نحو: كَذَّب كِذَّاباً، ثم قيل: إيْواباً، فقلبت الواو الأُولى ياءً لانكسار ما قَبْلَها.

قال الزمخشريُّ: كدِيْوان في دِوَّان، ثم فُعِلَ به ما فُعلَ بسيِّد[1].

يعني أنَّه اجتمع ياء وواو وسُبِقت إحداهما بالسكون فقُلبت الواو ياء وأُدغمت الياء في الواو.

فأمَّا كونه مصدر: أوّب، فإنَّه لا يجوز؛ لأنَّهم نصُّوا على أنَّ الواو الأولى إذا كانت موضوعة على الإدغام، وجاء ما قَبْلَها مكسوراً فلا تقلب الواو الأُولى ياءً لأَجْل الكسرة، ومثَّلوا باخْرِوَّاط مصدر: اخْرَوَّط، ومثَّلوا أيضاً بمصدر: أوّب، نحو: أوَّب إِوَّاباً، فهذه وضعت على الإدغام فحصَّنها مِن الإبدال ولم تتأثَّر للكسرة.

وأمَّا تشبيه الزمخشريِّ بدِيْوان، فليس بجيِّد؛ لأنَّهم لم يَنطقوا بها في الوضع مُدْغَمة، فلم يقولوا: دِوَّان، ولولا الجَمْع على دَوَاوِين لم يُعلَم أنَّ أصلَ هذه الياء واوٌ، وأيضاً فنصُّوا على شذوذِ دِيوان، فلا يُقاس عليه غيره.

وقال ابنُ عطيَّة: ويصحُّ أن يكون مِن: أأْوَب، فيجيء: إيواباً، سُهِّلت الهمزة وكان اللازمُ في الإدغام يردُّها: أواباً، لكن استحسنت فيه الياء على غيرِ قياس[2]. انتهى.

فقوله: وكان اللازم في الإدغام يردُّها: إواباً، ليس بصحيح، بل اللازم إذا اعتبر الإدغام أنْ يكون إياباً، لأنَّه قد اجتمعت ياءٌ ـ وهي المُبدَلة مِن الهمزة

(١) الكشاف ٤/٢٤٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥.

بالتسهيل ـ وواو ـ وهي عينُ الكلمة ـ وإحداهما ساكنة، فتُقلب الواو ياءً، وتدغم فيها الياءُ فيصير: إياباً.

ولمَّا كان مِن مذهب الزمخشريِّ أنَّ تقديم المعمول يُفيد الحَصْر، قال: معناه: أنَّ إيابهم ليس إلَّا إلى الجبَّار المُقتَدر على الانتقام، وأنَّ حسابهم ليس بواجب إلَّا عليه تعالى، وهو الذي يُحاسِب على النَّقِير والقِطْمِير، ومعنى الوجوب الوجوبُ في الحكمة[1].

(١) الكشاف ٤/٢٤٨.

مفردات سورة الفجر

الحِجْر: العَقْل، قال الفرَّاء: العرب تقول: إنَّه لذُو حِجْر: إذا كان قاهراً لنفسه حافظاً لها، كأنَّه مِن: حَجَرتُ على الرَّجُل[1].

«إِرَم»: أُمَّةٌ قديمة، وقيل: اسمُ أَبي عادٍ كلّها، وهو عادُ بنُ عوص بن إرم بن سام بنِ نوح عليه السلام. وقيل: مدينة، وعلى أنَّه اسمُ قبيلة قال زهير:

وآخَـرِيـن تَـرَى الـمـاذِيَّ عِـدَّتَـهُـم مِـن نَـسْـجِ داودَ أو مـا أَوْرَثَـت إِرَمُ[2]

وقال ابنُ الرُّقَيَّات:

مـجـداً تـلـيـداً بـنـاه أوّلـه أدرك عـاداً وقَـبْـلَـه إِرَمـا[3]

«جَاب»: خَرَق وقَطَع، تقول: جُبْتُ البلادَ أَجُوبها: إذا قطعتَها وجاوزتها، قال الشاعر:

ولا رأيتُ قَلُوصاً قَبْلَها حَمَلَتْ سِتِّين وَسْقاً ولا جابَتْ بها بَلَدَا[4]

السَّوطُ: آلَةٌ للضَّرْب معروفة، قال بعضُ اللُّغويِّين: هو مصدرٌ مِن: سَاطَ

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٤، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧، والبيت في ديوان زهير ص١٥٨، وسلف في تفسير سورة المائدة، عند تفسير الآية (١٠٦) منها.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧، والبيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٥٥.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٦٩، والبيت أورده أيضاً القرطبيُّ ٢٢/ ٢٧١، ضمن أبيات ثلاثة، وورد فيه: ما إن، بدل: ولا. والأبيات لأبي وجزة السعدي، وهي في الكامل للمبرِّد ١/ ٢٤٣، والأغاني ١٢/ ٢٤٤.

يَسُوط: إذا اختلط.

وقال الليث: سَاطَهُ إذا خَلَطه بالسَّوط، ومنه:

أحَارِثُ إنَّا لو تُساطُ دِماؤنا ... تَزَايَلْنَ حتى لا يمسَّ دَمٌ دَمَا[١]

وقال أبو زيد: يقال: أَموالهم سَوِيطةٌ بينهم، أي: مُختَلِطة[٢].

اللَّمُّ: الجَمْعُ واللَّفُّ، قال أبو عبيدة: لَمَمْتُ ما على الخِوان: إذا أكلتَ جميعَ ما عليه بأسْرِه[٣]، وقال الحطيئة:

إذا كان لَمَّا يُتْبَعُ الذمَّ ربَّه ... فلا قدَّس الرَّحمنُ تلك الطواحِنا[٤]

ومنه: لَمَمُ الشَّعَث، قال النابغة:

ولَستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهذَّبُ[٥]

الجَمُّ: الكثير.

* * *

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٧٠، والبيت للمتلمس، وهو في ديوانه ص١٦، ووقع في مطبوعه: تشاط، بدل: تساط، وهو أيضاً في اللسان (شيط)، وهو عنده أيضاً بالشين، وقال: ويُروى: تُساط، بالسين.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٣، وينظر الصحاح (سوط)، وإصلاح المنطق لابن السكيت ص٣٩٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٩، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٩٨ بنحوه.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٩، ولم نقف على البيت في ديوان الحطيئة.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٨، والبيت في ديوان النابغة ص١٨، وخزانة الأدب ٩/ ٤٦٧، وجمهرة الأمثال للعسكري ١/ ١٨٨.

قال البغدادي: يقول: أي الرجال يكون مبَّراً من العيوب؟ فإن قَطَعْتَ إخوانك بذنب لم يبقَ لك أخٌ. وقوله: أي الرجال المهذب، قال العسكري: يضرب للرجل يُعرف بالإصابة في الأمور، وتكون منه السَّقْطة.

سورة الفجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى
حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ
۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١
فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ فَأَمَّا
ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ
رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ
۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ
ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى
فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾.

هذه السورة مكِّيَّة في قول الجمهور، وقال عليّ بنُ أبي طلحة: مدنيَّة[1].

ولـمَّا ذكرَ فيما قبْلَها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢] و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] أتْبَعه بذِكْر الطوائفِ المكذِّبين المتجبِّرين الذين وجوههم خاشِعَة، وأشار إلى الصِّنْفِ الآخر الذين وجوههم ناعمة، بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]. وأيضاً لمَّا قال: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣] قال هنا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] تهديداً لمَن كفر وتولَّى.

وقرأ أبو الدينار الأعرابيُّ: «والفجرٍ» «والوترٍ» و«يسرٍ» بالتنوين في الثلاثة، قال

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/٤٧٦، ونَقَل القولَ بأنها مدنيَّة عن أبي عمرو الداني، عن بعض العلماء، وقال: والأوّل أشهر وأصحّ. يعني أنها مكّيَّة، وكذا وردت في تفسير الثعلبي ٦/٤٤٣، والقرطبي ٢٢/٢٥٦ بأنها مكّيّة.

ابنُ خالويه: هذا كما روي عن بعضِ العرب أنَّه يَقِفُ على أواخر القوافي بالتنوين وإنْ كان فِعْلاً، وإنْ كان فيه ألفٌ ولامٌ، قال الشاعر:

أَقِلِّي اللَّومَ عاذِلَ والعِتاباً وقولي إنْ أصبتُ لقد أصاباً[١]

انتهى. وهذا ذَكَره النحويُّون في القوافي المُطلَقة إذا لم يترنَّم الشاعر، وهو أَحَدُ الوجهين اللَّذين للعرب [٢]إذا أنشدوا ولم يترنَّموا، والوجهُ الآخَرُ الوقفُ، فيقولون: العتاب وأصاب، كحالهم[٢] إذا وَقَفوا على الكَلِم في الكلام لا في الشعر، وهذا الأعرابيُّ[٣] أجرى الفواصلَ مجرى القوافي.

وقرأ الجمهور: «وليالٍ عَشْرٍ» بالتنوين، وابنُ عباس: بالإضافة[٤]، فضَبَطه بعضُهم: «وليالِ عَشْر» بلام دون ياء، وبعضُهم: «وليالي عَشْرٍ» بالياء، ويريد: وليالي أيَّامِ عَشْرٍ، ولما حذفَ الموصوف المعدود وهو مذكَّر، جاز في عدده حذفُ التاء مِن «عَشْر».

والجمهور: «والوَتْر» بفتح الواو وسكون التاء، وهي لغة قريش. والأغرُّ عن ابنِ عباس وأبو رجاء وابنُ وثَّاب وقتادة وطلحة والأعمش والحسن ـ بخلاف عنه ـ والأَخَوان: بكسر الواو[٥]، وهي لغة تميم.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٣، والقراءة في الكشاف ٤/ ٢٤٩ دون عزوٍ، والبيت لجرير يهجو فيه الراعي النميري، وهو في ديوانه ١/ ٦٤، والمقتضب ١/ ٢٤٠، والخصائص لابن جنّي ١/ ١٧١، والإنصاف ٢/ ٦٥٥.

(٢-٢) زيادة من (يه)، ولم ترد في بقية النسخ.

(٣) يعني به أبا الدينار الأعرابي في قراءته بالتنوين.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٧، والكشاف ٤/ ٢٤٩، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦ دون عزوٍ، وأوردها أيضاً ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٣ لكن ورد في مطبوعه: ابن عامر، ولعلَّه: ابن عباس، كما ذكر المصنِّف وكما ورد في المصادر، وينظر النشر ٢/ ١٣٦-١٣٧ باب الزوائد المحذوفة لأجل التنوين.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦١، والثعلبي ٦/ ٤٤٦-٤٤٧، والقراءة في السبعة ص٦٨٣، والتيسير ص٢٢٢، والنشر ٢/ ٤٠٠، وقراءة الكسر قراءة خَلَف من العشرة.

واللُّغتان في الفَرْد، فأمَّا في الذَّحْل[١] فالكسر لا غير، وحكى الأصمعيُّ فيه اللغتين[٢]، ويونس عن أبي عمرو: بفتح الواو وكسر التاء[٣].

والجمهور: «يَسْرِ» بحذف الياء وصلاً ووقفاً، وابنُ كثير بإثباتها فيهما، ونافع وأبو عَمرو بخلافٍ عنه: بياءٍ في الوصل، وبحذفها في الوقف[٤].

والظاهر وقول الجمهور منهم عليّ وابنُ عباس وابنُ الزبير أنَّ الفَجْر هو المشهور، أَقسم به كما أَقسم بالصُّبح[٥]، ويُراد به الجنس لا فَجْر يومٍ مخصوص.

وقال ابنُ عبَّاس ومجاهد: مِن يوم النحر، وعكرمة: مِن يوم الجمعة، والضَّحَّاك: مِن ذي الحُجَّة، ومقاتل: مِن ليلة جَمْع، وابنُ عباس وقتادة: مِن أوَّل يومٍ مِن المحرَّم، وعن ابنِ عباس أيضاً: الفجر النَّهار كلّه، وعنه أيضاً وعن زيد بنِ أسلَم: الفجر هو صلاةُ الصبح، وقرآنها هو قرآنُ الفجر.

وقيل: فَجْر العيون مِن الصخور وغيرها. وقال ابنُ الزبير والكلبيُّ وقتادة ومجاهد والضحاك والسُّدِّيُّ وعطيَّة والعوفي: هي عَشْر ذي الحجَّة، وابنُ عبَّاس والضَّحَّاك: العَشْر الأواخِر مِن رمضان، وقال ابنُ جريج: الأوَّل منه، ويَمان وجماعة: الأوَّل مِن المحرَّم، وفيه يوم عاشوراء، ومسروق ومجاهد: وعَشْر موسى عليه السلام التي أتمَّها اللهُ تعالى[٦].

قيل: والأظهر قولُ ابنِ عباس؛ للحديث المتَّفق على صحَّته، قالت عائشة

---

(١) الذَّحْلُ: الحقد والعداوة. الصحاح (ذحل).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧، والكشاف ٤/ ٢٤٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤٩، والقراءات الشاذة ص١٧٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٢، والثعلبي ٦/ ٤٤٧، وقراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو في السبعة ص٦٨٣-٦٨٤، والتيسير ص٢٢٢، والنشر ٢/ ٤٠٠، وقراءة ابن كثير هي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: ١٨].

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٦-٢٥٧، والثعلبي ٦/ ٤٤٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٦٤-٢٦٥، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٣٤٤-٣٤٨.

رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ إذا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئزره، وأَحْيَا ليله، وأيقظ أهله[١].

قال التبريزيُّ: اتَّفقوا على أنَّه العَشْر الأواخِر، يعني مِن رمضان لم يُخالِف فيه أحدٌ، فتعظيمه مناسبٌ لتعظيم القَسَم.

وقال الزمخشريُّ: وأراد بالليالي العَشْرِ عَشْرَ ذي الحجَّة، فإن قلت: فما بالها منكَّرة مِن بين ما أقسَم به؟

قلت: لأنَّها ليالٍ مخصوصةٌ مِن بين جنسِ الليالي العَشْر بعض منها، أو مخصوصة بفَضِيلة ليست لغيرها.

فإن قلت: فهلَّا عُرِّفَت بلام العهد؛ لأنَّها ليالٍ معلومة معهودة؟

قلت: لو فعلَ ذلك لم تستقلَّ بمعنى الفَضِيلة الذي في التنكير، ولأنَّ الأحسنَ أنْ تكون اللَّاماتُ متجانسةً؛ ليكون الكلامُ أَبْعَدَ مِن الإلغاز والتعمية[٢]. انتهى.

أمَّا السُّؤَالان فظَاهِرَان، وأمَّا الجوابُ عنهما فلفظٌ ملفَّق لا يُعقَل منه معنًى فيُقبَل أو يُرَدّ.

«والشَّفْع والوَتْر» ذكر في كتاب «التحرير والتحبير» فيها ستَّةً وثلاثينَ قولاً ضَجِرنا مِن قراءتها فَضْلاً عن كتابتها في كتابنا هذا[٣].

وعن عمران بنِ حُصَين عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «هي الصلوات، منها الشَّفْع، ومنها الوَتْر»[٤].

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ١٥٠، والحديث عند مسلم (١١٧٤)، وأحمد (٢٤١٣١).

(٢) الكشاف ٤/ ٢٤٩.

(٣) وينظر أيضاً المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦-٤٧٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٨-٢٦٠، والثعلبي ٦/ ٤٤٤-٤٤٦، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبريّ ٢٤/ ٣٤٨-٣٥٥.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٨، والحديث عند الترمذي (٣٣٤٢)، وأحمد (١٩٩١٩)، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة. اهـ. وإسناده ضعيف؛ لإبهام الراوي عن عمران.

وروى أبو أيوبَ عنه ﷺ: «الشَّفْع يومُ عرفة ويومُ الأضحى، والوتر ليلةُ النَّحْر»[١].

وروى جابر عنه ﷺ: «الشَّفْع يوم النحر، والوتر يوم عرفة»[٢] وفي هذا الحديث تفسيرُه عليه الصلاة والسلام الفَجْرَ بالصُّبْح، والليالي العَشْرَ بعَشْر النَّحْر، وهو قولُ ابنِ عباس وعكرمة، واختاره النَّحَّاسُ، وقال: حديث أبي الزبير عن جابرٍ هو الذي صحَّ عن النبيِّ ﷺ، وهو أصحُّ إسناداً مِن حديث عمران بنِ حُصَين، فيوم عرفة وتر؛ لأنَّه تاسعها، ويوم النحر شفع؛ لأنَّه عاشرها.

وذكر ابنُ عطيَّة في الشَّفْع والوتر أربعةَ عَشَر قولاً[٣]، والزمخشريُّ ثلاثة أقوال، ثم قال: وقد أكثروا في الشَّفْع والوَتْر حتى كادوا يَستوعبونَ أجناسَ ما يقعان فيه، وذلك قليلُ الطائل جديرٌ بالتلهِّي عنه[٤]. انتهى.

«والليلِ إذا يَسْرِي»[٥] قَسَم بجنسِ الليل، و«يسري» يَذهب ويَنقرض، كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣].

وقال الأخفش وابنُ قتيبة: يُسْرَى فيه، فيكون مِن باب: ليلُك نائمٌ[٦].

وقال مجاهد وعكرمة والكلبيُّ: المراد ليلةُ جَمْع، لأنَّه يُسْرَى فيها.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٨، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٤٠٧٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧: فيه واصل بن السائب، وهو متروك.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٥٨، وحديث جابر عند النسائي في السنن الكبرى (٤٠٨٦)، وأحمد (١٤٥١١).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦-٤٧٧.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤٩.

(٥) كذا في النُّسخ، وهي قراءة ابن كثير ويعقوب، كما مرَّ قريباً.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦١-٢٦٣، وقول الأخفش ذكره الثعلبي ٦/ ٤٤٧، والبغوي ٤/ ٤٨٢، وقول ابنِ قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن ص٥٢٦.

وجواب القَسَم محذوف، قال الزمخشريُّ: وهو: لَنُعذِّبَنَّ، يدلُّ عليه قوله: «أَلَم تَر» إلى قوله: «فصَبَّ عليهم ربُّكَ سَوْطَ عذاب» [الفجر: ١٣].

وقال ابنُ الأنباري: الجواب: «إنَّ ربَّك لبالمِرْصَاد»[١].

والذي يَظهر أنَّ الجوابَ محذوفٌ، يدلُّ عليه ما قَبْلَه مِن آخِرِ سورة «الغاشية»، وهو قوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]. وتقديره: لَإيابهم إلينا وحسابهم علينا.

وقول مقاتل: «هل» هنا «في» موضع [إنَّ][٢]، تقديرهُ: إنَّ في ذلك قَسَماً لذي حِجْرٍ، فـ«هل» على هذا في موضع جواب القَسَم = قولٌ لم يَصدُر عن تأمُّل؛ لأنَّ المُقسَم عليه على تقدير أن يكون التركيب: إنَّ في ذلك قَسَماً لذي حِجْر، لم يذكر، فيبقى قَسَم بلا مُقسَم عليه؛ لأنَّ الذي قدّره مِن: إنَّ في ذلك قَسَماً لذي حِجْرٍ، لا يصلح أَنْ يكون مُقسَماً عليه.

و«هل في ذلك» تقديرٌ على عِظَم هذه الأقسام، أي: هل فيها مَقنعٌ في القَسَم لذي عَقْلٍ فيزدجر ويفكِّر في آيات الله، ثم وقف المخاطب على مَصارع الأُمَم الكافرة الماضية مقصوداً بذلك توعُّد قريش ونَصْب المَثَل لها.

و«عَاد»: هو عاد بنُ عوص، وأطلق ذلك على عَقِبه، ثمَّ قيل للأوَّلين منهم: عاداً الأُولى، و«إرم» تسميةٌ لهم باسم جدِّهم، ولمَن بَعْدَهم: عاد الأخيرة، وقال مجاهد وقتادة: هي قبيلةٌ بعينها، وقال ابنُ إسحاق: إرَم هو أبو عاد كلّها.

وقال الجمهور: «إرَم» مدينة لهم عظيمة، كانت على وَجْه الدَّهر باليمن، وقال محمد بنُ كعب: هي الإسكندريَّة، وقال ابنُ المسيّب والمقبريُّ: هي دمشق، وقال مجاهد أيضاً: «إرَم» معناه: القديمة[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٣، وقول ابن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء ٢/ ٩٧٦.

(٢) زيادة من تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٣ والكلام منه.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧-٤٧٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٤-٢٦٦، والثعلبي ٦/ ٤٤٧-٤٤٨، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبري ٢٤/ ٣٦١-٣٦٤.

وقرأ الجمهور: «بِعَادٍ» مصروفاً «إِرَمَ» بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ممنوعَ الصَّرف؛ للتأنيث والعلميَّة، لأنَّه اسمٌ للقبيلة، و«عاد» وإنْ كان اسمَ القبيلة فقد يُلحَظ فيه معنى الحَيّ فيُصرَف، أو لا يُلحَظ فجاء على لغة مَن صَرَف هنداً، و«إِرَم» عطفُ بيان أو بَدَل.

وقرأ الحسن: «بعادَ» غير مصروف مضافاً إلى «إِرَم»[١]، فجاز أن يكون: «إرم» أباً وجَدًّا ومدينة.

والضَّحَّاك «بعادَ * أَرَمَ» بفتح الدَّال[٢] وما بَعْدَها ممنوعَي الصَّرْف.

وقرأ ابنُ الزبير: «بعاد» بالإضافة «أَرِمَ» بفتح الهمزة وكسر الراء، وهي لغةٌ في المدينة[٣].

والضَّحَّاك: «بعادٍ» مصروفاً، و«بعادَ» غير مصروف أيضاً، «أَرْمَ» بفتح الهمزة وسكون الراء، تخفيف «أَرِمَ» بكسر الراء[٤].

وعن ابنِ عباس والضحاك: «أَرِمَّ» فِعْلاً ماضياً[٥]، أي: بَلِيَ، يقال: رَمَّ العظمُ وأَرَمَّ هو، أي: بَلِيَ، وأَرَمَّه غيرُه معدًّى بالهمزة، مِن: رَمَّ الثلاثي، و«ذاتِ» على هذه القراءة مكسورة التاء.

وابنُ عباس أيضاً: «أَرَمَّ» فعلاً ماضياً «ذاتَ» بنصب التاء على المفعول به[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٥، والكشاف ٤/ ٢٥٠، والقراءات الشاذة ص١٧٣.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨: بفتح الدال، والهمزة من «أرَم» وفتح الراء والميم على ترك الصرف، والقراءة أخرجها عنه الثعلبيُّ ٦/ ٤٤٨ بفتح الألف والراء من «أرم».

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨،

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٥، والثعلبي ٦/ ٤٤٨، والكشاف ٤/ ٢٥٠، والمحتسب ٢/ ٣٥٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، والكشاف ٤/ ٢٥٠، والقراءات الشاذة ص١٧٣.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٥، والكشاف ٤/ ٢٥٠، والمحتسب ٢/ ٣٥٩.

و«ذاتِ» بالكسر صفة لـ «إرم»، وسواء أكانت اسمَ قبيلة أم مدينة، وإنْ كان يترجَّح كونها مدينة بقوله: «لم يُخلَق مِثْلُها في البلاد»، فإذا كانت قبيلةً صحَّ إضافة «عاد» إليها، وفكّها منها بَدَلاً، أو عطف بيان، وإنْ كانت مدينةً فالإضافة إليها ظاهرةٌ، والفَكُّ فيها يكون على حَذْف مضاف، أي: بعادٍ أهلِ إرَم ذاتِ العماد.

وقُرئ: «إرَمِ ذَاتِ العماد» بإضافة «إرَم» إلى «ذَات»، والإرَم: العَلَم، يعني: بعاد أعلامِ ذاتِ العماد[١].

ومَن قرأ: «أَرَمَّ» فعلاً ماضياً «ذات» بالنصب، أي: جَعَلَ اللهُ ذات العماد رَميماً، ويكون «إرم» بدلاً مِن «فَعَل رَبُّك» أو تبييناً لـ «فَعَلَ».

وإذا كانت «ذات العماد» صفة للقَبيلة، فقال ابنُ عبَّاس: هي كنايةٌ عن طُول أبدانهم[٢]، ومنه قيل: رَفِيْع العِماد، شبّهت قُدُودُهم بالأعْمِدَة، ومنه قولهم: رجلٌ مُعَمَّدٌ وعُمَّدان، أي: طويل.

وقال عكرمة ومقاتل: أعمدة بيوتهم التي كانوا يَرحلون بها؛ لأنَّهم كانوا أهلَ عمود. وقال ابنُ زيد: أعمدة بنيانهم[٣].

وإذا كانت صفةً للمدينة، فأعمدة الحجارة التي بُنيت بها، وقيل: القُصُور العالية والأبراج يُقال لها: عماد.

وحكي عن مجاهد: «أَرَمَ» مصدر: أَرِمَ يَأْرَمُ: إذا هلك، والمعنى: كهلاكِ ذاتِ العماد. كأنَّ معنى: «كيف فَعَلَ ربُّك بعاد» كيف أهلكَ عاداً كهلاكِ ذاتِ العماد. وهذا قولٌ غريب.

وذَكَر المفسِّرون أنَّ «ذات العماد» مدينةٌ ابتناها شداد بنُ عاد، لمَّا سمع بذِكْر

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٥، والكشاف ٤/ ٢٥٠، والأعلام كان قوم عادٍ يبنونها على هيئة المنارة وعلى هيئة القبور. تفسير الرازي ٣١/ ١٦٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، وزاد المسير ٩/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٧، والأثر عند الطبريّ ٢٤/ ٣٦٥.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٨، والنكت والعيون ٦/ ٢٦٨.

الجنَّة على أوصافٍ، بَعيدٌ أو مستحيلٌ عادةً أنْ يُبنى في الأرض مِثْلُها، وأنَّ الله تعالى بَعَثَ عليه وعلى أهله صيحةً قَبْلَ أنْ يَدخلها، هَلَكوا جميعاً، ويُوقَف على قصَّتهم في كتاب «التحرير»، وشيء منها في «الكشاف»[(١)].

وقرأ الجمهور: «لم يُخلَق» مبنيًّا للمفعول «مِثْلُها» رفع، وابنُ الزبير مبنيًّا للفاعل «مِثْلَها» نصباً، وعنه: «نخلق» بالنون[(٢)].

والضمير في «مثلها» عائدٌ على المدينة التي هي «ذات العماد» في البلاد، أي: في بلاد الدنيا، أو عائدٌ على القبيلة، أي: في عِظَم أجسام وقوَّة.

وقرأ ابنُ وثَّاب: «وثمودٌ» بالتنوين[(٣)]، والجمهور: بمَنْع الصَّرْف.

«جَابُوا الصَّخْرَ» خَرَقُوه ونَحتوه فاتَّخذوا في الحجارة منها بيوتاً، كما قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

قيل: أوَّل مَن نَحَتَ الجبالَ والصخورَ والرُّخام ثمود، وبَنَوْا ألفاً وسبع مئة مدينة كلّها بالحجارة «بالواد» وادي القرى[(٤)].

وقيل: «جابوا» واديهم، وجَلبُوا ماءَهم في صخرٍ شَقُّوه، فِعْل ذي القوَّة والآمال[(٥)].

«ذي الأوتاد» تقدَّم الكلامُ عليها في سورة ﴿صٓ﴾[(٦)]، «الذين» صفة لعاد وثمود وفرعون، أو منصوب على الذَّمِّ، أو مرفوعٌ على إضمار «هم».

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٠، وينظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٦٩-٢٧٠، والثعلبي ٦/ ٤٤٨-٤٥١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، وينظر الكشاف ٤/ ٢٥٠، والقراءة الأولى في القراءات الشاذة ص١٧٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨.
(٤) ينظر الكشاف ٤/ ٢٥٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧١، والثعلبي ٦/ ٤٥١، والنكت والعيون ٦/ ٢٦٩، ووادي القرى، وادٍ بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر. معجم البلدان ٤/ ٣٣٨ و٥/ ٣٤٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨.
(٦) عند تفسير الآية (١٣) منها.

«فَصَبَّ عليهم ربُّكَ سَوطَ عذاب» أبهمَ هنا وأُوضحَ في «الحاقَّة»[(١)] وفي غيرها، ويقال: صَبّ عليه السَّوطَ وغشَّاه وقنَّعه، واستعملَ الصَّبَّ في السَّوط؛ لاقتضائه السُّرْعَةَ في النزول على المضروب، قال الشاعر:

فصُبَّت عليهم مُحْصَداتٌ كأنَّها   شآبيبُ ليست مِن سحابٍ ولا قَطْرِ

يريد: المحدودِين في قصَّة الإفك، وقال بعضُ المتأخِّرين في صفة الخيل:

صَبَبنا عليهم ظالمينَ سِيَاطَنا   فطارَت بها أيدٍ سِرَاع وأَرجُلُ

وخصّ السوط فاستعير للعذاب؛ لأنَّه يقتضي مِن التكرار والتّرداد ما لا يقتضيه السيفُ ولا غيره[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: وذكر السّوط إشارة إلى أنَّ ما أحلَّه بهم في الدنيا مِن العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدَّ لهم في الآخِرَة كالسَّوط إذا قيسَ إلى سائر ما يعذّب به.

والمرصاد والمرصد: المكان الذي يَترتَّب فيه الرَّصَد، مِفْعَال مِن: رَصَدَهُ، وهذا مَثَلٌ لإرصادِه العصاةَ بالعقاب وأنَّهم لا يَفوتونه[(٣)].

(١) عند ذكر الآيات (٤) و(٥) و(٦) و(٧) منها.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨، والبيت الأول لم نقف عليه هكذا، بل ورد ضمن أبيات أُخَر هكذا:

فصُبَّت عليهم مُحْصَداتٌ كأنها   شآبيب قَطرٍ من ذُرَى المُزْن تُسْفَحُ

والأبيات أوردها الماورديُّ في النكت والعيون ٤/ ٨١-٨٢، وابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٣٠٧، وابن شبَّة في تاريخ المدينة ١/ ٣٤٧، والقرطبيُّ في التفسير ١٥/ ١٦٩، قالها حسان بن ثابت في المحدودين في حادثة الإفك، حسان وحَمْنَة ومِسْطَح، وقوله: محصدات: يعني سياطاً محكمة الفتل شديدات، والشآبيب: جمع: شؤبوب، وهي الدُّفْعة من المطر، والذرى: الأعالي، والمُزْن: السحاب، وتسفح: تسيل. مع الإشارة إلى أنَّ الطبراني ذكر ثلاثة أبيات منها في معجمه الكبير ٢٣/ ١١٧.

والبيت الثاني لابن المعتز، وهو في ديوانه.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥١.

قال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أنْ يكون المرصادُ في الآية اسمَ فاعلٍ، كأنَّه قال: لبالراصد، فعبَّر ببناء المبالغة[١]. انتهى. ولو كان كما زَعَم لم تَدخُل الباء؛ لأنَّها ليست في مكانِ دخولها لا زائدةً ولا غيرَ زائدةٍ.

«فأمَّا الإنسان» ذكر تعالى ما كانت قريشٌ تقوله وتستدلّ به على إكرام الله تعالى وإهانته لعَبْدِه، فيَرَوْنَ المُكرم مَن عنده الثروةُ والأولاد، والمُهَان ضِدّه، ولمَّا كان هذا غالباً عليهم وبِّخوا بذلك، و«الإنسان» اسم جنس، ويوجد هذا في كثيرٍ مِن أهل الإسلام.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: بِمَ اتَّصلَ قوله: «فأمَّا الإنسان»؟

قلت: بقوله: «إنَّ ربَّك لبِالْمِرصَاد» كأنَّه قيل: إنَّ اللهَ تعالى لا يُريد مِن الإنسان إلَّا الطاعةَ والسَّعْي للعاقبة، وهو مرصد بالعقوبة للعاصي، فأمَّا الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمّه إلا العاجلة وما يَلذّه وينعمه فيها[٢]. انتهى. وفيه التصريح بمذهب الاعتزال في قوله: لا يُريد مِن الإنسان إلَّا الطاعة.

و«إذا» العامل فيه «فيقول»، والنِّيَّة به التأخير، أي: «فيقول» كذا وقتَ الابتداء، وهذه الفاء لا تَمنع أنْ يَعمل ما بَعدَها فيما قَبْلَها، وإنْ كانت فاء دخلت في خبر المبتدأ لأجل «أمَّا» التي فيها معنى الشَّرْط، وبَعْدَ «أمَّا» الثانية مُضمَر به وقع التوازنُ بين الجملتين، تقديره: وأمَّا هو إذا ما ابتلاهُ، و«فيقول» خبرٌ عن ذلك المبتدأ المُضمَر.

و«ابتلاه» معناه: اختَبَره أيَشكرُ، أم يَكفرُ إذا بسطَ له؟ وأيصبر أم يَجزع إذا ضيّق عليه؟ كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقابل «ونَعَّمَهُ» بقوله: «فقدرَ عليه رِزْقَه»، ولم يقابل «فأكرمه» بلفظ: فأهانه؛ لأنَّه ليس مَن ضيّق عليه الرِّزْق، كان ذلك إهانةً له، أَلَا ترى إلى ناسٍ كثيرين مِن

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٩.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٥١.

أهل الصلاح مضيَّقاً عليهم الرزق، كحال أبي سليمان داود بن عليّ الأصبهاني[(١)] وغيرِه.

وذمّ اللهُ تعالى العبدَ في حالتَيْه هاتين، أمَّا في قوله: «فيقول ربِّي أَكْرَمَنِ» فلأنَّه إخبارٌ منه على أنَّه يستحقّ الكرامةَ ويَستوجبها، وأمّا في قوله: «أهانَنِ»[(٢)] فلأنَّه سمّى تَرْكَ التَّفضُّل إهانةً، وليس بإهانةٍ، أو يكون إذا تفضّل عليه أقرَّ بإحسان اللهِ إليه، وإذا لم يتفضّل عليه سمّى [(٣)]ذلك إهانةً، فيكون توجّه الذَّمّ إلى قوله: «فيقول ربي أهانَنِ» حيث سمَّى[(٣)] تَرْكَ تفضُّل اللهِ إهانةً لا إلى الاعتراف بقوله: «أَكْرَمَنِ».

وقرأ ابنُ كثير: «أكرمني» و«أهانني» بالياء فيهما، ونافعٌ بالياء وَصْلاً، وحَذْفها وَقْفاً، وخيّر في الوجهين أبو عمرو، وحَذَفها باقي السبعة فيهما وصلاً ووقفاً، ومَن حَذَفها وقفاً سكّن النون فيه[(٤)].

وقرأ الجمهور: «فَقَدَرَ» بخفّ الدَّال، وأبو جعفر وعيسى وخالد والحسن ـ بخلاف عنه ـ وابنُ عامر: بشدِّها[(٥)].

---

(١) وهو إمام أهل الظاهر، وإليه تُنسَب الطائفة الظاهريَّة، وسمِّيت بذلك؛ لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس، وكان داود أوَّل من جَهر بهذا القول، قال ثعلب: كان عقل داود أكبر من علمه. وكان زاهداً متقلِّلاً، أخذ العلم عن ابن راهويه وأبي ثور. توفي سنة (٢٧٠هـ). السير ١٣/ ١٠٢، والأعلام ٢/ ٣٣٣.

(٢) رسمت في (يه): «أهانني»، ولعلَّها على قراءة ابن كثير ويعقوب، على ما سيأتي قريباً.

(٣-٣) زيادة من (ع) و(يه)، ولم ترد في بقيَّة النسخ.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٦-٢٧٧، والقراءة في السبعة ص٦٨٤، والتيسير ص٢٢٢، والنشر ٢/ ٤٠٠، وفيه أنَّ إثبات الياء في الحالتين قراءة يعقوب أيضاً.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٦، والثعلبي ٦/ ٤٥٤، والقراءة في النشر ٢/ ٤٠٠ عن ابن عامر وأبي جعفر، وأوردها أبو عمرو الداني في كتابه جامع البيان ٢/ ٤٨٢، وقال: ولم يذكر ابنُ مجاهد هذا الحرف في كتابه. ولم تَرِد هذه القراءة في مطبوع التيسير، بل أوردها في كتابه الأحرف السبعة [ص٣٦] في مقدمته عند ذِكْر التشديد والتخفيف في القراءات دونَ عزوٍ.

قال الجمهور: هما بمعنًى واحد، بمعنى: ضيّق، والتضعيف فيه للمبالغة لا للتعدِّي، ولا يقتضي ذلك قول الإنسان: «أهانَن» لأنَّ إعطاءَ ما يَكفيه لا إهانةَ فيه.

«كلَّا» رَدٌّ على قولهم ومُعتَقَدهم، أي: ليس إكرامُ اللهِ وتقديرُ الرزق سببَه ما ذَكَرتم، بل إكرامُه العبدَ تيسيرُه لتقواه، وإهانتُه له تيسيرُه للمعصية، ثم أخبرهم بما هم عليه مِن أعمالهم السَّيِّئة.

وقال الزمخشريُّ: «كلَّا» ردعٌ للإنسان عن قوله، ثم قال: بل هناك شرٌّ مِن هذا القول، وهو أنَّ اللهَ تعالى يُكرمهم بكثرة المال، فلا يُؤدُّون فيها ما يَلزمهم مِن إكرامهم اليتيم بالتفقُّد والمَبرَّة، وحضّ أهله على طعام المسكين، ويَأكلونه أَكْلَ الأنعام ويحبّونه فيشحّون به[١]. انتهى. وفي الحديث: «أحبُّ البيوتِ إلى الله تعالى بيتٌ فيه يتيم مكرم»[٢].

وقرأ الحسن ومجاهد وأبو رجاء وقتادة والجحدريُّ وأبو عمرو: «يكرمون» و«لا يحضون» و«يأكلون» و«يحبّون» بياء الغيبة فيها، وباقي السبعة: بتاء الخطاب[٣].

وأبو جعفر وشيبة والكوفيُّون وابنُ مقسم: «تَحَاضُّون»بفتح التاء، والألف[٤]، أصله: «تتحاضّون» وهي قراءة الأعمش[٥]، أي: يحضّ بعضكم بعضاً.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٩، والحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣١)، والطبراني في الكبير (١٣٤٣٤)، وابنُ عدي في الكامل ١/ ١٧، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٣٧ من حديث عمر ﷺ، قال العقيلي عقبه: لا أصل له، وقال ابن أبي حاتم كما في العلل ٢/ ١٧٦: سألت أبي عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث منكر.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٧، والثعلبي ٦/ ٤٥٥، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٨٥، والتيسير ص٢٢٢، وهي أيضاً قراءة يعقوب. النشر ٢/ ٤٠٠.

(٤) تنظر المصادر السالفة الذكر.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٠.

وعبد الله وعلقمة وزيد بن عليٍّ وعبد الله بنُ المبارك والشيرزيّ عن الكسائيّ كذلك، إلّا أنّهم ضمُّوا التاء[١]، أي: «تُحَاضُّونَ» أنفسَكم، أي: بعضكم بعضاً، وتَفَاعل وفَاعَل يأتي بمعنى فعلَ أيضاً.

«على طعام» يجوز أنْ يكون بمعنى إطعام كالعطاء بمعنى الإعطاء، والأولى أنْ يكون على حذفِ مضاف، أي: على بَذْل طعام.

«ويأكلونَ[٢] التراثَ» كانوا لا يُورِّثون النساءَ ولا صغارَ الأولاد، فيأكلون نصيبَهم، ويقولون: لا يَأْخُذُ الميراثَ إلّا مَن يُقاتِل ويَحمي الحَوْزَة.

و«التراث» تاؤه بَدَل مِن واو، كالتُّكَأة[٣] والتُّخَمَة[٤]، مِن: تَوَكَّأْتُ ووَخِمْتُ.

وقيل: كانوا يَأكلون ما جَمَعه الميت مِن الظَّلَمة وهم عالمونَ بذلك، يَجمعون بين الحلال والحرام، أو يُسرِفون في إنفاق ما وَرِثوه؛ لأنّهم ما تَعِبوا في تحصيله، كما شاهَدْنا الوُرَّاث البَطّالين.

«كلا» رَدْعٌ لهم عن ذلك، وإنكارٌ لفِعْلهم، ثم أَتَى بالوعيد وذَكَر تحسُّرَهم على ما فرَّطوا في دار الدنيا.

«دكًّا دكًّا» حال، كقولهم: باباً باباً[٥]، أي: مكرَّراً عليهم الدَّكّ.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٧٨، والثعلبي ٦/ ٤٥٥، وزاد المسير ٩/ ١٢٠، والقراءة وردت عن ابن مسعود وعلقمة في القراءات الشاذة ص١٧٣ لكن بالياء، بدل: التاء.

(٢) كذا في (ع) و(يه)، وهي قراءة أبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب وغيرهم، ووردت في باقي النسخ: «وتأكلون» بالتاء، وهي قراءة الباقين.

(٣) قال أبو عبيد كما في تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ١٨٢ (تكئ): تُكَأَةٌ بوزن: فُعَلَة، قال: وأصله: وُكَأَةٌ، فقُلبت الواو تاءً، كما قالوا: تراث، وأصله: وراث، واتَّكَأْتُ اتّكاءً أصله: اوْتَكَيْت، فأُدغمت الواو في التاء وشُدِّدت، وأصل الحرف: وكَّأ يُوَكِّئُ تَوْكِئَةً.

(٤) قال ابن سيْدَه في المحكم (وخم): التُّخَمَة: الداء الذي يُصيبكَ من الطعام، تاؤه مبدلة من واوٍ.

(٥) أي: كما تقول: علَّمته الحسابَ باباً باباً. ينظر الكشاف ٤/ ٢٥٣، والدر المصون ١٠/ ٧٩١.

«وجاء ربُّك» قال منذر بنُ سعيد: معناه ظهورُهُ للخَلْقِ هنالك، ليس بمجيءِ نُقْلَةٍ، وكذلك مَجيءُ ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣] ومَجِيءُ ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤]. وقيل: وجاء قدرته وسلطانه[١].

وقال الزمخشريُّ: هو تمثيلٌ لظهور آياتِ اقتدارِه وتَبيينِ آثارِ قُدْرته وسلطانه، مُثِّلَت حالُه في ذلك بحال المَلِك إذا حَضَرَ بنفسه، ظَهَرَ بحضوره مِن آثارِ الهَيْبَة والسِّياسة ما لا يَظهر بحضور عساكرِه كلِّها وَوُزَرَائه وخواصِّه[٢]. انتهى.

و«المَلَكُ» اسمُ جنسٍ يَشمل الملائكةَ، رُويَ أنَّه ملائكةُ كلِّ سماء تكون صفًّا حولَ الأرض في يوم القيامة، قال الزمخشريُّ: «صَفًّا صَفًّا» تنزل ملائكةُ كلِّ سماء، فَيصطفُّون صفًّا بَعْدَ صَفٍّ، مُحدِقين بالجنِّ والإنس[٣]. انتهى.

«وجِيءَ يومئذٍ بجهنَّم» كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] «يومئذٍ يتذكَّر»: «يومئذٍ» بَدَل مِن «إذا»، قال الزمخشريُّ: وعامل النَّصب فيهما «يتذكَّر»[٤]. انتهى.

ظاهرُ كلامه أنَّ العاملَ في البَدَل هو العاملُ نفسه في المبدَل منه، وهو قولٌ قد نُسِبَ إلى سيبويه[٥]، والمشهور خلافه، وهو أنَّ المبْدَلَ على نيَّة تكرارِ العامل، أي: يتذكَّر ما فرَّط فيه.

«وأنَّى له الذكرى» أي: منفعة الذِّكرى؛ لأنَّه وقتٌ لا يَنفع فيه التذكُّر، لو اتَّعظ في الدُّنيا نَفَعه ذلك في الآخِرة: [٦]﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

«لحياتي» الهنيَّة، وهي حياةُ الآخرة[٦]، قاله الجمهور.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٠.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٥٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٣.
(٥) ينظر الكتاب ١/ ٤٣٩-٤٤٠.
(٦-٦) زيادة من (ع) و(يه).

قال الزمخشريُّ وغيره: أو وقت حياتي في الدُّنيا، كما تقول: جئتُ لطلوعِ الشمس، ولتاريخِ كذا وكذا.

وقال قوم: «لحياتي» في قبري، عند بعثي الذي كنتُ أُكذِّب به.

قال الزمخشريُّ: وهذا أبينُ دليلٍ على أنَّ الاختيارَ كان في أيديهم ومعلَّقاً بقصدهم وإرادتهم، وأنَّهم لم يكونوا محجوزينَ عن الطاعات، مُجبَرينَ على المعاصي، كمذهب أهلِ الأهواء والبِدَع، وإلَّا فما معنى التحسُّر(١)؟! انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وقرأ الجمهور: «لا يعذِّب» و«لا يُوثِق وثاقه» مَبنيَّين للفاعل، والضمير في «عذابه» و«وثاقه» عائدٌ على الله تعالى، أي: لا يَكِل عذابه ولا وَثاقه إلى أَحَدٍ، لأنَّ الأَمْرَ لله وَحْدَه في ذلك، أو هو مِن الشِّدَّة في حيِّز لم يعذِّب قطّ أحدٌ في الدُّنيا مِثْله، والأوَّل واضحٌ؛ لقوله: «لا يعذِّب» و«لا يوثق»، ولا يُطلَق على الماضي إلَّا بمجازٍ بعيد، بل موضوع «لا» إذا دخلت على المضارع أنْ يكون مُستقبَلاً.

ويجوز أن يكون الضمير فيهما عائداً على الكافر، أي: لا يُعذَّب أحدٌ مِن الزَّبانية مِثْلَ ما يُعذِّبونه.

وقيل: «إلى الله» أي: لا يُعذَّب أحدٌ في الدُّنيا عذابَ اللهِ للكافر، ويُضعّف هذا عمل «لا يعذِّب» في «يومئذ»، وهو ظرفٌ مستقبل(٢).

وقرأ ابنُ سيرين وابنُ أبي إسحاق وسوَّار القاضي وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة وأبو بَحريَّة وسلَّام والكسائيُّ ويعقوب وسهل وخارجة عن أبي عمرو: بفتح الذَّال والثاء، مبنيَّين للمفعول(٣).

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٣.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٣، والثعلبي ٦/ ٤٥٦، وقراءة الكسائي في السبعة ص٦٨٥، والتيسير ص٢٢٢، وهي أيضاً قراءة يعقوب. النشر ٢/ ٤٠٠. ونَقَلَ القرطبيُّ عن أبي قلابة عن النبي ﷺ أنه قرأ بفتح الذال والثاء [والخبر عند أبي داود =

فيجوز أنْ يكون الضميرُ فيهما مضافاً للمفعول ـ وهو الأظهر ـ أي: لا يُعذّب أحدٌ مِثْلَ عذابه، ولا يُوثَق بالسَّلاسل والأغلال مِثْلَ وثاقه، أو لا يَحمل أحدٌ عذابَ الإنسان؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

و«عذاب» وُضعَ موضعَ تعذيب، وفي اقتياسِ مِثْلِ هذا خلافٌ؛ وهو أنْ يَعمل ما وضعَ لغيرِ المصدر عملَ المصدر، كالعطاء والثواب والعذاب والكلام، فالبَصْريُّون لا يُجيزونه (١وإنْ جاءَ منه شيءٌ تَأَوَّلوه على إضمارِ فعلٍ يدلُّ عليه هذا اللفظ، والكوفيُّون يُجيزونه١) ويَقيسونه.

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم: «وِثاقه» بكسر الواو، والجمهور: بفتحها[٢].

والمُعذَّب هو الكافر على العموم، وقيل: هو أُميَّة بنُ خَلَف، وقيل: أُبَيّ بنُ خَلَف[٣]، وقيل: المراد به إبليس، وقام الدليلُ على أنَّه مِن أشدّ الناس عذاباً، ويدفع هذا القولَ قولُه: «يومئذٍ يتذكَّر الإنسان» والضمائرُ كلُّها مَسوقةٌ له.

ولـمَّا ذَكَر تعالى شيئاً مِن أحوالِ مَن يُعذّب، ذكر شيئاً مِن أحوال المؤمن، فقال: «يا أيَّتها النَّفْس» وهذا النداءُ الظاهر أنَّه على لسانِ مَلَكٍ.

وقرأ الجمهور: «يا أيتها» بتاء التأنيث، وقرأ زيد بن عليّ: «يا أيُّها» بغير تاءٍ[٤]، ولا أعلم أحداً ذَكَر أنَّها تُذكَّر وإنْ كان المنادى مؤنَّثاً إلَّا صاحب «البديع»، وهذه القراءة شاهدةٌ بذلك، ولذلك وجهٌ مِن القياس؛ وذلك أنَّه كما لم يُثَنَّ ولم يُجمَع في نداء المثنَّى والمجموع، فكذلك لم يُؤنَّث في نداء المؤنَّث.

= (٣٩٩٦) و(٣٩٩٧)، وأحمد (٢٠٦٩١)] ونَقَلَ أيضاً عن أبي عمرو أنه رَجَع إلى قراءة النبي ﷺ.

(١-١) زيادة من (يه)، ولم ترد في بقيَّة النسخ.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨١ عن الخليل بن أحمد والكشاف ٤/ ٢٥٣ دون عزوٍ.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٣، والبغوي ٤/ ٤٨٦، وزاد المسير ٩/ ١٢٢، والكشاف ٤/ ٢٥٣.

(٤) لم نقف على القراءة عند غيره، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢٤.

«المُطْمَئِنَّة»: الآمِنَة التي لا يَلحقها خوفٌ ولا حزن، أو التي كانت مطمئنَّة إلى الحقِّ لم يُخالطها شَكٌّ.

قال ابنُ زيد: يقال لها ذلك عندَ الموت وخروجها مِن جَسَد المؤمن في الدُّنيا، وقيل: عند البعث، وقيل: عند دخول الجنَّة.

«إلى ربِّكِ» أي: إلى موعدِ ربِّكِ، وقيل: الرَّبُّ هنا الإنسانُ ذُو النَّفْس، أي: ادْخُلي في الأجساد، و«النَّفْس» اسمُ جنس[١].

وقيل: هذا النداءُ هو الآنَ للمؤمنين، لمَّا ذَكَر حالَ الكفَّار قال: يا مؤمنون دُوموا وجِدُّوا حتى تَرجعوا راضينَ مَرْضِيِّين، «راضية» بما أُوتيته «مرضيَّة» عندَ الله.

«فادخُلي في عبادي»: أي: في جملة عبادي الصالحين، «وادخلي جنَّتي» معهم. وقيل: «النَّفْس» الرُّوح، والمعنى: فادخلي في أجساد عبادي.

وقرأ الجمهور: «في عبادي» جَمْعاً، وابنُ عبَّاس وعكرمة والضَّحَّاك ومجاهد وأبو جعفر وأبو صالح والكلبيُّ وأبو شيخ الهنائي واليمانيُّ: «في عبدي» على الإفراد[٢]، والأظهر أنَّه أُريدَ به اسمُ الجنس، فمدلولُه ومدلول الجَمْعِ واحد.

وقيل: هو على حَذْفٍ، خاطب النفسَ مفردةً، فقال: «فادخلي في عبدي» أي: في جَسَد عبدي.

وتعدَّى «فادْخُلي» أوَّلاً بـ «في» وثانياً بغير «في»، وذلك أنَّه إذا كان المدخولُ في غير ظرف حقيقي تعدَّت إليه بـ «في» تقول: دخلت في الأمْر، ودخلت في غِمار الناس، ومنه: «فادْخُلي في عبادي»، وإذا كان المدخولُ فيه ظرفاً حقيقيًّا تعدَّت إليه في الغالب بغير وساطة «في».

قيل: نزلت في عثمان بن عفان، وقيل: في حمزة، وقيل: في خُبَيْب بن عَدِي[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٢.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٧، والثعلبي ٦/ ٤٥٨ وفيه قراءة ابنِ عباس بإسناده إليه، والقراءات الشاذة ص١٧٣، والمحتسب ٢/ ٣٦٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٦، والثعلبي ٦/ ٤٥٩.

مفردات سورة البلد

الكَبَد: الشِّدَّة والمَشقَّة، وأصله: مِن: كَبِدَ الرجلُ كَبَداً، فهو أكْبَد: إذا وجِعَه كَبِدُه وانْتَفَخَت، فاستعمل في كلِّ تَعَبٍ ومشقَّة، ومنه اشتُقَّت المُكابَدَة، وقال لبيد:

يـا عـيـنُ هـلَّا بَـكَـيْـتِ أَرْبَـدَ إذْ قـمـنـا وقـامَ الـخـصـومُ فـي كَـبَـدِ[1]

وقال أبو الإصبع:

لـيَ ابنُ عَـمٍّ لَـوَ انَّ الـنَّـاسَ في كَـبَـدٍ لَـظَـلَّ مُـحْـتَـجِزاً بـالـنَّـبْـل يَـرمـيـنـي[2]

الشَّفَةُ: معروفة، وأصلها: شَفَهةٌ، حُذفت منها الهاء، ويدلُّ عليه: شُفَيْهَة، وشِفَاه، وشافهت، وهي ممَّا لا يَجوز جَمعه بالألف والتاء وإنْ كان فيها تاءَ التأنيث.

النَّجد: العُنُق[3]، وجمعه: نُجُود، وبه سُمِّيت: نَجْد؛ لارتفاعها عن انخفاضِ تهامة، والنَّجْد: الطريقُ العالي، قال امرؤ القيس:

فـريـقـانِ مـنـهـم جـازعٌ بَـطْـنَ نَـخْـلَـةٍ وآخَـرُ مـنـهـم قـاطِـعٌ نَـجْـدَ كَـبْـكَـبِ[4]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٢، والبيت في ديوان لبيد ص١٦٠، وأربد هو أخو لبيد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وورد فيه: ذو الإصبع، وهو الصواب، والبيت في ديوانه.

(٣) كذا في النسخ، وكذا وردت في الدر المصون ١١/ ٨، والذي في تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٧ والكلام منه: العُلُوُّ، وكذا وردت في معظم المعاجم اللغوية، مع الإشارة إلى أنه ورد في لسان العرب والقاموس (نجد) وغيرهما أنَّ النَّجود من الأُتن والإبلِ: الطويلة العُنُق. فلعلَّ ما ذهب إليه المصنِّف من هذا الباب، والله تعالى أعلم.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٧، والبيت في ديوان امرئ القيس ص٤٣، وقوله: جازع بطن نخلة. يعني: بستان ابن مغمر، وهو مجتمع لوادِيين؛ نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، وكبكب: اسم =

الفَكُّ: تَخليصُ الشيءِ مِن الشيء، قال الشاعر:

فيا ربّ مكروبٍ كَرَرتُ وَرَاءَهُ ... وعانٍ فَكَكتُ الغُلَّ منه فَفَدَّاني[1]

السَّغَب: الجُوع العامُّ، وقد يقال: سَغِبَ الرَّجُلُ: إذا جاع.

تَرِبَ الرَّجُلُ: افتقرَ ولَصقَ بالتُّراب، وأتربَ: إذا استغنى وصار ذا مالٍ، كالتراب، وكذلك: أثْرَى.

أوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُه: إذا أغلقتَه وأطبقته، قال الشاعر:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مكَّةَ ناقتي ... ومِن دُونها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ[2]

* * *

سورة البلد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي
كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ
مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾.

= جبل، يعني: افترق الحيَّان بعد انقضاء المرتبع الذي كان يجمعهم، ورجعَ كل حيٍّ إلى مائه، وموضع إقامته، فكانوا فرقتين، فمنهم آخذ سُفْلاً، ومنهم آخذٌ عُلْواً. ينظر شرح الديوان، ومعجم البلدان ١/ ٤١٤ و٥/ ٢٧٧.

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٧، والبيت في إصلاح المنطق ص١٨٠، وأنشده ابنُ عباس لنافع بن الأزرق، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ عن الطستي.

هذه السورة مكِّيَّة في قولِ الجمهور، وقيل: مدنيَّة[(١)].

ولمَّا ذَكَر تعالى ابتلاءَه للإنسان بحالة التنعيم وحالةَ التقدير، وذَكَر مِن صفاته الذميمة ما ذَكَر، وما آلَ إليه حالُه وحالُ المؤمن أَتْبَعه بنوعٍ مِن ابتلائه ومِن حالهِ السَّيِّئ وما آلَ إليه في الآخِرَة.

والإشارة «بهذا البلد» إلى مكَّة، «وأنتَ حِلٌّ» جملة حاليَّة تُفيد تعظيمَ المُقسَم به، أي: فأنتَ مقيمٌ به، وهذا هو الظاهر.

وقال ابنُ عبَّاس وجماعةٌ: معناه: وأنتَ حلالٌ بهذا البلد، يَحلُّ لكَ فيه قَتْل مَن شِئْتَ، وكان هذا يوم فتحِ مكَّة.

وقال ابنُ عطيَّة[(٢)]: وهذا يتركَّب على قولِ مَن قال: السورة مدنيَّة نزلت عام الفتح، ويتركَّب على هذا التأويل قول مَن قال: «لا» نافية، أي: إنَّ هذا البَلَد لا يُقسِم اللهُ به وقد جاءَ أهلُه بأعمالٍ تُوجب الإحلال إحلالَ حُرْمَته.

وقال شُرَحْبيلُ بنُ سعد: معنى: «وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد» جَعَلوك حلالاً مستحلَّ الأَذَى والقَتْل والإخراج[(٣)].

وهذا القولُ بَدَأَ به الزمخشريُّ، وقال: وفيه بَعْثٌ على احتمال ما كان يُكابِد مِن أهلِ مكَّة، وتعجيبٌ مِن حالهم في عداوته، أو سلَّى رسولَ الله ﷺ بالقَسَم ببلدِه، على أنَّ الإنسانَ لا يَخلو مِن مقاساةِ الشدائد، واعترضَ بأنْ وَعَدَه فتحَ مكَّة؛ تتميماً للتسلية والتنفيس عنه، فقال: «وأنتَ حلٌّ به» في المستقبل تَصنعُ فيه ما تُريد مِن القَتْل والأَسْر[(٤)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣.

(٢) المصدر السابق، وما قبله منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٩-٢٩٠، وقول ابنِ عباس السالف عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

ثم قال الزمخشريُّ بَعْدَ كلامٍ طويل: فإنْ قلت: أينَ نظيرُ قوله: «وأنتَ حِلٌّ» في معنى الاستقبال؟

قلت: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ومِثْلُه واسعٌ في كلام العبادِ، تقول لـمَن تَعِدُه الإكرامَ والحبا: أنتَ مكرمٌ مَحْبُوٌّ، وهو في كلام اللهِ أوسعُ؛ لأنَّ الأحوالَ المُستقبَلة عنده كالحاضِرَة المشاهَدَة، وكفاكَ دليلاً قاطعاً على أنَّه للاستقبال وأنَّ تفسيرَه بالحال مُحالٌ؛ أنَّ السورةَ بالاتِّفاق مكِّيَّة، وأينَ الهجرةُ مِن وقت نزولها، فما بالُ الفَتْح[١]؟. انتهى.

وحَمْله على أنَّ الجملةَ اعتراضيَّةٌ لا يتعيَّن، وقد ذكرنا أوَّلاً أنَّها جملة حاليَّة، وبيَّنَّا حُسْنَ موقعها، وهي حالٌ مقارنة لا مقدَّرة ولا محكيَّة، فليست مِن الإخبار بالمستقبَل.

وأمَّا سؤاله والجواب، فهذا لا يَسأله مَن له أَدنى تعلُّق بالنَّحْو؛ لأنَّ الأخبار قد تكون بالمستقبَلات، وأنَّ اسمَ الفاعل وما يجري مجراه حالةَ إسنادِه أو الوصفِ به، لا يتعيَّن حَمْلُه على الحال، بل يكون للماضي تارةً، وللحالِ أُخرى، وللمستقبَل أُخرى، وهذا مِن مبادئ عِلْم النحو.

وأمَّا قوله: وكفاكَ دليلاً قاطعاً... إلى آخره. فليس بشيء؛ لأنَّا لم نَحمل «وأنتَ حِلٌّ» على أنَّه يحلُّ لكَ ما تصنعُ في مكَّة مِن الأَسْر والقَتْل في وقت نزولها بمكَّة، فتنافيا، بل حَمَلْناه على أنَّه مقيمٌ بها خاصَّة، وهو وقت النزول كان مقيماً بها ضرورةً.

وأيضاً فما حكاه مِن الاتِّفاق على أنَّها نزلت بمكَّة، ليس بصحيحٍ، وقد حكى الخلافَ فيها عن قومٍ ابنُ عطيَّة[٢]. ولا يدلُّ قوله: «وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد» على ما ذكروه مِن أنَّ المعنى: يستحلّ إذ ذاك، ولا على أنَّك تستحلّ فيه أشياء، بل الظاهر ما ذَكرناه أوَّلاً مِن أنَّه تعالى أقسمَ بها لِمَا جَمعت مِن الشَّرفين؛ شَرفها

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وسلفت الإشارة إلى ذلك أوَّل السورة.

بإضافتها إلى الله تعالى، وشَرفها بحضورِ رسول الله ﷺ وإقامته فيها، فصارت أهلاً أَنْ يُقسَم بها.

والظاهر أنَّ قوله: «ووالدٍ وما وَلَد» لا يُراد به معيَّنٌ، بل يَنطلق على كلِّ والدٍ، وقال ابنُ عباس ذلك، قال: هو على العموم يَدخُل فيه جميعُ الحيوان.

وقال مجاهد: آدم وجميعُ وَلَدِه، وقيل: والصالحين مِن ذرِّيَّته، وقيل: نوح وذرِّيَّته، وقال أبو عمران الجوني: إبراهيم عليه السلام وجميعُ وَلَدِه، وقيل: «ووَالدٍ» رسولُ الله ﷺ، «وما وَلَد» إبراهيم عليه السلام[1].

وقال القرطبيُّ[2] والماورديُّ: يحتمل أنْ يكون الوالدُ النبيَّ ﷺ؛ لتقدُّم ذِكْره، «وما وَلَد» أمَّتُه؛ لقوله ﷺ: «إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوَالد»[3]، ولقراءة عبدِ الله: «وأزواجُهُ أمَّهاتُهم، وهو أبٌ لهم»[4]، فأَقْسَم تعالى به وبأمَّته بَعْدَ أنْ أقسمَ ببلده؛ مبالغةً في شَرَفه عليه الصلاة والسلام.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: ما المراد بـ «ووالدٍ وما وَلَد»؟

قلت: رسول الله ﷺ ومَن وَلَده أَقْسَمَ ببلدِه الذي هو مسقطُ رأسِه، وحَرَمُ أبيه إبراهيم عليه السلام، ومَنْشَأُ أبيه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وبمن وَلَدَهُ وبه.

فإنْ قلت: لِمَ نكَّر؟ قلت: للإبهام المستقلّ بالمدح والتعجُّب.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، والثعلبي ٦/ ٤٦١، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٦-٤٠٨.

(٢) في النسخ: الطبريّ، والمثبت هو الصواب؛ لأنَّا لم نقف على الكلام عند الطبريّ، بل هو عند القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٢٩٢ نقلاً عن الماوردي صاحب النكت والعيون، وكلامه فيه ٦/ ٢٧٥، وينظر أيضاً الكشاف ٤/ ٢٥٤، وسيأتي كلامه قريباً.

(٣) أخرجه أبو داود (٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) ذكرها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٣٥، والنحاس في معاني القرآن له ٣/ ٣٦٨ عن عبد الله ابن عباس، وهي في القراءات الشاذة ص١١٩ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٦٣، وسلفت في سورة الأحزاب عند تفسير الآية (٦) منها.

فإنْ قلت: هلَّا قيل: ومَن وَلَد؟

قلت: فيه ما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: بأيّ شيءٍ وَضَعت، يعني: موضوعاً عجيبَ الشأن[١]. انتهى.

وقال الفرَّاء: وصلح «ما» للناس، كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] و﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، وهو الخالق للذَّكَر والأنثى[٢]. انتهى.

وقال ابنُ عبَّاس وعكرمة وابنُ جبير: المراد بالوَالِد الذي يُولَد له، وبما وَلَد: العاقِرُ الذي لا يُولَد له، جعلوا «ما» نافيةً، فتحتاج إلى تقدير موصول يصحُّ به هذا المعنى[٣]، كأنَّه قال: ووالدٍ والذي ما وَلَد، وإضمار الموصول لا يَجوز عند البصريِّين[٤].

«لقد خَلَقنا الإنسان في كَبَدٍ» هذه الجملة المُقسَم عليها، والجمهور على أنَّ الإنسانَ اسمُ جنس، و«في كَبَد» يكابد مشاقَّ الدنيا والآخِرَة، ومشاقُّه لا تكاد تَنْحصرُ مِن أوَّل قطع سُرَّته إلى أنْ يستقرّ قراره؛ إمَّا في جنَّة فتزول عنه المشقَّات، وإمَّا في نار فتتضاعف مشقَّاته وشدائده[٥].

وقال ابنُ عبَّاس وعبد الله بنُ شدَّاد وأبو صالح والضَّحَّاك ومجاهد: «في كَبَد»: معناه: مُنتصِب القَامَة واقفاً، لم يُخلَق منكبًّا على وجهه، وهذا امتنانٌ عليه.

وقال ابنُ كيسان: منتصباً رأسه في بطن أمِّه، فإذا أُذِنَ له بالخروج قُلبَ رأسُه إلى قَدَمَي أمِّه.

وعن ابنِ عمر: يُكابِد الشكر على السَّرَّاء، ويُكابِد الصبرَ على الضَّرَّاء.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٦٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، والثعلبي ٦/ ٤٦١، والآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٦.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، والرازي ٣١/ ١٨٢.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٣.

وقال ابنُ زيد: «الإنسان» آدم «في كَبَد» في السماء، سمَّاها كَبَداً، وهذه الأقوال ضعيفة، والأوَّل هو الظاهر[١].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «أيحسبُ» عائدٌ على الإنسان، أي: هو لشدَّة شَكِيْمته وعزَّته وقوَّته يحسب أنَّه لا يقاومه أَحَدٌ، ولا يَقْدِر عليه؛ لاستعصامه بَعدَده وعُدَدِه.

«يقول» على سبيل الفَخْر: «أَهلكتُ مالاً لُبَداً» أي: في المكارم وما يَحصل به الثناءُ.

«أيحسبُ» أنَّ أعماله تخفى، وأنَّه لا يَرَاه أحدٌ، ولا يطَّلع عليه في إنفاقه ومَقْصِد ما يبتغيه ممَّا ليس لوجهِ الله منه شيء، بل عليه حَفَظَةٌ يَكتبون ما يَصدُر منه مِن عملٍ في حياته ويُحصونه إلى يوم الجزاء.

وقيل: الضمير في «أيحسب» لبعض صناديدِ قريش، وقيل: هو أبو الأشدّ أسيد بنُ كَلَدَة الجُمَحِي، وقيل: عمرو بن عَبْد وُدّ، وكلٌّ مِن هذين له بأسٌ وشدَّة، يُحكَى أنَّ أبا الأشدّ كان يُبْسَط له الأديمُ العكاظيّ فيَقوم عليه ويقول: مَن أزالني عنه، فله كذا، فلا يُنزَع إلا قِطَعاً، ويَبقى موضع قَدَمَيْه[٢].

وقيل: الوليد بنُ المغيرة؛ وقيل: الحارث بنُ عامر بنِ نوفل كان إذا أذنبَ استفتى الرَّسولَ ﷺ، فيَأمره بالكفَّارة، فقال: لقد أَهلكتُ مالاً لُبَداً في الكفَّارات والنفقات منذ تبعتُ محمَّداً[٣]؟!.

وقرأ الجمهور: «لُبَداً» بضمِّ اللام وفتح الباء، وأبو جعفر: بشَدِّ الباء[٤]، وعنه

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٢، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٨-٤١٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٤، والبغوي ٤/ ٤٨٨-٤٨٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٥، وزاد المسير ٩/ ١٢٩.

(٤) أي: «لُبَّداً». المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٥، وقراءته في النشر ٢/ ٤٠١.

وعن زيد بن عليٍّ: «لُبْداً» بسكون الباء[1]، ومجاهد وابنُ أبي الزِّناد: بضمِّهما[2].

ثم عدَّد تعالى نِعَمَه على الإنسان، فقال: «أَلَم نَجْعَل له عينين» يُبصِر بهما «ولساناً» يُفصِح عمَّا في باطنه «وشَفَتين» يُطْبِقهما على فِيْهِ، ويَستعين بهما على الأكل والشُّرب والنَّفْخ وغير ذلك.

«وهَدَيناهُ النَّجْدَين» قال ابنُ مسعود وابنُ عباس والجمهور: طريق الخير والشَّرّ، وقال ابنُ عبَّاس أيضاً وعليٌّ وابنُ المسيّب والضَّحَّاك: الثَّديان؛ لأنَّهما كالطَّريقين لحياة الوَلَد ورِزْقه[3].

«فلا اقْتَحَم العَقَبة» أي: لم يَشكُر تلك النِّعَم السَّابِغَة، و«العَقَبة» استعارةٌ لهذا العمل الشاقّ على النَّفْس؛ مِن حيث هو بذلُ مالٍ، تشبيهٌ بعَقَبة الجبل، وهو ما صَعُبَ منه وكان صعوداً، فإنَّه يَلحقه مشقَّةٌ في سلوكها، واقتحمها: دَخَلها بسرعةٍ وضَغْطٍ وشِدَّة، والقَحْمة: الشِّدَّةُ، والسَّنَةُ الشَّديدة، ويقال: قَحَمَ في الأَمْر قُحُوماً: رَمَى نفسه فيه مِن غير رويَّة.

والظاهر أنَّ «لا» للنفي، وهو قولُ أبي عبيدة والفرَّاء والزَّجَّاج، كأنَّه قال: وَهَبْنا له الجوارحَ، ودَلَلْناه على السبيل، فما فَعَلَ خيراً، أي: فلم يَقتحم[4].

قال الفرَّاء والزَّجَّاج: ذكرَ «لا» مرَّة واحدة، والعربُ لا تَكاد تُفرِد «لا» مع الفعل الماضي حتى تعيدَ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وإنَّما أفردها؛ لدلالة آخِر الكلام على معناه، فيجوز أن يكون قوله: «ثُمَّ كان مِن الذين آمنوا» قائماً مقامَ التكرير، كأنَّه قال: «فلا اقتحمَ العَقَبة» ولا آمَنَ.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٥، والقراءات الشاذة ص١٧٤.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٦-٢٩٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤١٥-٤١٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وينظر زاد المسير ٩/ ١٣٣، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٦٤-٢٦٥، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٣٢٩.

وقيل: هو جارٍ مجرى الدُّعاء، كقوله: لا نَجا ولا سَلِم[١]، دعاءٌ عليه أنْ لا يفعل خيراً.

وقيل: هو تحضيضٌ بـ «ألَا»، ولا نعرف أنَّ «لا» وَحْدَها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة.

وقيل: «العقبة» جهنَّم لا يُنجي منها إلا هذه الأعمال، قاله الحسن، وقال ابنُ عبَّاس ومجاهد وكعب: جبل جهنَّم[٢].

وقال الزمخشريُّ: بعد أن انتحلَ مقالةَ الفرَّاء والزجَّاج: هي بمعنى «لا» متكرِّرة في المعنى؛ لأنَّ معنى «فلا اقْتَحَم العَقَبة»: فلا فكّ رقبةً ولا أطعمَ مسكيناً، ألَا تَرَى أنَّه فسَّر اقتحامَ العَقَبَة بذلك[٣]. انتهى. ولا يتمُّ له هذا إلَّا على قراءة مَن قَرَأ: «فَكّ» فعلاً ماضياً.

وقرأ ابنُ كثير والنَّحوِيَّان: «فَكَّ» فعلاً ماضياً «رقبةً» نصب، «أو أَطعَمَ» فعلاً ماضياً[٤]، وباقي السبعة: «فَكُّ» مرفوعاً «رقبةٍ» مجروراً، «أو إطعامٌ» مصدر منوَّن معطوف على «فَكُّ».

وقرأ عليٌّ وأبو رجاء كقراءة ابنِ كثير إلَّا أنَّهما قرأا: «ذا مسغبة» بالألف[٥].

وقرأ الحسن وأبو رجاء أيضاً: «أو إطعام في يوم ذا» بالألف، ونصب «ذا» على المفعول[٦]، أي: إنساناً ذا مسغبة، و«يتيماً» بَدَل منه أو صفة.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤-٢٦٥، وللزجاج ٥/ ٣٢٩، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٢١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٩، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٢٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٥.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٤، والقراءة في السبعة ص٦٨٦، والتيسير ص٢٢٣، والنشر ٢/ ٤٠١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٥، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٦٢.

وقرأ بعضُ التابعين: «فَكَّ رقبةٍ» بالإضافة، «أو أَطْعَمَ» فعلاً ماضياً[١].

ومَن قَرأ «فَكُّ» بالرَّفع، فهو تفسيرٌ لاقتحام العَقَبة، والتقدير: وما أدراك ما اقتحامُ العقبة؟

ومَن قَرَأ «فَكَّ» فِعْلاً ماضياً فلا يحتاج إلى تقدير مضاف، بل يكون التعظيمُ للعَقَبة نفسها، ويَجيءُ «فَكّ» بَدَلاً مِن «اقْتَحَم» قاله ابنُ عطيَّة[٢].

وفَكُّ الرّقبةِ تخليصُها مِن الأَسْرِ والرِّقّ، «ذا مَقْرَبة» لتجتمعَ صَدَقةٌ وصِلَةٌ، و«أو» هنا للتنويع، ووصف «يوم» بـ «ذي مسغبة» على الاتِّساع، «ذا متربة» قال سفيان: هم المَطروحون على ظَهر الطريق قُعوداً على التراب لا بيوت لهم. وقال ابنُ عباس: هو الذي يَخرُج مِن بيته، ثم يقلب وجهه إليه مستيقناً أنَّه ليس فيه إلَّا التراب[٣].

«ثم كان مِن الذين آمنوا» هذا معطوف على قوله: «فلا اقتحم» ودخلت «ثم» لتراخي الإيمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمان؛ لأنَّه لا بُدَّ أنْ يَسبق تلك الأعمالَ الحسنةَ الإيمانُ، إذ هو شرطٌ في صحَّة وقوعها مِن الطائع،

أو يكون المعنى: ثمَّ كان في عاقبة أمْرِه مِن الذين وَافَوا الموتَ على الإيمان، إذِ الموافاة عليه شَرْطٌ في الانتفاع بالطاعات.

أو يكون التراخي في الذِّكْر، كأنَّه قيل: ثم اذكُر أنَّه «كان مِن الذين آمنوا وتواصوا بالصبر» أي: أوصى بعضُهم بعضاً بالصَّبْر على الإيمان والطاعات، وعن المعاصي، «وتَواصَوا بالمرحمة» أي: بالتعاطف والتراحم، أو بما يؤدِّي إلى رحمة الله، والمَيمنة والمَشْأَمة تقدَّم القولُ فيهما في «الواقعة»[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٩، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبريّ ٢٤/ ٤٢٦-٤٣٠.

(٤) عند تفسير الآيات (٨-٩-١٠) منها.

وقرأ أبو عَمرو وحمزة وحفص: «مُؤْصَدة» بالهمز هنا وفي «الهُمَزة»[١] فيَظهر أنَّه مِن: آصَدْتُ، قيل: ويجوز أن يكون من: أَوْصَدْتُ، وهُمزَ على حدِّ من قرأ: «بالسؤوق» مهموزاً[٢].

وقرأ باقي السبعة: بغير همزٍ، فيظهر أنه من: أوصدت، قيل: يجوز أن يكون من: آصَدْت، وسهَّل الهمزة، وقال الشاعر:

قوماً يُعالِج قُمَّلاً أبناؤهم وسَلاسِلاً حِلقاً وباباً مُؤْصَدا[٣].

(١) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٧، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٦، والقراءة في السبعة ص٦٨٦، والتيسير ص٢٢٣، وهي أيضاً قراءة يعقوب وخلف. النشر ١/ ٣٩٥.

(٢) وهي الآية (٣٣) من سورة ﴿صٓ﴾، وسلفت القراءة ثمَّة.

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٢٣١، من قصيدة قالها لكسرى حين أراد من بني ضبيعة رهائن، لمَّا أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد، فأخذ كسرى قيس بن مسعود ومن وُجد من بكر فجعل يحبسهم، فقال له الأعشى هذه الأبيات.

مفردات سورة الشمس

طَحا ودَحا بمعنى واحد، أي: بَسَط ووَطِئ، ويأتي طَحا بمعنى ذَهَب؛ قال عَلْقَمة:

طَحا بك قلبٌ في الحِسانِ طَروبُ[1]

ويقال: ما أدري أين طَحا، أي: ذَهَب؛ قاله أبو عمرو. وفي أيمان العرب: لا، والقَمرِ الطَّاحي، أي: المُشْرِف المُرْتَفِع، ويقال: طحا يَطْحو طَحْواً، ويَطْحي طَحْياً[2].

التَّدْسِيَةُ: الإخفاء، وأصلُه: دَسَس، فأُبدل من ثالث المُضاعَف[3] حَرْفُ عِلَّة، كما قالوا في: تَقَضَّضَ: تَقَضَّى، وقال الشاعر:

وأنت الذي دَسَّسْتَ عَمْراً فأصبحتْ ... حَلائلُه منه أرامِلَ ضُيَّعا[4]

ويُنْشَد أيضاً:

ودَسَّسْتَ عَمْراً في التُّراب[5] ودَسَّيْت[6]

---

(١) تمامه: بُعَيد الشباب عصرَ حان مَشيبُ، وهو في ديوان علقمة بن عبدة ٣٣، والمحرر الوجيز ٥/٤٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١١.

(٢) في المطبوع: طحواً، وانظر تهذيب اللغة ٥/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١١.

(٣) في (ت) و(أ) والمطبوع: المضاعفات، والمثبت من (ع) و(يه).

(٤) البيت بهذه الرواية (دسست) في الزاهر لابن الأنباري ١/ ٥٤٣ (البشائر) دون نسبة.

(٥) هذه رواية ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤٨٨ وفيه: حلائله يبكين للفقد ضعفاً، ولعل ضعفاً تحريف.

(٦) البيت بهذه الرواية في جمهرة اللغة ١٠٥٨ (بعلبكي)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٧٧، ومجمل =

دَمْدَم عليه القَبْرَ: أطْبَقه، وقال مُؤَرِّج: الدَّمْدَمَةُ: إهْلاكٌ باستئصال[١]. وقال في «الصّحاح»: دَمْدَمْتُ الشَّيءَ: ألْزَقْتُه بالأرض وطَحْطَحْتُه[٢].

* * *

سورة الشمس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤
وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨
قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا
۝١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم
بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾.

هذه السّورة مكية، ولمَّا تقدَّم القَسَم ببعض المواضع الشَّريفة وما بعدها؛ أقسم هنا بشيءٍ من العالَم العُلْويّ والعالَمَ السُّفليّ، وبما هو آلةُ التَّفكُّر في ذلك وهو النَّفْس، وكان آخِرُ ما قبلَها مُخْتَتماً بشيء من أحوال الكفَّار في الآخرة، فاختتم آخِرَ هذه بشيءٍ من أحوالهم في الدُّنيا، وفي ذلك بمآلهم[٣] في الآخرة إلى النار، وفي الدُّنيا إلى الهَلاكِ المُسْتأصِل.

وتقدّم الكلام على ضُحَى في سورة طه [الآية: ٥٩] في[٤] قوله: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾.

وقال مجاهد هنا: هو ارتفاعُ الضَّوء وكَمالُه. وقال مقاتل: حَرُّها؛ كقوله:

= اللغة ١/ ٣٢٥، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤، واللسان (دسا)، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٥.

(١) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٤٣، والقرطبي ٢٢/ ٣١٨، والثعلبي ٦/ ٤٦٩.

(٢) الصحاح (دمم).

(٣) في (يه): مآلهم.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: عند، والمثبت من (ع) و(يه)، وهما سواء.

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩]. وقال قتادة: هو النَّهار كلُّه[(١)].

وهذا ليس بجيِّد؛ لأنه قد أقسمَ بالنهار، والمعروف في اللُّغة أن الضُّحى هو بُعَيْد طُلوعِ الشَّمسِ قليلاً، فإذا ازداد فهو الضَّحاء - بالمَدِّ وفتح الضادَ - إلى الزَّوال[(٢)]، وقولُ مُقاتل تفسيرٌ باللَّازم.

وما نُقِل عن المبرِّد من أنَّ الضُّحى مشتقٌّ من الضَّحِّ - وهو نورُ الشَّمس - والألفُ مقلوبةٌ من الحاء الثانية، وكذلك الواو في ضَحْوَة مقلوبة عن الحاء الثانية: لعلَّه مُخْتلَقٌ عليه[(٣)]؛ لأن المبرِّد أجلُّ من أن يَذهبَ إلى هذا، وهاتان[(٤)] مادَّتان مختلفتان، لا تُشْتَقُّ إحداهما من الأُخرى.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝﴾ قال الحسن والفرَّاء: «تَلاها» معناه: تَبِعها دَأباً في كلِّ وقت؛ لأنه يَستضيء منها فهو يَتْلُوها لذلك.

وقال ابن زيد: يَتْلوها في الشَّهر كلِّه، يتلوها في النِّصفِ الأوَّل من الشهر بالطلوع، وفي الآخِر بالغُروبِ.

وقال ابن سلام: في النِّصف الأوَّل من الشهر، وذلك لأنه يأخُذُ مَوْضِعَها ويَسيرُ خلْفَها، إذا غابت تَبِعَها[(٥)] القمرُ طالعاً.

وقال قتادة: إنما ذلك ليلةَ البَدْر، تغيبُ هي فيَطْلُع هو.

وقال الزجَّاج وغيرُه: «تلاها» معناه: امتلأ واسْتَدار، وكان لها تابعاً للمَنْزِلَةِ من الضِّياء والقَدْر؛ لأنه ليس في الكواكب شيءٌ يَتْلو الشَّمسَ في هذا المعنى غير القَمَر.

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٤، والثعلبي ٦/ ٤٦٦، والماوردي ٦/ ٢٨١، والقرطبي ٢٢/ ٣٠٧-٣٠٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧، وزاد المسير ٩/ ١٣٧.

(٢) انظر الكشاف ٤/ ٢٥٧، والصحاح (ضحا).

(٣) نقله عن المبرد القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) في (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: وهذان، ولعله من تحريف النساخ، والمثبت من روح المعاني ٢٩/ ٦٢ فقد نقله عن البحر.

(٥) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يتبعها، والمثبت من (يه).

وقيل: من أوَّل الشهر إلى نِصْفه في الغروب، تغرُبُ هي ثمَّ يغرب هو، وفي النِّصف الآخَر بنحوِ آخر[١]؛ وهو أن تغرُبَ هي فيَطْلُع هو.

وقال الزمخشري: تَلاها طالِعاً عند غُروبها آخِذاً من نورِها، وذلك في النِّصف الأوَّل من الشَّهر[٢].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝﴾ الظَّاهر أن مفعول «جَلَّاها» وهو الضَّمير عائدٌ على الشمس؛ لأنه عند انْبِساطِ النَّهار تَنْجلي الشمسُ في ذلك الوقت تَمامَ الانْجِلاء. وقيل: يعود على الظُّلْمة. وقيل: على الأرض. وقيل: على الدُّنيا.

والذي يُجَلِّي الظُّلْمَة هو الشمس أو النهار، فإنَّه - وإنْ لم تَطلُع الشمسُ - لا تَبْقى ظُلْمة[٣].

والفاعل بـ «جَلَّاها» ضمير النهار. قيل: ويحتمل أن يكون عائداً على الله تعالى، كأنه قال: والنَّهار إذا جَلَّى الله الشمسَ، فأقسم بالنهار في أكْمَلِ حالاته[٤].

«والليل إذا يَغْشاها» أي: يَغْشَى الشَّمسَ، فبدخوله تغيبُ وتُظْلم الآفاق، ونسبةُ ذلك إلى الليل مَجاز. وقيل: الضمير عائد على الأرض.

والذي تقتضيه الفَصاحةُ أن الضَّمائرَ كلَّها إلى قوله: «يَغْشاها» عائدةٌ على الشَّمس، وكما أنَّ النَّهار جَلَّاها كان النهار هو الذي يَغْشاها.

ولمَّا كانت الفَواصِلُ تَرتَّبت على ألفٍ وهاء المؤنث، أتى في «والليل إذا يَغْشاها» بالمضارع؛ لأنَّه الذي ترتَّب فيه، ولو أتى بالماضي كالذي قبله وبعده[٥] كان يكون التَّركيب: إذا غَشِيَها، فتفوتُ الفاصِلَةُ وهي مقصودة.

---

(١) في المطبوع: يتحاوران، بدل: بنحو آخر.

(٢) انظر الأقوال السالفة في: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٦، وللزجاج ٥/ ٣٣١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٦، والماوردي ٦/ ٢٨٢، والقرطبي ٢٢/ ٣٠٩، والكشاف ٤/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: الظلمة، والمثبت من (يه)، وهما بمعنى.

(٤) انظر الكشاف ٤/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧-٤٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠.

(٥) في النسخ (أ) و(ت) و(ع) و(يه): وبعدها، والمثبت من المطبوع.

وقال القَفَّال ما مُلَخَّصُه: هذه الأقسامُ بالشَّمس في الحقيقة بحسَب أوصافٍ أربعة: ضوءها عند ارْتِفاعِ النهار وقتَ انتشارِ الحيوان وطَلَب المَعاش، وتُلوّ القمرِ لها بأخْذِه الضَّوءَ، وتكامُل طُلوعها وبُروزِها وغيبوبتها بمَجيء اللَّيل[١].

و«ما» في قوله: «وما بَناها، وما طَحاها، وما سَوَّاها» بمعنى الذي. قاله الحسن ومجاهد وأبو عبيدة، واختاره الطبري، قالوا: لأنَّ «ما» تقعُ على أُولي العلم وغيرِهم.

وقيل: مصدريَّة، قاله قتادة والمبرِّد والزَّجاج، وهذا قولُ من ذهب إلى أن «ما» لا تقع على آحادِ أُولي العلم[٢].

وقال الزمخشري: جُعِلت مَصْدريَّة، وليس بالوجه لقوله: «فألْهَمَها» وما يؤدّي إليه من فَسادِ النَّظْم، والوجه أن تكون موصولة، وإنما أُوثِرت على مَنْ لإرادة معنى الوَصْفيَّة، كأنه قيل: والسَّماء والقادرِ العظيم الذي بناها، ونفسٍ والحكيمِ الباهرِ الحكمةِ الذي سَوَّاها، وفي كلامهم: سُبحانَ ما سَخَّرَكُنَّ لنا[٣]. انتهى.

أمَّا قوله: وليس بالوَجْهِ؛ لقوله: «فألْهَمَها» يعني من عَوْدِ الضَّمير في «فألْهَمَها» على الله تعالى، فيكون قد عاد على مَذْكور وهو «ما» المُرادُ به الذي، ولا يَلْزم ذلك؛ لأنّا إذا جَعَلْناها مصدريَّةً عاد الضَّمير على ما يُفْهَم من سياق الكلام، ففي «بَناها» ضميرٌ عائدٌ على الله تعالى، أي: وبناها هو، أي: الله تعالى، كما إذا رأيتَ زيداً قد ضرب عَمْراً فقلت: عجبتُ ممَّا ضَربَ عَمْراً، تقديرُه: من ضَرْبِ عَمرٍو هو، كان حسناً فصيحاً جائزاً، وعَوْدُ الضَّمير على ما يُفْهَم من سياقِ الكلام كثيرٌ.

---

(١) نقله عن القفال: الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣١/ ١٩١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وعنه نقل الأقوال، وانظر مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٢، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٧-٤٣٨، والماوردي ٦/ ٢٨٢، والقرطبي ٢٢/ ٣١٠، وزاد المسير ٩/ ١٣٩، وإعراب القراءات السبع وعِللها لابن خالويه ٢/ ٣٨٩.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٨، وفي (ت) والمطبوع: سبحان من، وهو تحريف، والمثبت من (به) و(ع)، وانظر أمالي ابن الشجري ٢/ ٥٤٨ وتخريج محققه رحمه الله.

وقوله: وما يؤدِّي إليه من فَسادِ النَّظْم؛ ليس كذلك، ولا يؤدِّي جَعْلُها مصدريَّةً إلى ما ذكر.

وقوله: وإنما أُوثرت... إلخ، لا يُراد بما ولا بمَن الموصولتين معنى الوصفيَّة؛ لأنهما لا يُوصَفُ بهما بخلاف «الذي»، فاشتراكُهُما في أنهما لا يؤدِّيان معنى الوَصْفيَّةِ موجودٌ فيهما، فلا تَنْفردُ به ما دون «مَن».

وقوله: وفي كلامهم... إلخ؛ تأوَّله أصحابُنا على أنَّ «سُبحان» عَلَم، و«ما» مصدريَّةٌ ظَرْفية[١].

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: الأمرُ في نَصْبِ «إذا» مُعْضِل؛ لأنَّك إمَّا أنْ تجعلَ الواوات عاطفةً فتنصِبَ بها وتَجُرّ، فتقعَ في العطف على عاملين، وفي نحو قولك: مررتُ أمسِ بزيدٍ واليومَ عمرٍو، وإمَّا أنْ تجعَلَهُنَّ للقسَم فتقَع فيما اتَّفق الخليلُ وسيبويه على استِكْراهه؟ قلت: الجواب فيه أن واوَ القَسَم مُطَّرَحٌ معه[٢] إبراز الفعلِ اطِّراحاً كُلّيًّا، فكان لها شأنٌ خلافَ شأنِ الباءُ، حيث أُبرِز معها الفعلُ وأُضمِر، فكانت الواوُ قائمةً مقامَ الفعل، والباءُ سادَّةً مَسدَّهما معاً، والواوات العَواطِفُ نوائبُ عن هذه، فحَقُّهنَّ أنْ يكنَّ عواملَ على الفعل والجارّ جميعاً، كما تقول: ضرب زيدٌ عَمْراً وبكرٌ خالداً، فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقامَ ضَرب الذي هو عاملُهما. انتهى.

أما قوله في واوات العطف: فتَنْصب بها وتجرّ؛ فليس هذا بالمختار، أعني: أن يكون حرف العطف عاملاً لقيامه مقامَ العامل، بل المختارُ أنَّ العملَ إنما هو للعامل في المعطوف عليه، ثم إنَّا لا نُشاحُّه[٣] في ذلك.

وقوله: فتقعَ في العطف على عاملين؛ ليس ما في الآية من العطف على عاملَين، وإنما هو من باب عطفِ اسمين مجرورٍ ومنصوبٍ على اسمَيْن مجرورٍ

(١) ذكر السمين في الدر المصون ١١/ ١٩-٢٠ كلام الزمخشري وردَّ أبي حيان، ثم تعقبَّه وردَّ عليه، فانظره إن شئت.

(٢) في الكشاف ٤/ ٢٥٨، والدر المصون ١١/ ١٤: معها، وهو الأشبه.

(٣) في المطبوع: لا نشاء حجة، وهو تحريف.

ومنصوبٍ، فحرفُ العطف لم يَنُبْ مَنابَ عاملَيْن، وذلك نحو قولك: امْرُر بزيدٍ قائماً وعمرٍو جالساً، وقد أنشد سيبويه في «كتابه»[(١)]:

فليس بمَعْروفٍ لنا أنْ نَرُدَّها صِحاحاً ولا مُسْتَنْكَرٍ أنْ تُعَقَّرا

فهذا من عطفِ مجرورٍ ومرفوع على مجرور ومرفوع، والعطفُ على عاملَيْن فيه أربعةُ مذاهب، وقد نُسِب الجوازُ إلى سيبويه[(٢)].

وقوله: وفي نحو قولك: مررتُ أمسِ بزيدٍ واليومَ عمرٍو؛ هذا المثال مخالفٌ لما في الآية، بل وِزانُ ما في الآية: مررتُ بزيدٍ أمسِ وعمرٍو اليوم، ونحن نُجيز هذا.

وأمّا قوله: على استكراه، فليس كما ذَكر، بل كلامُ الخليل يدلُّ على المَنْع؛ قال الخليل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ الواوان الأخيرتان ليستا بمنزلة الأولى، ولكنهما الواوان اللتان تَضُمَّان الأسماء إلى الأسماء في قولك: مررتُ بزيدٍ وعمرٍو، والأولى بمنزلة الباء والتاء. انتهى[(٣)].

وأمّا قولُه: إنَّ واوَ القَسَم مُطَّرَحٌ معه[(٤)] إبرازُ الفعلِ اطِّراحاً كليًّا؛ فليس هذا الحكمُ مُجْمَعاً عليه، بل قد أجاز ابن كَيْسان التَّصريحَ بفعل القَسَم مع الواو فتقول: أُقْسِم ـ أو أَحْلِفُ ـ واللهِ لزيدٌ قائمٌ[(٥)].

وأمّا قوله: والواواتُ العَواطفُ نوائبُ عن هذه... إلخ؛ فمبنيٌّ على أنَّ حرفَ العطف عاملٌ لنيابته منابَ العامل، وليس هذا بالمختار، والذي نقوله: إن

(١) بعدها في (ع): قول الشاعر، والبيت في الكتاب ١/ ٦٤، وهو للنابغة الجعدي، انظر ديوانه ص٥٠.

(٢) انظر ارتشاف الضرب ٢٠١٥ فما بعدها.

(٣) الكتاب ٣/ ٥٠١.

(٤) في الكشاف والدر المصون: معها، وقد سلف التنبيه عليه.

(٥) انظر رأيه في شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٢٦، وارتشاف الضرب ١٧٦٦.

المُعْضِل هو تقديرُ[(١)] العامل في إذا بعد الإقسام؛ كقوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [المدثر: ٣٣-٣٤]، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١] وما أشبهها، فـ«إذا» ظرف مُسْتقبل، لا جائزٌ أنْ يكون العاملُ فيه فعل القسم المحذوف؛ لأنَّه فعلٌ إنشائيّ، فهو في الحال يُنافي أنْ يعمل في المستقبَل لاختلافِ[(٢)] زمان العامل وزمان المعمول، ولا جائزٌ أنْ يكون ثَمَّ مضافٌ محذوف أُقيم المُقْسَمُ به مقامَه، أي: وطلوع النَّجم ومجيءِ الليل؛ لأنَّه معمولٌ لذلك الفعل، فالطُّلوعُ حالٌ، ولا يعمل في المستقْبَل ضرورةَ أنَّ زمانَ المعمول زمانُ العامل، ولا جائزٌ أنْ يعملَ فيه نفسُ المُقْسَم به؛ لأنه ليس من قبيل ما يعمل، لا سيَّما إن كان جَزْماً، ولا جائزٌ أن يُقَدَّر محذوفٌ قبل الظرف، فيكون قد عَمِلَ فيه، ويكون ذلك العامل في موضع الحال، وتقديره: والنجم كائناً إذا هَوى، والليل كائناً إذا يَغْشى؛ لأنَّه يَلْزَمُ كائناً أنْ يكون منصوباً بالعامل، ولا يصحُّ أنْ يكون معمولاً لشيءٍ ممّا فَرَضْناه أنْ يكون عاملاً، وأيضاً فقد يكون المُقْسَم به جُثَّةً، وظروفُ الزمان لا تكون أحوالاً عن الجُثَث، كما لا تكون أخباراً[(٣)].

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ ونفسٍ: اسمُ جنس؛ ويدلُّ على ذلك ما بعده من قوله: «فألْهَمَها» وما بعده.

وتَسْوِيتُها: إكمالُ عَقْلِها ونَظَرِها؛ ولذلك ارتَبَطَ به «فألهمَها»؛ لأنَّ الفَاء تقتضي التَّرتيب على ما قبلها من التَّسوية التي هي لا تكون إلا بالعقل[(٤)].

وقال الزمخشري: فإن قلت: لم نُكِّرت النَّفْس؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما:

(١) في النسخ والمطبوع: تقرير، والمثبت من الدر المصون ١١/١٦.

(٢) في المطبوع: لإطلاق.

(٣) ذكر السمين في الدر ١١/ ١٤-١٨ كلام الزمخشري، وردَّ أبي حيان، ثم تعقب هو أبا حيان وفصل في الرد عليه، فانظره فإنه نفيس.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

أن يُريدَ نفْساً خاصَّةً من النفوس، وهي نَفْسُ آدم، كأنه قال: وواحدةٍ من النفوس[١]. انتهى.

وهذا فيه بُعدٌ للأوصاف المذكورة بَعدَها، فلا تكون إلا للجِنْس، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ كيف تقتضي التَّغايُرَ في المُزَكِّي وفي المُدَسِّي.

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ قال ابن جُبَير: أَلْزَمها. وقال ابن عباس: عَرَّفَها. وقال ابن زيد: بَيَّن لها. وقال الزجَّاج: وَفَّقها للتَّقوى.

وأَلْهَمَها فُجورَها؛ أي: خَذَّلَها، وقيل: عَرَّفها وجَعلَ لها قوَّةً يَصحُّ معها اكتسابُ الفُجور واكتسابُ التَّقوى[٢].

وقال الزمخشري: ومعنى إلْهام الفُجور والتَّقوى: إفهامُهما وإعْقالُهما، وأنَّ أحدَهما حَسَنٌ والآخرَ قَبيحٌ، وتمكينُه من اختيار ما شاء منهما؛ بدليل قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ فجعَلَه فاعلَ التَّزكية والتَّدسِية ومُتَولِّيهما، والتَّزكِيَةُ: الإنْماء، والتَّدسِيَةُ: النَّقْصُ والإخْفاءُ بالفُجور[٣]. انتهى. وفيه دَسِيسةُ الاعتزال.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ قال الزجّاج وغيرُه: هذا جوابُ القَسَم، وحُذفت اللامُ لطولِ الكلام، والتقدير: لقد أفْلَح[٤].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ تقديرُه: لَتُبْعَثُنَّ[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٨.

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٦، والكشف والبيان ٦/ ٤٦٧، ٤٦٨، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٣-٢٨٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٨، وزاد المسير ٩/ ١٤٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) نقله عن الزجاج: ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٤١، والقرطبي ٢٢/ ٣١٣-٣١٤، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨ دون نسبة، ولم نقف عليه في معاني القرآن للزجاج.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٤.

وقال الزمخشري: تقديرُه: لَيُدَمْدِمَنَّ الله عليهم ـ أي: على أهل مكة ـ لتكذيبهم رسولَ الله ﷺ، كما دَمْدَم على ثَمودَ لأنهم كَذَّبوا صالحاً. وأمَّا «قد أفْلَح مَن زَكَّاها» فكلامٌ تابعٌ لقوله: «فألْهَمَها فجُورَها وتَقْواها» على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القَسَم في شيء[١]. انتهى.

و«زَكَّاها» طَهَّرَها ونَمَّاها[٢] بالعَمل الصَّالح، و«دَسَّاها» أخفاها وحَقَّرها بعمل المعاصي.

والظَّاهر أن فاعل زَكَّى ودَسَّى ضميرٌ يعودُ على «مَن» وقاله الحسن وغيره.

ويجوز أن يكون ضميرَ الله تعالى. قاله ابن عباس وغيره. كأنه قال: قد أفلحت الفرقة التي زكاها الله. وعاد الضَّميرُ مؤنَّثاً باعتبار المعنى من مُراعاة التأنيث[٣].

وفي الحديث ما يَشْهَدُ لهذا التَّأويل؛ كان عليه الصَّلاةُ والسَّلام إذا قرأ هذه الآية قال: «اللهمَّ آتِ نَفْسي تَقْواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَن زَكَّاها، أنت وَلِيُّها ومَوْلاها»[٤].

وقال الزمخشري: وأمَّا قولُ مَن زَعَم أن الضَّمير في زَكَّى ودَسَّى لله تعالى، وأن تأنيثَ الرَّاجع إلى «مَن» لأنه في معنى النَّفْس: فمن تَعكيس القَدَريَّة الذي يُوَرِّكون[٥] على الله قَدَراً هو بريءٌ منه ومُتَعالٍ عنه، ويُحيون لياليهم في تَمَحُّلِ فاحِشَةٍ يَنْسبونها إليه تعالى[٦]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

(٢) في (أ) والمطبوع: وزكاؤها طهورها ونماؤها، والمثبت من (ت) و(ع) و(يه).

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٣، وإعراب القرآن ٥/ ٢٣٦-٢٣٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وزاد المسير ٩/ ١٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٤.

(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٨١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١١٩١) من حديث ابن عباس ﷺ، وفي إسنادهما مقال.
وأخرج أحمد (١٩٣٠٨)، ومسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم آت نفسي تقواها...» الحديث، وليس فيه أنه قرأ هذه الآية.

(٥) أي: يحملون. انظر أساس البلاغة ٢/ ٥٠٢ (ورك).

(٦) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

فجرَى على عادته في سَبِّ أهلِ السُّنَّة، هذا وقائلُ ذلك هو بَحْرُ العلم عبدُ الله بن عباس، والرسول ﷺ يقول: «وزَكِّها أنت خيرُ مَن زَكَّاها».

وقال ثعلب[١]: ﴿دَسَّنٰهَا﴾ في أهل الخيرِ بالرِّياء وليس منهم.

وحين قال: ﴿وَتَقْوَىٰهَا﴾ أعْقَبَه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾، ولمَّا قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أعْقَبَه بأهل الخَيْبَةِ.

ولمَّا ذَكر تعالى خَيْبَةَ مَنْ دَسَّى نفسَه ذكرَ فِرْقةً فعلت ذلك ليُعْتَبَرَ بهم[٢].

«بطَغْوَاها» الباء عند الجمهور سَبَبيَّة، أي: كَذَّبت ثمودُ نبيَّها بسبب طُغيانها. وقال ابن عباس: الطَّغْوى هنا العذابُ، كذَّبوا به حتى نزل بهم؛ كقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥][٣].

وقرأ الجمهور: «بطَغْواها» بفتح الطَّاء، وهو مصدر من الطُّغيان، قُلبت فيه الياء واواً فَصْلاً بين الاسم وبين الصِّفة، قالوا فيها: خَزْيا وصَدْيا[٤]، وقالوا في الاسم: تَقْوَى وشَرْوى.

وقرأ الحسن ومحمد بن كعب وحَمَّاد بن سَلَمة بضمِّ الطَّاء[٥]، وهو مصدر كالرُّجعى، وكان قياسُها الطُّغْيان بالياء كالسُّقْيا، لكنهم شَذُّوا فيه.

«إذِ انْبَعَثَ» أي: خرجَ لعَقْرِ النَّاقة بنَشاطٍ وحِرْص. والنَّاصب لـ «إذْ»: «كَذَّبت».

---

(١) في المطبوع: وقال تعالى: وهو تحريف، ونقل كلام ثعلب: ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وانظر تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٧، والثعلبي ٦/ ٤٦٨، والماوردي ٦/ ٢٨٥، والقرطبي ٢٢/ ٣١٥-٣١٦.

(٤) لم تجود الكلمة في النسخ والمطبوع، والمثبت من الكشاف ٤/ ٢٥٩، ومعاني الزجاج ٥/ ٣٣٣، والدر المصون ١١/ ٢٣، وروح المعاني ٢٩/ ٧٣.

(٥) القراءات الشاذة ١٧٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٣، والكشف والبيان ٦/ ٤٦٨، والكشاف ٤/ ٢٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٦.

و«أشقاها» هو قُدار بن سالف، وقد يُرادُ به الجماعة؛ لأنَّ أفعل التَّفضيل إذا أُضيف إلى معرفة جاز إفرادُه وإن عُني به جَمْعٌ.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكونوا جماعة؛ لتَسْوِيَتك في أفعل التفضيل إذا أضفتَه بين الواحد والجمع والمذكَّر والمؤنَّث، وكان يجوز أن يقال: أشْقَوْها[1]. انتهى.

فأطلقَ الإضافة، وكان ينبغي أنْ يقول: إلى معرفة؛ لأنَّ إضافتَه إلى نكرة لا يجوز فيه إذْ ذاك إلا أن يكون مُفرَداً مُذَكَّراً كحاله إذا كان بمن.

والظاهر أن الضَّمير في «لهم» عائدٌ على أقرب مَذْكور وهو «أشقاها» إذا أُريد به الجماعة، ويجوز أنْ يعودَ على «ثَمود».

«رسولُ الله»: هو صالح عليه السَّلام.

وقرأ الجمهور: «ناقةَ الله» بنصب التاء، وهو منصوب على التَّحذير مما يجبُ إضمارُ عامله؛ لأنه قد عطف عليه، فصار حُكمُه بالعطف حُكمَ المُكرَّر؛ كقولك: الأسدَ الأسد، أي: احْذَروا ناقةَ الله، أي: عَقْرَها وعاقبةَ أمرِها، أو ذَروا عَقْرَها وسُقْياها فلا تمنعوها من السُّقيا.

وقرأ زيد بن عليّ: «ناقةُ الله» بضمِّ التاء[2]، أي: هَمُّكم ناقةُ الله وسُقياها فلا تفعلوا ذلك.

«فكَذَّبوه» الجمهور على أنهم كانوا كافرين. ورُوي أنهم كانوا قد أسلموا قبل ذلك وتابعوا صالحاً بمدَّة، ثم كذَّبوا وعَقَروا، وأسند العَقْرَ للجماعة لكونهم راضين به ومُتمالئين عليه.

وقرأ الجمهور: «فدَمْدَم» بميم بين دالين[3]. وابن الزُّبير: «فدَهْدَم» بهاءٍ

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

(٢) ذكرها السمين في الدر ١١/ ٢٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٧٥.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: بميم بعد دالين، والمثبت من (يه).

بينهما[١]، أي: أطْبَقَ عليهم العذابَ مُكَرِّراً ذلك عليهم.

«بِذَنْبِهِم» فيه تخويفٌ من عاقبة الذُّنوب.

«فسَوَّاها» قيل: فسَوَّى القبيلةَ في الهَلاك، عاد عليها بالتأنيث كما عاد في «بطَغْواها». وقيل: سَوَّى الدَّمْدَمة، أي: سَوَّاها بينهم، فلم يُفْلِت منهم صغيراً ولا كبيراً.

وقرأ أُبيّ والأعرج ونافع وابن عامر: «فلا يَخاف» بالفاء، وباقي السبعة: «ولا» بالواو[٢].

والضمير في «يخافُ» الظَّاهرُ عَوْدُه على أقرب مَذْكور وهو «ربُّهم» أي: لا دَرَك عليه تعالى في فِعْله بهم، لا يُسأل عمَّا يفعل. قاله ابن عباس والحَسن، وفيه احتقارٌ[٣] لهم وتَعْفِيَةٌ لآثارهم.

وقيل: يحتمل أن يعودَ على صالح، أي: لا يخاف عُقْبَى هذه الفِعْلَةِ بهم؛ إذْ كان قد أنْذَرَهم وحَذَّرَهم.

ومَن قرأ: «ولا» فيحتمل الضَّمير الوجهَين.

وقال السدّي والضحّاك ومُقاتل والزجَّاج وأبو علي: تكون الواوُ واوَ الحال، والضمير في «يخافُ» عائدٌ على «أشْقاها» أي: انْبَعَثَ لعَقْرِها وهو لا يخاف عُقْبَى فِعْلِه لكُفرِه وطُغيانه.

والعُقْبَى: خاتمةُ الشيءِ وما يجيءُ من الأُمور بعَقِبه[٤]. وهذا فيه بُعدٌ لطُولِ الفَصْل بين الحال وصاحبها.

---

(١) القراءات الشاذة ١٧٤ (وفيه تحريف)، وإعراب القراءات السبع وعِللها ٢/ ٤٩١ كلاهما لابن خالويه، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٩.

(٢) السبعة ٦٨٩، والتيسير ٢٢٣، والنشر ٢/ ٤٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩.

(٣) في المطبوع: ذم، بدل: احتقار، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥١-٤٥٢، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٦/ ٤٢٠، وإعراب القرآن ٥/ ٢٤٠، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٦٩، والماوردي ٦/ ٢٨٥، والقرطبي ٢٢/ ٣١٩، وزاد المسير ٩/ ١٤٤.

سورة الليل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾.

هذه السورة مكية، وقال علي بن أبي طلحة: مدنية. وقيل: فيها مدنيٌّ[١].

ولمَّا ذكرَ فيما قبلها ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]. ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما تحصل به الخيبة، ثمَّ حذَّر النار وذكر مَنْ يصلاها ومَنْ يتجنَّبها.

ومفعول «يغشى» محذوفٌ، فاحتمل أن يكون النهار، كقوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وأن يكون الشمس، كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾[٢] [الشمس: ٤]. وقيل: الأرض وجميع ما فيها بظلامه[٣].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٦٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٠، وتفسير الرازي ٣١/ ١٩٨.

و«تجلَّى»: انكشف وظهر، إمَّا بزوال ظُلمة الليل، وإمَّا بنور الشمس[١].

أقسم بالليل الذي فيه كلُّ حيوانٍ يأوي إلى مأواه، وبالنهار الذي تنتشر فيه[٢]. وقال الشاعر:

تجلَّى السُّرى من وجههِ عن صحيفةٍ[٣] على السَّيرِ مشراقٍ كثيرٍ شُحوبُها[٤]

وقرأ الجمهور: «تجلَّى» فعلاً ماضياً فاعلُه ضميرُ النَّهار. وقرأ عبد الله بن عُبيد بن عُمير: «تتجلَّى» بتاءين، يعني الشمس. وقُرئ: «تُجْلى» بضمِّ التاء وسكون الجيم، أي: الشمس.

«وما خلق» «ما» مصدرية، أو بمعنى الذي[٥].

والظاهر عموم الذكر والأنثى. وقيل: من بني آدم فقط؛ لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته[٦]. وقال ابن عباس والكلبي والحسن: هما آدم وحواء[٧].

والثابت في مصاحف الأمصار والمتواتر: «وما خَلقَ الذكرَ والأنثى»، وما ثبتَ

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٦٠.

(٢) تفسير الرازي ٣١/ ١٩٨.

(٣) في النسخ والمطبوع: صفيحة، والمثبت من ديوان ذي الرمَّة ٢/ ٦٩٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٠.

(٤) قال شارح ديوان ذي الرمة: أي: أضاء عن جلدة وجهه. مشراقٌ: مُضيئةٌ مُشرقةٌ. شُحوبُها، أي: إذا أضمَرَتْ كان ذلك بها حسناً. والشُّحوب: تغيُّر اللون من السفر. انتهى. قلت: والسُّرى: سيرُ الليلِ عامَّتِه أو كلِّه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٤١، والقول الأول قاله الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٣٣٢، والقول الثاني قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠-٣٠١. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٠، وزاد المسير ٩/ ١٣٨-١٣٩.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٨٧ بنحوه.

(٧) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٢٢. وهو في الوسيط للواحدي ٤/ ٥٠١ عن الكلبي والحسن، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٠ عن الحسن، وفي تفسير البغوي ٤/ ٤٩٤ عن مقاتل والكلبي، وفي النكت والعيون ٦/ ٢٨٧ عن ابن عيسى.

في الحديث من قراءة: «والذَّكر والأنثى»[١] نقْلُ آحادٍ مخالفٌ للسَّواد، فلا يُعَدُّ قُرآناً.

وذكر ثعلب أنَّ من السَّلفِ مَنْ قرأ: «وما خلَقَ الذَّكرِ» بجرِّ الذَّكر[٢]، وذكرها الزمخشريُّ عن الكسائي[٣]، وقد خَرَّجوه على البدل من «ما» على تقدير: والذي خلقَ اللهُ. وقد يُخَرَّجُ على تَوَهُّمِ المصدر، أي: وخَلْقِ الذَّكرِ والأنثى، كما قال الشاعر:

تطوفُ العُفاةُ بأبوابِهِ كما طافَ بالبِيْعَةِ الرَّاهبِ[٤]

بجرِّ الراهب على تَوَهُّم النُّطق بالمصدر، أي: كطَواف الرَّاهب بالبِيعة[٥].

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ﴾ أي: مساعيكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾: لمتفرِّقة مختلفة، ثمَّ فصَّل هذا السَّعي[٦].

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ الآية، رُويَ أنَّها نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، كان يعتق ضَعَفةَ عَبيدِه الذين أسلموا، وينفق في رضا رسول الله ﷺ مالَه، وكان الكفَّارُ بضِدِّه. قال عبد الله بن أبي أوفى: نزلت هذه السورة في أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه وأبي سفيان بن حرب. وقال السُّدِّي: نزلت في

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٣)، ومسلم (٨٢٤)، والترمذي (٢٩٣٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦١٢)، وأحمد (٢٧٥٣٥) عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً.

(٢) المحتسب ٢/ ٢٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦٠-٢٦١. وذكرها ـ أيضاً ـ عن الكسائيِّ ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٤.

(٤) لم أقف على قائله، وهو في الجمل في النحو للخليل ص١٧٥، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٣، والأضداد لابن الأنباري ص٨٨.

(٥) وجعله الخليل في الجمل ص١٧٥ من الجرِّ على الجِوار. وقال السمين في الدر المصون ١١/ ٢٨: والذي يظهر في تخريج هذا البيت أنَّ أصله: الراهبي بياء النسب، نسبةً إلى الصفة، ثم خُفِّف، وهو قليل.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٦١.

أبي الدَّحْداح الأنصاري بسبب ما كان يُعلِّقُ في المسجد صدقةً، وبسبب النخلة التي اشتراها من المنافق بحائطٍ له، وكان الرسولُ ﷺ ساومَ المنافقَ في شرائها بنخلةٍ في الجنة وذلك بسبب الأيتام الذين كانت النخلة تُشرِفُ على بيتهم فيسقط منها الشيء فتأخذه الأيتام، فمنَعَهم المنافقُ، فأبى عليه المنافق، فجاء أبو الدحداح، وقال: يا رسول الله، أنا أشتري النخلة التي في الجنة بهذه[1].

وحذف مفعولي «أعطى»؛ إذِ المقصودُ الثناءُ على المُعطي دون تعرُّضٍ للمُعطَى والعطية، وظاهره بذلُ المال في واجبٍ ومندوبٍ ومكرُمة.

وقال قتادة: أعطى حقَّ الله[2]. وقال ابن زيد: أنفق ماله في سبيل الله[3].

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ قال ابن عباس: اتَّقى الله. وقال مجاهد: واتَّقى البخل. وقال قتادة: واتَّقى ما نُهيَ عنه[4].

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ «الحسنى» صفة تأنيث الأحسن[5]. فقال ابن عباس وعكرمة وجماعة: هي الخَلَفُ في الدنيا الواردُ به وعدُ الله تعالى. وقال مجاهد

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩١.
وقصة أبي بكر رضي الله عنه أخرجها الطبري ٢٤/ ٤٦٦ من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير وقال: كان أبو بكر. . . فذكره.
وأخرجها الواحدي في أسباب النزول ص٤٨٧ من طريق ابن إسحاق، به. إلا أنه قال: عن عامر، عن بعض أهله.
وأخرجها الحاكم ٢/ ٥٢٥ من طريق ابن إسحاق ـ أيضاً ـ إلا أنه قال: عن عامر، عن أبيه.
وقصة أبي الدحداح رضي الله عنه ـ دون ذكر سبب نزول الآية ـ أخرجها أحمد (١٢٤٨٢)، وابن حبان (٧١٥٩)، والحاكم ٢/ ٢٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٢٤. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦١.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٤٧١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩٤ دون نسبة.
(٤) الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٩/ ١٤٩، والقولان الثاني والثالث في النكت والعيون ٦/ ٢٨٧. وأخرج الطبري ٢٤/ ٤٦٠-٤٦١ قولي ابن عباس وقتادة.
(٥) تقدم الكلام عليها عند تفسير الآية (١٣٧) من سورة الأعراف.

والحسن وجماعة: الجنة. وقال جماعة: الثواب. وقال السُّلمي وغيرُه: لا إله إلا الله[(١)].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ أي: نُهيِّئُه للحالة التي هي أيسَرُ عليه وأهْوَنُ، وذلك في الدنيا والآخرة. وقابل «أعطى» بـ «بخل»، و«اتقى» بـ «استغنى»؛ لأنَّه زهِدَ فيما عند الله بقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾.

﴿لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ وهي الحالة السيئة في الدنيا والآخرة. وقال الزمخشري[(٢)]: فسنخذله ونمنعه الألطاف حتى تكون الطاعةُ أعسَرَ شيءٍ عليه وأشدَّ، من قوله: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ إذ سمَّى طريقةَ الخير باليسرى؛ لأنَّ عاقبتَها اليُسر، وطريقةَ الشرِّ العسرى؛ لأنَّ عاقبتَها العُسر، أو أراد بهما طريْقَي الجنة والنار، أي: فسنهديهما في الآخرة للطريقين. انتهى. وفي أول كلامه دسيسةُ الاعتزال.

وجاء ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ على سبيل المقابلة لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ والعُسرى لا تيسير فيها، وقد يُراد بالتيسير التهيئة، وذلك يكون في اليسرى والعسرى.

«وما يُغني» يجوز أن تكون «ما» نافية واستفهامية، أي: وأيُّ شيءٍ يُغني عنه ماله[(٣)]؟

﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ تفعَّل، من الرَّدى، أي: هَلَك. قاله مجاهد. وقال قتادة وأبو صالح: تردَّى في جهنم، أي: سقط من حافَاتها. وقال قوم: تردَّى بأكفانه، من الرِّداء[(٤)]. وقال مالك بن الرَّيْب:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩١. وأخرجها الطبري ٢٢/ ٤٦١-٤٦٤. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٧١، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٧-٢٨٨، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩٥، وزاد المسير ٩/ ١٤٩.

(٢) في الكشاف ٤/ ٢٦١، وما قبله منه ومن المحرر الوجيز ٥/ ٤٩١ بنحوه.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٣١٥. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩١، وما بعده منه. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٧٧، وأقوال مجاهد وقتادة وأبي صالح أخرجها الطبري ٢٤/ ٤٧٤-٤٧٥.

وخُطًّا بأطرافِ الأسِنَّةِ مَضْجعي ورُدَّا على عينيَّ فَضْلَ رِدائيا[١]

وقال آخر:

نَصيبُكَ ممَّا تَجمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِداءانِ تُلْوى فيهما وحَنُوطُ[٢]

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝﴾ التعريفُ بالسُّبُل، ومَنْحُهم الإدراك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣] [النحل: ٩]. وقال الزمخشري[٤]: إن الإرشاد إلى الحقِّ واجبٌ علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝﴾ أي: ثوابَ الدَّارين، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وقرأ ابنُ الزُّبير، وزيد بن عليّ، وطلحة، وسفيان بن عُيينة، وعُبيد بن عُمير: «تتلظَّى» بتاءين[٥]. والبَزِّي بتاءٍ مشدَّدة[٦]. والجمهور بتاء واحدة.

وقال الزمخشري[٧]: الآية واردةٌ في الموازنة بين حالَتي عظيمٍ من المشركين وعظيمٍ من المؤمنين، فأُريد أن يُبالَغ في صِفَتيهما المتناقضتين، فقيل: «الأشقى» وجُعِلَ مُختصًّا بالصَّلْي، كأنَّ النَّارَ لم تُخلَقْ إلَّا له. وقال: «الأتقى» وجُعِلَ مُختصًّا بالنَّجاة، وكأنَّ الجنَّةَ لم تُخلَقْ إلَّا له. وقيل: هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه.

---

(١) هو من قصيدة يرثي بها مالك بن الرَّيْب نفسه، وهو في ذيل الأمالي ص١٣٦، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٦٢، والعقد الفريد ٣/ ٢٤٦، والخزانة ٢/ ٢٠٥.

(٢) البيت لأبي العتاهية، وهو في ديوانه ص٢١٧، وروايته فيه:

نَصيبُكَ ممَّا صِرْتَ تجمَعُ دائباً ثُوبانِ من قبطيَّةٍ وحَنوطُ

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩١.

(٤) في الكشاف ٤/ ٢٦١.

(٥) القراءات الشاذة ص١٧٤ عن ابن الزبير وسفيان وعبيد، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٢ عن عبيد بن عمير وابن الزبير وطلحة.

(٦) أي: «ناراً تَّلَظَّى». وينظر السبعة ص٦٩٠.

(٧) في الكشاف ٤/ ٢٦٢.

﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من الزَّكا، أي: يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا يُريد به رياءً ولا سُمعةً، أو يتفعَّل، من الزكاة. انتهى.

وقرأ الجمهور: «يتزكَّى» مضارع تزكَّى.

وقرأ الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم بإدغام التاء في الزاي[1].

و«يتزكَّى» في موضع الحال، فموضعه نصب. وأجاز الزمخشري[2] أن لا يكون له موضعٌ من الإعراب؛ لأنَّه جعلَه بدلاً من صلة «الذي» وهو «يؤتي ماله»، وهو إعرابٌ مُتكلَّفٌ.

وجاء «تُجْزَى» مبنيًا للمفعول؛ لكونه فاصلة، وكان أصلُه: نُجزيه إيَّاها، أو نُجزيها إيَّاه.

وقرأ الجمهور: «إلَّا ابتغاءَ» بنصب الهمزة، وهو استثناء منقطع؛ لأنَّه ليس داخلاً في «من نعمة»[3].

وقرأ ابن وثَّاب بالرفع على البدل من موضع «نِعْمة»[4]؛ لأنَّه رَفْعٌ، وهي لغة تميم، وأُنشِدَ بالوجهين قولُ بشر بن أبي خازم:

أضحَتْ خلاءً قِفاراً لا أنيسَ بها إلَّا الجآذِرَ والظُّلْمانَ تختلِفُ[5]

وقال الراجزُ في الرفع:

(١) القراءات الشاذة ص١٧٤.
(٢) في الكشاف ٤/ ٢٦٢.
(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢٣، والكشاف ٤/ ٢٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٢.
(٤) ذكره الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٣. والكلام منه، ومن الكشاف ٤/ ٢٦٢.
(٥) ديوان بشر ص١٥٨، وفيه: الجوازئ، بدل الجآذِر، والجآذِر جمع جُؤذُر ـ وتُفتَح الذال ـ: وهو ولد البقر الوحشي. والجوازئ: الوحش. والظُّلْمان جمع ظليم: وهو الذَّكر من النَّعام. القاموس (جذر) و(جزأ) و(ظلم).

وبـــلـــدةٍ لـــيـــسَ بـــهـــا أنـــيـــسُ
إلَّا الـــيـــعـــافـــيـــرُ وإلَّا الـــعِـــيـــسُ(١)

وقرأ ابن أبي عبلة: «إلَّا ابتغا» مقصوراً(٢).

وقال الزمخشري(٣): ويجوز أن يكون «ابتغاء وجه الله» مفعولاً له على المعنى؛ لأنَّ معنى الكلام: لا يُؤتي مالَه إلَّا ابتغاءَ وجهِ ربه، لا لمكافأة نعمة. انتهى. وهذا أخذه من قول الفرَّاء؛ قال الفرَّاء(٤): ونُصِبَ على تأويل: ما أعطيتُكَ ابتغاءَ جزائك، بل ابتغاءَ وجه الله.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ وعدٌ بالثواب الذي يرضاه(٥).

وقرأ الجمهور: «يرضى» بفتح الياء، وقُرئ بضمِّها(٦)، أي: يُرضى فِعْلُه، يرضاه الله ويُجازيه عليه.

---

(١) الرجز لجِران العَوْد النُّميري، وهو في ديوانه ص٩٧. وسلف عند تفسير الآية (٦٥) من سورة النمل.
(٢) القراءات الشاذة ص١٧٤.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٦٢.
(٤) في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٢ بنحوه.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٢.
(٦) أي: «يُرْضى»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٢.

مفردات سورة والضُّحى

سجا اللَّيلُ: أدبر. وقيل: أقبل. ومنه:

يـا حـبَّـذا الـقَـمْـراءُ والـلَّـيـلُ الـسَّـاجْ
وطُـرُقٌ مِـثْـلُ مُـلاءِ الـنَّـسَّـاجْ[1]

وبحرٌ ساجٍ: ساكن. قال الأعشى:

وما ذَنْبُنا أنْ جاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وبحرُكَ ساجٍ لا يواري الدَّعامِصا[2]

وطرفٌ ساجٍ: ساكنٌ غيرُ مضطرب بالنظر[3]. وقال الفرَّاء: سجا اللَّيلُ: أظلم ورَكَد. وقال ابن الأعرابي: سجا اللَّيلُ: اشتدَّ ظلامُه[4].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ

---

(١) لم أقف على قائل هذا الرجز، وهو في العين للخليل ٦/ ١٦١، ومجاز القرآن ٢/ ٣٠٢، والكامل للمبرد ١/ ٣٧١، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٩، وتهذيب اللغة ١١/ ١٤٠، وأساس البلاغة (سجو)، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ والكلام منه.

(٢) ديوان الأعشى ص٢٠١، وفيه: أتوعدني، بدل: وما ذنْبُنا. ورواية المصنف في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٣، والصحاح (سجا)، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ والكلام منه. والدَّعامِص جمع دُعْموص: وهي دودةٌ سوداء تكون في الغُدْران إذا قلَّ ماؤها. معجم متن اللغة ٢/ ٤١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣.

(٤) زاد المسير ٩/ ١٥٦-١٥٧. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٧٣.

ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

هذه السورة مكية[1].

ولمَّا ذكر فيما قبلها ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل: ١٧]، وكان سيدَ الأتْقِين رسولُ الله ﷺ، ذكر تعالى هنا نِعَمَه عليه.

وقرأ الجمهور: «ما ودَّعَكَ» بتشديد الدال. وعروة بن الزبير، وابنه هشام، وأبو حَيْوة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة بخفِّها[2]، أي: ما تركك[3].

واستغنت العرب في فصيح كلامها بـ «تَرَكَ» عن «وَدَعَ» و«وَذَرَ»، وعن اسم فاعلهما بـ «تارك»، وعن اسم مفعولهما بـ «متروك»، وعن مصدرهما بـ «التَّرْك»، وقد سُمع «وَدَعَ» و«وَذَرَ»، قال أبو الأسود:

لَيتَ شِعري عن خليلي ما الذي ... غالَهُ في الحُبِّ حتى وَدَعَهْ[4]

وقال آخر:

وثَمَّ وَدَعْنا آلَ عَمرٍو وعامرٍ ... فرائِسَ أطرافِ المُثَقَّفَةِ السُّمْرِ[5]

والتوديعُ: مبالغةٌ في الوَدْع؛ لأنَّ مَنْ وَدَعَكَ مفارقاً فقد بالغ في تَرْكِك[6].

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: ما أبغضَكَ[7].

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٨٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٧٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣.
(٢) المحتسب ٢/ ٣٦٤ عن عروة، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ عن عروة وهشام، وزاد المسير ٩/ ١٥٧ عن ابن أبي عبلة. ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٥ للنبي ﷺ.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣.
(٤) البيت في المحتسب ٢/ ٣٦٤ والكلام منه بنحوه، وفي الخصائص ١/ ٩٩، والخزانة ٥/ ١٥٠.
(٥) لم أقف على قائله، وهو في الكشاف ٤/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٣٩.
(٦) الكشاف ٤/ ٢٦٣.
(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٨٦، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٢، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩٨، وأخرجه =

واللغة الشهيرة في مضارع «قَلَى»: يَقْلِي، وطيِّئٌ تقول: يَقْلَى بفتح العين[١].

وحُذِفَ المفعولُ اختصاراً في «قلى» وفي «فآوى» وفي «فهدى» وفي «فأغنى»؛ إذ يُعلَمُ أنَّه ضميرُ المخاطب وهو الرسول ﷺ[٢].

قال ابن عباس وغيره: أبطأ الوحيُ مرَّةً على الرسول ﷺ وهو بمكة حتى شَقَّ ذلك عليه، فقالت أمُّ جميل امرأةُ أبي لَهَب: يا محمد، ما أرى شيطانَك إلَّا ترَكَك. فنزلت. وقال زيد بن أسلم: إنَّما احتبس عنه جبريلُ عليه السلام لجَرْوِ كلبٍ كان في بيته[٣].

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ يريد الدَّارين. قاله ابن إسحاق وغيره. ويحتمل أن يُريدَ حالَتيه قبلَ نزولِ السورة وبعدَها، وعدَه تعالى بالنَّصر والظَّفر. قاله ابن عطية[٤] احتمالاً.

وقال الزمخشريُّ[٥]: فإن قلت: كيف اتَّصلَ قولُه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ بما قبله؟ قلت: لمَّا كان في ضِمْنِ نفي التَّوديع والقِلَى أنَّ الله مُواصِلُك بالوحي إليك، وأنَّك حبيبُ الله، ولا ترى كرامة أعظمَ من ذلك، ولا نعمةً أجَلَّ منه، أخبرَه أنَّ حالَه في الآخرة أعظَمُ من ذلك وأجَلُّ، وهو السَّبْقُ والتقدُّمُ على جميع أنبياء الله ورسله، وشهادةُ أمَّتِه على سائر الأمم، ورَفْعُ درجات المؤمنين وإعلاءُ مراتبهم بشفاعته.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ قال الجمهور: ذلك في الآخرة. وقال ابن

= الطبري ٢٤/ ٤٨٤ عن ابن عباس ﷺ وعن ابن زيد.
(١) الصحاح والقاموس (قلا).
(٢) الكشاف ٤/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣. وقصة إبطاء الوحي عنه ﷺ أخرجها الطبري في تفسيره ٢٤/ ٤٨٥-٤٨٧ عن ابن عباس ﷺ وغيره، وهي مشهورة من حديث جندب بن عبد الله البجلي فيما أخرجه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧)، وأحمد (١٨٧٩٦).
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣-٤٩٤.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٦٤.

عباس: رضاه: أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيتِه النارَ. وقال أيضاً: رِضاه: أنَّه وعدَه بألف قصرٍ في الجنة بما يحتاج إليه من النِّعَم والخدَم. وقيل: في الدنيا بفتح مكة وغيرِه[١].

والأَوْلى أنَّ هذا موعدٌ شاملٌ لِما أعطاه في الدنيا من الظَّفَر، ولِما ادَّخَرَ له من الثواب[٢].

واللام في «وللآخِرَةُ» لامُ ابتداء وكَّدَتْ مضمونَ الجملة.

وقال الزمخشريُّ في «ولسوف»[٣]: على إضمار مبتدأ، أي: ولأنتَ سوف يُعطيك. وقال: خُلِعَ من اللام دِلالتُها على الحال. وقال أبو علي: ليست هذه اللام هي التي في قولك: إنَّ زيداً لقائمٌ، بل هي التي في قولك: لأقومنَّ، و«سوف» قد نابَتْ عن أحد نوني التوكيد، فكأنَّه قال: «وليعطينَّك». انتهى.

ويجوز عندي أن تكون اللام في «وللآخرة خَيرٌ» وفي «ولسوف يعطيك» اللامَ التي يُتلقَّى بها القسم، عطفها على جواب القسم، وهو قوله: «ما ودَّعك»، فيكون قد أقسم على هذه الثلاثة[٤].

ولمَّا وعده هذا الموعودَ الجليلَ ذكَّره بنعمه عليه في حال نشأته ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾: يَعْلَمك ﴿يَتِيمًا﴾ توفِّي أبوه عليه الصلاة والسلام وهو جنينٌ قد أتَتْ عليه ستة أشهر، وماتَتْ أمُّه عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثماني سنين، فكَفلَه عمُّه أبو طالب فأحسنَ تربيتَه[٥]، وقيل لجعفر الصادق: لم يُتِّمَ النبيُّ ﷺ من أبويه؟ فقال: لئلَّا يكون عليه حقٌّ لمخلوق[٦]. قال الزمخشريُّ[٧]: ومن بِدَعِ التفاسير أنَّه من قولهم:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٦٤.

(٣) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ: وكذا في «ولسوف». وينظر الكشاف ٤/ ٢٦٤.

(٤) من قوله: وقال: خُلِعَ من اللام... إلى هنا من (يه) وحدها. ونقله عن المصنف بنحوه السمينُ الحلبي في الدر المصون ١١/ ٣٨، وابنُ عادل الحنبلي في اللباب ٢٠/ ٣٨٦. قلت: وقول الزمخشري: خُلِعَ من اللام... إلى آخر كلامه، لم أجده في كشافه.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٦٤.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤.

(٧) في الكشاف ٤/ ٢٦٤.

دُرَّةٌ يتيمة، وأنَّ المعنى: ألم يجِدْكَ واحداً في قريش عديمَ النَّظير، فآواك. انتهى.

وقرأ الجمهور: «فآوى» رباعياً. وأبو الأشهب العُقَيلي: «فأوى» ثلاثياً، بمعنى: رَحِمَ، تقول: أوَيْتُ لفلان، أي: رَحِمْتُه[١]. ومنه قول الشاعر:

أراني ولا كُفرانَ للهِ أيَّةً لنفسيَ قد طالَبْتُ غيرَ مُنيلِ[٢]

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ لا يمكن حملُه على الضلال الذي يُقابله الهدى؛ لأنَّ الأنبياء معصومون من ذلك[٣]. قال ابن عباس: هو ضلالُه وهو في صِغَرِه في شعاب مكة، ثمَّ ردَّه الله إلى جدِّه عبد المطلب. وقيل: ضلالُه من حليمةَ مرضعتِه. وقيل: ضَلَّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب[٤]. ولبعض المفسِّرين أقوالٌ فيها بعضُ ما لا يجوز نِسبتُه إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولقد رأيتُ في النوم أنّي أفكِّرُ في هذه الجملة، فأقول على الفور: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أي: وجدَ رَهْطَك ﴿ضَآلًّا﴾ فهداه بك. ثمَّ أقول: على حذف مضاف نحو ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

وقرأ الجمهور: «عائلاً» أي: فقيراً. قال جرير:

اللهُ نَزَّلَ في الكتابِ فريضةً لابنِ السَّبيلِ وللفقيرِ العائلِ[٥]

كرَّر لاختلاف اللَّفظة.

وقرأ اليمانيُّ: «عَيِّلاً»[٦] كسيِّد بتشديد الياء المكسورة. ومنه قول أُحَيْحة بن الجُلاح:

وما يدري الفقيرُ متى غِناهُ وما يدري الغنيُّ متى يَعِيلُ

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٤٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤، ونسبا القراءة للأشهب العقيلي.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في تهذيب اللغة ١٥/ ٦٥١، والخصائص ١/ ٣٣٧، واللسان (أوي)، ومغني اللبيب ص٥١٥. غير مُنيل: غير مُقْلِق من الفزع.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦٥ بنحوه.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٦٤-٢٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤.

(٥) ديوان جرير ٢/ ٧٣٧ برواية: والله أنزل.

(٦) القراءات الشاذة ص١٧٥. واليماني: هو محمد بن عبد الله بن السَّمَيفع.

عالَ: افتقر، وأعالَ: كثُرَ عيالُه[١].

قال مقاتل: ﴿فَأَغۡنَىٰ﴾: رضَّاكَ بما أعطاك من الرزق. وقيل: أغناكَ بالقناعة والصبر. وقيل: بالكَفاف[٢].

ولمَّا عدَّد عليه هذه النِّعَم الثلاث وصَّاه بثلاث كأنَّها مقابِلةٌ لها.

﴿فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ قال مجاهد: لا تحتقِرْه. وقال ابن سلام: لا تسْتَذِلَّه. وقال سفيان: لا تظلِمْه بتضييع ماله. وقال الفرَّاء: لا تمنَعْه حقَّه[٣]. والقهر: هو التَّسليط بما يؤذي.

وقرأ الجمهور: «تَقْهَرْ» بالقاف. وابن مسعود وإبراهيم التَّيمي بالكاف بدل القاف[٤]، وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ ظاهرُه المُستعطي ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ أي: تَزْجُره، لكن أعْطِه، أو رُدَّه ردًّا جميلاً. وقال قتادة: لا تُغلِظْ عليه. وهذه في مقابلة ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ فالسائل كما قلنا المستعطي. وقاله الفرَّاء وجماعة. وقال أبو الدرداء والحسن وغيرهما: السائل هنا السائل عن العلم والدِّين، لا سائل المال، فيكون بإزاء ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾[٥].

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ قال مجاهد والكلبي: معناه: بُثَّ القرآن وبَلِّغْ ما أُرسِلْتَ به[٦]. وقال محمد بن إسحاق: هي النبوة[٧]. وقال آخرون: هي عمومٌ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤، والبيت سلف عند تفسير الآية (٣) من سورة النساء.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤، وما بعده منه. وقول مقاتل في تفسير الثعلبي أيضاً ٦/ ٤٨٣.
(٣) الأقوال في النكت والعيون ٦/ ٢٩٥. وقول مجاهد في الوسيط ٤/ ٥١١، وزاد المسير ٩/ ١٦٠، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٩٠. وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٤ بنحوه.
(٤) أي: «تَكْهَرْ»، وهي القراءات الشاذة ص١٧٥ عن ابن مسعود. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥ بنحوه دون قول قتادة.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥، وتحرف فيه: الكلبي، إلى: الكسائي. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٨٥، والوسيط ٤/ ٥١٣، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٠، ومجمع البيان ٣٠/ ١٧٠.
(٧) هو في النكت والعيون ٦/ ٢٩٥ عن ابن شجرة، وفي زاد المسير ٩/ ١٦٠ دون نسبة.

في جميع النِّعَم[١].

وقال الزمخشري[٢]: التَّحديث بالنِّعم شكرُها وإشاعتُها، يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك. انتهى.

ويظهر أنَّه لمَّا تقدَّم ذِكرُ الامتنان عليه بذكر الثلاثة أمره بثلاثة، فذكرَ اليتيمَ أولاً وهي البداية، ثم ذكرَ السائلَ ثانياً وهو العائل، وكان أشرفَ ما امتنَّ به عليه هي الهداية، فترقَّى من هذين إلى الأشرف، وجعله مقطعَ السورة، وإنَّما وسَّطَ ذلك عند ذكر الثلاثة؛ لأنَّه بعد اليُتم هو زمان التكليف، وهو عليه الصلاة والسلام معصومٌ من اقتراف ما لا يرضي الله عزَّ وجلَّ في القول والفعل والعقيدة، فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليُتمِ وحالةِ التكليف، وفي الآخر تَرقَّى إلى الأشرف، فهما مقصدان في الخطاب.

= وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٩٠-٤٩١ عن مجاهد.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥، وهو في زاد المسير ٩/ ١٦٠ بنحوه عن مقاتل.

(٢) في الكشاف ٤/ ٢٦٥.

سورة «ألم نشرح»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

هذه السورة مكية[١]. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة.

وشَرْحُ الصَّدرِ: تنويرُه بالحكمة وتوسيعُه لتلقِّي ما يُوحَى إليه. قاله الجمهور[٢].

والأولى العموم لهذا ولغيره من مقاساة الدعاء إلى الله تعالى وحدَه، واحتمال المكاره من إذاية الكفار. وقال ابن عباس وجماعة: إشارةٌ إلى شَقِّ جبريل عليه السلام صَدْرَه في وقت صِغَرِه[٣].

ودخلت همزة الاستفهام على النفي، فأفاد التقريرَ على هذه النِّعمة، وصار المعنى: قد شرَحْنا لك صَدْرَك؛ ولذلك عطف عليه الماضي وهو «ووضعنا»[٤]، وهذا نظيرُ قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ [الشعراء: ١٨].

وقرأ الجمهور: «نَشْرَحْ» بجزم الحاء لدخول الجازم. وقرأ أبو جعفر المنصور

---

(١) النكت والعيون ٦/٢٩٦، والمحرر الوجيز ٥/٤٩٦، وزاد المسير ٩/١٦٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٩٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكشاف ٤/٢٦٦.

بفتحها، وخرَّجَه ابنُ عطية في كتابه[١] على أنَّه: ألم نَشْرَحَنْ، فأبدلَ من النُّونِ ألِفاً، ثمَّ حذفَها تخفيفاً، فيكون مثل ما أنشده أبو زيد في «نوادره»[٢] من قول الراجز:

مِـنْ أيِّ يـومَـيَّ مـن الـمـوتِ أفِـرّ
أَيَـومَ لـم يُـقـدَرَ أم يـومَ قُـدِرْ[٣]

وقال الشاعر:

إضْرِبَ عـنـكَ الـهـمـومَ طـارِقَـهـا ضَرْبَكَ بالسَّيفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ[٤]

وقال: قراءةٌ مرذولة. وقال الزمخشريُّ[٥] وقد ذكَرَها عن أبي جعفر المنصور: وقالوا: لعَلَّه بَيَّنَ الحاءَ وأشبَعَها في مخرجها، فظَنَّ السامعُ أنَّه فتَحها. انتهى. ولهذه القراءة تخريجٌ أحسَنُ من هذا كلِّه وهو أنَّه لُغَةٌ لبعض العرب نادرة[٦]، حكاها اللِّحياني في «نوادره»، وهي الجزم بـ «لن» والنصب بـ «لم»[٧] عكسَ المعروف عند الناس، وأنشد قولَ عائشة بنت الأعجم تمدح المختار بن أبي عبيد وهو القائم

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٦. والقراءة - أيضاً - في المحتسب ٢/ ٣٦٦، والكشاف ٤/ ٢٦٦.
(٢) نوادر أبي زيد ص١٣.
(٣) البيت يُنسب لعلي بن أبي طالب ﷺ كما في ديوانه ص٤٣، وحماسة البحتري ص٤٥، والعقد الفريد ١/ ١٠٥، وشرح شواهد العيني ٤/ ٤٤٧-٤٤٨. وهو دون نسبة في سر صناعة الإعراب ١/ ٧٥، والخصائص ٣/ ٩٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٦، والخزانة ١١/ ٤٥١.
(٤) البيت لِطَرَفة، وسلف عند تفسير الآية (٤) من سورة الزخرف.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٦٦.
(٦) كلمة: نادرة، من (يه) وحدها.
(٧) جاء الكلام في (يه) هكذا: حكى اللحياني في «نوادره» عن بعض العرب أنهم يجزمون بـ «لن» وينصبون بـ «لم». وجاء بعدها في (يه) أيضاً ما نصُّه: وقال أبو العباس أحمد بن الحسين بن أحمد الموصلي في كتابه: «النهاية» في النحو من تأليفه: وقد ذُكر أنَّ ما نُقِلَ عن العرب قسمان؛ مُضطرِدٌ ونادرٌ، فقال: والنادر ليس لك القياس عليه، كفتحِ نون التثنية وضمِّها، وصَرْفِ جميع ما لا ينصرف، والنصبِ بـ «لم». انتهى. ثم جاء فيها: وقالت عائشة بنت الأعجم.... إلى آخر الكلام.

بطلب ثأر[١] الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما:

قد كان سَمْكُ الهدى يَنْهَدُّ قائِمُهُ   حتى أُتيحَ له المختارُ فانْعَمَدا
في كلِّ ما هَمَّ أمضى رأيَهُ قُدُماً   ولم يُشاوِرَ في إقدامِهِ أحدا

بنصب «يُشاور» وهذا محتمل للتخريجين، وهو أحسن ممَّا تقدَّم[٢].

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ كناية عن عصمتِه من الذنوب وتطهيرِه من الأدناس، عبَّر عن ذلك بالحَطِّ على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك، كما يقول القائل: رفَعْتُ عنك مشقَّةَ الزيارة، لمن لم يصدر منه زيارةٌ، على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه له.

وقال أهل اللغة: أنقَضَ الحِمْلُ ظهرَ الناقة: إذا سمِعْتَ له صريراً من شدَّة الحمل. وسمِعْتُ نقيضَ الرَّحْل[٣]، أي: صَريرَه. قال عبَّاس بن مِرْداس:

وأنقضَ ظهري ما تَطوَّيْتُ منهمُ   وكنتُ عليهِمْ مُشفِقاً مُتحَنِّنا[٤]

وقال جميل[٥]:

وحتَّى تداعَتْ بالنَّقيضِ حِبالُهُ   وهَمَّتْ بَواني زَوْرِهِ[٦] أنْ تَحَطَّما

والنَّقيض: صوت الانتقاض والانفكاك[٧].

---

(١) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ: بثأر.

(٢) جاء عوضاً عنه في (يه): فظاهر قوله: ولم يشاور، أنَّه منصوب بـ «لم»، ويحتمل أن تكون ألحقْتَ الفِعْلَ نونَ التوكيد ثم حذفْتَها كما تأوَّله ابنُ عطية.

(٣) في النسخ والمطبوع: المرجل، والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٥٦ والكلام منه، وينظر الدر المصون ١١/ ٤٥.

(٤) البيت في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧.

(٥) كذا وقعت نسبتُه في تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٥٦، والصواب: حميد: وهو ابن ثور، والبيت في ديوانه ص١٩، ومنتهى الطلب في أشعار العرب ٧/ ٣٦٤.

(٦) قال القرطبي: بواني زَوْرِه: أصول صدرِه.

(٧) في (يه): والانتقال، وانظر الكشاف ٤/ ٢٦٦.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ هو أن قرَنَه بذِكْرِه تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهُّد والخطب وفي غير موضع من القرآن، وفي تسميتِه نبيَّ الله ورسولَ الله، وذِكْرِه في كُتُب الأولين، والأخذِ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به[(١)]. وقال حسان:

أغَرُّ عليه للنبوَّةِ خاتَمٌ من اللهِ مشهورٌ يَلوحُ ويُشْهَدُ
وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمِهِ إذا قال في الخمسِ المؤذِّنُ أشهَدُ[(٢)]

وتعديدُ هذه النِّعم عليه ﷺ يقتضي أنَّه تعالى كما أحسن إليك بهذه المراتب فإنَّه يُحسن إليك بظَفَرِكَ على أعدائك وبنصرك عليهم، وكان الكفار أيضاً يُعيِّرون المؤمنين بالفقر، فذكَّره هذه النِّعَم وقوَّى رجاءَه بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ أي: إنَّ مع الضيق فرجاً. ثمَّ كرَّر ذلك مبالغةً في حصول اليُسر. ولمَّا كان اليُسرُ يعتقِبُ العُسرَ من غير تطاول أزمان جعل كأنَّه معه، وفي ذلك تبشيرُ الرسول ﷺ بحصول اليُسر عاجلاً[(٣)].

والظاهر أن التَّكرار للتوكيد كما قلنا. وقيل: تكرَّر «اليُسر» باعتبار المحلِّ، فيُسرٌ في الدنيا ويُسرٌ في الآخرة. وقيل: مع كلِّ عُسرٍ يُسران من حيث إنَّ العُسرَ مُعَرَّفٌ بالعهد، واليُسرَ مُنكَّرٌ، فالأول غيرُ الثاني، وفي الحديث: «لن يَغْلِبَ عُسرٌ يُسْرَين»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ديوان حسان ص١٣٤.
(٣) الكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧، والكشاف ٤/ ٢٦٧.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨٠، والطبري ٢٤/ ٤٩٥-٤٩٦، والحاكم ٢/ ٥٢٨، والبيهقي في الشعب (١٠٠١٣) عن الحسن مرسلاً. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٦: وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من طريق عطية، عن جابر موصولاً، وإسناده ضعيف. وفي الباب عن عمر ﷺ ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر. وهذا أصحُّ طرقه. انتهى. قلت: هو في الموطأ ٢/ ٤٤٦ عن عمر ﷺ موقوفاً عليه.

وضَمَّ سينَ «العُسرِ» و«يُسراً» فيهنَّ ابنُ وثَّاب، وأبو جعفر، وعيسى[١]. وسكَّنَهما الجمهور.

ولمَّا عدَّد تعالى نِعَمَه السابقة عليه ﷺ ووعده بتيسير ما عسَّره، أمرَه بأنْ يدأب في العبادة إذا فرغ من مثلها ولا يفتُر. وقال ابن مسعود[٢]: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من فرضك ﴿فَانصَبْ﴾ في التنفُّلِ عبادةً لربِّك، وقال أيضاً: ﴿فَانصَبْ﴾ في قيام الليل. وقال مجاهد: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من شغل دنيَاك ﴿فَانصَبْ﴾ في عبادة ربِّك[٣]. وقال ابن عباس وقتادة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانصَبْ﴾ في الدعاء[٤]. وقال الحسن: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾ في العبادة[٥]. ويعترض قوله هذا بأنَّ الجهادَ فُرِضَ بالمدينة[٦].

وقرأ الجمهور: «فَرَغْتَ» بفتح الراء. وأبو السمَّال بكسرها، وهي لغة[٧]. قال الزمخشري[٨]: ليست بفصيحة.

وقرأ الجمهور: «فانْصَبْ» بسكون الباء خفيفةً. وقومٌ بِشَدِّها مفتوحةً[٩] من الانصباب. وقرأ آخرون من الإمامية: «فانْصِبْ» بكسر الصاد، بمعنى: إذا فرَغْتَ من النبوَّة فانْصِبْ خليفة. قال ابن عطية[١٠]: وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم. انتهى.

---

(١) قراءة أبي جعفر من العشرة في النشر ٢/ ٤٠١. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧ والكلام منه: ابن عباس.
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٤٦)، والطبري ٢٤/ ٤٩٩، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٨٣.
(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨١ عن قتادة. وأخرجه عنهما الطبري ٢٤/ ٤٩٧-٤٩٨.
(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٩٨.
(٦) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧.
(٧) القراءات الشاذة ص١٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧ والكلام منه.
(٨) في الكشاف ٤/ ٢٦٧.
(٩) أي: «فانْصَبَّ»، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٥، إلا أنَّها لم تُضبط فيه.
(١٠) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٨.

وقرأ الجمهور: «فارغَبْ» أمرٌ من: رغِبَ ثلاثياً، أي: اصرِفْ وجه الرغبات إليه لا إلى سواه. وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة: «فرَغِّبْ»[1] أمرٌ من: رَغَّبَ بشدِّ الغين.

(١) القراءات الشاذة ص١٧٥ دون نسبة، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٥ عن ابن أبي عبلة، والكلام منه.

مفردات سورة التِّين

التين: هو الفاكهة المعروفة، واسم جبل، وتأتي أقوال المُفسِّرين فيه.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ
تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقال ابن عباس وقتادة مدنية[١].

ولـمَّا ذَكَرَ فيما قبلَها مَنْ كمَّلَه اللهُ خَلْقاً وخُلُقاً، وفضَّله على سائر العالم، ذكر هنا حالةَ مَنْ يُعاديه، وأنَّه يردُّه أسفلَ سافلين في الدنيا والآخرة، وأقسم تعالى بما أقسم به أنَّه خلقَه مُهيَّأً لقبول الحقِّ، ثمَّ نقلَه كما أراد إلى الحالة السافلة.

والظاهر أنَّ التِّين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم.

وفي الحديث مَدْحُ التين، وأنَّها تقطع البواسير، وتنفع من النِّقْرِس[٢]. وقال

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٠٠، وزاد المسير ٩/ ١٦٨.

(٢) وتمام لفظ الحديث: قال أبو ذرٍّ ﷺ: أُهدي للنبي ﷺ سَلُّ تينٍ، فقال: «كلوا» وأكل منه، ثم قال: «لو قلتُ: إنَّ فاكهةً نزلت من الجنة لقلتُ: هذه؛ لأنَّ فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنَّها تقطع البواسير، وتنفع من النِّقْرِس»، وهو في الوسيط ٤/ ٥٢٣، والفردوس بمأثور الخطاب (٤٧١٦)، والكشاف ٤/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، وتفسير القرطبي =

تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والنَّخَعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي[١].

وقال كعب وعكرمة: أقسم تعالى بمنابتهما، فإنَّ التين ينبت كثيراً بدمشق، والزيتون بإيلياء، فأقسم بالأرضَين.

وقال قتادة: هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق، وعلى الآخر بيت المقدس[٢]. انتهى.

وفي شعر النابغة ذِكْرُ التِّين، وشُرِحَ بأنَّه جبلٌ مُستطيل، قال النابغة:

صُهْبَ الظِّلالِ أتَيْنَ التِّينَ عن عُرُضٍ يُزْجِينَ غَيْماً قليلاً ماؤُهُ شَبِما[٣]

وقيل: هما مسجدان. واضطربوا في مواضعهما اضطراباً كثيراً ضرَبْنا عن ذلك صفحاً[٤].

ولم يُختَلَفْ في طور سَيناء أنَّه جبلٌ بالشام، وهو الذي كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام عليه.

ومعنى «سينين»: ذو الشجر. وقال عكرمة ومجاهد: معناه: حسن مبارك[٥].

= ٢٢/ ٣٦٣. وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٤٩٢. قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٦: أخرجه أبو نعيم في الطب والثعلبي، وفي إسناده مَنْ لا يُعرَف.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٦٣. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠١-٥٠٣ عن الحسن وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي والكلبي. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٢٨ عن ابن عباس ﷺ.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨٢، والطبري ٢٤/ ٥٠٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢١٦.

(٣) ديوان النابغة ص١٠٢. والصُّهْب؛ جمع صَهْباء، والأصهَبُ من الإبل الذي يخالط بياضَه حُمرة. يُزجينَ: يَسُقْنَ. الشَّبِم: البارد. اللسان (صهب) و(زجي) و(شبم).

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٤، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٠٣-٥٠٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٩٣، والنكت والعيون ٦/ ٣٠١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٤، وزاد المسير ٩/ ١٦٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٦٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩. وقول عكرمة أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠٦.

وقرأ الجمهور: «سِينين». وابن أبي إسحاق، وعمرو بن ميمون، وأبو رجاء بفتح السين[١]، وهي لغة بكر وتميم.

قال الزمخشري: ونحو سِينون يَبْرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرارِ على الياء وتحريكِ النُّون بحركات الإعراب[٢]. انتهى.

وقرأ عمر بن الخطاب، وعبد الله، وطلحة، والحسن: «سِيناء» بكسر السين والمَدّ. وعمر أيضاً وزيد بن علي بفتحها والمَدّ[٣]، وهو لفظ سريانيٌّ اختلفت بها لغات العرب[٤]. وقال الأخفش: «سِينين» شجر واحِدُه: سِينِينة[٥].

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ هو مكة، و«أمين» للمبالغة، أي: آمِنٌ مَنْ فيه ومَنْ دخلَه وما فيه من طيرٍ وحيوانٍ، أو من أَمُنَ الرجل بضم الميم أمانةً فهو أمين، وأمانته حفظه مَن دخله كما يحفظ الأمين ما يُؤتَمن عليه[٦].

ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمِنَه؛ لأنَّه مأمون الغوائل كما وُصِفَ بالأمن في قوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] بمعنى: ذي أمن، ومعنى القَسَم بهذه الأشياء إبانةُ شرفها وما ظهر فيها من الخير بسُكنى الأنبياء والصالحين، فمنبتُ

---

(١) أي: «سَيْنين»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩ ـ والكلام منه ـ عن ابن أبي إسحاق وأبي رجاء، وفي زاد المسير ٩/ ١٧٠ عن أبي رجاء. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٦ أن عمرو بن ميمون وابن أبي إسحاق قرآها: «وطور سِنين» بلا ياء.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٦٨. ويَبْرين: موضع بأعلى بلاد بني سعد، أو هو من أصقاع البحرين، أو قرية من قرى حلب. معجم البلدان ٥/ ٤٢٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩ دون ذكر قراءة فتح السين عن زيد بن علي، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٦ عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٤) ينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص٢٥٦، والحجة في القراءات السبع لابن زنجلة ص٤٨٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، وهو في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤٠ باختصار بلفظ: «وطور سينين» واحدها السِّينية.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩.

التين والزيتون مُهاجَرُ إبراهيم عليه السلام، ومَولِدُ عيسى ومَنْشَؤه. والطور: هو المكان الذي نُودي عليه موسى عليه السلام، ومكة مكانُ مولدِ رسول الله ﷺ ومَبعَثِه، ومكانُ البيت الذي هو هُدًى للعالمين[١].

﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ قال النَّخَعي ومجاهد وقتادة: حُسن صورته وحواسِّه. وقيل: انتصاب قامتِهِ. وقال أبو بكر بن طاهر: عقله وإدراكه زيَّنَّاه بالتمييز. وقال عكرمة: شبابه وقُوَّته. والأولى العموم في كلِّ ما هو أحسن[٢].

والإنسان هنا اسم جنس، وأحسن صفة لمحذوف، أي: في تقويمٍ أحسن تقويم[٣].

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ قال عكرمة وقتادة والضحَّاك والنَّخَعي: بالهرَم وذُهول العقل وتغلُّب الكِبَر، حتى يصيرَ لا يعلم شيئاً، أمَّا المؤمن فمرفوعٌ عنه القلم، والاستثناء على هذا منقطعٌ، وليس المعنى: أنَّ كلَّ إنسانٍ يعتريه هذا، بل في الجنس مَنْ يعتريه ذلك. وقال الحسن ومجاهد وأبو العالية وابن زيد وقتادة أيضاً: ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ في النار على كُفْره، ثمَّ استثنى استثناءً متَّصلاً[٤].

وقرأ الجمهور: «سافلين»: مُنَكَّراً. وعبد الله: «السافلين» مُعرَّفاً بالألف واللام[٥]. وأخذ الزمخشريُّ أقوالَ السَّلف وحسَّنها ببلاغتِه وانتقاءِ ألفاظِه، فقال[٦]: في أحسن تعديلٍ لشكله وصورته وتسويةٍ لأعضائه، ثمَّ كان عاقبةُ أمره حين لم يشكُرْ نعمة تلك الخِلقةِ الحسنةِ القويمةِ السويَّة أنْ ردَدْناه أسفلَ من سُفْلٍ

(١) الكشاف ٤/ ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠، وقول ابن طاهر نقله عن تفسير الثعلبي ٦/ ٤٩٤. والقول الأول والرابع أخرجه عنهم الطبري ٢٤/ ٥١١-٥١٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠، والكشاف ٤/ ٢٦٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٤.

(٦) في الكشاف ٤/ ٢٦٩.

خلقاً وتركيباً، يعني أقبحَ من قُبح صورةٍ وأشوَهِه خِلْقةً، وهم أصحاب النار، أو أسفلَ من سفلٍ من أهل الدركات. أو ثُمَّ ردَدْناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفلَ من سفلٍ في حسن الصورة والشكل، حيث نكَسْناه في خَلْقِه؛ فقُوِّسَ ظهرُه بعد اعتدالِه، وابيَضَّ شعرُه بعد سوادِه، وتشنَّنَ(١) جِلدُه وكان بَضًّا(٢)، وكَلَّ سمعُه وبصرُه وكانا حَدِيدَين، وتغيَّر كلُّ شيء منه، فمشيه دليفٌ(٣)، وصوتُه خِفاتٌ، وقوَّتُه ضعفٌ، وشهامتُه خَرفٌ. انتهى. وفيه تكثيرٌ.

وعلى أنَّ ذلك الردَّ هو إلى الهرم، فالمعنى: ولكِنَّ الصالحين من الهَرْمى لهم ثوابٌ دائمٌ غيرُ منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم(٤).

وفي الحديث: «إذا بلغ مئةً ولم يعمل شيئاً كُتِبَ له مثلُ ما كان يعملُ في صِحَّتِه، ولم تُكتَبْ عليه سيِّئة»(٥)، وفيه أيضاً: «إنَّ المؤمنَ إذا رُدَّ لأرذل العمر كُتِبَ له خيرُ ما كان يعمل في قوَّتِه، وذلك أجر غير ممنون»(٦). و«ممنون»: مقطوع، أي: محسوبٌ، يُمنُّ به عليهم.

---

(١) أي: يبِس وتقلَّص. المعجم الوسيط (شنن).
(٢) أي: مُمتلِأً ونَضِراً. المصدر السابق (بضض).
(٣) الدَّليف: المشي الرُّويد. الصحاح (دلف).
(٤) الكشاف ٤/ ٢٦٩.
(٥) قطعة من حديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٦٧٨) عن أنس بن مالك ﷺ وفيه: «فإذا بلغ أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً» بدل «إذا بلغ مئةً». وفي إسناده خالد الزيات، وشيخه داود بن سليمان، وهما مجهولان.
والللفظ الذي ذكره المصنف من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠، والكلام بتمامه منه.
قلت: وفي الباب ما رواه البخاري (٢٩٩٦)، وأحمد (١٩٦٧٩) عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له من الأجر ما كان يعمل صحيحاً مقيماً». وفي رواية أخرجها ابن مردويه ـ كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٦٧ ـ: ثم قرأ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.
(٦) هكذا أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠. وأخرجه بنحوه أبو داود في الزهد (٤٤٧)، وابن أبي الدنيا في العمر والشيب (٨١) عن عكرمة قوله.

والخطاب في ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ للإنسان الكافر. قاله الجمهور، أي: ما الذي يُكذِّبُك؟ أي: يجعلُكَ مُكذِّباً بالدِّين، تجعل لله أنداداً، وتزعم أنْ لا بعث بعد هذه الدلائل. وقال قتادة والأخفش والفرَّاء: قال اللهُ لرسوله ﷺ: فماذا الذي يُكذِّبُك فيما تُخبِرُ به من الجزاء والبعث وهو الدِّين بعدَ هذه العِبَرِ التي يُوجِبُ النَّظرُ فيها صِحَّةَ ما قلت.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ وَعيدٌ للكفار، وإخبارٌ بعدله تعالى[1].

(١) الكشاف ٤/ ٢٦٩.

مفردات سورة العَلَق

السَّفْع؛ قال المبرِّد: الجَذْبُ بشدَّة، وسَفَعَ بناصية فرسه: جذب. قال عَمرو بن معد يكرب:

قـومٌ إذا كـثُـرَ الـصِّـيـاحُ رأيـتَـهُـمْ مِنْ بيـنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ[1]

وقال مؤرِّج: معناه: الأخْذُ بلغة قريش.

النَّادي والنَّديُّ: المجلس، ومنه قول الأعرابية: سيِّدُ نادِيه، وثِمالُ عافِيه[2].

وقال زهير:

وفـيـهـم مـقـامـاتٌ حِـسـانٌ وجوهُـهُـمْ وأنـديَـةٌ يَـنْـتـابُـهـا الـقـولُ والـفِـعْـلُ[3]

الزَّبانية: ملائكة العذاب[4]. فقيل: جمعٌ لا واحِدَ له من لفظه، كعَباديد[5]. وقيل: واحدهم: زِبْنِيَة على وزن حِذْرِيَة وعِفْرِيَة. قاله أبو عبيدة[6]. وقال الكسائي: زِبْنيٌّ[7]، وكأنَّه نُسِبَ إلى الزِّبْن، ثمَّ غُيِّرَ للنَّسب، كقولهم: إمْسِيّ، وأصلُه زبانيّ.

---

(١) البيت جاء منسوباً لعمرو بن معد يكرب في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣، ومن دون نسبة في سيرة ابن هشام ١/ ٣١١، وتهذيب اللغة ٢/ ١٠٨، والصحاح (سفع)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٢٩، وأساس البلاغة (سفع). والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٨٤ مع تقديم وتأخير.

(٢) الثِّمال: الغياث والملجأ، أو الذي يقوم بأمر قومه، أو المطعم في الشدة. والعافيه: طالب الرزق. معجم متن اللغة ١/ ٤٥٠ و٤/ ١٥٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣.

(٣) ديوان زهير ص١١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٨٥.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤.

(٧) نقله عنه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٠، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣.

وقال عيسى بن عمر والأخفش: واحدهم زابن. والعرب تُطلق هذا الاسم على من اشتدَّ بطشُه[(١)]، ومنه قول الشاعر:

مطاعيمُ في القُصوى مَطاعين في الوغى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حُلومُها[(٢)]

والزَّبْنُ: الدَّفع. قال الشاعر:

ومُسْتَعجِبٌ ممَّا يرى من أناتِنا ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يترَمْرَمِ[(٣)]

وقال عتبة بن أبي سفيان: وقد زَبنَتْنا الحربُ وزبنَّاها.

* * *

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⑥ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ⑩ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑯ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑱ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ⑲﴾.

هذه السورة مكية، وصدرُها أولُ ما نزل من القرآن، وذلك في غار حراء على ما ثبت في «صحيح البخاري» وغيرِه[(٤)]، وقول جابر: أولُ ما نزلَ المدثر، وقول

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣.

(٢) البيت لعبد الله بن الزِّبعرى كما في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣١٢. والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٠٨-٣٠٩. وفي السيرة: المُقْرَى، بدل: القُصْوَى. والغُلْب؛ جمع أغلب: وهو الغليظ الرقبة، وهم يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها. اللسان (غلب).

(٣) البيت لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص١٢١، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣، وما بعده منه أيضاً. لم يترمرم: لم يتحرك. الصحاح (رمم).

(٤) صحيح البخاري (٤٩٥٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو ـ أيضاً ـ في صحيح مسلم (١٦٠)،=

أبي ميسرة عَمرو بن شُرَحْبيل: أولُ ما نزل الفاتحة، لا يصِحّ.

وقال الزمخشريُّ[١]: عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورةٍ نزلت. وأكثر المفسِّرين على أنَّ الفاتحةَ أولُ ما نزل، ثم سورةُ القلم. انتهى.

ولمَّا ذكر فيما قبلها خلقَ الإنسان في أحسن تقويم، ثمَّ ذكرَ ما عرَضَ له بعد ذلك، ذكرَه هنا مُنبِّهاً على شيء من أطواره، وذكرَ نعمتَه عليه، ثمَّ ذكرَ طُغيانه بعد ذلك وما يؤول إليه حالُه في الآخرة.

وقرأ الجمهور: «اقرَأْ» بهمزة ساكنة. والأعشى عن أبي بكر عن عاصم بحَذْفِها[٢]، كأنَّه على قول من يُبْدِلُ الهمزةَ بمناسبِ حركتِها، فيقول: قَرا يقرا، كسعى يسعى، فلمَّا أمر منه قيل: اقْرَ بحذف الألف، كما تقول: اسْعَ.

والظاهرُ تعلُّقُ الباء بـ «اقرأ» وتكون للاستعانة، ومفعول «اقرأ» محذوف، أي: اقرأ ما يُوحى إليك. وقيل: «باسم ربك» هو المفعول، وهو المأمور بقراءته، كما تقول: اقرأ الحمد لله، وقيل: المعنى: اقرَأْ في أول كلِّ سورة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم[٣].

وقال الأخفش: الباء بمعنى: على، أي: اقرَأْ على اسم الله، كما قالوا في قوله: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤١] أي: على اسم الله. وقيل: المعنى: اقرَإِ القرآنَ مُبتدِئاً باسمِ ربِّك[٤].

وقال الزمخشريُّ[٥]: مَحلُّ «باسم ربِّك» النصبُ على الحال، أي: اقرَأْ مُفتتِحاً باسم ربِّك، قل: بسم الله، ثمَّ اقرأ. انتهى. وهذا قاله قتادة؛ قال قتادة: المعنى:

= ومسند أحمد (٢٥٩٥٩). والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠١.

(١) في الكشاف ٤/ ٢٧٠.

(٢) أي: «اقْرَ»، لكن وقعت في القراءات الشاذة ص١٧٦: «اقْرَا» بإثبات الألف دون الهمزة! والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

(٣) ينظر القولان الأخيران في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠١.

(٤) ينظر هذا المعنى في النكت والعيون ٦/ ٣٠٤، وزاد المسير ٩/ ١٧٥.

(٥) في الكشاف ٤/ ٢٧٠.

اقرَأْ ما أُنزِلَ عليك من القرآن مُفتتِحاً باسم ربِّك. وقال أبو عبيدة: الباء صلة، والمعنى: اذكُرْ ربَّك[١]. وقال أيضاً: الاسم صلة، والمعنى: اقرَأْ بِعَون ربِّك وتوفيقه.

وجاء «باسم ربِّك» ولم يأتِ بلفظ الجلالة لِما في لفظ الربِّ من معنى الذي ربَّاك ونظر في مصلحتك[٢].

وجاء الخطاب ليدلَّ على الاختصاص والتأنيس، أي: ليس لك ربٌّ غيرُه، ثمَّ جاء بصفة الخالق وهو المنشئ للعالم.

لمَّا كانت العربُ تُسمِّي الأصنام أرباباً أتى بالصفة التي لا يمكن شركة الأصنام فيها[٣]، ولم يذكر مُتعلَّق الخلق أولاً، فالمعنى: إنَّه قصد إلى استبداده بالخلق، فاقتصر أو حذف؛ إذ معناه: خلقَ كلَّ شيءٍ، ثمَّ ذكرَ خلق الإنسان وخصَّه من بين المخلوقات؛ لكونه هو المُنزَّلُ إليه وهو أشرَفُ. قال الزمخشريُّ[٤]: أشرَفُ ما على الأرض. وفيه دسيسة أنَّ الملكَ أشرَفُ. وقال: ويجوز أن يُراد: الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣]. فقيل: الذي خَلَق مُبهَماً، ثمَّ فسَّره بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؛ تفخيماً لخلق الإنسان، ودلالةً على عجيب فطرته. انتهى.

والإنسان هنا اسمُ جنس، والعَلَق: جمع عَلَقة؛ فلذلك جاء «من عَلَق»، وإنَّما ذكَرَ مَنْ خلَقَ من علقٍ؛ لأنَّهم مقرونٌ به، ولم يذكر أصلَهم آدمَ؛ لأنَّه ليس مُتقرَّراً عند الكفار، فسِيقَ الفَرْعُ وتُرِكَ أصلُ الخِلْقة؛ تقريباً لأفهامهم، ثمَّ جاء الأمرُ ثانياً؛ تأنيساً له، كأنَّه قيل: امضِ لما أُمِرْتَ به، وربُّك ليس مثلَ هذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقصٌ[٥].

(١) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤ بنحوه. ولم أقف فيه على القول الآتي.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٣٢/ ١٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠١.
(٤) في الكشاف ٤/ ٢٧٠ والكلام منه بنحوه.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.

و«الأكرم» صفةٌ تَدلُّ على المبالغة في الكرم؛ إذ كرَمُه يزيد على كلِّ كرم، يُنعِمُ بالنِّعم التي لا تُحصى، ويَحْلُم على الجاني، ويقبل التوبة، ويتجاوز عن السيئة، وليس وراءَ التكرُّم بإفادة الفوائد العلمية تكرُّم، حيث قال: ﴿ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ فدلَّ على كمال كرَمِه بأنَّه علَّمَ عبادَه ما لم يعلموا، ونقلهم من ظُلمة الجهل إلى نور العلم، ونبَّه على أفضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلَّا هو، وما دُوِّنَتِ العلومُ، ولا قُيِّدَتِ الحِكَمُ، ولا ضُبِطَتْ أخبارُ الأوَّلين ولا مقالاتُهم ولا كُتبُ الله المُنزلة إلَّا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمورُ الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيقِ حكمةِ الله تعالى ولطيفِ تدبيرِه دليلٌ إلَّا أمرُ الخطِّ والقلم، لكفى به. ولبعضهم في صفة القلم:

ورَواقِمٍ رُقْشٍ كمثلِ أَراقِمٍ ... قُطْفِ الخُطى نيَّالَةٍ أقصى المَدى
سودِ القوائمِ ما يَجِدُّ مسيرُها ... إلَّا إذا لعِبَتْ بها بِيْضُ المُدى

انتهى من كلام الزمخشري[(١)].

ومن غريب ما رأينا تسمية النصراني بهذه الصفة التي هي صفة لله تعالى؛ يُسمُّون: الأكرم، والرشيد، وفخر السعداء في ديار مصر، ويدعوه بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم: الشيخَ الأكرم، والشيخَ الأسعد[(٢)]، وسعيدَ السُّعداء، والشيخَ الرشيد، فيا لها مَخْزيَةً على مَنْ يدعوهم بها، يجدون عُقباها يوم عرض الأقوال والأفعال.

ومفعولا «عَلَّم» محذوفان؛ إذِ المقصود إسنادُ التعليم إلى الله تعالى.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٢٧٠-٢٧١. والرَّواقم جمع راقِم، والرَّقْمُ: الكتابة، أي: رُبَّ أقلامٍ رواقم، فرواقم صفة لمحذوف، والرُّقْش كالنُّقْش، يقال: حيَّةٌ رَقْشاء؛ لترقيشٍ في ظهرها. وقولُه: كمثل، خبر. وأراقم جمع أرقَم: وهي الحيَّة التي فيها سوادٌ وبياض. وقوله: قُطْف، القَطوف من الدوابِّ: البطيء المشي. ونيَّالة: صيغة مبالغة من نال بمعنى: أصاب. وأقصى: مفعولُه. والمَدى في آخر البيت الأول بالفتح: الغاية، وفي آخر البيت الثاني بالضمِّ جمع مُدْية. شرح شواهد الكشاف في آخر الكشاف ٤/ ٥٦٥.
(٢) من قوله: في ديار مصر... إلى هنا من (يه) و(ع).

وقدَّرَ بعضُهم: الذي علَّم الخطَّ بالقلم، وهي قراءةٌ تُعزى لابن الزبير[١]، وهي عندي على سبيل التفسير لا على أنَّها قرآن؛ لمخالفتها سوادَ المصحف.

والظاهر أنَّ المُعَلَّمَ كلُّ من كتبَ بالقلم. وقال الضحَّاك: إدريس. وقيل: آدم؛ لأنَّه أولُ من كتب[٢].

والإنسان في قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الظاهر أنَّه اسمٌ لجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها. وقيل: الرسول عليه الصلاة والسلام[٣].

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾ نزلت بعد مُدَّةٍ في أبي جهل؛ ناصَبَ رسولَ الله ﷺ العداوةَ، ونهاه عن الصلاة في المسجد، فرُويَ أنَّه قال: لئِنْ رأيتُ محمداً يسجدُ عند الكعبة لأطأَنَّ على عنقه، فيُروى أنَّ رسولَ الله ﷺ ردَّ عليه وانتهرَه وتوعَّدَه، فقال أبو جهل: أيتوعَّدُني محمدٌ؟!! واللهِ ما بالوادي أعظم نَديًا مِنِّي. ويُروى أنَّه هَمَّ أن يمنعه من الصلاة فكعَّ[٤] عنه[٥].

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لمن كفر بنعمة الله عليه، بطغيانه وإن لم يتقدَّم ذِكْرُه؛ لدلالة الكلام عليه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ أي يجاوز الحد ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ الفاعل ضميرُ الإنسان، وضمير المفعول عائدٌ عليه أيضاً، و«رأى» هنا من رؤية القلب، يجوز أن يتَّحد فيها الضميران متَّصِلَين، فتقول: رأيتَني صديقَك وكذلك: فَقَدَ، وعَدِمَ،

(١) وهي في القراءات الشاذة ص١٧٧، والكشاف ٤/ ٢٧١.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٠٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٧٨. والقول الثالث نسباه لكعب الأحبار.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.
(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: فكفَّ. وفي (ع): وكفى. والمثبت من (يه) وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ والكلام بتمامه منه. ومعنى «كعَّ»: ضعُف. اللسان (كعع).
(٥) هما قطعتان من حديثين عن ابن عباس ﷺ؛ فالقطعة الأولى أخرجها البخاري (٤٩٥٨)، والترمذي (٣٣٤٨)، وأحمد (٢٢٢٥) وفيها أن النبي ﷺ قال بعد قول أبي جهل: لأطأنَّ عنقه. قال: «ولو فعلَ لأخذَته الملائكة عِياناً» ورواية البخاري ليس فيها كلمة: عياناً. والقطعة الثانية أخرجها بنحوها أحمد (٢٣٢١)، والترمذي (٣٣٤٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٢٠)، والطبري ٢٤/ ٥٣٧.

بخلاف غيرِها، فلا يجوز: زيدٌ ضَرَبَه، وهما ضميرا زيد[١].

وقرأ الجمهور: «أنْ رَآهُ» بألف بعد الهمزة، وهي لام الفعل. وقُنْبُل - بخلافٍ عنه - بحذف الألف، وهي رواية ابن مجاهد عنه، قال[٢]: وهو غلَطٌ لا يجوز. وينبغي أن لا يُغلِّطه، بل يتطلَّبُ له وجهاً وقد حُذِفَتِ الألفُ في نحوِ من هذا، قال:

وصَّانِيَ العَجَّاجُ فيما وَصَّني[٣]

يريد: وصَّاني، فحذف الألفَ، وهي لامُ الفعل، وقد حُذِفت في مضارع «رأى» في قولهم: أصاب الناسَ جُهدٌ، ولو تَرَ أهلَ مكة. وهو حذفٌ لا ينقاس، لكن إذا صحَّتِ الروايةُ به وجب قبولُه، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسِها وشاذِّها.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ أي: الرجوع، مصدرٌ على وزن فُعْلَى، الألف فيه للتأنيث. وفيه وعيدٌ للطاغي المستغني، وتحقيرٌ لما هو فيه من حيث مآله إلى البعث والحساب والجزاء على طغيانه[٤].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ تقدَّم أنَّه أبو جهل. قال ابن عطية[٥]: ولم يختلِفْ أحدٌ من المفسِّرين أنَّ النَّاهي أبو جهل، وأنَّ العبدَ المُصلِّي هو محمدٌ ﷺ. انتهى. وفي «الكشاف»[٦]: وقال الحسن: هو أمية بن خلف، كان ينهى سلمانَ عن الصلاة.

وقال التبريزي: المراد بالصلاة هنا صلاة الظهر. قيل: هي أول جماعة أُقيمت في الإسلام، كان معه أبو بكر وعليٌّ وجماعةٌ من السابقين، فمرَّ به

---

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٢٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.
(٢) في السبعة ص٦٩٢. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.
(٣) الرجز لرؤبة، وهو في ملحقات ديوانه ص١٨٧، والخزانة ١/ ١٣١.
(٤) الكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢، والكشاف ٤/ ٢٧١.
(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.
(٦) ٤/ ٢٧١.

أبو طالب ومعه ابنُه جعفر، فقال له: صِلْ جناحَ ابنِ عَمِّك. وانصرف مسروراً، وأنشأ يقول:

إنَّ عليًّا وجعفراً ثِقتي ... عندَ مُلِمِّ الزَّمانِ والكُرَبِ
واللهِ لا أخذُلُ النَّبيَّ ولا ... يخذلُهُ مَنْ يكونُ من حَسَبي
لا تخذُلا وانصُرا ابنَ عَمِّكُما ... أخي لأُمِّي من بَينِهِمْ وأبي

ففرحَ رسولُ الله ﷺ بذلك[1].

والخطابُ في «أرأيتَ» الظاهرُ أنَّه للرسول ﷺ، وكذا «أرأيتَ» الثاني والثالث، والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النَّظْم. وقيل: «أرأيت» الثاني خطابٌ للكافر، التفتَ إلى الكافر، فقال: أرأيتَ يا كافر إن كانَتْ صلاتُه هُدًى ودعاءً إلى الله وأمراً بالتقوى، أتنهاه مع ذلك[2].

والضمير في «إنْ كانَ» وفي «إنْ كذَّبَ» عائدٌ على النَّاهي. قال الزمخشري[3]: ومعناه: أخبرني عمَّن ينهى بعضَ عباد الله عن صلاته إنْ كان ذلك النَّاهي على طريقةٍ سديدةٍ فيما ينهى عنه من عبادة الله، أو كان آمِراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب للحقِّ والتولِّي عن الدِّين الصحيح كما نقول نحن ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ ويطَّلع على أحواله من هُداه وضلالِه، فيُجازيه على حسب ذلك، وهذا وعيد. انتهى.

وقال ابن عطية[4]: ﴿إِن كَانَ﴾ يعني العبد المصلِّي. وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني الإنسان الذي ينهى. انتهى. فجعل ابنُ عطية الضميرَ في «إنْ كانَ على الهدى» عائداً على المُصَلِّي. وقاله الفرَّاء وغيره. قال الفرَّاء: المعنى: أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلَّى وهو على الهدى وآمرٌ بالتقوى، والنَّاهي مُكذِّبٌ مُتوَلٍّ عن الذِّكر،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٠٧. والأبيات في ديوان أبي طالب ص٦٧ بألفاظٍ قريبة.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٣٢/ ٢٢-٢٣.
(٣) في الكشاف ٢/ ٢٧١.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.

أي: فما أعجبَ هذا! ألم يعلَمْ أبو جهلٍ بأنَّ الله تعالى يراه ويعلمُ فِعْلَه. فهذا تقرير وتوبيخ[١]. انتهى.

وقال مَنْ جعلَ الضَّميرَ في «إنْ كان» عائداً على المُصلِّي: إنَّما ضَمَّ إلى فعلِ الصلاة الأمرَ بالتقوى؛ لأنَّ أبا جهلٍ كان يشقُّ عليه من رسول الله ﷺ أمران؛ الصلاةُ والدعاء إلى الله تعالى، ولأنَّه كان ﷺ لا يوجد إلَّا في أمرين؛ إصلاحِ نفسِه بفعل الصلاة، وإصلاحِ غيرِه بالأمرِ بالتقوى[٢].

وقال ابن عطية[٣]: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ إكمالٌ للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة، يصلح مع كلٍّ واحد منها، فجاء بها في نسقٍ، ثمَّ جاء بالوعيد الكافي بجميعها اختصاراً واقتضاباً، ومع كلِّ تقرير تكملةٌ مقدَّرةٌ تتَّسع العبارات فيها ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ دالٌّ عليها مُغْنٍ.

وقال الزمخشري[٤]: فإن قلت: ما متعَلَّقُ «أرأيتَ»؟ قلت: «الذي ينهى» مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين. فإن قلت: فأين جواب الشرط؟ قلت: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى، وإنَّما حُذِفَ لدلالة ذِكْرِه في جواب الشرط الثاني. فإن قلت: فكيف صَحَّ أن يكون «ألم يعلم» جواباً للشرط؟ قلت: كما صَحَّ في قولك: إنْ أكرمتُكَ أتُكْرِمُني؟ وإن أحسَنَ إليك زيدٌ هل تُحسِنُ إليه؟ فإن قلت: فما «أرأيت» الثانيةُ وتوسُّطُها بين مفعولَي «أرأيت»؟ قلت: هي زائدة مُكرَّرة للتوكيد. انتهى.

وقد تكلَّمنا على أحكام «أرأيت» بمعنى: أخْبِرني، في غير موضعٍ، منها التي في سورة الأنعام[٥]، وأشبعنا الكلام عليها في شرح «التسهيل»، وما قرَّره

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٨٣. وقول الفراء بنحوه في معاني القرآن له ٢/ ٣٧٨-٣٧٩، وينظر الوسيط ٤/ ٥٢٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٨.

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٢٢.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢.

(٤) في الكشاف ٤/ ٢٧١.

(٥) عند تفسير الآية (٤٠) منها.

الزمخشريُّ هنا ليس بجارٍ على ما قرَّرناه، فمِنْ ذلك أنَّه ادَّعى أنَّ جملة الشَّرط في موضع المفعول الواحد، والموصول هو الآخر، وعندنا أنَّ المفعول الثاني لا يكون إلَّا جملةً استفهامية، كقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [النجم: ٣٣-٣٥]، ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩]، وهو كثيرٌ في القرآن، فتُخرَّجُ هذه الآية على ذلك القانون، ويُجعَلُ مفعول «أرأيتَ» الأولى هو الموصول، وجاء بعده «أرأيتَ» وهي تطلب مفعولين، و«أرأيتَ» الثانية كذلك، فمفعول «أرأيتَ» الثانية والثالثة محذوفٌ يعود على «الذي ينهى» فيهما، أو على «عبداً» في الثانية، وعلى «الذي ينهى» في الثالثة، على الاختلاف السابق في عَوْدِ الضمير، والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاثةُ طوالب، فنقول: حُذِفَ المفعول الثاني لـ «أرأيتَ»، وهو جملة الاستفهام الدالُّ عليه الاستفهام المتأخِّر؛ لدلالته عليه، وحُذِفَ مفعول «أرأيتَ» الأخير؛ لدلالة مفعول «أرأيتَ» الأولى عليه، وحُذِفا معاً لـ «أرأيت» الثانية؛ لدلالة الأول على مفعولها الأول، ولدلالة الآخر لـ «أرأيتَ» الثالثة على مفعولها الآخر، وهؤلاء الطوالب ليس طلَبُها على طريق التنازع؛ لأنَّ الجُمَلَ لا يصِحُّ إضمارُها، وإنَّما ذلك من باب الحذف في غير التنازع.

وأمَّا تجويزُ الزمخشريِّ وقوعَ جملة الاستفهام جواباً للشرط بغير فاء، فلا أعلم أحداً أجازَه، بل نَصُّوا على وجوب الفاء في كلِّ ما اقتضى طلباً بوجهٍ ما، ولا يجوز حَذفُها إلَّا إن كان في ضرورة شعر.

﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل ومَنْ في طبقته عن نهيِ عبادِ الله عن عبادةِ الله ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عمَّا هو فيه، وعيد شديد ﴿لَنَسْفَعًا﴾ أي: لنأخُذَنَّ بالناصية. وعبَّر بها عن جميع الشخص، أي: سَحْباً إلى النار، كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، واكتفى بتعريف العهد عن الإضافة إذ عُلِمَ أنَّها ناصية النَّاهي[(١)].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧١-٢٧٢ بنحوه، وبعضه من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢-٥٠٣.

وقرأ الجمهور بالنون الخفيفة، وكُتِبَتْ بالألف باعتبار الوقف؛ إذ الوقف عليها بإبدالها ألفاً، وكثُرَ ذلك حتى صارت رويًا[١] فكُتِبتْ ألفاً، كقوله:

ومَهْما تشأْ منهُ فزارةُ تَمنعا[٢]

وقال آخر:

يحسبُه الجاهلُ مالَم يَعْلَما[٣]

ومحبوب وهارون كلاهما عن أبي عمرو بالنون الشديدة[٤].

وقيل: هو مأخوذ من سَفَعَتْه النار والشمس: إذا غيَّرت وجهَه إلى حالٍ شديد[٥]. وقال التبريزي: قيل: أراد: لَنُسَوِّدَنَّ وجهَه، من السُّفعة: وهي السواد، وكَفَتْ من الوجه؛ لأنَّها في مُقدَّمه[٦].

وقرأ الجمهور: «ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ» بجرِّ الثلاثة، على أنَّ «ناصية» بدلُ نكِرة من معرفة. قال الزمخشريُّ[٧]: لأنَّها وُصِفَتْ فاستقلَّتْ بفائدة. انتهى. وليس شرطاً

(١) في (يه) وحدها: حتى صارت وصل رويٍّ.
(٢) عجزُ بيتٍ صدرُه: فمَهْما تشَأْ منهُ فزارةُ تُعْطِهِ. ونسبه سيبويه في الكتاب ٣/ ٥١٥، وابن عصفور في الضرائر ص٣٠ لابن الخَرِع. وقال صاحب الخزانة ١١/ ٣٩٨: والبيت غير موجود في ديوان ابن الخَرِع، وإنما هو من قصيدة للكُميت بن ثعلبة. وسلف عند تفسير الآية (١٨) من سورة النمل.
(٣) الرجز في الكتاب ٣/ ٥١٦ دون نسبة، ونُسب لابن جناية اللص، ومُساور العبسي، والعجاج، وأبي حيان الفقعسي، وعبد بني عبس. ينظر أمالي ابن الشجري ٢/ ١٦٥، وخزانة الأدب ١١/ ٤٠٩ و٤١٨.
(٤) أي: «لنَسْفَعنَّ»، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٦ من رواية محبوب، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣ من رواية هارون. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٠٨، وفيه: حالة تشويه. وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٨٤ وفيه: حال تسويد.
(٦) وقاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٧٩، والطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٣٦، والأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٠٨، ومكي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٣٥٨.
(٧) في الكشاف ٤/ ٢٧٢.

في إبدال النَّكرة من المعرفة أن تُوصَفَ عند البصريين، خلافاً لمن شرط ذلك من غيرهم، ولا أن تكون من لفظ الأول أيضاً، خلافاً لزاعمه.

وقرأ أبو حَيْوة، وابن أبي عَبْلة، وزيد بن علي بنصب الثلاثة على الشتم[١]. والكسائي في روايةٍ برفعها[٢]، أي: هي ناصيةٌ كاذبةٌ خاطئةٌ. وصفها بالكذب والخطأ مَجازاً، والحقيقةُ صاحبُها، وذلك أحرى[٣] من أن يضاف فيقال: ناصيةُ كاذبٍ خاطئٍ؛ لأنَّها هي المُحدَّث عنها في قوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ إشارة إلى قول أبي جهل: وما بالوادي أكبرُ نادياً منِّي، والمراد أهل النَّادي[٤]. وقال جرير:

لهم مجلسٌ صُهْبُ السِّبالِ أذِلَّةٌ[٥]

أي: أهل مجلس؛ ولذلك وصف بقوله: صُهْبُ السِّبالِ أذِلَّةٌ، وهو أمرُ تعجيز[٦]، أي: لا يُقدره اللهُ على ذلك. وفي الحديث: «لو دعا ناديه لأخَذَتْه الملائكة عِياناً»[٧].

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٦، والكشاف ٤/ ٢٧٢ دون نسبة، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣ عن أبي حيوة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٧٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣. والمشهور عن الكسائي كقراءة الجمهور.

(٣) في (يه): أجزل.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣.

(٥) عجزه: سواسيةٌ أحرارُها وعبيدُها. قلت: هكذا نسبه الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٧٢ لجرير، وتابعه القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٣٨٧، والصحيح أنَّه لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ٢/ ١٢٣٥، ونسبه له الزمخشري في أساس البلاغة (جلس). قال شارح الديوان: قوله: صُهْبُ السِّبال، أي: هم عجم ليسوا بعرب، ولا يُقال: سواسية، إلَّا في الهجاء، أمَّا في الخير فيُقال: سواء. انتهى. والسِّبال؛ جمع سَبَلة: وهي ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية. والصَّهَب: حُمرةٌ أو شُقرةٌ في الشعر، والأعداء صُهْبُ السِّبال وإن لم يكونوا كذلك. القاموس (صهب) و(سبل).

(٦) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ والمطبوع: تعجبي.

(٧) تقدم تخريجه في أول السورة.

وقرأ الجمهور: «سَنَدْعُ» بالنون مبنيًّا للفاعل، وكُتِبَتْ بغير واوٍ؛ لأنَّها تسقط في الوصل لالتقاء الساكنين.

وقرأ ابن أبي عبلة: «سيُدعى» مبنيًّا للمفعول «الزَّبانيةُ» رفع[١].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لأبي جهل ورَدٌّ عليه في ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي: لا تلتفِتْ إلى نهيه وكلامه. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ أمرٌ له بالسجود، والمعنى: دُمْ على صلاتِك. وعبَّر عن الصلاة بأفضل الأوصاف التي يكون العبد فيها أقرب إلى الله تعالى[٢].

﴿وَٱقْتَرِب﴾: وتقرَّبْ إلى ربِّك[٣]. وثبت في «الصحيحين» سجودُ رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ وفي هذه السورة[٤]، وهي من العزائم عند علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه[٥]، وكان مالكٌ يسجدُ فيها في خاصة نفسه[٦].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣ بنحوه.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٢.
(٤) صحيح البخاري (٧٦٦) و(٧٦٨) و(١٠٧٤) و(١٠٧٨)، وصحيح مسلم (٥٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وليس فيهما السجود في سورة العلق.
(٥) أخرجه عنه الطبراني في الأوسط (٧٥٨٤)، والحاكم ٢/ ٥٢٩. وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٨.
(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٨.

سورة القَدْر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

هذه السورة مدنية في قول الأكثر، وحكى الماورديُّ عكسَه. وذكر الواقديُّ[1] أنَّها أول سورة نزلت بالمدينة. وفي الحديث أنَّ أربعةً عبدوا الله تعالى ثمانين سنةً لم يَعْصُوه طرفةَ عين؛ أيوب، وزكريا، وحِزْقيل، ويوشع، فعجِبَ الصحابةُ من ذلك، فقال جبريل: يا محمد، عجبَتْ أمَّتُك من ذلك، فقد أنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك. فقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ السورة، فسُرَّ بذلك[2].

ومناسبتُها لِما قبلَها ظاهرة؛ لـمَّا قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، فكأنَّه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾، والضمير عائدٌ على ما دلَّ عليه المعنى، وهو ضمير القرآن.

---

(١) تصحفت في النسخ والمطبوع إلى: الواحدي، والتصويب من النكت والعيون ٦/ ٣١١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٠ والكلام بتمامه منه، ونسب القول الأول للثعلبي، وهو في تفسيره ٦/ ٥٠١.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٠. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٢٦) عن يونس، عن ابن وهب، عن مَسْلَمة بن علي، عن علي بن عروة، عن النبي ﷺ معضلاً. ومَسْلَمة بن علي وأبوه علي بن عروة متروكان، كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب.

قال ابن عباس وغيره: أنزلَه اللهُ تعالى ليلةَ القدر إلى سماء الدنيا جملةً، ثمَّ نجَّمه على محمدٍ ﷺ في عشرين سنة. وقال الشَّعبيُّ وغيره: إنَّا ابتدَأْنا إنزالَ هذا القرآنِ إليك في ليلة القدر. ورُويَ أنَّ نزول المَلَك في حِراء، وكان في العَشْر الأواخر من رمضان. وقيل: المعنى: إنَّا أنزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها[1].

ولمَّا كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيماً وتحسيناً، فليست «ليلة القدر» ظرفاً للنزول، بل على نحوِ قولِ عمر رضي الله تعالى عنه: لقد خشيتُ أن ينزلَ فيَّ قرآنٌ. وقولِ عائشة: لأنا أحقَرُ في نفسي من أن ينزلَ فيَّ قرآنٌ[2].

وقال الزمخشري[3]: عظَّمَ القرآنَ مِنْ إسناد إنزاله إليه مختصًّا به، ومِنْ مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر؛ شهادةً له بالنَّباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، وبالرفع من مقدار الوقت الذي أُنزِلَ فيه. انتهى. وفيه بعض تلخيص.

وسُمِّيت ليلةَ القدر؛ لأنَّه تُقدَّر فيها الآجالُ والأرزاقُ وحوادثُ العالم كلُّها، وتُدفَعُ إلى الملائكة لتمتَثِلَه. قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما. وقال الزُّهري: معناه: ليلةُ القدرِ العظيمِ والشرفِ وعِظَمِ الشأن، من قولك: رجلٌ له قَدْرٌ. وقال أبو بكر الورَّاق: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تُكسِبُ مَنْ أحياها قَدْراً عظيماً لم يكن له قبل، وتردُّه عظيماً عند الله تعالى. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ كلَّ العمل فيها له قَدْرٌ وخَطَر[4]. وقيل: لأنَّه أنزل فيها كتاباً ذا قَدْرٍ على رسولٍ ذي قَدْرٍ لأُمَّةٍ ذاتِ قَدْرٍ. وقيل: لأنَّه يَنزِلُ فيها ملائكةٌ ذاتُ قَدْرٍ وخَطَرٍ. وقيل: لأنَّه قدَّرَ فيها الرحمةَ على المؤمنين. وقال الخليل: لأنَّ الأرضَ تضيقُ فيها بالملائكة، كقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤. وينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٢-٥٤٣، والكشاف ٤/ ٢٧٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤. وقول عمر ﷺ أخرجه البخاري (٤١٧٧). وقول عائشة ﷺ أخرجه البخاري - أيضاً - (٢٦٦١)، وهو قطعة من حديث الإفك.

(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٠٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٢.

وقد اختلف السَّلفُ والخلفُ في تعيين وقتها اختلافاً متعارضاً جِدًّا، وبعضهم قال: رُفِعَتْ[١]. والذي يدلُّ عليه الحديثُ أنَّها لم تُرْفَعْ، وأنَّ العَشْرَ الأخيرَ تكون فيه، وأنَّها في أوتاره كما قال عليه الصلاة والسلام: «التمسوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة»[٢]، وفي الصحيح: «مَنْ قامَ ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبه»[٣].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ تفخيمٌ لشأنها، أي: لم تبلغ دِرايتُك غايةَ فضلها[٤]. ثمَّ بيَّنَ له ذلك؛ قال سفيان بن عُيينة: ما كان في القرآن «وما أدراك» فقد أعلَمَه، وما قال: «وما يُدريك» فإنَّه لم يُعْلِمْه[٥].

قيل: وأخفاها الله تعالى عن عباده ليجدوا في العمل ولا يتَّكِلوا على فضلها ويُقَصِّروا في غيرها[٦].

والظاهر أنَّ «ألف شهر» يُراد به حقيقةَ العدد وهي ثمانون سنة وثلاثةُ أعوام وثُلُثُ عام. والعمل[٧] في ليلة القدر أفضَلُ من العمل في هذه الشهور.

والمراد: خيرٌ من ألف شهرٍ عارٍ من ليلة القدر. وعلى هذا أكثر المفسِّرين. وقال أبو العالية: خيرٌ من ألف شهر رمضان لا يكون فيها ليلةُ القدر. وقيل:

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٠٢، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٩. ونقلَ هذا القولَ عن أبي حنيفة ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥. وقال: هذا قول مردود، وإنَّما رُفع تعيينُها.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢١٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ. والرواية المشهورة ليس فيها ذكر «الثالثة»، وأخرجها البخاري (٦٠٤٩)، وأحمد (٢٢٢٦٧) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. والبخاري (٢٠٢١)، وأحمد (٢٠٥٢) من حديث ابن عباس ﷺ. ومسلم (١١٦٧)، وأحمد (١١٠٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠)، وأحمد (٨٥٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٧٣.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٠٧، وذكره القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٣٩٢.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٧) تحرفت في (ت) والمطبوع إلى: والحسن، والمثبت من باقي النسخ، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

المعنى: خيرٌ من الدهر كلِّه؛ لأنَّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلِّها؛ قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] يعني جميعَ الدهر(١). وعُوتِبَ الحسنُ بن عليٍّ في تسليمه الأمرَ لمعاوية، فقال: إنَّ الله تعالى أرى في المنام نبيَّه ﷺ بني أمية يَنْزُون على منبره نَزْوَ القردة، فاهتمَّ لذلك، فأعطاه الله تعالى ليلةَ القدر، وهي خيرٌ من مدة ملوك بني أمية، وأعلمه أنَّهم يملِكون هذا القدر من الزمان(٢). قال القاسم بن الفضل الحُدَّاني(٣): فعدَدْنا ذلك، فإذا هي ألف شهر، لا تزيدُ يوماً، ولا تنقصُ يوماً. وخرَّج قريباً من معناه الترمذي(٤). وقال: حديث غريب. انتهى.

وقيل: آخر ملوكهم مروان الجَعْدي في آخر هذا القدر من الزمان. ولا يُعارِضُ هذا تملُّكُ بني أمية في جزيرة الأندلس مدَّةً غيرَ هذه؛ لأنَّهم إنَّما كانوا في بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب، بحيث كان في إقليم العرب إذ ذاك ملوكٌ كثيرون غيرُهم(٥).

وذكر أيضاً في تخصيص هذه المدة أنَّ رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألفَ شهرٍ، فعجب المؤمنون من ذلك، وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأُعطوا ليلةً هي خيرٌ من مدة ذلك الغازي(٦). وقيل: إنَّ

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٣. وقول أبي العالية لم أجد من أخرجه، ولكن أخرجه عن قتادة عبدُ الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨٦، والطبريُّ ٢٤/ ٥٤٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٣) تصحفت في المطبوع والنسخ سوى (يه) إلى: الجذامي. والقاسم بن الفضل: هو من رواة الحديث، وهو ثقة، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأصحاب السنن، توفي سنة (١٦٧)هـ. ينظر تقريب التهذيب.

(٤) في سننه (٣٣٥٠). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا الحديث منكرٌ جدًّا.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٦) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٢٤)، والبيهقي في السنن ٤/ ٣٠٦، والواحدي في أسباب النزول ص٤٩٥ من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن النبي ﷺ مرسلاً. ومسلم بن خالد ضعيف. والكلام من الكشاف ٤/ ٢٧٣.

الرجل فيما مضى ما كان يُقال له: عابدٌ، حتى يعبد الله تعالى ألفَ شهر، فأُعطوا ليلةً إن أحْيَوها كانوا أحقَّ بأن يُسمَّوا عابدين من أولئك العُبَّاد.

وقال أبو بكر الورَّاق: ملَكَ كلٌّ من سليمانَ وذي القرنين خمسَمئة سنةٍ، فصار ألف شهر، فجعل الله العملَ في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما[١].

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ تقدَّم الخلاف في الرُّوح: أهو جبريل، أم رحمةٌ يُنزَلُ بها، أم ملَكٌ غيرُه، أم أشرافُ الملائكة، أم جندٌ من غيرهم، أم حفَظَةٌ على غيرهم من الملائكة[٢].

والتنزُّل: إمَّا إلى الأرض، وإمَّا إلى سماء الدنيا[٣].

«بإذن ربِّهم» مُتعلِّقٌ بـ «تنزَّلُ» «من كلِّ أمر» مُتعلِّقٌ بـ «تنزَّل»، و«مِنْ» للسبب، أي: تتنزَّلُ من أجل كلِّ أمرٍ قضاه الله لتلك السنة إلى قابل[٤].

و«سلامٌ» مستأنَفٌ خبرٌ للمبتدأ الذي هو «هي»، أي: هي سلامٌ إلى أول يومها. قاله أبو العالية ونافعٌ المقرئ والفرَّاء. وهذا على قول من قال: إنَّ تنزُّلَهم لتقدير الأمور لهم. وقال أبو حاتم: «مِنْ» بمعنى الباء، أي: بكلِّ أمر[٥].

وقرأ الجمهور: «مِنْ كلِّ أمر». وابن عباس، وعكرمة، والكلبي: «من كلِّ امرئٍ»[٦] أي: من أجل كلِّ إنسان[٧]. وقيل: يراد بكلِّ امرئ الملائكة، أي: من كلِّ ملَكٍ تحيةً على المؤمنين العاملين بالعبادة[٨]. وأنكر هذا القول أبو حاتم[٩].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٣.
(٢) ينظر ما تقدم عند تفسير الآية (٥٣) من سورة الشورى.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.
(٦) القراءات الشاذة ص١٧٦ عن ابن عباس ﵄، والمحتسب ٢/ ٣٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦ عنهم جميعاً.
(٧) الكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦.
(٩) فيما نقل عنه ابنُ جني في المحتسب ٢/ ٣٦٨.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي: هي سلام، جعلها سلاماً لكثرة السلام فيها[١]. قيل: لا يلقَون مؤمناً ولا مؤمنةً إلَّا سلَّموا عليه في تلك الليلة[٢]. وقال منصور والشَّعبي: «سلامٌ» بمعنى التحية، أي: تسلِّم الملائكة على المؤمنين.

ومن قال: تنزُّلهم ليس لتقدير الأمور في تلك السنة، جعل الكلام تامًّا عند قوله: «بإذن ربهم»، وقال: «مِنْ كلِّ أمر» مُتعلِّقٌ بقوله: «سلامٌ هي» أي: من كلِّ أمرٍ مَخوفٍ ينبغي أن يُسلَمَ منه هي سلام. وقال مجاهد: لا يُصيبُ أحداً فيها داءٌ[٣]. وقال صاحب «اللوامح»: وقيل: معناه: هي سلامٌ من كلِّ أمرٍ أو امرئٍ، أي: سالمةٌ أو مُسلَّمةٌ منه، ولا يجوز أن يكون «سلامٌ» بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملاً فيما قبلَه؛ لامتناع تقدُّم معمول المصدر على المصدر، كما أنَّ الصِّلَةَ كذلك لا يجوز تقديمُها على الموصول. انتهى.

وعن ابن عباس: تمَّ الكلامُ عند قوله: «سلام» ولفظة «هي» إشارة إلى أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين من الشهر؛ إذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة[٤]. انتهى. ولا يصحُّ مثلُ هذا عن ابن عباس، وإنَّما هذا من باب اللُّغز المُنزَّه عنه كلام الله تعالى.

وقرأ الجمهور: «مَطْلَع» بفتح اللام. وأبو رجاء، والأعمش، وابن وثَّاب، وطلحة، وابن مُحَيْصِن، والكسائي، وأبو عمرو بخلاف عنه بكسرها[٥]. فقيل: هما مصدران في لغة بني تميم. وقيل: المصدر بالفتح، وموضع الطُّلوع بالكسر عند أهل الحجاز.

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ٣٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٦.

(٥) القراءة عن الكسائي في السبعة ص٦٩٣، والتيسير ص٢٢٤. وذكر ابن مجاهد - أيضاً - أنَّ القراء عن أبي عمرو من رواية عبيدٍ عنه. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦.

سورة البَيِّنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقال ابن الزُّبير وعطاء بن يسار: مدنية. قاله ابن عطية[1]. وفي كتاب «التحرير»: مدنية، وهو قول الجمهور. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنَّها مكية، واختاره يحيى بن سلام[2].

ولمَّا ذكر إنزال القرآن في ليلة القدر وفي السورة التي قبلها ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ذكر هنا أنَّ الكفار لم يكونوا مُنفكِّين عمَّا هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما أُنزل عليه من الصُّحُف المطهَّرة التي أُمِرَ بقراءتها. وقَسَّم الكافرين هنا إلى أهل كتاب وأهل إشراك.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧.

(٢) زاد المسير ٩/ ١٩٥. وينظر النكت والعيون ٦/ ٣١٥.

وقرأ بعض القُرَّاء: «والمشركون» رفعاً[١]؛ عطفاً على «الذين كفروا». والجمهور بالجر؛ عطفاً على أهل الكتاب.

وأهل الكتاب: اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان من العرب[٢]. وقال ابن عباس: أهل الكتاب: اليهود الذين كانوا بيثرب، وهم قُريظة والنَّضير وبنو قَيْنُقاع. والمشركون: الذين كانوا بمكة وحولها، والمدينة وحولها[٣].

وقال مجاهد وغيره: لم يكونوا مُنفَكِّين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة. وقال الفرَّاء وغيرُه: لم يكونوا مُنفَكِّين عن معرفة صِحَّة نبوَّة محمد ﷺ والتوكُّفِ لأمره حتى جاءتهم البينة، فتفرقوا عند ذلك[٤].

وقال الزمخشري[٥]: كان الكفار من الفريقين يقولون قبل المبعث: لا ننفَكُّ ممَّا نحن فيه من ديننا حتى يُبعَثَ النبيُّ الموعود، الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل، وهو محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه.

وقال ابن عطية[٦]: ويتَّجه في معنى الآية قولٌ ثالثٌ بارعُ المعنى، وذلك أنَّه يكون المرادُ: لم يكن هؤلاء القوم مُنفَكِّين من أمرِ الله تعالى وقدرتِه ونظَرِه لهم حتى يبعثَ الله تعالى إليهم رسولاً مُنذِراً، تقوم عليهم به الحجة، ويتمُّ على من آمن النِّعمة، فكأنَّه قال: ما كانوا ليُترَكوا سُدًى. ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى. انتهى.

وقيل: لم يكونوا مُنفَكِّين عن حياتهم فيموتوا حتى تأتِيَهم البينة[٧].

والظاهر أنَّ المعنى: لم يكونوا مُنفَكِّين، أي: منفصلاً بعضُهم من بعض، بل

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧. وهي قراءة الأعمش فيما ذكر الثعلبي في تفسيره ٦/ ٥١٥.
(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٩٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ٥١٤، وزاد المسير ٩/ ١٩٦.
(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٠٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧. وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢٨١ بنحوه.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٧٤.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧.
(٧) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٠٦.

كان كلٌّ منهم مُقِرًّا الآخرَ على ما هو عليه ممَّا اختاره لنفسه، هذا من اعتقادِهِ في شريعته، وهذا من اعتقادِهِ في أصنامه، والمعنى أنَّه اتَّصلَتْ مودَّتُهم، واجتمعت كلمتُهم، إلى أن أتَتْهم البينة.

وقيل: معنى «مُنفَكِّين»: هالكين، من قولهم: انفَكَّ صَلا المرأةِ[١] عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتئم، والمعنى: لم يكونوا مُعذَّبين ولا هالكين إلَّا بعد قيام الحُجَّة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب. انتهى.

و«مُنفَكِّين» اسم فاعل من: انفَكَّ، وهي التامَّة، وليست الداخلةَ على المبتدأ والخبر[٢]. وقال بعضُ النُّحاة: هي الناقصةُ، ويُقَدَّر «مُنفَكِّين»: عارِفين أمْرَ محمد ﷺ، أو نحوَ هذا[٣]. وخبرُ «كان» وأخواتِها لا يجوز حَذْفُه لا اقتصاراً ولا اختصاراً، نصَّ على ذلك أصحابُنا، ولهم عِلَّةٌ في منع ذلك ذكروها في علم النَّحو، وقالوا في قوله: حينَ ليسَ مجيرُ[٤]، أي: في الدنيا، فَحذْفُ الخبر أنَّه ضرورة[٥].

و«البيِّنة»: الحُجَّة الجليَّة[٦].

---

(١) الصَّلا: وسط الظهر، أو ما انحدر من الوَرِكين. القاموس (صلو). والكلام من تفسير البغوي ٥/ ٥١٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٠٨.

(٢) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٣٨٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧.

(٤) البيت بتمامه:

لهفي عليكَ كلهفةٍ من خائفٍ يبغي جوارَكَ حينَ ليس مُجيرُ

وقائله عبد الله بن أيوب التيمي في رثاء منصور بن زياد، وسلف عند تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٥) وتعقبه السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٦٨ بقوله: وَجْهُ مَنْ منعَ ذلك أنه قال: صار الخبرُ مطلوباً من جهتين؛ من جهة كونِه مُخبَراً به فهو أحدُ جُزأَي الإسناد، ومن حيث كونه منصوباً بالفعل. وهذا مُنتَقَضٌ بمفعولَي «ظنَّ»، فإنَّ كُلًّا منهما فيه المعنيان المذكوران، ومع ذلك يُحذَفان ـ أو أحدُهما ـ اختصاراً، وأمَّا الاقتصار ففيه خلافٌ وتفصيلٌ مرَّ تفصيله في غضون هذا التصنيف.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧، والكشاف ٤/ ٢٧٤.

وقرأ الجمهور: «رسولٌ» بالرفع، بدلاً من «البينة». وأُبيٌّ وعبد الله بالنصب، حالاً من «البيِّنة»[1].

﴿يَتْلُوا صُحُفًا﴾ أي: قراطيس ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ مكتوباتٌ ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمةٌ ناطقةٌ بالحق[2].

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: من المشركين، وانفصل بعضُهم من بعض، فقال كلٌّ ما يدلُّ عنده على صِحَّة قوله. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ وكان يقتضي مجيء البينة أن يجتمعوا على اتِّباعها.

وقال الزمخشري[3]: كانوا يَعِدون اجتماعَ الكلمة والاتفاقَ على الحق إذا جاءهم الرسول، ثمَّ ما فرَّقهم عن الحقِّ ولا أقرَّهم على الكفر إلَّا مجيءُ الرسول ﷺ. وقال أيضاً: أفرد أهلَ الكتاب يعني في قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بعد جَمْعِهِم والمشركين، قيل: لأنَّهم كانوا على عِلْم به؛ لوجوده في كتبهم، فإذا وُصِفوا بالتفرُّق عنه كان مَنْ لا كتابَ له أدْخَلَ في هذا الوصف.

والمرادُ بتَّفرُّقهم تفرُّقُهم عن الحقِّ، أو تفرُّقُهم فِرَقاً، فمنهم مَنْ آمن ومنهم مَنْ أنكر وقال: ليس به، ومنهم مَنْ عَرَف وعانَد[4].

وقال ابن عطية[5]: ذكَرَ تعالى مذمَّةَ مَنْ لم يؤمن من أهل الكتاب مِنْ أنَّهم لم يتفرَّقوا في أمر محمدٍ ﷺ إلَّا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة، وكانوا من قبلُ مُتَّفقين على نبوَّتِه وصفتِه، فلمَّا جاء من العرب حسدوه. انتهى.

وقرأ الجمهور: «مُخْلِصين» بكسر اللام، و«الدِّينَ» منصوبٌ به. والحسن

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٢، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٢، والكشاف ٤/ ٢٧٤، وذكروا القراءة عن أُبيّ. والقراءة عن ابن مسعود في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٤.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٤.
(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٢/ ٤٢-٤٣.
(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨.

بفتحها[١]، أي: يُخلصون هم أنفُسَهم في نيَّاتهم.

وانتصب «الدِّين» إمَّا على المصدر من «ليعبدوا» أي: ليَدِينوا الله بالعبادة الدِّين، وإمَّا على إسقاط «في»، أي: في الدين، والمعنى: وما أُمِروا ـ أي: في كتابتهما ـ بما أُمِروا به إلَّا ليعبدوا.

﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: مُستقيمي الطريقة، أي: مائلين عن طريق الضلال إلى طريق الهداية[٢].

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: الأمة المستقيمة[٣].

وقال محمد بن الأشعث الطالقاني: «القَيِّمة» هنا: الكتب التي جرى ذِكْرُها[٤]. كأنَّه لمَّا تقدم لفظُ «قَيِّمة» نكرةً كانت الألف واللام في «القَيِّمة» للعهد، كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

وقرأ عبد الله: «وذلك الدِّين القَيِّمة»[٥]، فالهاء فيه في هذه القراءة للمبالغة، أو أنَّث على أنْ عنى بالدِّين المِلَّة[٦]، كقوله: ما هذه الصوت[٧]. يريد: ما هذه الصيحةُ.

وذكر تعالى مَقرَّ الأشقياء وجزاء السُّعداء.

---

(١) أي: بفتح اللام «مُخْلَصين»، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧٦-١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨.

(٢) ينظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٦٠.

(٣) الوسيط ٤/ ٥٤٠، والنكت والعيون ٦/ ٣١٧.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٥١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٣، والكشاف ٤/ ٢٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨. ووقع في القراءات الشاذة ص١٣٨ و١٧٧: «وذلك دينُ القيِّمة» في الموضعين كقراءة الجمهور!

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٥١٥.

(٧) البيت بتمامه:

يا أيُّها الراكبُ المُزْجي مَطيَّتَهُ   سائِلْ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ

وقائله رُويشد الطائي، وسلف عند تفسير الآية (٢١١) من سورة البقرة.

والبرِيَّة: جميع الخلق[1].

وقرأ الأعرج، وابن عامر، ونافع: «البَريئة» بالهمز[2]، من برأ بمعنى: خلق. والجمهور بشدِّ الياء، فاحتمَل أن يكون أصلُه الهمز، ثمَّ سُهِّلَ بالإبدال وأُدغم. واحتمل أن يكون من البَرَى وهو التراب. قال ابن عطية: وهذا الاشتقاق يجعل الهمزَ خَطأً، وهو اشتقاقٌ غير مَرْضِيٍّ، ويعني اشتقاق «البريَّة» بلا همز من البَرَى وهو التراب. انتهى. لا يجعله خطأً، بل قراءة الهمز مشتقَّةٌ من برأ، وغيرُ الهمز من البَرَى، والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق، نحو: «أونَنساها» «أونُنْسِها» [البقرة: ١٠٦] فهو اشتقاق مَرْضِيٌّ.

وحكم على الكفار من الفريقين بأمرين؛ بالخلود في النار، وبكونهم شرَّ البريَّة[3].

وبدأ بأهل الكتاب، لأنَّهم كانوا يطعنون في نبوَّتِه، وجنايتُهم أعظَمُ؛ لأنَّهم أنكروه مع العلم به[4].

و«شَرُّ البريَّة» ظاهره العموم. وقيل: «شَرُّ البرية»: الذين عاصروا الرسول ﷺ؛ إذ لا يبعد أن يكون في كفار الأمم مَنْ هو شَرٌّ من هؤلاء، كفرعون وعاقر ناقة صالح عليه السلام[5].

وقرأ الجمهور: «خير البريَّة» مقابل «شرُّ البريَّة». وحميد وعامر بن عبد الواحد: «خيار البريَّة» جمع خَيِّر، كَجيِّد وجِياد[6].

وبقية السورة واضحة، وتقدَّم شرحُ ذلك إفراداً وتركيباً.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٥٠٨.
(٢) هي عن ابن عامر ـ من رواية ابن ذكوان ـ ونافع في السبعة ص٦٩٣، والتيسير ص٢٢٤. وهي عنهم في المحرر الوجيز ٥/٥٠٨ والكلام منه بنحوه.
(٣) المحرر الوجيز ٥/٥٠٨.
(٤) تفسير الرازي ٣٢/٤٩-٥٠.
(٥) تفسير القرطبي ٢٢/٤١٣-٤١٤.
(٦) القراءات الشاذة ص١٧٧ عن عامر بن عبد الواحد.

مفردات سورة الزَّلْزَلَة

الذَّرَّة: نملةٌ صغيرةٌ حمراءُ رقيقة، ويقال: إنَّها أصغَرُ ما تكون إذا مضى لها حَوْلٌ[1]، وقال امرؤ القيس:

مِنَ القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأَثَّرا[2]

وقيل: الذَّرُّ: ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء[3].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا
أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُۥ ۝٨﴾.

هذه السورة مكيَّةٌ في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، مدنيَّةٌ في قول قتادة ومقاتل؛ لأنَّ آخِرَها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة[4].

(١) ينظر الكشاف ٤/ ٢٧٥.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٦٨. وسلف عند تفسير الآية (٢٣٣) من سورة البقرة. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

ولمَّا ذُكِرَ فيما قبلَها كَوْنُ الكفار يكونون في النار، وجزاءُ المؤمنين، فكأنَّ قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾.

قيل: والعامل فيها مُضْمَرٌ يدلُّ عليه مضمون الجمل الآتية تقديره: تُحشرون[1]. وقيل: اذكُرْ[2]. وقال الزمخشري[3]: تُحدَّث. انتهى.

وأُضيف الزِّلزالُ إلى الأرض؛ إذ المعنى: زلزالها الذي تستحِقُّه ويقتضيه جُرْمُها وعِظَمُها، ولو لم يُضِفْ لصدَق على كلِّ قدرٍ من الزلزال وإن قلَّ، والفرق بين: أكرَمْتُ زيداً كرامةً وكرامته واضح[4].

وقرأ الجمهور: «زِلْزالها» بكسر الزاي. والجَحْدَريُّ وعيسى بفتحها[5]. قال ابن عطية[6]: وهو مصدر كالوسواس. وقال الزمخشري[7]: المكسور مصدر، والمفتوح اسمٌ، وليس في الأبنية فَعْلال بالفتح إلَّا في المُضاعف. انتهى.

أمَّا قوله: والمفتوح اسمٌ، فجعلَه غيرُه مصدراً جاء على فَعْلال بالفتح. ثمَّ قيل: قد يجيء بمعنى اسم الفاعل، فتقول: قَضْقاض[8] في معنى: مُقَضْقِض، وصَلْصال في معنى: مُصَلْصِل. وأمَّا قوله: وليس في الأبنية... إلخ، فقد وُجِدَ فيها فَعْلال بالفتح من غير المضاعف؛ قالوا: ناقةٌ بها خَزْعال[9] بفتح الخاء، وليس بمضاعف.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٩٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠ بنحوه.
(٥) القراءات الشاذة ص١٧٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٥، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠ عن الجحدري، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٦ عن عيسى.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.
(٧) في الكشاف ٤/ ٢٧٥. وهو مذهب الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٣٥١.
(٨) من القَضْقضة: وهي صوت كسر العظام، يقال: أسدٌ قَضْقاض؛ أي: يُقَضْقِض فريسته. الصحاح (قضض).
(٩) يُقال: خَزْعل في مشيته، أي: عَرِجَ. الصحاح (خزعل).

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ جعل ما في بطنها أثقالاً لها[١]. وقال النَّقاش والزجَّاج ومنذر بن سعيد: «أثقالها»: كنوزها وموتاها. ورُدَّ بأنَّ الكنوز إنَّما تخرج وقتَ الدجَّال لا يوم القيامة[٢]. وقائل ذلك يقول: هذا الزِّلزال يكون في الدنيا، وهو من أشراط الساعة، وزلزال يوم القيامة كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]. فلا يُرَدُّ عليه بذلك؛ إذ قد أُخِذَ الزِّلزالُ عامًّا باعتبار وَقْتَيه، ففي الأول: أخرجَتْ كنوزَها، وفي الثاني: أخرجَتْ موتاها، وصدق أنَّها زُلزِلَتْ زِلزالَها، وأخرجَتْ أثقالها.

وقيل: «أثقالها»: كنوزها، ومنه قولُه: «تُلقي الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأُسْطُوانِ من الذهب والفضَّة»[٣].

وقال ابن عباس: موتاها، وهو إشارة إلى البعث[٤]، وذلك عند النفخة الثانية، فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو من الأشراط[٥].

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ يعني: معنى التعجُّب لما يرى من الهول، والظاهر عموم الإنسان. وقيل: ذلك الكافر؛ لأنَّه يرى ما لم يقَعْ في ظَنِّه قطُّ ولا صَدَّقه، والمؤمن وإن كان مؤمناً بالبعث فإنَّه استهوَلَ المرأى، وفي الحديث: «ليس الخَبرُ كالعِيان»[٦]. وقال الجمهور: الإنسان: هو الكافر يرى ما لم يظُنّ.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذ زُلزِلَتْ وأخرجَتْ تُحَدِّثُ.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠. وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٣٥١.

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٣) عن أبي هريرة ﷺ. والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٧. والأُسْطُوان؛ جمع أُسْطُوانة: وهي السارية والعمود، وشبَّهه بالأُسْطُوان لِعِظَمه وكثرته. شرح صحيح مسلم للنووي ٧/ ٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

(٥) في (يه) وحدها: من أشراط الساعة. وينظر الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٦) أخرجه أحمد (١٨٤٢)، وابن حبان (٦٢١٣)، والحاكم ٢/ ٣٢١ من حديث ابن عباس ﷺ. وعندهم: «كالمُعاينة» بدل «كالعِيان». وكذلك في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠ والكلام منه.

و«يومئذٍ» بدل من «إذا»، فيعمل فيه لفظ العامل في المُبدَل منه، أو المُكرَّر على الخلاف في العامل في البدل.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ الظاهر أنَّه تحديثٌ وكلامٌ حقيقةً، بأن يخلق فيها حياةً وإدراكاً، فتشهد بما عمل عليها من صالح أو فاسد، وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما، ويشهد له ما جاء في الحديث: «فإنَّه لا يسمع مدى صوت المؤذِّن جِنٌّ ولا إنسٌ ولا شجرٌ إلَّا شهدَ له يومَ القيامة»[١]، وما جاء في الترمذي عنه ﷺ أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ قال: «أتدرون ما أخبارُها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: «فإنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها، تقول: عمِلَ يوم كذا كذا وكذا. قال: فهذه أخبارُها». هذا حديث حسن صحيح غريب[٢].

وقال الطبري وقوم: التحديث مَجازٌ عن إحداث الله تعالى فيها الأحوالَ ما يقوم مقامَ التَّحديث باللسان حتى ينظر من يقول: ما لها إلى تلك الأحوال، فيعلَم لِمَ زُلزِلَتْ، ولِمَ لفَظَتِ الأموات، وأنَّ هذا ما كانت الأنبياءُ ينذِرونه ويُحذِّرون منه[٣]. وقال يحيى بن سلَّام: تُحَدِّث بما أخرجت من أثقالها. وهذا هو قول مَنْ زعم أنَّ الزَّلزلة هي التي من أشراط الساعة[٤].

وفي «سنن ابن ماجه» حديثٌ في آخره: «تقول الأرض يومَ القيامة: يا ربِّ، هذا ما استودَعْتَني»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩)، وأحمد (١١٣٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. والكلام إلى هنا بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠-٥١١.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقوله: غريب، ليس في (يه) ومطبوع الترمذي، وهو مُثبتٌ في تحفة الأشراف ٩/ ٥٠١، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٦. والحديث أخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (٨٨٦٧).

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٧٦. وقول الطبري نقله عنه مختصراً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، وهو بمعناه في تفسيره ٢٤/ ٥٦٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٨، ونقله عن الماوردي، والظاهر أنه سقط من مطبوع النكت والعيون.

(٥) سنن ابن ماجه (٤٢٦٣) من حديث ابن مسعود ﷺ.

وعن ابن مسعود[١]: تُحدِّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: مالَها، فتُخبِرُ أنَّ أمرَ الدنيا قد انقضى، وأمرَ الآخرة قد أتى، فيكون ذلك جواباً لهم عند سؤالهم.

و«تُحدِّثُ» هنا تتعدَّى إلى اثنين، والأول محذوف، أي: تُحدِّث الناسَ، وليست بمعنى اعلَمْ المنقولة من عَلِمَ المتعدِّية إلى اثنين فتتعدَّى إلى ثلاثة.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي: بسبب إيحاء الله، فالباء متعلِّقةٌ بـ «تُحدِّث». قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون المعنى: يومئذٍ تُحدِّث بتحديث أنَّ ربَّكَ أوحى لها أخبارَها، على أنَّ تحديثَها بأنَّ ربَّكَ أوحى لها تحديثٌ بأخبارها، كما تقول: نصَحْتَني كلَّ نصيحةٍ بأن نصَحْتَني في الدين. انتهى. وهو كلام فيه عَفْشٌ يُنزَّه القرآنُ عنه[٣].

وقال أيضاً: ويجوز أن يكون «بأنَّ ربَّكَ» بدلاً من «أخبارَها»، كأنَّه قيل: يومئذٍ تُحدِّث بأخبارِها بأنَّ ربَّكَ أوحى لها؛ لأنَّكَ تقول: حدَّثْتُه كذا، وحدَّثْتُه بكذا. انتهى. وإذا كان الفعلُ تارةً يتعدَّى بحرف جَرٍّ، وتارةً يتعدَّى بنفسه، وحرفُ الجَرِّ ليس بزائدٍ، فلا يجوز في تابِعه إلَّا الموافقةُ في الإعراب، فلا يجوز: استغفَرْتُ الذَّنْبَ العظيمَ، بنصب الذنب وجَرِّ العظيم؛ لجواز أنَّكَ تقول: من الذَّنْب، ولا: اختَرْتُ زيداً الرجالَ الكرامِ، بنصب الرجال وخفض الكرام، وكذلك لا يجوز أن تقول: استغفَرْتُ من الذَّنْبِ العظيمَ، بجرِّ الذنب وَنصب العظيم، وكذلك في: اختَرْتُ، فلو كان حرفُ الجرِّ زائداً جاز الإتْباعُ على موضع الاسم بشروطه المُحرَّرة في علم النَّحو، تقول: ما رأيتُ من رجلٍ عاقلاً؛ لأنَّ «مِنْ» زائدة، ومِنْ رجلٍ عاقلٍ، على اللفظ. ولا يجوز نصبُ رجل وجَرُّ عاقل على مراعاة جواز دخول «مِنْ»، وإنْ ورَدَ شيءٌ من ذلك فبابُه الشِّعر[٤].

---

(١) تحرف في (يه) إلى: ابن عباس. وقوله في النكت والعيون ٦/ ٣١٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٩.

(٢) في الكشاف ٤/ ٢٧٦، وما قبله منه.

(٣) وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٧٥ بقوله: وأيُّ عَفْشٍ مع صحَّته وفصاحته؟ ولكنْ لمَّا طال تقديرُه من جهة إفادته هذا المعنى الحسن جعلَه عَفْشاً وحاشاه.

(٤) وتعقَّبه السمين الحلبي ـ أيضاً ـ بقوله: ولا أدري كيف يُلزِمُ الزمخشريَّ ما ألزَمَه به من جميع =

وعدَّى «أوحى» باللَّام لا بـ «إلى»، وإن كان المشهور تعدِيَتُها بـ «إلى» لمراعاة الفواصل. وقال العجَّاج يصف الأرض:

أوحى لها القرارَ فاستقَرَّتِ وشَدَّها بالرَّاسياتِ الثُّبَّتِ[١]

فعدَّاها باللام.

وقيل: الموحى إليه محذوف، أي: أوحى إلى ملائكته المُصَرَّفين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال. واللَّام في «لها» للسبب، أي: من أجلها ومن حيثُ الأفعال فيها، وإذا كان الإيحاءُ إليها احتمل أن يكون وحيَ إلهام، واحتمل أن يكون برسول من الملائكة[٢].

«يومئذٍ يصْدُرُ الناس» انتصب «يومئذٍ» بـ «يَصْدُرُ»[٣].

والصَّدَرُ يكون عن وِرْدٍ. وقال الجمهور: هو كونُهم في الأرض مدفونين، والصَّدَر: قيامُهم للبعث[٤].

و«أشتاتاً» جمع شَتّ، أي: فِرَقاً؛ مؤمنٌ وكافرٌ وعاصٍ، سائرون إلى العرض

= المسائل التي ذكرها، فإنَّ الزمخشريَّ يقول: إنَّ هذا بدلٌ ممَّا قبله، ثمَّ ذكر مُسَوِّغَ دخول الباء في البدل، وهو أنَّ المُبْدَلَ منه يجوز دخول الباء عليه، فلو حَلَّ البدلُ محلَّ المبدَل منه ومعه الباء لكان جائزاً؛ لأنَّ العامل يتعدَّى به، وذكر مُسوِّغاً لخلوِّ المُبدل منه من الباء فقال: لأنك تقول: حدَّثتُه كذا، وحدَّثتُه بكذا. وأمَّا كونُه يمتنع أن تقول: استغفرتُ الذنبَ العظيمِ، بنصب الذنب وجرِّ العظيم... إلى آخره، فليس في كلام الزمخشري شيءٌ منه البتة. ونظير ما قاله الزمخشري في باب: استغفر، أن تقول: استغفَرْتُ الله ذَنباً من شتمي زيداً، فقولك: من شتمي، بدلٌ من الذنب، وهذا جائزٌ لا محالة.

(١) ديوان العجاج ص٢٦١، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ مع تقديم وتأخير.

(٣) وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٧٧ وجهين آخرين؛ إمَّا بدلٌ من «يومئذٍ» قبله، وإمَّا منصوب بـ «اذكُرْ» مقدَّراً. قلت: وذكر النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٧٦ وجهاً ثالثاً وهو النصب على الحال.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، وما بعده منه.

ليروا أعمالهم. وقال النقَّاش: الصَّدَر؛ قومٌ إلى الجنة وقومٌ إلى النار، ووِرْدُهم هو وِرْدُ المحشر. فعلى الأول المعنى: ليَرى عملَه ويقفَ عليه. وعلى قول النقَّاش: ليَرى جزاءَ عمله، وهو الجنة والنار.

والظاهر تعلُّقُ «ليُرَوا» بقوله: «يَصْدُرُ». وقيل: بـ «أوحى لها» وما بينهما اعتراض[١].

وقال ابن عباس: «أشتاتاً»: مُتفرِّقين على قدر أعمالهم، أهلُ الإيمان على حِدَة، وأهلُ كلِّ دينٍ على حِدة[٢].

وقال الزمخشري[٣]: «أشتاتاً»: بيضُ الوجوه آمنين، وسُودُ الوجوه فَزِعين. انتهى.

ويحتمل أن يكون «أشتاتاً» أي: كلُّ واحدٍ وحدَه لا ناصِرَ له ولا عاضِدَ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقرأ الجمهور: «لِيُرَوا» بضمِّ الياء. والحسن، والأعرج، وقتادة، وحماد بن سلمة، والزُّهري، وأبو حَيْوة، وعيسى، ونافع في رواية بفتحها[٤].

والظاهر تخصيص العامل، أي: فمَنْ يعمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً من السعداء؛ لأنَّ الكافرَ لا يرى خيراً في الآخرة، وتعميمُ مَنْ يعمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا من الفريقين؛ لأنَّه تقسيمٌ جاء بعد قوله: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٥]. وقاله ابن عباس؛ قال: هذه الأعمال في الآخرة، فيرى الخيرَ كلَّه مَنْ كان مؤمناً، والكافرُ لا يرى في

---

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٠، وهو بنحوه في الوسيط ٤/ ٥٤٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ عن الحسن والأعرج وحماد والزهري وأبي حيوة، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢١ عن الحسن والأعرج وقتادة والزهري. ورُويت هذه القراءة عن النبي ﷺ كما في القراءات الشاذة ص١٧٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٦، والكشاف ٤/ ٢٧٦، والمشهور عن نافع كقراءة الجمهور.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٦-٢٧٧ بنحوه.

الآخرة خيراً؛ لأنَّ خيرَه قد عُجِّلَ له في دنياه، والمؤمن تُعجَّلُ له سيئاتُه الصغائرُ في دُنياه، في المصائب والأمراض ونحوها، وما عمِلَ من شرٍّ أو خيرٍ رآه. ونبَّه بقوله: «مثقال ذرَّةٍ» على أنَّ ما فوقَ الذَّرَّة يراه قليلاً كان أو كثيراً، وهذا يُسمَّى مفهوم الخطاب، وهو أن يكون المذكورُ والمسكوتُ عنه في حكمٍ واحدٍ، بل يكون المسكوتُ عنه بالأولى في ذلك الحكم، كقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[1] [الإسراء: ٢٣].

والظاهر انتصاب «خيراً» و«شرًّا» على التمييز؛ لأنَّ «مثقالَ ذرَّةٍ» مقدارٌ. وقيل: بدل من «مثقال»[2].

وقرأ الجمهور: «يَرَه» بفتح الياء فيهما، أي: يرى جزاءه من ثواب وعقاب.

وقرأ الحسين[3] بن علي، وابن عباس، وعبد الله بن مسلم، وزيد بن علي، والكلبي، وأبو حَيْوة، وخُلَيد بن نَشيط، وأبان عن عاصم، والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه بضَمِّها[4]. وهشام وأبو بكر بسكون الهاء فيهما[5]. وأبو عمرو بضمِّهما مُشبَعَتَين[6]. وباقي السبعة بإشباع الأولى وسكون الثانية، والإسكانُ في الوصل لغةٌ حكاها الأخفش ولم يَحْكِها سيبويه، وحكاها الكسائيُّ - أيضاً - عن بني كلاب وبني عَقيل[7].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ بنحوه مع تقديم وتأخير.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٦.
(٣) في (ب): الحسن.
(٤) أي: «يُرَه»، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٧ عن علي بن الحسين وزيد بن علي وهارون عن عاصم وابن عباس، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢ عن أبان عن عاصم وابن عباس وأبي حيوة وحميد بن الربيع عن الكسائي. وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٦٩٤ عن أبان عن عاصم، والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.
(٥) السبعة ص٦٩٤، والتيسير ص٢٢٤، لكن المشهور عن أبي بكر: «يَرَهُ» بإشباع الضم، كقراءة الجمهور.
(٦) هكذا ذكر عنه ابن مجاهد في السبعة ص٦٩٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢، والمشهور عنه كقراءة الجمهور كما سيأتي.
(٧) ينظر الحجة للقراء السبعة ٦/ ٤٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢. وسلف الكلام على هذه =

وهذه الرؤية رؤيةُ بصر. وقال النقَّاش: ليست برؤية بصر، وإنَّما المعنى: يصيبه وينالُه[١].

وقرأ عكرمة: «يراه»[٢] بالألف فيهما، وذلك على لغة مَنْ يرى الجزم بحذف الحركة المُقدَّرة في حروف العِلَّة. حكاها الأخفش. أو على توَهُّم أنَّ «مَنْ» موصولة لا شرطية، كما قيل في: «إنَّه مَنْ يتَّقي ويصبرْ» [يوسف: ٩٠] في قراءة من أثبت ياءَ «يتَّقي»، وجزَمَ «يصبِرْ»، توهَّم أنَّ «مَنْ» شرطية لا موصولة فجزم، «ويصبِرْ» عطفاً على التوَهُّم.

= المسألة عند تفسير الآية (٧٥) من سورة آل عمران.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢.

(٢) المصدر السابق.

مفردات سورة العاديات

العاديات: الجاريات بسرعة، وهو وصف، ويأتي في التفسير الخلاف في الموصوف.

الضَّبْحُ: تصويتٌ جَهيرٌ عند العَدْوِ الشديد، ليس بصَهيلٍ ولا رُغاءٍ ولا نُباحٍ، بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يَضْبَح. وعن ابن عباس: ليس يضبح من الحيوان غيرُ الخيل والكلاب. قيل: ولا يصِحُّ عن ابن عباس؛ لأنَّ الإبلَ تضبح، والأسود من الحيَّات والبوم والصَّدى[1] والأرنب والثعلب والقوس كلُّها استعملت العرب لها الضَّبح، أنشد أبو حنيفة في صفة قوس:

حنَّانةٌ من نَشَم أو تَألَبِ تَضْبَحُ في الكفِّ ضُباحَ الثَّعلَبِ[2]

وقال أهل اللغة: أصلُه للثَّعلب فاستُعير للخيل، وهو من: ضبَحَتْه النار: غيَّرَتْ لونَه ولم تُبالِغْ فيه. وانضبح لونُه: تغيَّرَ إلى السَّواد قليلاً. وقال أبو عبيدة: الضَّبْحُ والضَّبْعُ بمعنى: العَدْو الشديد[3]. وكذا قال المبرِّد: الضَّبْحُ: مَدُّ[4] أضباعِها في السَّير.

---

(١) الصَّدى: طائرٌ خُرافيٌّ زعموا أنه يخرج من رأس المقتول، ولا يزال يقول: اسقوني، حتى يؤخذ بثأره. المعجم الوسيط (صَدِي).

(٢) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٥/٥١٣ والكلام منه. والحنَّانة المُصوِّتة من القوس؛ من حَنَّت تحِنُّ. ونَشَم: شجرٌ للقِسيِّ. والتألَب: شجر. القاموس (حنن) و(نشم) و(ألب).

(٣) في تفسير القرطبي ٢٢/٤٢٨ والكلام منه: العدو والسير.

(٤) تصحفت في النسخ والمطبوع إلى: من، والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/٤٢٨، والكشاف ٤/٢٧٨، وأساس البلاغة (ضبح).

القَدْح: الصَّكُّ[1]. وقيل: الاستخراج، ومنه: قَدَحْتُ العينَ: أخرَجْتُ منها الفاسدَ. والقَدَّاح والقَدَّاحة والمِقْدَحة: ما تُورَى به النَّار[2].

أغارَ على العدوِّ: قصدَه لنَهْبٍ أو قَتْلٍ أو إسارٍ[3].

النَّقْع: الغبار[4]. قال الشاعر:

يَخْرُجْنَ من مُستَطارِ النَّقْعِ داميةً ... كأنَّ آذانَها أطرافُ أقلامِ[5]

وقال ابن رواحة:

عَدِمْتُ بُنَيَّتي إنْ لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقْعَ من كَنَفَيْ كَداءِ[6]

وقال أبو عبيدة: النَّقع: رفع الصوت[7]. ومنه قول لبيد:

فمتى يَنْقَعْ صُراخٌ صادقٌ ... يُحلِبوها ذاتَ جَرْسٍ وَزَجَلْ[8]

الكَنود: الكفور للنِّعمة[9]. قال الشاعر:

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٧.

(٢) الصحاح (قدح).

(٣) في (أ) والمطبوع: أو أسرٍ.

(٤) الصحاح (غبر).

(٥) البيت لعدي بن الرقاع كما في العقد الفريد ١/ ١٦١ و٣/ ٤٦٣ وفيه: فرجات النقع، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٣/ ٦٣، وسمط اللآلئ ٢/ ٨٧٦. ونسبه صاحب الخزانة ١٠/ ٢٤٠ لعدي بن زيد.

(٦) لم أجد من نسبه لابن رواحة غير الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٤، وتابعه القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٤٣٤، والبيت لحسَّان بن ثابت، وهو في ديوانه ص٦٠، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٢، ومنتهى الطلب ٦/ ٢٧٠، والخزانة ٩/ ٢٣١، والرواية عندهم:

عَدِمْنا خيلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقْعَ موعِدُها كَداءُ

(٧) تهذيب اللغة ١/ ٢٦٣ لكن عن أبي عبيد، وهو عند أبي عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٧٥. والبيت الآتي فيهما.

(٨) ديوان لبيد ص١٩١، والرواية فيه: يُحْلَبوه. قال شارحه: أي: يُمِدُّوه ويُعينوه بحلائب الخيل. والجَرْس: الصوت. والزَّجَل كذلك، إلَّا أنَّ فيه تطريباً.

(٩) تهذيب اللغة ١٠/ ١٢٢.

كنودٌ لِنَعْماءِ الرِّجالِ ومَنْ يَكُنْ   كَنوداً لِنَعماءِ الرِّجالِ يُبَعَّدِ[(١)]

وعن ابن عباس: الكَنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومُضَر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيل السيِّئ المَلَكة. وقاله مقاتل[(٢)]. وقال الكلبي مثلَه إلَّا أنَّه قال: وبلسان بني مالك: البخيل. ولم يذكر وحضرموت[(٣)].

ويُقال: كنَدَ النِّعمة كُنوداً. وقال أبو زُبيد في البخيل:

إنْ تَفُتْني فلم أطِبْ عنكَ نَفْساً   غيرَ أنِّي أُمْنَى بدهرٍ كَنودِ[(٤)]

حَصَّل الشيءَ: جمَعَه. وقيل: مَيَّزه من غيره. ومنه قيل للمُنْخُل: المِحْصَل[(٥)].

وحصَلَ الشيء: ظهرَ واستبان[(٦)].

* * *

سورة العاديات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤
فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ
رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

---

(١) لم أقف على قائله، وهو في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٧.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٧. وقول مقاتل في تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣.

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ١٢٢.

(٤) البيت في جمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٢٤١.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٧٩ بنحوه.

هذه السورة مكيَّة في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. مدنيَّة في قول ابن عباس وأنس وقتادة[١].

لمَّا ذكر فيما قبلَها ما يقتضي تهديداً ووعيداً بيوم القيامة أتبع ذلك بتعنيفٍ لمن لا يستعِدُّ لذلك اليوم، ومَنْ آثرَ أمرَ دنياه على أمر آخرته.

والجمهور من أهل التفسير واللغة على أنَّ العاديات هنا: الخيل تعدو في سبيل الله وتضبَحُ حالةَ عَدْوِها[٢]. وقال عنترة:

والخيلُ تكدَحُ حينَ تَضْـ ... ـبَحُ في حِياضِ الموتِ ضَبْحا[٣]

وقال عبد الله[٤] وعلي وإبراهيم والسُّدِّي ومحمد بن كعب وعُبيد بن عُمير: العاديات: الإبل. أقسم بها حين تعدو من عرفة ومن المزدلفة إذا دفعَ الحاجُّ. وبإبل[٥] غزوة بدر؛ لم يكن فيها غيرُ فرسين؛ فرسٌ للزُّبير، وفرسٌ للمقداد، وبهذا حَجَّ عليٌّ رضي الله عنه ابنَ عباس حين تمارَيا، فرجع ابنُ عباس إلى قول عليٍّ رضي الله تعالى عنهما، وقالت صفية بنت عبد المطلب:

فلا والعادياتِ غَداةَ جَمْعٍ ... بأيديها إذا سَطَعَ الغُبارُ[٦]

وانتصب «ضَبْحاً» على إضمار فِعْلٍ، أي: يَضْبَحْنَ ضَبْحاً، أو على أنَّه في

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وزاد المسير ٩/ ٢٠٦ وفيه: مقاتل، بدل: أنس، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٦.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٦.
(٣) الصحاح (ضبح)، والكشاف ٤/ ٢٧٧، واللسان (ضبح).
(٤) في النسخ والمطبوع: أبو عبد الله، والصواب: عبد الله: وهو ابن مسعود، وقوله أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣ و٥٧٤، وكذلك أخرجه عن إبراهيم وعبيد بن عمير. وتنظر أقوال الباقين في النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٣، وزاد المسير ٩/ ٢٠٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٩.
(٥) تحرفت في المطبوع والنسخ سوى (يه) إلى: وبأهل، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٣ والكلام منه. وينظر ما أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣-٥٧٤، والحاكم ٢/ ١٠٥.
(٦) البيت في النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٠.

موضع الحال، أي: ضابحاتٍ[(١)]، أو على المصدر على قول أبي عبيدة أنَّ معناه: العَدْوُ الشَّديد، فهو منصوب بـ «العاديات». وقال الزمخشري: أو بـ «العاديات»، كأنَّه قيل: والضَّابحات؛ لأنَّ الضَّبْحَ يكون مع العَدْو. انتهى. وإذا كان الضَّبْحُ مع العَدْو فلا يكون معنى «والعاديات» معنى: والضَّابحات، فلا ينبغي أن يُفسَّرَ به.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ والإيراء: إخراجُ النَّار، أي: تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النارُ لصَكِّ بعض الحجارة بعضاً. ويقال: قدَحَ فأورى، وقدَحَ فأصلَدَ، وتُسمَّى تلك النارُ التي تقدَحُها الحوافرُ من الخيل أو الإبل: نارَ الحُباحِب[(٢)]. قال الشاعر:

تَقُدُّ السَّلوقيَّ المُضاعَفَ نَسْجُهُ ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ[(٣)]

وقيل: «فالموريات قدحا» مجازٌ أو استعارةٌ في الخيل تُشعِلُ الحرب. قاله قتادة[(٤)]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]. ويُقال: حَمِيَ الوَطيس: إذا اشتدَّ الحرب[(٥)].

وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم: المُوريات: الجماعة التي تمكر في الحرب، والعرب تقول إذا أرادت المكر بالرجل: واللهِ لا يكون ذلك ولأُورِيَنَّ لك[(٦)].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٧.

(٣) البيت للنابغة، وهو في ديوانه ص١١. قوله: السلوقي؛ نسبةً إلى سَلُوق؛ قرية باليمن تُنسب إليها الدروع والكلاب. والصُّفَّاح: حجارة عِراض رِقاق. والحُباحِب: ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج، ومنه: نار الحُباحِب. القاموس (سلق) و(صفح) و(حبب).
ويصف النابغة في هذا البيت السيوف أنَّها تقدُّ الدروعَ التي ضوعِف نسجُها والفارسَ والفرسَ حتى تبلغ الأرض، فتنقدح النار بها من الحجارة. الشعر والشعراء ١/ ١٧٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٦.

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢ بنحوه. وقول مجاهد وزيد بن أسلم في تفسير البغوي ٤/ ٥١٧. وقول ابن عباس أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩٠.

وعن ابن عباس أيضاً: الجماعة التي تُوري نارَها بالليل لحاجتها وطعامها[١]. وعنه أيضاً: جماعة الغُزاة تُكثِرُ النار إرهاباً[٢].

وقال عكرمة: ألسنةُ الرجال تُوري النَّارَ من عظيم ما تتكلَّم به ويظهر من الحُجج والدلائل وإظهار الحق وإبطال الباطل[٣].

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ أي: تُغير على العدوّ في الصبح، ومن قال: هي الإبل؛ قال: العرب تقول: أغار: إذا عَدا جَرْياً، أي: من مُزدَلِفةَ إلى مِنى، أو في بدر[٤]. وفي هذا دليلٌ على أنَّ هذه الأوصاف لذاتٍ واحدة؛ لعطْفِها بالفاء التي تقتضي التعقيب. والظاهر أنَّها الخيل التي يجاهَدُ عليها العدُوُّ من الكفار، ولا يُستدَلُّ على أنَّها الإبل بوقعة بدر، وأنَّه لم يكن فيها إلَّا فرسان؛ لأنَّه لم يذكر أنَّ سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر. ثمَّ بعد ذلك لا يكاد يوجَدُ أنَّ الإبلَ جُوهِدَ عليها في سبيل الله، بل المعلوم أنَّه لا يُجاهَدُ في سبيل الله تعالى إلَّا على الخيل في شرق البلاد وغربها.

«فأثَرْنَ» معطوف على اسم الفاعل الذي هو صلة «أل»؛ لأنَّه في معنى الفعل؛ إذ تقديرُه: فاللاتي عَدَوْنَ فأَوْرَيْنَ فأَغَرْنَ فأَثَرْنَ. وقال الزمخشري[٥] معطوف على الفعلِ الذي وُضِعَ اسمُ الفاعلِ مَوْضِعَه. انتهى. ويقول أصحابنا: هو معطوف على الاسم؛ لأنَّه في معنى الفعل.

وقرأ الجمهور: «فأثَرْنَ» «فوَسَطْنَ» بتخفيف الثاء والسين. وأبو حَيْوة وابنُ أبي عبلة بشدِّهما[٦]. وعليّ وزيد بن علي وقتادة وابن أبي ليلى بشدّ السين[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢. وأخرجه بنحوه ٢٤/ ٥٧٦-٥٧٧.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢.
(٣) زاد المسير ٩/ ٢٠٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٧ مختصراً.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٧٨، وما قبله منه.
(٦) القراءات الشاذة ص١٧٨، والمحتسب ٢/ ٣٧٠.
(٧) المصدران السابقان، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.

وقال الزمخشريُّ[١]: وقرأ أبو حَيْوة: «فأثَّرْنَ» بالتشديد، بمعنى: فأظهَرْنَ به غباراً؛ لأنَّ التأثيرَ فيه معنى الإظهار، أو قُلِبَ «ثَوَّرْنَ» إلى «وَثَّرْنَ»، وقُلِبَ الواو همزةً. وقُرِئ: «فوَسَّطْنَ» بالتشديد؛ للتعدية، والباء مَزيدة للتوكيد، كقوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهي مبالغةٌ في «وَسَطْنَ». انتهى. أمَّا قوله: أو قُلِبَ، فتمَحُّلٌ باردٌ، وأمَّا أنَّ التشديد للتعدية، فقد نقلوا أنَّ «وسطَ» مُخفَّفاً ومُثقَّلاً بمعنى واحد، وأنَّهما لغتان، والضمير في «به» عائدٌ في الأول على الصبح، أي: هيَّجْنَ في ذلك الوقت غباراً، وفي «به» الثاني على الصبح. قيل: أو على «النَّقع»، أي: وَسَطْنَ بالنَّقع الجمعَ، فتكون الباء للتعدية، أو يكون «به» في موضع الحال، أي: وَسَطْنَ مُلْبَساتٍ بالنَّقع جمعاً من الأعداء، ويكون «وَسَطن» بمعنى «توسَّطْنَ».

وقال علي وعبد الله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝﴾ أي: الإبل، و«جَمْعاً» اسمٌ للمُزدَلِفة، وليس بجمع من الناس[٢]. وقال بشر بن أبي خازم:

فوَسَطْنَ جَمْعَهُمُ وأفلَتَ حاجِبٌ تحتَ العجاجةِ في الغُبارِ الأقْتَمِ[٣]

وقيل: الضمير في «به» معاً يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى وإن لم يَجْرِ له ذكرٌ؛ لدلالة «والعاديات» وما بعدها عليه. وقيل: يعود على «العَدْوِ» الدالِّ عليه «والعادياتِ» أيضاً[٤].

وقيل: المراد بالنَّقْع هنا: الصِّياح[٥].

والظاهر أنَّ المُقسَمَ به هو جنس العاديات، وليست «أل» فيه للعهد، والمُقسَم عليه «إنَّ الإنسان لربِّه لكنود»[٦].

(١) في الكشاف ٤/ ٢٧٨.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.
(٣) البيت في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤، وهو في ديوان بشر بن أبي خازم ص١٩٢ برواية: ففَضَضْنَ، بدل: فَوَسَطْنَ.
(٤) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ والمطبوع يوجد تقديم وتأخير.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤ بنحوه.

وفي الحديث «الكَنود الذي يأكلُ وحدَه، ويمنَعُ رِفْدَه، ويضرِبُ عبدَه»[١]. وقال ابن عباس والحسن: هو الجحود لنِعم الله تعالى[٢]. وعن الحسن أيضاً: هو اللائم لربِّه، يعدُّ السيئات، وينسى الحسنات. وقال الفُضيل: هو الذي تُنسيه سيئةٌ واحدةٌ حسناتٍ كثيرة، ويُعامل اللهَ على عقدِ عِوَض[٣]. وقال عطاء: هو الذي لا يُعطي في النائبات مع قومه[٤]. وقيل: البخيل[٥]. وقال ابن قتيبة: أرضٌ كَنودٌ: لا تُنبتُ شيئاً[٦].

والظاهر عَوْدُ الضمير في «وإنَّه على ذلك لشهيد» أي: يشهد على كُنوده ولا يقدِرُ أن يجحدَه لظهور أمره. وقاله الحسن ومحمد بن كعب. وقال ابن عباس وقتادة: هو عائدٌ على الله تعالى، أي: وربُّه شاهدٌ عليه، وهو على سبيل الوعيد. وقال التبريزي: هو الأصحُّ، لأنَّ الضميرَ يجب عَوْدُه إلى أقرب مذكورَين، ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي[٧]. انتهى. ولا يترجَّح بالقرب إلَّا إذا تَساويا من

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/٥٨٦، وابن حبان في المجروحين ١/٢١٢، والطبراني في المعجم الكبير (٧٩٥٨)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والثعلبي في تفسيره ٦/٥٢٥ من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعاً. وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو متروك: كما قال ابن حجر في التقريب.
وأخرجه الطبراني (٧٧٧٨) من طريق آخر عن أبي أمامة مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٤٢: فيه من لم أعرفه.
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٠)، والطبري ٢٤/٥٨٧ من طريق ابن هانئ، عن أبي أمامة موقوفاً. وإسناده منقطع؛ لأن ابن هانئ ـ واسمه حمزة كما ذكر ابن معين في تاريخه (٤٥٠٧) ـ لم يسمع من أبي أمامة.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/٤٣٦-٤٣٧. وأخرجه عنهما الطبري ٢٤/٥٨٤-٥٨٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٥١٤. وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٤/٥٨٥ و٥٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٦١).

(٤) تفسير الثعلبي ٦/٥٢٥، وتفسير البغوي ٤/٥١٨.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٥٠٣ عن مقاتل، والنكت والعيون ٦/٣٢٥، والكشاف ٤/٢٧٨ عن الكلبي.

(٦) زاد المسير ٩/٢١٠.

(٧) تفسير الرازي ٣٢/٦٧. وينظر المحرر الوجيز ٥/٥١٤-٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/٤٣٩.

حيث المعنى، والإنسان هنا هو المُحدَّثُ عنه، والمُسنَدُ إليه الكَنود، وأيضاً فتناسق الضمائر لواحدٍ مع صِحَّة المعنى أولى مِنْ جَعْلِهما لمختلِفَين، ولاسيَّما إذا توسَّط الضميرُ بين ضميرين عائدين على واحد.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإنَّ الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: قويٌّ في حُبِّه. وقيل: لَبخيلٌ بالمال ضابطٌ له، ويقال للبخيل: شديدٌ ومُتشدِّد. وقال طَرَفة:

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ ويصطفي عَقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتشدِّدِ[1]

وقال عكرمة[2]: «الخير» من حيثُ وقع في القرآن هو المال. قال ابن عطية: ويحتمل أن يُرادَ هذا الخير الدنياوي من مالٍ وصحَّةٍ وجاهٍ عند الملوك ونحوه؛ لأنَّ الكفَّار والجُهَّال لا يعرفون غيرَ ذلك، فأمَّا المُحِبُّ في خير الآخرة فممدوحٌ مرجوٌّ له الفوز.

وقال الفرَّاء: نظمُ الآية أن يُقال: وإنَّه لَشديدُ الحُبِّ للخير[3]، فلمَّا تقدَّم لحُبِّ قال: لَشديد، وحذَفَ من آخره ذِكْرَ الحُبِّ؛ لأنَّه قد جرى ذِكْرُه، ولرؤوس الآيِ، كقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] والعُصُوف للريح لا للأيام، كأنَّه قال: في يومٍ عاصفِ الرِّيح. انتهى.

وقال غيره[4] ما معناه: لأنَّه ليس أصلُه ذلك التركيب، بل اللَّامُ في «لحُبِّ» لامُ العِلَّة، أي: وإنَّه لأجل حُبِّ المال لَبخيلٌ، أو: وإنَّه لحُبِّ المال وإيثاره قويٌّ مُطيقٌ، وهو لحُبِّ عبادة الله وشكر نعمه ضعيفٌ متقاعسٌ؛ تقول: هو شديدٌ لهذا الأمرِ وقويٌّ له، إذا كان مُطيقاً له ضابطاً. قال الزمخشري: أو أراد «وإنَّه لحُبِّ الخيرات» غيرُ هَشٍّ مُنبسط، ولكنَّه شديدٌ منقبض.

---

(١) ديوان طرفة ص٣٤. قال ابن النحاس في شرح المعلقات ١/ ٨٣: ويصطفي: يأخذ صفوته وهو خيرته. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٠.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: قتادة، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٣) هكذا جاءت العبارة في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٠، وهي في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥: وإنَّه للخير لشديدُ الحُبِّ.

(٤) وهو الزمخشري في كشافه ٤/ ٢٧٩.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ توقيفٌ إلى ما يؤول إليه الإنسان[(١)].

ومفعول «يعلم» محذوف، وهو العامل في الظرف، أي: أفلا يعلم مآلَه إذا بُعْثِر. وقال الحَوْفي: «إذا» ظرفٌ مضافٌ إلى «بُعْثِر» والعامل فيه «يعلم»[(٢)]. انتهى. وليس بمتَّضِحٍ؛ لأنَّ المعنى: أفلا يعلَمُ الآن.

وقرأ الجمهور: «بُعْثِرَ» بالعين مبنيًّا للمفعولِ. وقرأ عبد الله بالحاء. وقرأ الأسود بن زيد: «بُحِثَ». وقرأ نصر بن عاصم: «بَحْثَرَ» على بنائه للفاعل[(٣)].

وقرأ ابن يَعْمُر، ونصر بن عاصم، ومحمد بن أبي مَعْدان: «وحَصَّلَ» مبنيًّا للفاعل[(٤)]. والجمهور مبنيًّا للمفعول. وقرأ ابن يَعْمُر أيضاً، ونصر بن عاصم أيضاً: «وحَصَلَ» مبنيًّا للفاعل، خفيف الصاد[(٥)]. والمعنى: جُمِع ما في الصّحف[(٦)]، أي: أُظهِرَ مُحصَّلاً مجموعاً. وقيل: مُيِّزَ وكُشِفَ ليقع الجزاءُ عليه[(٧)].

وقرأ الجمهور: «إنَّ» بكسر الهمزة «لَخبير» باللام، وهو استئناف إخبار، والعامل في «بهم» وفي «يومئذٍ»: «لخبير»، وهو تعالى خبيرٌ دائماً، لكنَّه ضمَّن «خبير» معنى مُجازٍ لهم في ذلك اليوم.

وقرأ أبو السَّمَّال والحجَّاج بفتح الهمزة وإسقاط اللام[(٨)]. ويظهر في هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٢) وإليه ذهب ـ أيضاً ـ أبو البقاء العُكبَري في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٩٢. قال السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٩٠: وردَّه مكي؛ قال: لأنَّ الإنسان لا يُراد منه العلم والاعتبار ذلك الوقت، وإنَّما يعتبر في الدنيا ويعلم. وقول مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٦.

(٣) القراءات الثلاث في القراءات الشاذة ص١٧٨، لكن وقعت فيه قراءة نصر بن عاصم: «بَعْثَرَ» بالعين. والأسود بن زيد.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٨ عن محمود بن أبي معدان.

(٥) القراءات الشاذة ص١٧٨ عن ابن يعمر، وعنهما في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤١.

(٦) في النسخ والمطبوع: المصحف، والمثبت من الكشاف ٤/ ٢٧٩ والكلام منه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٨) القراءات الشاذة ص١٧٨.

القراءة تسلُّط «يعلم» على «إنَّ»، لكنَّه لا يمكن إعمالُ «خبير» في «إذا»؛ لكونِه في صلة «أنْ» المصدرية، لكنَّه لا يمكن أن يُقدَّرَ له عاملٌ فيه من معنى الكلام، كأنَّه قال: يجزيهم إذا بُعثِرَ، وعلى هذا التقدير يجوز أن تكون «يعلم» مُعلَّقةً عن العمل في قراءة الجمهور، وسَدَّتْ مَسَدَّ المعمول في «إنَّ» وفي خبرها اللامُ ظاهرٌ؛ إذ هي في موضع نصبٍ بـ «يعلم» وإذا العامل فيها من معنى مضمون الجملة، تقديره كما قلنا: يجزيهم إذا بُعْثِرَ.

مفردات سورة القارعة

الفَراش؛ قال الفرَّاء: هو الهَمَجُ الطائرُ من بعوضٍ وغيرِه، ومنه الجراد[1]. ويقال: هو أطْيَشُ من فراشة. وقال الشاعر:

وقـد كـان أقـوامٌ رَدَدْتُ قـلـوبَـهُـمْ عليهم وكانوا كالفَراشِ من الجهلِ[2]

وقيل:

فـراشـةُ الـحِـلْـمِ فـرعـونُ الـعـذابِ وإنْ يُـطْـلَـبْ نـداهُ فـكـلـبٌ دونَـهُ كـلـبُ[3]

نَفَشْتُ الصوفَ والقُطن: فرّقت ما كان مُلبَّداً من أجزائه[4].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ
هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦ بنحوه، والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٣.

(٢) هكذا أورده القرطبي ٢٢/ ٤٤٣، وهو للفرزدق كما في النقائض ١/ ١٣٠، ومنتهى الطلب ٥/ ٣١١، ورواية صدره فيهما: وحولَكَ أقوامٌ ردَدْتُ قلوبَهُمْ.

(٣) هذا البيت من (يه) وحدها. ونسبه الجاحظ في الحيوان ١/ ٢٥٦ و٢٥٧ للضحاك بن سعد رجل من همدان، والزمخشري في المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٢ للضحاك بن سعيد الهمداني.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٧ بنحوه.

هذه السورة مكيَّة[١]، ومناسبتها لِما قبلَها ظاهرة؛ لأنَّه ذكر وقتَ بَعثرة القبور وذلك هو وقت الساعة.

وقال الجمهور: القارعة: القيامةُ نفسُها؛ لأنَّها تقرَعُ القلوبَ بِهَوْلها. وقيل: صيحة النفخة في الصُّور؛ لأنَّها تقرَعُ الأسماعَ، وفي ضمن ذلك القلوب[٢]. وقال الضحاك: هي النارُ ذاتُ التغيُّظ والزَّفير.

وقرأ الجمهور: «القارعةُ ما القارعة» بالرَّفع فـ «ما» استفهامٌ فيه معنى الاستعظام والتعجُّب، وهو مبتدأ، والقارعة خبره[٣]، وتقدم تقرير ذلك في ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ وقبل ذلك في قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨].

وقال الزجَّاج: هو تحذيرٌ، والعرب تُحذِّر وتُغري بالرفع كالنصب. قال الشاعر:

لَجديرونَ بالوفاءِ إذا قا ... لَ أخو النَّجْدَةِ السِّلاحُ السِّلاحُ[٤]

وقرأ عيسى بالنصب[٥]، وتخريجه على أنَّه منصوبٌ بإضمار فعلٍ، أي: اذكروا القارعة، و«ما» زائدة للتوكيد، و«القارعة» تأكيدٌ لفظيٌّ للأولى.

وقرأ الجمهور: «يومَ» بالنصب، وهو ظرف العامل فيه؛ قال ابن عطية: القارعة[٦]. فإن كان عنى بالقارعة اللَّفظَ الأول فلا يجوز الفصل بين العاملِ - وهو في صلة أل - والمعمول بالخبر، وهو لا يجوز، وكذا لو صار القارعة عَلَماً للقيامة لا يجوز أيضاً، وإن كان عنى اللَّفظَ الثاني أو الثالث فلا يلتئم معنى الظَّرف معه.

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٦، وزاد المسير ٩/ ٢١٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٦.
(٣) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٣٠/ ٢١٨.
(٤) لم أقف على قائله، وهو في معاني القرآن ١/ ١٨٨، وتفسير الطبري ٥/ ١٥٢، والخصائص ٣/ ١٠٢.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٦.
(٦) المصدر السابق.

وقال الزمخشريُّ: الظَّرف نُصِبَ بمُضمَرٍ دلَّتْ عليه القارعة، أي: تقرع يومَ يكون الناس[١]. وقال الحَوْفي: تأتي يومَ يكون. وقيل: اذكُرْ يومَ.

وقرأ زيد بن علي: «يومُ يكون» مرفوعَ الميم، أي: وقتُها يومُ يكون الناس.

﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ قال قتادة: هو الطير الذي يتساقط في النار[٢]. وقال الفرَّاء: غَوغاء الجراد، وهو صغيره الذي ينتشر في الأرض يركب بعضُه بعضاً من الهول[٣]. وقيل: الفراش: طيرٌ دقيقٌ يقصد النار، ولا يزال يتقحَّم على المصباح ونحوه حتى يحترق؛ شُبِّهوا في الكثرةِ والانتشارِ والضعفِ والذِّلَّةِ والمجيءِ والذهابِ على غير نظام والتَّطايرِ إلى الداعي من كل جهةٍ، حتى تدعوهم إلى ناحية المحشر كالفراش المتطاير إلى النار. قال جرير:

إنَّ الفَرَزْدَقَ ما علِمْتُ وقومَهُ مِثْلُ الفَراشِ غَشِينَ نارَ المُصْطَلي[٤]

وقرن بين الناس والجبال؛ تنبيهاً على تأثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالعِهْن المنفوش، فكيف يكون حالُ الإنسان عند سماعها[٥].

وتقدَّم الكلامُ في الموازينِ وثِقَلِها وخِفَّتِها في الأعراف[٦]، و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في الحاقة[٧].

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ قيل: الهاوية: دَرَكةٌ من دَرَكات النار، و«أمُّه» معناه:

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٩.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٣. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦ بنحوه. ونقله عنه بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٢١٣.

(٤) هكذا وقع البيت في الكشاف ٤/ ٢٧٩ والكلام منه ومن المحرر الوجيز ٥/ ٥١٦. والبيت في ديوان جرير ص٩٢٣، لكن رواية صدره فيه: أزرى بحلمكمُ الفِياشُ فأنتمُ. والفِياش: الرخاوة والضعف. تاج العروس (فيش).

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ٧٢.

(٦) في تفسير الآية (٨).

(٧) في تفسير الآية (٢١).

مأواه، كما قيل للأرض: أمّ الناس؛ لأنّها تؤويهم. وكما قال عتبة بن أبي سفيان في الحرب: فنحنُ بنوها وهي أمُنا[١]. وقال قتادة وأبو صالح وعكرمة[٢]: فأمّ رأسِه هاوية في قعر جهنم؛ لأنّه يُطرَحُ فيها منكوساً[٣]. وقيل: هو تفاؤلٌ بشرٍّ، وإذا دَعَوا بالهَلَكة قالوا: هَوَتْ أمُّه؛ لأنّه إذا هوى - أي سقط وهلك - فقد هوَتْ أمُّه ثكلاً وحُزْناً، قال الشاعر:

هَوَتْ أمُّهُ ما يبعثُ الصُّبْحُ غادياً ... وماذا يـرُدُّ اللَّيلُ حينَ يؤوبُ[٤]

وقرأ الجمهور: «فأُمُّه» بضمِّ الهمزة. وطلحة بكسرها[٥]. قال ابن خالويه: وحكى ابنُ دريد أنّها لغة، وأمَّا النَّحْويون فإنَّهم يقولون: لا يجوز كسر الهمزة إلَّا أن يتقدَّمها كسرةٌ أو ياء[٦]. انتهى.

«وما أدراك ماهِيَهْ» هي ضميرٌ يعود على «هاوية» إن كانت - كما قيل - درَكَةٌ من درَكات النار معروفةٌ بهذا الاسم، وإن كانت غيرَ ذلك ممَّا قيل فيها فهي ضمير الدَّاهية التي دلَّ عليها قولُه: «فأمُّه هاوية». والهاء في «ماهِيَهْ» هاء السكت[٧]،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٧.

(٢) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: وغيره، والمثبت من روح المعاني ٢٩/ ٢٩٢ وغيره كما في التعليق التالي.

(٣) القول من الكشاف ٤/ ٢٨٠ عن قتادة وحده. وهو بنحوه في النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ عن عكرمة، وفي زاد المسير ٩/ ٢١٥ عن أبي صالح وعكرمة، وفي تفسير البغوي ٤/ ٥١٩ عن قتادة وأبي صالح، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٧ عن أبي صالح.

(٤) في الكشاف ٤/ ٢٨٠ والكلام منه: يثوب. والبيت لكعب بن سعد الغنوي، وهو في الأصمعيات ص٩٥، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٠٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٨١، وأمالي القالي ٢/ ١٥٠، والصحاح (هوى)، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٤، والخزانة ١٠/ ٤٣٥. وقوله: ما يبعث الصبح. . .، يريد أنَّ هذين الوقتين يجددان ذكره ويثيران الحزن عليه؛ لأنَّ الصباح وقت الغارة، والليل وقت طروق الضِّيفان. سمط اللآلي للبكري ٢/ ٧٧٣.

(٥) أي: «فإِمُّه»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٧، وزاد المسير ٩/ ٢١٥.

(٦) ينظر جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٢٠.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٨٠ بنحوه.

وحذفَها في الوصل ابنُ أبي إسحاق والأعمش وحمزة، وأثبتها الجمهور[١].

«نارٌ» خبر مبتدإٍ محذوف، أي: هي نار[٢]. أعاذَنا الله منها بمنِّه وكرمه.

(١) ينظر التيسير ص٢٢٥، والمحرر الوجيز ٥/٥١٧.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/٨٣٨.

مفردات سورة ﴿ألهاكم﴾

الزيارة: تَعَهُّد الشيء على سبيل الوَدادة والتكريم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾.

هذه السورة مكيَّة في قول جميع المفسِّرين. وقال البخاري: مدنيَّة[1]. ومناسبتها لِما قبلَها ظاهرة.

وسبب نزولها أنَّه ـ فيما روى الكلبيُّ ومقاتل ـ كان بين بني سهمٍ وبين بني عبد مناف لِحاءٌ[2] فتعادُّوا الأشراف الأحياءَ أيُّهم أكثر، فَكَثَرهم بنو عبد مناف، ثمَّ تعادُّوا الأمواتَ فكثرهم بنو سَهْم؛ لأنَّهم كانوا أكثرَ عدداً في الجاهلية. وقال قتادة: نزلت في اليهود قالوا: نحنُ أكثرُ من بني فلان، وبنو فلان أكثرُ من بني فلان. وقال ابن زيد: نزلت في بطن من الأنصار[3].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/٤٤٨، والقول الأول في الوسيط ٤/٥٤٨، والمحرر الوجيز ٥/٥١٨، وقول البخاري ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٤/١٩٦٢، وأشار إلى حديث أنس ﷺ مرفوعاً: «لو أنَّ لابن آدم وادياً من ذهب...» فذكر أنسٌ عن أُبيٍّ قال: كنَّا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾. والحديث في صحيح البخاري (٦٤٣٩) (٦٤٤٠).

(٢) أي: سباب. اللسان (لحا).

(٣) الأقوال الثلاثة في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٣٠، وتحرف في مطبوعه: ابن زيد، إلى: ابن بريدة =

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغلَكم[١]. فعلى ما روى الكلبيُّ ومقاتل يكون المعنى: إنَّكم تكاثرتُم بالأحياء حتى إذا استوعبتُم عددَهم صِرْتُم إلى المقابر فتكاثرتُم بالأموات؛ عبَّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكُّماً بهم[٢]. وهذا معنى ينبو عنه لفظ «زُرْتُم».

وقيل: «حتى زُرْتُم» أي: متُّم وزُرْتُم بأجسادكم مقابرَها، أي: قطعتم بالتكاثر والمفاخرة بالأموال والأولاد والعُدَد أعمارَكم حتى متُّم. وسمع بعضُ الأعراب ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ﴾ فقال: بُعِثَ القومُ للقيامة وربِّ الكعبة، فإنَّ الزَّائرَ منصرِفٌ لا مقيم. وعن عمر بن عبد العزيز نحوٌ من قول الأعرابي. وقيل هذا تأنيبٌ على الإكثار من زيارة القبور تكثُّراً بمن سلف، وإشادةً بذِكْرِه، وكان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور، ثمَّ قال: «فزوروها»[٣] أَمْرَ إباحة؛ للاتِّعاظ بها، لا لمعنى المباهاة والتفاخر. قال ابن عطية[٤]: كما يصنع الناسُ في ملازمتها وتسنيمها بالحجارة والرُّخام، وتلوينها شرفاً، وبنيان النواويس عليها. انتهى.

وابن عطية لم يرَ إلَّا قبورَ أهل الأندلس، فكيف لو رأى ما تباهى به أهل مصر في مدافنهم بالقَرافَة الكبرى والقَرافَة الصغرى وباب النصر وغير ذلك وما يضيع فيها من الأموال، لتعجَّبَ من ذلك، ولرأى ما لم يخطر له ببال، وأمَّا التَّباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين إلى الصوف أقوامٌ ليس لهم شغلٌ إلَّا زيارة القبور؛ زُرْتُ قبرَ سيدي فلان بكذا، وقبرَ فلانٍ بكذا، والشيخَ فلاناً بكذا، والشيخ فلاناً بكذا، فيذكرون أقاليمَ طافوها على قدم التجريد، وقد حفظوا حكاياتٍ عن أصحاب تلك القبور وأولئك المشايخ، بحيث لو كُتبَتْ لجاءت أسفاراً، وهم مع ذلك لا يعرفون

= وهي بنحوها في تفسير القرطبي ٢٢/٤٤٩. والقولان الأول والثاني في أسباب النزول للواحدي ص٤٩٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٠، وزاد المسير ٩/ ٢١٧-٢١٨.

(١) الوسيط ٤/ ٥٤٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٨١.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٧)، وأحمد (٢٢٩٥٨)، وأبو داود (٣٢٣٥)، والترمذي (١٠٥٤) من حديث بريدة رضي الله عنه. وأخرجه أحمد (٤٣١٩)، وابن ماجه (١٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٨ وما قبله منه.

فروضَ الوضوء ولا سُننَه، وقد سخَّرَ لهم الملوكُ وعوامُّ الناس في تحسين الظنِّ بهم وبذلِ أموالهم لهم، وأمَّا مَنْ شدا منهم لِأنْ يتكلَّم للعامة فيأتي بعجائبَ يقولون: هذا فتحٌ، هذا من العلمِ اللَّدُنِّي علمِ الخَضِر، حتَّى إنَّ من ينتمي إلى العلم لمَّا رأى رَواجَ هذه الطائفة سلكَ مسلَكَهم، ونقلَ كثيراً من حكاياتهم، ومزجَ ذلك بيسيرٍ من العلم؛ طلباً للمالِ والجاهِ وتقبيلِ اليد، ونحن نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفِّقنا لطاعته.

وقرأ الجمهور: «ألهاكم» على الخبر. وابنُ عباس، وعائشة، ومعاوية، وأبو عمران الجَوْني، وأبو صالح، ومالك بن دينار، وأبو الجوزاء، وجماعة بالمدِّ على الاستفهام(١). وقد رُويَ كذلك عن الكلبي، ويعقوب، وعن أبي بكر الصديق، وابن عباس أيضاً، والشَّعبي، وأبي العالية، وابن أبي عبلة، والكسائي في رواية: «أألهاكم» بهمزتين(٢). ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير على قبح فعلهم.

والجمهور على أنَّ التكرير توكيد(٣)، قال الزمخشري(٤): والتكرير تأكيدٌ للرَّدع والإنذار، و«ثُمَّ» دلالةٌ على أنَّ الإنذار الثاني أبلَغُ من الأول وأشدُّ، كما تقول للمنصوح: أقولُ لكَ، ثمَّ أقولُ لكَ: لا تفعَلْ، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتُم ما قُدَّامَكم من هول لقاء الله تعالى.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ في القبور ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ في البعث(٥). غايرَ بينهما بحسب التعلُّق، وتبقى «ثُمَّ» على بابها من المهلة في الزمان. وقال الضحَّاك: الزَّجرُ الأول ووعيدُه

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٨ عن ابن عباس وأبي عمران ومالك بن دينار وأبي الجوزاء، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٨ عن ابن عباس وأبي عمران وأبي صالح، وزاد المسير ٩/ ٢١٩ عن عائشة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٧٨ عن الكسائي، والكشاف ٤/ ٢٨١ عن ابن عباس، وزاد المسير ٩/ ٢١٩ عن أبي بكر وابن عباس والشعبي وأبي العالية وابن أبي عبلة. والمشهور عن يعقوب والكسائي كقراءة الجمهور.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٥٣١.

(٤) في الكشاف ٤/ ٢٨١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٩، وقول الضحاك الآتي منه أيضاً.

للكافرين، والثاني للمؤمنين. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما بين أيديكم ممَّا تُقْدِمون عليه ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: كعلم ما تستيقنونه من الأمورِ لما ألهاكم التكاثرُ أو العلمُ اليقين، فأضافَ الموصوفَ إلى صفته وحذفَ الجواب؛ لدلالة ما قبلَه عليه، وهو «ألهاكم التكاثر»(١).

وقيل: اليقين هنا: الموت. وقال قتادة: البعث؛ لأنَّه إذا جاء زال الشكُّ(٢).

ثمَّ قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ والظاهر أنَّ هذه الرؤية هي رؤية الورود، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(٣) [مريم: ٧١]، ولا تكون رؤيةٌ عند الدخول، فيكون الخطاب للكفار؛ لأنَّه قال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ تأكيدٌ للجملة التي قبلها، وزاد التوكيد بقوله عين اليقين نفياً لتوهُّم المَجازِ في الرؤية الأولى. وعن ابن عباس: هو خطابٌ للمشركين، فالرؤية رؤية دخول(٤).

وقرأ ابن عامر والكسائي: «لَتُرَوُنَّ» بضم التاء(٥). وباقي السبعة بالفتح. وعليٌّ، وابنُ كثيرٍ في رواية، وعاصم في رواية بفتحها في «لَتَرَوُنَّ»، وضمِّها في «لَتُرَوُنَّها»(٦). ومجاهد، والأشهب، وابن أبي عبلة بضمِّهما(٧).

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٨١ بنحوه.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٥٦. والقول الأول ـ وهو عن قتادة أيضاً ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩٣، والقول الثاني أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٠٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥١٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٥٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٩ باختصار.

(٥) السبعة ص٦٩٥، والتيسير ص٢٢٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٩. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٩ ضمَّ «لَتُرَونَّها» عن ابن كثير. والمشهور عنه وعن عاصم كقراءة الجمهور.

(٧) زاد المسير ٩/ ٢٢٠ عن مجاهد وابن أبي عبلة. وذكر عنهما ابن خالويه ص١٧٩: «لَتُرَونَّها».

ورُوي عن الحسن وأبي عمرو بخلافٍ عنهما أنَّهما همزا الواوين[(١)]، استثقلوا الضمَّةَ على الواو، فهمزوا كما همزوا في «وُقِّتَتْ» [المرسلات: ١١]، وكان القياسُ أن لا تُهمَزَ؛ لأنَّها حركةٌ عارضةٌ لالتقاء الساكنين فلا يُعتَدُّ بها، لكنَّها لما تمكَّنت من الكلمة بحيث لا تزول، أشبهَتِ الحركةَ الأصليةَ فهمزوا، وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو: «اشترَؤُا الضلالة» [البقرة: ١٦]، فهَمْزُ هذه أَولى.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ الظاهر العموم في النَّعيم، وهو كل ما يُتلذَّذُ به من مَطعَمٍ ومَشرَبٍ ومَفرَشٍ ومَركَبٍ، فالمؤمن يُسأَلُ سؤالَ إكرامٍ وتشريف، والكافرُ سؤالَ توبيخٍ وتقريع[(٢)].

وعن ابن مسعود والشَّعبي وسفيان ومجاهد: هو الأمن والصِّحَّة[(٣)]. وعن ابن عباس: البدن والحواس فيمَ استعملَها. وعن ابن جُبير: كلُّ ما يُتلَذَّذُ به. وفي الحديث: «بيتٌ يُكِنُّكَ، وخِرقةٌ تُواريكَ، وكِسرةٌ تشدُّ قلبَكَ، وما سوى ذلك فهو نعيم»[(٤)].

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٩.
(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٨١.
(٣) أخرجه عنهم الطبري ٢٤/ ٦٠٣-٦٠٤.
وأخرجه عن ابن مسعود رضي الله عنه: هنَّاد في الزهد (٦٩٤)، وعبد الله بن أحمد في زوائده عن الزهد ص٤٦٧، البيهقي في شعب الإيمان (٤٦١٥).
(٤) هكذا أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٩ بهذا اللفظ، والكلام بتمامه منه.
وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٠٨ من حديث أبي عَسيبٍ مولى النبي ﷺ قال: مرَّ بي النبيُّ ﷺ، فدعاني، فخرجتُ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فدخل حائطاً لبعض الأنصار، فأُتي ببُسر عِذْقٍ منه، فوُضِعَ بين يديه، فأكل هو وأصحابه، ثم دعا بماءٍ باردٍ، فشرب، ثم قال: «لتُسألُنَّ عن هذا يوم القيامة». فقال عمر: عن هذا يوم القيامة؟. فقال: «نعم، إلا من ثلاثة؛ خِرْقةٍ كفَّ بها عورتَه، أو كِسرةٍ سدَّ بها جُوعَتَه، أو جُحرٍ يدخل فيه من الحرِّ والقرِّ». قال الحافظ في الإصابة ١١/ ٢٥٥: إسناده حسن.
وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٠٩ عن ثابت البناني مرفوعاً بلفظ: «النَّعيم المسؤول عنه يوم القيامة: كِسْرَةٌ تقوِّيه، وماءٌ يُرويه، وثوبٌ يواريه». وإسناده مرسل.

سورة العَصْر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ③﴾.

هذه السورة مكيَّة في قول ابن عباس وابن الزُّبير والجمهور. ومدنيَّة في قول مجاهد وقتادة ومقاتل[1].

لمَّا قال فيما قبلها: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾، ووقَعَ التهديدُ بتكرار ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ③﴾ بيَّنَ حال المؤمن والكافر.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ①﴾ قال ابن عباس: هو الدَّهر، يُقال فيه: عَصْرٌ وعُصُرٌ وعُصْرٌ[2]. أقسمَ به تعالى لِما في مُرورِه من أصناف العجائب[3]. وقال قتادة: العصرُ: العَشِيُّ[4]. أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة[5]. وقيل العصر: اليوم، والعصر: الليلة. ومنه قول حُميد بن ثور:

ولَنْ يلبَثَ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبا أن يُدْرِكا ما تَيمَّما[6]

---

(١) زاد المسير ٩/ ٢٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٨٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٠.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٨٢.

(٦) ديوان حميد بن ثور ص٨، وهو في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥٩، وإصلاح المنطق

وقيل: العصر: بكرةً، والعصر: عشيةً، وهما الأبْرَدان. فعلى هذا والقولِ قبلَه يكون القسَمُ بواحدٍ منهما غيرَ مُعَيَّن. وقال مقاتل: العصر: الصلاة الوسطى أقسم بها[١]. وبهذا القول بدأ الزمخشري قال[٢]: لفضْلِها، بدليل قوله تعالى: «والصلاةِ الوسطى صلاةِ العصر» في مصحف حفصة[٣]، وقوله ﷺ: «مَنْ فاتَتْه صلاةُ العصر فكأنَّما وُتِرَ أهلَه ومالَه»[٤]؛ لأنَّ التكليف في أدائها أشَقُّ؛ لتهافُتِ الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخرَ النهار، واشتغالهم بمعايشهم. انتهى.

وقرأ سلام: «والعَصِرِ» بكسر الصاد، و«الصَّبِرِ» بكسر الباء. قال ابن عطية[٥]: وهذا لا يجوز إلَّا في الوقف على نقل الحركة. ورُويَ عن أبي عمرو: «بالصَّبِرِ» بكسر الباء إشماماً، وهذا أيضاً لا يكون إلَّا في الوقف. انتهى.

وفي «الكامل» للهُذلي: «والعَصِرْ، والصَّبِرْ، والفَجِرْ، والوَتِرْ» بكسرِ ما قبلَ السَّاكن في هذه كلِّها هارونُ وابنُ موسى عن أبي عمرو[٦]. والباقون بالإسكان كالجماعة. انتهى.

وقال ابن خالويه[٧]: «وتواصَوا بالصَّبِرْ» بنقل الحركة عن أبي عمرو.

وقال صاحب «اللوامح»: عيسى البصرة: «بالصَّبِرْ» بنقل حركة الرَّاء إلى الباء؛ لئلَّا يُحتاجَ أن يأتيَ ببعض الحركة في الوقف، ولا إلى أن يُسَكَّنَ فيُجمَعَ بين

= ص٤٣٧. ورواية الديوان: يوماً وليلةً. بالنصب. والمعنى: إذا طلب العصران شيئاً بلَغاه وأدركاه، لا يفوتهما شيء. شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص٥٩٤.

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٠. وينظر قول مقاتل في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٣٧، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٣، والوسيط ٤/ ٥٥١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٢) في الكشاف ٤/ ٣٨٢.

(٣) تنظر الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) (٢٠١)، وأحمد (٦٣٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٠، وما قبله منه. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٩ عن سلام قراءة: «والعَصِرِ».

(٦) والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجماعة.

(٧) في القراءات الشاذة ص١٧٩.

ساكنين، وذلك لغةٌ شائعةٌ وليست بشاذَّة، بل مستفيضة، وذلك دلالةٌ على الإعراب، وانفصالٌ من التقاء الساكنين، وتأديةُ حقِّ الموقوف عليه من السكون. انتهى. وقد أنشَدْنا في الدلالة على هذا في شرح «التسهيل» عِدَّة أبيات، كقول الراجز:

أنــا جــريــرٌ كُــنْــيــتــي أبــو عَــمِــرْو
أضـرِبُ بـالـسَّـيـفِ وسَـعْـدٌ فـي الـقَـصِـرْ[1]

يريد: أبو عَمرو.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ اسم جنس يعمُّ، ولذلك صحَّ الاستثناء منه، والخُسْر: الخُسْران، كالكُفْر والكُفْران[2]، وأيُّ خُسرانٍ أعظمُ ممَّن خسِرَ الدنيا والآخرة.

وقرأ ابن هُرْمُز، وزيد بن عليّ، وهارون عن أبي بكر عن عاصم: «خُسُر» بضمِّ السين[3]. والجمهور بالسكون.

ومَنْ باعَ آخرتَه بدنياه فهو في غاية الخُسران، بخلاف المؤمن فإنَّه اشترى الآخرةَ بالدُّنيا فرَبِحَ وسَعِد.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالأمر الثابت من الدين عملوا به وتواصوا به ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعة الله تعالى وعن المعاصي[4].

---

(١) الرجز لجرير بن عبد الله البجلي ﷺ، أنشده يوم القادسية، وسعد: هو ابن أبي وقاص ﷺ. والرجز في أخبار القضاة ٣/ ٧٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٥٧٧ و٥٨٠، والقراءات الشاذة ص١٧٩، والبدء والتاريخ ٥/ ١٧٦، وتاريخ مدينة دمشق ٢٠/ ٣٥٣.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥٩، والكشاف ٤/ ٢٨٢ بنحوه.
(٣) القراءات الشاذة ص١٧٩ عن هارون عن أبي بكر عن عاصم، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٠ عن عاصم والأعرج ابن هرمز.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٨٢.

مفردات سورة الهُمَزَة

الحُطَمَة؛ أصله الوصف، من قولهم: رجلٌ حُطَمَة، أي: أكول[1]. وقال الراجز:

قـد لـفَّـهـا الـلَّـيـلُ بِـسـوَّاقٍ حُـطَـمْ[2]

وقال آخر:

إنَّـا حَـطَـمْـنـا بـالـقَـضـيـبِ مُـصْـعَـبـا
يـومَ كـسَـرْنـا أنـفَـهُ لِـيـغْـضَـبـا[3]

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣
كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى
ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾.

---

(١) الصحاح (حطم).

(٢) الرجز لشُريح بن ضُبَيعة البكري ـ ويُلقَّب بالحُطم ـ وله قصة مع رسول الله ﷺ ذكرها القرطبي في تفسيره ٧/ ٢٦٢-٢٦٣، وفيها هذا الرجز، وبعده: ليس براعي إبلٍ ولا غَنَمْ.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٣٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٣، وهو لصُخير بن أبي الجَهْم، كما في المنمق لابن حبيب ص٣٦٦، وتاريخ ابن عساكر ٢٤/ ٥، وفيهما: نحن خَطَمْنا، بدل: إنَّا حَطَمْنا. ومصعب: هو ابن عبد الرحمن بن عوف، كما ذكر ابن حبيب. ومعنى خَطَمه: ضربَ أنفه. القاموس (خطم).

هذه السورة مكية[١].

لمَّا قال فيما قبلها: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ بيَّنَ حالَ الخاسر، فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾.

ونزلت في الأخنس بن شَريق، أو العاص بن وائل، أو جميل بن معمر[٢]، أو الوليد بن المغيرة، أو أمية بن خلف. أقوال[٣]. ويمكن أن تكون نزلت في الجميع، وهي مع ذلك عامَّة فيمن اتَّصف بهذه الأوصاف[٤]. وقال السُّهيلي: هو أمية بن خلف الجُمَحي، كان يهمِزُ النبيَّ ﷺ ويَعيبه[٥]. ذكره ابن إسحاق[٦]. وإنَّما ذكرتُه وإن كان اللَّفظُ عامًّا؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى تابعَ في أوصافه والخبرِ عنه، حتى فُهِم أنَّه يُشير إلى شخصٍ بعينه، وكذلك قوله في سورة «ن»: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [الآية: ١٠] تابعَ في الصِّفات حتى عُلِمَ أنَّه يُريد إنساناً بعينه. وتقدَّم الكلام في الهمز في سورة «ن والقلم»[٧]، وفي اللَّمز في سورة «براءة»[٨].

وفُعَلَة من أبنية المبالغة، كنُوَمَة وعُيَبَة وسُخَرَة وضُحَكَة. وقال زياد الأعجم:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١، وزاد المسير ٩/ ٢٢٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٦٧.

(٢) المثبت من (يه) و(ع)، وجاء في (أ): عمير، وفي (ت): يعمر، وفي النكت والعيون ٦/ ٣٣٦، وزاد المسير ٩/ ٢٢٦، وتفسير القرطبي: عامر.

(٣) الأقوال في زاد المسير ٩/ ٢٦٦، والقول الأول قاله ابن عباس والسدي والكلبي، والقول الثاني قاله عروة، والقول الثالث قاله ابن أبي نجيح ومجاهد، والقول الرابع قاله ابن جريج ومقاتل، والقول الخامس قاله ابن إسحاق كما سيأتي. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٥٤٠، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢١، والكشاف ٤/ ٢٨٣، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٣-٥٢٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧١-٤٧٢.

(٤) هو قول مجاهد كما في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٤٠، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٢. وقال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٣٦: هو قول الأكثرين.

(٥) الروض الأنف ٢/ ١٠٤.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٤٠، وزاد المسير ٩/ ٢٢٦.

(٧) عند تفسير الآية (١١).

(٨) عند تفسير الآية (٧٩).

تُدْلي بِوُدِّي إذا لاقَيْتَني كَذِباً وإنْ أُغَيَّبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ[١]

وقرأ الجمهور بفتح الميم فيهما. والباقر[٢] بسكونها. وهو المَسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم ويهمز ويلمز[٣].

«الذي» بدل، أو نصب على الذَّمّ[٤].

وقرأ الحسن، وأبو جعفر، وابن عامر، والأخَوان: «جَمَّع» مشدَّد الميم. وباقي السبعة بالتخفيف[٥].

والجمهور: «وعدَّده» بشدِّ الدال الأولى، أي: أحصاه وحافظ عليه[٦]. وقيل: جعله عُدَّةً لطوارق الدهر[٧]. والحسن والكلبي بتخفيفها[٨]، أي: جمع المال وضبط عدَدَه[٩]. وقيل: وعدداً من عشيرته[١٠]. وقيل: «وعَدَده» على ترك الإدغام، كقوله:

أنِّي أجودُ لأقوامٍ وإنْ ضَنِنُوا[١١]

---

(١) هكذا روايته في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٦٩، وهو في ديوان زياد الأعجم ص١٢٧ برواية:
إذا لقيتُكَ تُبدي لي مكاشرةً وإنْ أغِبْ فلأنتَ الهامِزُ اللُّمَزهْ
وهو بنحوه في مجاز القرآن ١/ ٢٦٣، وجمهرة اللغة ٣/ ١٨، وتفسير الطبري ١١/ ٥٠٥، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦١.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: والباقون. والباقر: هو أبو جعفر محمد بن علي، وقراءته هذه في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٦٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) السبعة ص٦٩٧، والتيسير ص٢٢٥، والنشر ٢/ ٤٠٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٨٣.

(٨) أي: «وعَدَده»، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٩ وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢١ عن الحسن.

(٩) الكشاف ٤/ ٢٨٣.

(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(١١) عجز بيت لقعنب بن أم صاحب، وصدره في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٢: مهلاً أمامةُ قدْ =

﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: أبقاه حيًّا، إذ به قوامُ حياته وحفظُه مدَّة عمره[١]. قال الزمخشري[٢]: أي طَوَّل المالُ أملَه، ومنَّاه الأماني البعيدة، حتى أصبح لفَرْطِ غفلته وطولِ أمله يحسب أنَّ المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت. قيل: وكان للأخنس أربعةُ آلاف دينار. وقيل: عشرة آلاف دينار.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ له عن حسبانه[٣].

وقرأ الجمهور: «لَيُنبَذَنَّ» فيه ضمير الواحد. وعليٌّ، والحسن بخلاف عنه، وابن مُحَيْصِن، وحميد، وهارون عن أبي عمرو: «لَيُنْبَذانِّ» بألف ضمير اثنين، الهمزةِ ومالِه[٤]. وعن الحسن أيضاً: «لَيُنْبَذُنَّ» بضمِّ الذال، أي: هو وأنصاره[٥]. وعن أبي عمرو: «لَيَنْبِذَنَّه»[٦].

وقرأ الجمهور: «في الحُطَمة * وما أدراك ما الحُطَمة». وزيد بن عليّ: «في الحاطِمة * وما أدراك ما الحاطِمة»، وهي النار التي من شأنها أن تحطِمَ كلَّ ما يُلقى فيها[٧].

قال الضحَّاك: الحُطَمة: الدَّرك الرابع من النار. وقال الكلبي: الطبقة السادسة

= جرَّبْتِ من خُلقي. وفي الكتاب ٣/ ٥٣٥، والخصائص ١/ ١٦٠، والحماسة البصرية ٢/ ٧٦، ومختارات ابن الشجري ١/ ٧: أعاذلَ، بدل: أمامة.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(٢) في الكشاف ٤/ ٢٨٣-٢٨٤، وما قبله منه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٢، وزاد المسير ٩/ ٢٢٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٢-٤٧٣. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٠. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٩ القراءةَ عن علي والحسن وجماعة: «لَيُنْبَذَانِّ».

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٢. وينظر الكشاف ٤/ ٢٨٤.

(٦) القراءات الشاذة ص١٧٩. ووقعت القراءة في روح المعاني ٢٩/ ٣٢٠: «لَنَنْبِذَنَّه» بنون العظمة بدل الياء.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٨٤، ووقعت القراءة فيه وفي القراءات الشاذة ص١٧٩ دون نسبة.

من جهنم[1]. وحكى عنه القُشيري أنَّها الدَّرَكة الثانية[2]. وعنه أيضاً الباب الثاني[3]. وقال الواقدي[4]: باب من أبواب جهنم. انتهى.

و﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝﴾ أي: هي، أي: الحُطَمة.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝﴾ ذُكِرَتِ الأفئدةُ؛ لأنَّها ألطَفُ ما في البدن، وأشدُّه تألُّماً بأدنى شيء من الأذى، واطِّلاع النَّارِ عليها هو أنَّها تعلوها وتشتمل عليها، وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم، لكن نبَّه على الأشرف؛ لأنَّها مَقَرُّ العقائد[5].

وقرأ الأخوان وأبو بكر: «في عُمُدٍ» بضمَّتين[6] جمع عمود. وهارون عن أبي عمرو بضمِّ العين وسكون الميم[7]. وباقي السبعة بفتحهما. وهو اسم جمع الواحد عمود[8]. وقال الفرَّاء: جمع عمود، كما قالوا: أديم وأدَم [وأُدُم][9]. وقال أبو عبيدة: جمع عِماد[10].

قال ابن زيد: في عمدِ حديدٍ مغلولين بها. وقال أبو صالح: هذه النار هي في قبورهم[11]. والظَّاهر أنَّها نارُ الآخرة، إذ أويسوا من الخروج بإطباقِ الأبواب

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٣٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٣.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٣.
(٣) في (يه): الثامن، وفي النكت والعيون ٦/ ٣٣٦: السادس.
(٤) تصحف في النسخ والمطبوع إلى: الواحدي، والتصويب من النكت والعيون ٦/ ٣٣٦.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٨٤ بنحوه.
(٦) السبعة ص٦٩٧، والتيسير ص٢٢٥.
(٧) أي: «عُمْدٍ»، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٩.
(٨) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٥.
(٩) معاني القرآن ٣/ ٢٩١، وما بين حاصرتين منه.
(١٠) مجاز القرآن ٢/ ٣١١.
(١١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٢. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٢٥.

عليهم وتمدُّدِ العُمُد، كلٌّ ذلك إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية[١]. وقال قتادة: كنَّا نُحدَّث أنَّها عُمدٌ يُعذَّبون بها في النار[٢]. وقال أبو صالح: هي القيود[٣].

(١) ينظر الكشاف ٤/ ٢٨٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩٥، والطبري ٢٤/ ٦٢٥-٦٢٦. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٤١، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٧، وزاد المسير ٩/ ٢٣٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٣٧، وزاد المسير ٩/ ٢٣٠.

مفردات سورة الفيل

الفيل، أكثر ما رأيناه من وحوش البَرِّ، ويُجلَبُ إلى ملك مصر، ولم نرَه بالأندلسِ بلادِنا. ويُجمَعُ في القِلَّة على أفيال، وفي الكثرة على فُيول وفِيَلة[١]، ولم نقف لأحدٍ من الشعراء على نظمٍ في الفيل وصِفَتِه، وَلي فيه قصيدٌ هو في ديوان شعري[٢].

الأبابيل: الجماعات تجيء شيئاً بعد شيء[٣]. قال الشاعر:

كادَتْ تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[٤]

وقال الأعشى:

طَريقٌ وجَبَّارٌ رِواءٌ أصولُهُ عليه أبابيلٌ من الطَّيرِ تَنْعَبُ[٥]

قال أبو عبيدة[٦] والفرَّاء[٧]: لا واحدَ له من لفظِه، فيكون مثل: عبابيد[٨]

---

(١) الصحاح (فيل).

(٢) من قوله: ولم نقف.... إلى هنا من (يه) وحدها.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٣.

(٤) البيت لمعبد الخزاعي، وسلف عند تفسير الآية (١٧٢) من سورة آل عمران.

(٥) ديوان الأعشى ص٢٥١. قوله: وجَبَّار، الجبَّار: النخلة الطويلة الفتيَّة، وتُضَمّ. القاموس (جبر). وقال شارح الديوان: ونخلك الطويلُ المرتفعُ الضخمُ الجُذوعِ، تحطُّ عليه من الطيور أسراب، تتجاوب أصواتها بالتنعاب.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٣١٢.

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٢٩٢.

(٨) العبابيد: الفِرَق من الناس الذاهبون في كل وجه. الصحاح (عبد).

وبيادير[١]. وقيل: واحدة: إبّوْل، مثل: عِجّوْل. وقيل: إبّيل، مثل: سِكّين. وقيل: إبّال[٢]. وذكر الرُّؤاسي[٣] ـ وكان ثقةً ـ أنَّه سمع في واحده: إبَّالة. وحكى الفرّاء[٤]: إبَالة مُخفَّفاً.

* * *

سورة الفيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾.

هذه السورة مكية[٥].

ولمَّا ذكر فيما قبلها عذاب الكافر في الآخرة، أخبر هنا بعذاب ناسٍ منهم في الدنيا.

والظَّاهر أنَّ الخطاب للرسول ﷺ يذكر نعمته عليه؛ إذ كان صرَفَ ذلك العدوَّ العظيمَ عامَ مولدِه السعيد عليه السلام، وإرهاصاً بنبوَّته؛ إذ مجيءُ تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدِّمة بين أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٦].

---

(١) في (يه): بنادير. ولم أقف عليهما في كتب اللغة.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٩٤. وينظر الصحاح (أبل)، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩٢.

(٣) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: الرقاشي. والمثبت من معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٢، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٩، واللسان (أبل). والرؤاسي: هو أبو جعفر الكوفي النحوي أستاذ الكسائي. إنباه الرواة ٤/ ٩٩.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٩٢.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٣، وزاد المسير ٩/ ٢٣١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٧.

(٦) تفسير الرازي ٣٢/ ٩٧ بنحوه مختصراً.

ومعنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم[١]، قرَّره على وجود علمه بذلك؛ إذ هو أمرٌ منقولٌ نقلَ التواتر[٢]، فكأنَّه قيل: قد علِمْتَ فِعْلَ اللهِ ربِّكَ بهؤلاء الذين قصدوا حرَمَه، ضلَّلَ كيدَهم، وأهلكَهم بأضعفِ جنوده، وهي الطير التي ليست من عادتها أن تقتُلَ. وقصَّةُ الفيل ذكرَها أهلُ السِّيَر والتفسير مطولةً ومختصرةً، وتُطالَعُ في كتبهم.

وأصحاب الفيل أبْرَهةُ بن الصبَّاح الحبشي ومَنْ كان معه من جنوده[٣]. والظاهر أنَّه فيل واحد، وهو قول الأكثرين. وقال الضحاك: ثمانية فيلة[٤]. وقيل: اثنا عشرَ فيلاً. وقيل: ألف فيل[٥]. وهذه أقوالٌ متكاذبة، وكان العسكرُ ستين ألفاً لم يرجع أحدٌ منهم إلا أميرُهم في شِرْذِمةٍ قليلةٍ، فلمَّا أُخبِروا بما رأوا هلكوا[٦]. وكان الفيلُ يوجِّهونه نحو مكة لمَّا كان قريباً منها فيبرك، ويُوجِّهونه نحو اليَمن والشام فيسرع[٧].

وقال الواقدي: أبرهة جدُّ النجاشي الذي كان في زمان الرسول ﷺ[٨].

وقرأ السُّلمي: «ألم تَرْ» بسكون الراء[٩]، وهو جزم بعد جزم، كقولهم: لم أُبَلْ[١٠]. ونقل عنه صاحب «اللوامح»: «تَرْءَ» بهمزةٍ مفتوحةٍ مع سكون الراء على الأصل، وهي لغة لتَيْم اللَّات.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٣.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٣٢/ ٩٧.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٥١، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٠، والكشاف ٤/ ٢٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٨٤.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٥١، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٤.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٨٥.
(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٨٥.
(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٥٤٦.
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٥١، وعرائس المجالس ص٤٤٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٨٥.
(٩) المحتسب ٢/ ٣٧٣. وتحرفت كلمة «الراء» في (يه) إلى: «اللام».
(١٠) عبارة: كقولهم لم أُبَلْ، من (يه) وحدها.

و«تَرَ» معلقة، والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب بـ «تَرَ»، و«كيف» معمولة لـ «فَعَل»[١].

وفي خطابه تعالى لنبيِّه ﷺ بقوله: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ تشريفٌ له ﷺ وإشادةٌ مِن ذِكْرِه، كأنَّه قال: ربُّكَ معبودُك هو الذي فعل ذلك لا أصنامُ قريشٍ؛ إسافُ ونائلةُ وغيرُهما.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾: في تضييعٍ وإبطالٍ، يُقال: ضَلَّلَ كيدَه: إذا جعلَه ضالًّا ضائعاً. وقيل لامرئِ القيس: الضِّلِّيل؛ لأنَّه ضلّلَ ملك أبيه، أي: ضيَّعه. وتضييعُ كيدِهم هو بأنْ أحرقَ اللهُ تعالى البيتَ الذي بَنَوه قاصدين أن يرجع حَجُّ العرب إليه، وبأن أهلكَهم لمَّا قصدوا هَدْمَ بيتِ الله الكعبةِ بأنْ أرسل عليهم طيراً جاءت من جهة البحر، ليست نجديةً ولا تِهاميةً ولا حجازيةً، سوداء ـ وقيل: خضراء[٢] ـ على قَدْر الخُطَّاف[٣].

وقرأ الجمهور: «تَرْميهم» بالتاء. والطير اسم جمع يؤنَّث كهذه القراءة، وقولِه:

كالطيرِ تنجو من الشُّؤبوبِ ذي البَرَدِ[٤]

ويُذكَّر، كقراءة أبي حنيفة، وابن يَعْمَر، وعيسى، وطلحة في رواية[٥] عنه: «يرْميهم» بالياء. وقيل: الضميرُ عائدٌ على «ربُّك»[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٣، والكشاف ٤/ ٢٨٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٨٦.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٤٢، وزاد المسير ٩/ ٢٣٤، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٠٠. والخُطَّاف: طائر أسود كالسنونو يُسمَّى عصفور الجنة. معجم متن اللغة ٢/ ٣٠١.

(٤) عجز بيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٤، وصدره: والخيلُ تمزعُ رَهْواً في أعِنَّتِها. وسلف عند تفسير الآية (٢٤) من سورة الدخان.

(٥) بعدها في (يه) زيادة: السمان، وفي (ع): السمال. والقراءة في القراءات الشاذة ص١٨٠ عن عيسى وابن يعمر، وفي الكشاف ٤/ ٢٨٦ عن أبي حنيفة، وفي تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٣ عن طلحة.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٣.

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ كان كلُّ طائرٍ في مِنقاره حجرٌ وفي رِجليه حَجَران، كلُّ حجرٍ فوق حبَّة العدس ودون حبَّة الحِمَّص، مكتوبٌ في كلِّ حجرٍ اسمُ مَرْميِّه، ينزل على رأسه ويخرج من دُبُره، ومرض أبرهةُ فتقطَّع أنمُلةً أنمُلة، وما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه، وانفلتَ أبو يَكْسوم وزيرُه، وطائرُه يتبعُه، حتى وصل إلى النجاشي وأخبره بما جرى للقوم، فرماه الطائر بحجره، فماتَ بين يدَي الملك[1].

وتقدَّم شرح «سِجِّيل» في سورة هود[2]، و«العصف» في سورة الرحمن[3]. شُبِّهوا بالعصفِ ورقِ الزَّرعِ الذي أُكِلَ، أي: وقع فيه الأُكَال، وهو أن يأكله الدُّود، والتِّبن الذي أكلَتْه الدوابُّ ورَاثَتْه، وجاء على آداب القرآن، نحو قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. أو الذي أُكِلَ حبُّه فبقي فارغاً[4]. فنِسبَة أنَّه أُكِلَ مجازٌ؛ إذِ المأكولُ حَبُّه لا هو[5].

وقرأ الجمهور: «مأكول» بسكون الهمزة وهو الأصل؛ لأنَّه صيغة مفعول من فَعَل.

وقرأ أبو الدرداء فيما نقل ابن خالويه[6] بفتح الهمزة؛ إتباعاً لحركة الميم، وهو شاذٌّ، وهذا كما أتبعوا في قولهم: «مَحَموم» بفتح الحاء لحركة الميم.

قال ابن إسحاق: لما ردَّ اللهُ الحبشة عن مكة عظَّمتِ العربُ قريشاً وقالوا: أهلُ اللهِ، قاتَلَ عنهم، وكفاهم مؤونةَ عدوِّهم، فكان ذلك نعمةً من الله تعالى عليهم[7]. وقيل: هو إجابةٌ لدعاءِ الخليل عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٨٥.
(٢) عند الآية (٨٢) منها.
(٣) عند الآية (١٢) منها.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٨٦.
(٥) ينظر تفسير الرازي ٣٢/ ١٠١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٤.
(٦) في القراءات الشاذة ص١٨٠.
(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٧٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٨٩ و٤٩٥.

مفردات سورة «لإيلاف قريش»

«قُريش» علَم اسم قبيلة، وهم بنو النَّضر بن كِنانة، فمَنْ كان من بني النَّضْر فهو من قريشٍ دون بني كِنانة. وقيل: هم بنو فِهْر بن مالك بن النَّضْر، فمَنْ لم يَلِدْه فِهْرٌ فليس بقُرشيٍّ. قال القرطبي[1]: والقول الأول أصَحُّ وأثبَتُ. وسُمُّوا بذلك؛ لتجمُّعِهم بعد التفرُّق. والتَّقَرُّشُ: التجمُّع والالتئام. ومنه قول الشاعر:

إخـوةٌ قَـرَّشـوا الـذُّنـوبَ عـلـيـنـا　　　فـي حـديـثٍ مِنْ دهـرِهِـمْ وقَـديـمِ[2]

كانوا متفرِّقين في غير الحَرَم، فجمعَهم قُصيٌّ بن كلاب في الحَرَم حتى اتَّخذوه مسكناً، ومنه قول الشاعر:

أَبُـونـا قُـصَـيٌّ كـان يُـدْعَـى مُـجَـمِّـعاً　　　بـهِ جَـمَـعَ اللهُ الـقـبـائـلَ مـن فِـهْـرِ[3]

وقال الفرَّاء: التَّقَرُّش: التَّكَسُّب، وقد قَرَشَ يَقْرِش قَرْشاً: إذا كسِبَ وجمع، وبه سُمِّيتْ قُريش[4]. وقيل: كانوا يُفتِّشون عن ذي الخَلَّة من الحاجِّ ليسدُّوها. والقَرْش: التفتيش. ومنه قول الشاعر:

---

(١) في تفسيره ٢٢/ ٤٩٩، وما قبله منه أيضاً ٢٢/ ٤٩٨ و٤٩٩، ومن النكت والعيون ٦/ ٣٤٦، وزاد المسير ١٩/ ٢٤٠.

(٢) البيت لأبي جِلْدة اليشكري، كما في سيرة ابن هشام ١/ ٩٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٩.

(٣) نُسِبَ لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٢٥٠، والأوائل للعسكري ١/ ١٣، وتاج العروس (قرش). ونسبه محمد بن حبيب في المنمق ص٨٤ لحذافة بن غانم. ونسبه صاحب الخزانة ١/ ٢٠٣ للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. وهو دون نسبة في سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦، والاشتقاق ص١٥٥. ووقع في بعض المصادر: أبوكم قصيٌّ، وفي أخرى: قصيٌّ أبوكم، وفي السيرة: قصيٌّ لعمري.

(٤) ينظر الصحاح (قرش)، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٩.

أيـهـا الـشـامِـتُ الـمُـقَـرِّشُ عـنَّـا عـنـدَ عَـمْـرٍو فـهَـلْ لـهُ إبـقـاءُ[(١)]

وسأل معاويةُ ابنَ عباس: لِمَ سُمِّيتْ قريشٌ قُريشاً؟ فقال: بدابَّةٍ في البحر أقوى دوابِّه يُقال لها: القِرْش، تأكُلُ ولا تُؤكَلُ، وتعلو ولا تُعْلى، ومنه قولُ تُبَّعٍ:

وقـريـشٌ هـي الـتـي تـسـكُـنُ الـبَـحْـ ـرَ وبـه سُـمِّـيَـتْ قُـرَيـشٌ قُـرَيـشـا

تـأكـلُ الـغَـثَّ والـسَّـمـيـنَ ولا تَـتْـ ـرُكُ فـيـهـا لـذي جـنـاحَـيـنِ رِيـشـا

هـكـذا فـي الـبـلاد حَـيُّ قُـرَيـشٍ يـأكـلـونَ الـبـلادَ أكـلاً كَـمِـيـشـا

ولـهُـمْ آخِـرَ الـزَّمـانِ نـبـيٌّ يُـكْـثِـرُ الـقَـتْـلَ فـيـهـم والـخُـمـوشـا[(٢)]

وفي «الكشاف»[(٣)]: دابَّةٌ تعبَثُ بالسُّفن ولا تُطاق إلَّا بالنار.

فإن كان قريشٌ من مَزيدٍ فيه فهو تصغير ترخيم، وإن كان من ثلاثي مُجَّرد، فهو تصغير على أصل التصغير[(٤)].

الشتاء والصيف فصلان معروفان من فصول السنة الأربعة.

(١) البيت للحارث بن حِلِّزة، وهو في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٨٧٢، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٢٢، وشرح المعلقات لابن النحاس ٢/ ٦٣، وللتبريزي ص٢٩٩، وللزوزني ص١٥٨ برواية: أيُّها النَّاطق، و: وهل لذاك بقاءُ. وكذلك وقع في مطبوع أبي حيان، والمثبت من النكت والعيون ٦/ ٢٤٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠٠ والكلام منهما. ووقع في شروح المعلقات والمعاني الكبير: المُرَقِّش، والمُقَرِّش رواية أبي عمرو كما ذكر ابن قتيبة، وقال: هو المحرِّش. وقال التبريزي: المُرَقِّش: المُزَيِّن القولَ بالباطل، ويقال: إنَّه يخاطب بها عمرو بن كلثوم، ومعنى: وهل لذاك بقاءُ: أنَّ الباطل لا يبقى.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٨٩)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٥٥٦. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٤٦-٣٤٧، والقرطبي ٢٢/ ٥٠٠. ونُسبت الأبيات للمُشمْرِج العبدي كما في معجم الشعراء للمرزُباني ص٤٣٦، وتاج العروس (قرش). وذكر ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٣٣٦-٣٣٧ هذا الخبر مختصراً وقال: وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد.

(٣) ٢/ ٢٨٨.

(٤) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٩٥.

وهمزة الشتاء مبدلة من واو، قالوا: شتا يشتو وقالوا: شَتْوةٌ[١]. والشتاء مفرد وليس بجمع شتوة[٢].

* * *

سورة «لإيلاف قريش»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

هذه السورة مكية في قول الجمهور، مدنية في قول الضحاك وابن السائب.

ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيَّما إنْ جُعِلَتِ اللَّامُ مُتعلِّقةً بنفس «فجعَلَهم»، وهو قول الأخفش[٣]. أو بإضمار: فعَلْنا ذلك لإيلاف قريش ـ وهو مرويٌّ عن الأخفش[٤] ـ حتى تطمئِنَّ في بلدها، فذكر ذلك للامتنان عليهم؛ إذ لو سلَّط عليهم أصحاب الفيل لتشتَّتوا في البلاد والأقاليم، ولم تجتمِعْ لهم كلمة.

قال الزمخشري[٥]: وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أنْ يتعلَّق معنى البيت بالذي قبلَه تعلُّقاً لا يصِحُّ إلَّا به، وهما في مصحف أُبيٍّ سورةٌ واحدةٌ بلا فصل. وعن عمر أنَّه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأوليين: ﴿وَٱلتِّينِ﴾[٦]. والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم؛ ليتسامع الناس بذلك فيتهيَّبوهم زيادةَ تهيُّبٍ، ويحترموهم فضل احترام، حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم. انتهى.

---

(١) ينظر تهذيب اللغة ١١/٣٩٦.

(٢) زاد المسير ٩/٢٣٨، وتفسير القرطبي ٢٢/٤٩٥.

(٣) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٥٢٥.

(٤) وهو في معاني القرآن له ٢/٧٤٣.

(٥) في الكشاف ٤/٢٨٧.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٦٩٧)، وابن أبي شيبة (٣٦١٣).

قال الحَوْفي: وردَّ هذا القولَ جماعةٌ[(١)] وقالوا: لو كان كذا لكان «لإيلاف» بعضَ سورة «ألم ترَ» وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما، ما يدلُّ على غير ما قال ـ يعني الأخفش ـ وكان آخرُ السورةِ غيرَ تمام.

وقال الأخفش والكسائي والفرَّاء: تتعلَّق بـ «اعجبوا» مضمرةً، أي: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت[(٢)].

ثمَّ أمرَهم بالعبادة بَعْدُ، وأعلَمَهم أنَّ الله هو الذي أطعمهم وآمنهم لا سَفرُهم، أي: فليعبدوا الذي أطعمهم بدعوة أبيهم حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وآمنَهم بدعوتِه حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] ولا يشتغلوا بالأسفار التي إنَّما هي طلبُ كسبٍ وعرضُ دنيا[(٣)].

وقال الخليل بن أحمد: اللَّام تتعلَّق بقوله: «فليعبدوا»[(٤)]، والمعنى: لِأنْ فعلَ اللهُ بقريشٍ هذا، ومكَّنهم من إلْفِهم هذه النِّعمة[(٥)] ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمرَهم أن يعبدوه لأجلِ إيلافهم الرحلة.

قال الزمخشري[(٦)]: فإنْ قلتَ: فلِمَ دخلَتِ الفاءُ؟ قلت: لِما في الكلام من معنى الشرط؛ لأنَّ المعنى: إمَّا لا فليعبدوا لإيلافهم، على معنى: أنَّ نِعَمَ الله عليهم لا تُحصى، فإنْ لم يعبدوه لسائر نعمِه فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمةٌ ظاهرة. انتهى.

وقرأ الجمهور: «لإيلاف قريش» مصدر «آلَفَ» رباعيّاً. وابن عامر: «لإلافِ»[(٧)] على وزن فِعَال، مصدر «أَلِفَ» ثلاثيًا، يقال: أَلِفَ الرجلُ الأمرَ إلْفاً وإلافاً، وآلَفه

---

(١) منهم النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٩٣.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥٢٩ عن الأخفش والكسائي، والقول عن الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٩٣ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٦.

(٤) ينظر الكتاب ٣/ ١٢٦-١٢٧، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥.

(٦) في الكشاف ٤/ ٢٨٧، وما قبله منه.

(٧) السبعة ص٦٩٨، والتيسير ص٢٢٥.

غيرُه إياه إيلافاً[١]. وقد يأتي «آلفَ» متعدِّياً لواحد كـ «أَلِفَ» قال الشاعر:

مِنَ المُؤْلِفاتِ الرَّمْلَ أدماءُ حُرَّةٌ شعاعُ الضُّحى في متنِها[٢] يتوضَّحُ

ولم يختلفِ القُرَّاء السبعة في قراءة: «إيلافِهِم» مصدراً للرُّباعي.

ورُويَ عن أبي بكر عن عاصم أنَّه قرأ بهمزتين فيهما الثانية ساكنة[٣]. وهذا شاذٌّ، وإن كان الأصلُ أبدلوا الهمزة التي هي فاءُ الكلمة؛ لثِقَل اجتماع همزتين، ولم يُبدِلوا في نحو: يُؤْلِفُ، على جهة اللزوم؛ لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه، وهذا المرويُّ عن عاصم هو من طريق الشُّمُّوني[٤] عن الأعشى عن أبي بكر.

وروى محمد بن داود النَّقَّار عن عاصم: «إِإِيلافِهِم» بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنةٌ ناشئةٌ عن حركة الهمزة الثانية لمَّا أشبع كسرتها. والصحيحُ رجوعُ عاصم عن الهمزة الثانية، وأنَّه قرأ كالجماعة.

وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري[٥]: «لإِلْفِ قريش»، وقرأ فيما حكى ابن عطية[٦]: «إِلْفِهِم». وقال الشاعر:

زَعَمْتُمْ أنَّ إخوتَكُمْ قُريشٌ لهمْ إِلْفٌ وليسَ لَكُمْ إِلافُ[٧]

جمع بين مصدَرَي «أَلِفَ» الثلاثي.

(١) الصحاح (ألف).

(٢) في (يه) و(ع) وروح المعاني ٢٩/ ٣٤١: جيدها، وكلاهما بمعنى. والبيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ١١٩٧.

(٣) أي: «إِئْلافِهِم»، وهي في القراءات الشاذة ص١٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥. وقال: قال أبو علي: وتحقيق عاصم هاتين الهمزتين لا وجه له. قلت: وذكر ابن مجاهد في السبعة ص٦٩٨ أنه رجع عنه.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: الشمني. والشُّمُّوني: هو محمد بن حبيب أبو جعفر الكوفي، مقرئ ضابط مشهور. غاية النهاية ٢/ ١١٤.

(٥) في الكشاف ٤/ ٢٨٧.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥.

(٧) البيت لمساور بن هند، كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، والخزانة ١١/ ٤١٩.

وعن أبي جعفر، وابن عامر: «إلافِهِم»[١] على وزن فِعَال.

وعن أبي جعفر وابن كثير: «إلْفِهم»[٢] على وزن «فِعْل»، وبذلك قرأ عكرمة.

وعن أبي جعفر أيضاً: «لِيْلافِ»[٣] بياءٍ ساكنة بعد اللام، أتبعَ لمَّا أبدل الثانية ياءً حذف الأولى حذفاً على غير قياس.

وعن عكرمة: «ليألَفَ قريش». وعنه أيضاً: «لِيَألَفْ قريش» على الأمر. وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام الأمر[٤].

وأجمعوا هنا على صرف قريشٍ، راعَوا فيه معنى الحيِّ، ويجوز مَنْعُ صرفِه ملحوظاً فيه معنى القبيلة؛ للتأنيث والعلَمية، قال الشاعر:

غلبَ المساميحَ الوليدُ سماحةً[٥] وكفى قريشَ المُعضِلاتِ وِسادَها[٦]

جعله اسماً للقبيلة. وقال سيبويه في نحو: مَعَدٌّ وقُريشٍ وثَقيفٍ، وكينونة هذه للأحياء أكثر، وإن جعلتَها اسماً للقبائل فجائز حسن[٧].

وقرأ الجمهور: «رِحلة» بكسر الراء. وأبو السَّمَّال بضمِّها[٨]، فبالكسر مصدر،

---

(١) القراءة عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٤٠٣، وعن ابن عامر في زاد المسير ٩/ ٢٤١، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥ عن أبي جعفر. وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠٠ عن ابن كثير.

(٣) النشر ٢/ ٤٠٣.

(٤) أي: «لَيَألَفْ». والقراءات الثلاثة في القراءات الشاذة ص١٨٠ عن عكرمة. والقراءة الثانية أخرجها الطبري ٢٤/ ٦٤٧.

(٥) صدر البيت من (يه) وحدها.

(٦) البيت لعدي بن الرقاع، كما في الكامل للمبرد ٢/ ١٠٤٦، وشرح شواهد الكتاب للشنتمري ص٤٦٠، والخزانة ١/ ٢٠٣. وهو دون نسبة في الكتاب ٣/ ٥٠. والبيت في مدح الوليد بن عبد الملك. والمساميح؛ جمع سَمْح، على غير قياس. قاله الشنتمري.

(٧) الكتاب ٣/ ٢٥٠.

(٨) القراءات الشاذة ص١٨٠.

وبالضمِّ الجهة التي يُرحَلُ إليها[١].

والجمهور على أنَّهما رحلتان، فقيل: إلى الشام في التجارةِ ونَيْل الأرباح، ومنه قول الشاعر:

سَفَرينِ بينهما لَهُ ولغيرهِ[٢] سفرَ الشِّتاءِ ورِحلةَ الأصيافِ[٣]

وقال ابن عباس: رحلة إلى اليمن ورحلة إلى بصرى. وقال أيضاً: يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظِّل، ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أغراضهم[٤]. وقال الزمخشري: وأراد رحلتَي الشتاء والصيف، فأفرد؛ لأمن الإلباس، كقوله:

كُلوا في بعضِ بطنِكم[٥] تعِفُّوا فإنَّ زمانَكم زمَنٌ خَميصُ[٦]

انتهى. وهذا عند سيبويه[٧] لا يجوز إلَّا في الضَّرورةِ، ومِثلُه:

حمامةَ بَطْنِ الوادِيَينِ تَرنَّمي[٨]

يريد: بطْنَي الواديين. أنشده أصحابُنا على الضَّرورة.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٨٨.

(٢) هكذا في النسخ والمطبوع والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥ والكلام منه، وفي تفسير البغوي ٤/ ٥٣١: سفرين سَنَّهما لهُ ولقومِهِ.

(٣) نُسب هذا البيت لعبد الله بن الزبعرى كما في الحماسة البصرية ١/ ١٥٥-١٥٦، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٨، وأنساب الأشراف ١/ ٦٧. وصدره عندهم: وهو الذي سنَّ الرحيلَ لقومِهِ. وسيأتي بنحوه قريباً ضمن أبيات لمطرود بن كعب الخزاعي.

(٤) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥.

(٥) إلى هنا من الكشاف ٤/ ٢٨٨، و(يه)، وتتمته من باقي النسخ.

(٦) لم أقف على قائله، وسلف عند تفسير الآية (١٠) من سورة النساء.

(٧) في الكتاب ١/ ٢٠٩.

(٨) صدر بيت لمجنون ليلى، وهو في ديوانه ص١٤٨، وعجزه: سقاكِ من الغُرِّ العذاب مطيرُها. وسلف عند تفسير الآية (٤) من سورة التحريم.

وقال النقَّاش: كانت لهم أربعُ رِحَل. قال ابن عطية: وهذا قول مردود[١]. انتهى. ولا ينبغي أن يُرَدَّ، فإنَّ أصحابَ الإيلاف كانوا أربعةَ إخوة؛ وهم بنو عبد مناف: هاشم كان يُؤلِفُ مَلِكَ الشام، أخذ منه حبلاً[٢]، فأمِنَ به في تجارته إلى الشام. وعبد شمس يُؤلِفُ إلى الحبشة. والمُطَّلب إلى اليمن. ونوفل إلى فارس، فكان هؤلاء يُسمَّون المُجيرين، فيختلف تَجْرُ قريشٍ إلى الأمصار بحبل هؤلاء الإخوة فلا يُتعرَّضُ لهم.

قال الأزهريُّ: الإيلاف: شِبْهُ الإجارة بالخَفَارة[٣]. فإذا كان كذلك جازَ أن يكون لهم رِحَلٌ أربع، باعتبار هذه الأماكن التي كانت التُّجَّار في خَفارة هؤلاء الأربعة فيها. وفيهم يقول الشاعرُ يمدحهم:

يا أيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلَّا نزَلْتَ بآلِ عبدِ مَنافِ
الآخذونَ العهدَ مِنْ آفاقِها ... والرَّاحِلونَ لرِحْلةِ الإيلافِ
والرائشونَ وليسَ يُوجَدُ رائِشٌ ... والقائلونَ هَلُمَّ للأضيافِ
والخالِطون غنِيَّهم بفقيرِهم ... حتَّى يصيرَ فقيرُهم كالكافي[٤]

فتكون «رحلة» هنا اسم جنس يصلح للواحد ولأكثر.

و«إيلافهم» بدل من «لإيلاف قريش» أطلق المُبدَلَ منه، وقيَّدَ البدلَ بالمفعول به

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٦.

(٢) في النسخ والمطبوع: خيلاً، والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠١ والكلام منه، ومن تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٩، والقاموس واللسان (ألف). وجاء في تفسير القرطبي: حبلاً وعهداً.

(٣) لم أقف عليه في تهذيب اللغة، وإنما نقله عنه الصغاني في العباب (ألف)، والقرطبي في تفسيره ٢٢/ ٥٠١، ووقع فيهما: الإجازة، بدل: الإجارة. والخَفارة: الأمان. المعجم الوسيط (خفر).

(٤) الأبيات لمطرود الخزاعي كما في سيرة ابن هشام ١/ ١٧٨، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٨، والحماسة البصرية ١/ ١٥٥، وأنساب الأشراف ١/ ٦٨، والمنمق في أخبار قريش ١/ ٣، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٩٥.

وهو «رِحْلة»، أي: لأَنْ آلفوا رِحلة؛ تفخيماً لأمر الإيلاف، وتذكيراً بعظيم النِّعمة فيه[(١)].

﴿هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾: هو الكعبة، وتمكَّنَ هنا هذا اللفظ؛ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها[(٢)].

و«من» هنا للتعليل، أي: لأجل الجوع، كانوا قُطَّاناً ببلدٍ غير ذي زرع، عرضةً للجوع والخوف، لولا لُطفُ الله تعالى بهم، وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧].

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ فضَّلهم على العرب بكونهم يأمنون حيث ما حَلُّوا، فيُقال: هؤلاء قُطَّان بيت الله، فلا يتعرَّضُ إليهم أحدٌ وغيرُهم خائفون. وقال ابن عباس والضحَّاك: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ معناه: من الجُذام، فلا ترى بمكة مجذوماً[(٣)].

قال الزمخشريُّ[(٤)]: والتنكير في «جوع» و«خوف»؛ لشدَّتهما، يعني: أطعمهم بالرحلتين من جوعٍ شديدٍ كانوا فيه قبلَهما، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ عظيمٍ وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطُّف في بلدهم ومسايرهم.

وقرأ الجمهور: «من خوف» بإظهار النون عند الخاء. والمُسيِّبي عن نافع بإخفائها[(٥)] وكذلك مع العين نحو: مِنْ عَلي[(٦)]، وهي لغة حكاها سيبويه[(٧)]. وقال ابنُ الأسلت يخاطب قريشاً:

فقوموا فصَلُّوا ربَّكم وتمسَّحوا ... بأركانِ هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[(٨)]

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٨٨ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٦.
(٤) في الكشاف ٤/ ٢٨٨.
(٥) القراءات الشاذة ص١٨٠.
(٦) في (يه): غل.
(٧) في الكتاب ٤/ ٤٥٤.
(٨) الأخاشب: جبلا مكة؛ أبو قُبيس والأحمر، وجبلا منى.

فعندكُمُ منهُ بلاءٌ مُصَدَّقٌ غداةَ أبي يَكسومَ هادي الكتائبِ
كَتيبتُهُ بالسَّهلِ تمشي ورَجْلُهُ[١] على القاذفات[٢] في رؤوس المناقبِ[٣]
فلمَّا أتاكم نصرُ ذي العرشِ رَدَّهُمْ جنودُ المليكِ بينَ سافٍ[٤] وحاصبِ[٥]
فوَلَّوا[٦] سِراعاً هاربينَ ولم يَؤُبْ إلى أهله مِلْجيشِ[٧] غيرُ عصائبِ[٨]

(١) الرَّجل: المشاة على أرجلهم.
(٢) القاذفات: أعالي الجبال ونواحيها البعيدة.
(٣) المناقب؛ جمع منقبة: وهي الطريق في رأس الجبل. أو هي اسم طريق الطائف من مكة.
(٤) السَّافي: هو من غطَّاه السَّفى، أي: التراب.
(٥) تصحفت في (أ) والمطبوع إلى: وحاجب. والحاصب: من أصابته الحجارة.
(٦) في (أ): فلُّوا.
(٧) هكذا في النسخ وسيرة الذهبي ١/ ١٣١، وفي سيرة ابن هشام ١/ ٥٩، والبداية والنهاية ٤/ ٣٨٦: مِلْحُبشِ، أي: من الحبش.
(٨) العصائب: الجماعات.

مفردات سورة الماعون

سها عن كذا يسهو سَهْواً: لها عنه، وتركه عن غفلة(١).

الماعون؛ فاعول، من المَعْن: وهو الشيء القليل، تقول العرب: مالَهُ مَعْنةٌ، أي: شيءٌ قليل. وقاله قطرب(٢).

وقيل: أصله مَعونة، والألفُ عوضٌ من الهاء(٣)، فوَزْنُه: مَفْعُل في الأصل على وزن: مَكْرُم، فتكون الميم زائدةً، ووزنُه بعد زيادة الألف عوضاً: ما فُعْل.

وقيل: هو اسم مفعول، من أعانَ يُعينُ(٤)، جاء على زِنةِ: مَفْعول، قُلِبَ فصارت عينُه مكانَ الفاء، فصار: مَوْعُون، ثمَّ قُلِبَتِ الواوُ ألِفاً، كما قالوا في تَوْبة: تابَة، فصار: ماعون، فوزنُه على هذا مفعول.

وقال أبو عبيدة والزجَّاج والمبرِّد: الماعون في الجاهلية: كلُّ ما فيه منفعةٌ، حتى الفأسُ والدَّلْوُ والقِدْرُ والقدَّاحةُ، وكلُّ ما فيه منفعةٌ من قليلٍ أو كثير. وأنشدوا بيتَ الأعشى:

بأجْوَدَ منهُ بماعونِهِ إذا ما سماؤُهُمُ لم تَغِمْ(٥)

---

(١) ينظر تهذيب اللغة ٦/ ٣٦٦، والصحاح (سها).

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥٣٢، وتفسير القرطبي ٢٢/٥١٦، والمثل بتمامه: ما لَهُ سَعْنَةٌ ولا مَعْنَة، وهو في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٧١، والمستقصى للزمخشري ٢/ ٣٣١. قال الميداني: قال ابن الأعرابي: السَّعْنة: الكثرة من الطعام وغيره. والمَعْنة: القلَّة من الطعام وغيره، ومعنى المثل: ما له قليل ولا كثير.

(٣) الصحاح (معن).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٧٢.

(٥) ديوان الأعشى ص٨٩.

وقالوا: المُراد به في الإسلام الطاعة[1]. وتأتي أقوال أهل التفسير فيه إن شاء الله تعالى.

* * *

سورة الماعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

هذه السورة مكيةٌ في قول الجمهور. مدنيةٌ في قول ابن عباس وقتادة. قال هبة الله المُفسِّر الضرير: نزل نِصْفُها بمكة في العاص بن وائل، ونصفُها بالمدينة في عبد الله بن أُبيٍّ المنافق[2].

ولمَّا عدَّدَ تعالى نِعَمَه على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء أَتْبَعَ امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه.

ونزلت في أبي جهل، أو الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل، أو عَمرو بن عائذ، أو رجلين من المنافقين، أو أبي سفيان بن حرب، كان ينحر في كلِّ أسبوع جَزوراً، فأتاه يتيمٌ فسأله شيئاً، فقرَعَه بعصاً. أقوالٌ آخِرُها لابن جُريج[3].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٥. وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٣٦٨. وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣١٣.

(٢) زاد المسير ٩/ ٢٤٣. وهبة الله المفسِّر: هو ابن سلامة البغدادي، توفي سنة (٤١٠هـ). وتنظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠. وقوله هذا في كتابه الناسخ والمنسوخ ص١٠٣-١٠٤.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٠. وتنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٥٩، والنكت والعيون ٦/ ٣٥٠، وأسباب النزول للواحدي ص٥٠٢، وتفسير البغوي ٤/ ٥٣١، وزاد المسير ٩/ ٢٤٣-٢٤٤.

والظاهر أنَّ «أرأيتَ» هي التي بمعنى: أخبِرْني، فتتعدَّى لاثنين، أحدهما «الذي»، والآخَر محذوف، فقدَّره الحَوْفي: أليسَ مُستَحِقًّا عذابَ الله. وقدَّره الزمخشريُّ[١]: مَنْ هو. ويدلُّ على أنَّها بمعنى: أخبِرْني، قراءةُ عبد الله: «أرأيتَكَ»[٢] بكاف الخطاب؛ لأنَّ كافَ الخطاب لا تلحق البصرية. قال الحَوْفي: ويجوز أن تكون من رؤية البصر، فلا يكون في الكلام حذفٌ.

وهمزة الاستفهام تدلُّ على التقرير والتَّنبيه[٣]؛ ليتذكَّر السامعُ مَنْ يعرفُه بهذه الصفة. والدِّين: الجزاء بالثواب والعقاب[٤].

وقال الزمخشريُّ[٥]: والمعنى: هَلْ عرفتَ الذي يُكذِّب بالجزاء من هو؟ إنْ لم تعرِفْه فذلك الذي يُكذِّب بالجزاء هو الذي ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعُه دفعاً عنيفاً بجَفوةٍ أو أذًى ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أي: لا يبعَثُ أهلَه على بذل طعام المسكين، جعل علمَ التَّكذيب بالجزاء منعَ المعروف، والإقدامَ على إيذاء الضعيف. انتهى.

وقرأ الجمهور: «يَدُعُّ» بضمِّ الدال وشدِّ العين. وعليٌّ، والحسن، وأبو رجاء، واليماني بفتح الدال وخفِّ العين[٦]، أي: يتركه، بمعنى: لا يُحسِن إليه ويَجْفُوه[٧].

وقرأ الجمهور: «ولا يحُضُّ» مضارع حَضَّ. وزيد بن علي: «يحاضُّ» مضارع حاضَضْتُ.

قال ابن عباس: «بالدِّين»: بحكم الله. وقال مجاهد: بالحساب. وقيل: بالجزاء. وقيل: بالقرآن[٨].

---

(١) في الكشاف ٤/ ٢٨٩.
(٢) وهي في القراءات الشاذة ص١٨١.
(٣) في (أ) والمطبوع: والتفهيم.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٧.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٨٩.
(٦) أي: «يَدَعُ»، وهي في القراءات الشاذة ص١٨١، والمحتسب ٢/ ٣٨٤.
(٧) الكشاف ٤/ ٢٨٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٧.
(٨) زاد المسير ٩/ ٢٤٤، وهي ـ دون القول الأخير ـ في النكت والعيون ٦/ ٣٥٠.

وقال إبراهيم بن عرفة: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾: يدفعُه عن حقِّه[١]. وقال مجاهد: يدفعُه عن حقِّه ولا يُطعمه[٢].

وفي قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه هو لا يطعم إذا قَدِر، وهذا من باب الأولى؛ لأنَّه إذا لم يحُضَّ غيرَه بخلاً، فلأَنْ يتركَ هو ذلك فعلاً أولى وأحرى. وفي إضافة «طعام» إلى «المسكين» دليلٌ على أنَّه يستحقه[٣].

ولمَّا ذكر أولاً عمود الكفر وهو التكذيب بالدِّين ذكر ما يترتَّب على التكذيب من الإيذاء والمنع من التنفُّع، وذلك ممَّا يتعلَّق بالمخلوق، ثمَّ ذكر ما يترتَّب عليه ممَّا يتعلَّق بالخالق، وهو عبادته بالصلاة، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾.

والظَّاهر أنَّ المُصلِّين هم غير المذكور. وقيل: هو داعُّ اليتيم غيرُ الحاضِّ، وأنَّ كُلًّا من الأوصاف الذميمة ناشئٌ عن التكذيب بالدِّين، فالمصلُّون هنا ـ والله أعلم ـ هم المنافقون، أثبتَ لهم الصلاة وهي الهيئات التي يفعلونها، ثمَّ قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ نظراً إلى أنَّهم لا يُوقِعونها كما يُوقِعها المسلم؛ من اعتقاد وجوبها، والتقرُّب بها إلى الله تعالى[٤].

وفي الحديث: «﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يؤخِّرونها عن وقتها تهاوناً بها» قال مجاهد: تأخير تركٍ وإهمال[٥]. وقال إبراهيم: هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٤٦١.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٧٥.

(٣) تفسير الرازي ٣٢/ ١١٣.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٢/ ١١٢-١١٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٧، والحديث أخرجه البزار ـ كما في كشف الأستار (٣٩٢) ـ وأبو يعلى (٨٢٢)، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٧٧، وابن المنذر في الأوسط ٢/ ٣٨٧ والثعلبي في تفسيره ٦/ ٥٥٩-٥٦٠ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعاً. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٦٠ عنه موقوفاً. وليس في مصادر التخريج قوله: تهاوناً بها. قال البزار: لا نعلم أحداً أسنده إلا عكرمة ـ يعني ابن إبراهيم ـ وهو لين الحديث، وقد رواه الثقات عن سعد موقوفاً. وقال العقيلي: الموقوف أولى.

ملتفتاً[١]. وقال قتادة: هو التركُ لها، أو هم الغافلون الذين لا يُبالي أحدُهم أصلَّى أم لـم يُصَلِّ[٢]. وقال قُطرب: هو الذي لا يُقِرُّ ولا يذكرُ الله تعالى[٣]. وقال ابن عباس: المنافقون يتركون الصلاة سِرًّا ويفعلونها علانيةً ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ الآية [النساء: ١٤٢]. ويدلُّ على أنَّها في المنافقين قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝﴾. وقاله ابن وهب عن مالك[٤]. قال ابن عباس: ولو قال: في صلاتهم، لكانت في المؤمنين[٥]. وقال عطاء: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: في صلاتهم[٦].

وقال الزمخشري بعد أن قدَّم فيما نقلناه من كلامه ما يدلُّ على أن «فذلك الذي يدُعُّ» في موضع رفع، قال: وطريقةٌ أخرى: أن يكون «فذلِك»، عطفاً على «الذي يُكَذِّب» إمَّا عطف ذات على ذات، أو عطف صفة على صفة، ويكون جوابُ «أرأيتَ» محذوفاً؛ لدلالة ما بعده عليه، كأنَّه قال: أخبِرني، وما تقول فيمن يُكذِّب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنِعْمَ ما يصنع؟ ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝﴾ أي: إذا علم أنَّه مسيءٌ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝﴾ على معنى: فويلٌ لهم، إلَّا أنَّه وضعَ صفتَهم موضع ضميرهم؛ لأنَّهم كانوا مع التكذيب وما أُضيفَ إليهم ساهين عن الصلاة، مُرائين، غيرَ مُزَكِّينَ أموالهم. فإن قلت: كيفَ جعلتَ «المُصلِّين» قائماً مقام ضمير «الذي يُكذِّب» وهو واحد؟ قلت: معناه الجمع؛ لأنَّ المراد به الجنس[٧]. انتهى.

فجعل «فذلِكَ» في موضع نصب عطفاً على المفعول، وهو تركيبٌ غريبٌ،

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١١.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٧.
(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥١١.
(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٧٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٢. وقول ابن عباس في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٠، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٦١-٦٦٢.
(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ١١٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٢.
(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٢. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٦٤.
(٧) الكشاف ٤/ ٢٨٩.

كقولك: أكرمتُ الذي يزورنا، فذلك الذي يُحسِنُ إلينا، فالمتبادر إلى الذِّهن أنَّ «فذلِكَ» مرفوعٌ بالابتداء، وعلى تقدير النصب يكون التقدير: أكرمتُ الذي يزورُنا، فأكرمتُ ذلك الذي يُحسِنُ إلينا. فاسمُ الإشارة في هذا التقدير غيرُ مُتَمكِّنٍ تمكُّنَ ما هو فصيحٌ؛ إذ لا حاجةَ إلى أن يُشار إلى الذي يزورُنا، بل الفصيحُ: أكرمتُ الذي يزورُنا، فالذي يُحسِنُ إلينا. أو: أكرمتُ الذي يزورُنا[1] فيُحسِنُ إلينا.

وأمَّا قوله: إمَّا عطف ذات على ذات، فلا يصِحُّ؛ لأنَّ «فذلِكَ» إشارةٌ إلى «الذي يُكذِّب»، فليسا بذاتين؛ لأنَّ المشارَ إليه بقوله: «فذلِكَ» هو واحد. وأمَّا قوله: ويكون جوابُ «أرأيتَ» محذوفاً، فلا يُسمَّى جواباً، بل هو في موضع المفعول الثاني لـ «أرأيتَ».

وأمَّا قوله: أنِعْمَ ما يصنع؟ فهمزةُ الاستفهام لا نعلم دخولها على نِعْمَ ولا بِئْسَ؛ لأنَّهما إنشاءٌ، والاستفهام لا يدخل إلَّا على الخبر. وأمَّا وَضْعُه «المُصَلِّين» موضعَ الضمير، وأنَّ «المُصَلِّين» جمع؛ لأنَّ ضمير «الذي يُكذِّب» معناه الجمع، فتكلُّفٌ واضح، ولا ينبغي أن يُحمَلَ القرآنُ إلَّا على ما اقتضاه ظاهرُ التركيب، وهكذا عادة هذا الرجل يتكلَّفُ أشياءَ في فهم القرآن ليست بواضحة.

وتقدَّم الكلام في الرياء في سورة البقرة[2].

وقرأ الجمهور: «يراؤون» مضارع «راءى» على وزن فاعَل. وابنُ أبي إسحاق والأشهب مهموزة مقصورة مشدَّدة الهمزة[3]. وعن ابن أبي إسحاق بغير شدٍّ في الهمزة[4]. فتوجيه الأولى إلى أنَّه ضعَّفَ الهمزةَ تعديةً، كما عَدَّوا بالهمزة فقالوا في رأى: أرى، فقالوا: راءى، فجاء المضارع «يرأى» كـ «يصلى»، وجاء الجمع «يُرَؤُّون» كـ «يُصَلُّون». وتوجيه الثانية أنَّه استثقل التضعيف في الهمزة فخفَّفها، أو حذف الألف من «يراؤون» حذفاً لا لسبب.

(١) من قوله: بل الفصيح... إلى هنا ليس في (يه).
(٢) في تفسير الآية (٢٦٤) منها.
(٣) أي: «يُرَؤُّونَ».
(٤) أي: «يُرَؤُون»، وهي وما قبلها في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٧.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال ابن المسيب وابن شهاب: الماعون بلغة قريش: المال[(١)]. وقال الفرَّاء عن بعض العرب: الماعون: الماء[(٢)]. وقال ابن مسعود وابن عباس وابن الحنفية والحسن والضحاك وابن زيد: ما يتعاطاه الناس بينهم، كالفأس والدَّلو والآنية والمِقَصّ[(٣)]. وفي الحديث: سُئِلَ ﷺ عن الشيء الذي لا يحِلُّ منعه، فقال: «الماء والملح والنار»[(٤)]. وفي بعض الطرق: «الإبرة والخمير»[(٥)]. وقال عليٌّ وابن عمر وابن عباس أيضاً: الماعون: الزكاة[(٦)]. ومنه قول الراعي:

أَخليفةَ الرحمنِ إنَّا معشرٌ حُنفاءُ نسجدُ بُكرةً وأصيلا
عَرَبٌ نَرى للهِ مِنْ أموالِنا حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلا
قومٌ على الإسلام لمَّا يمنعوا ماعونَهم ويُضَيِّعوا التَّهليلا[(٧)]

يعني بالماعون الزكاة، وهذا القول يناسبه ما ذكره قُطْرُب من أنَّ أصلَه من المَعْن: وهو الشيء القليل، فسُمِّيتِ الزكاة ماعوناً؛ لأنَّها قليلٌ من كثير، وكذلك

---

(١) أخرجه عنهما الطبري ٢٤/٦٧٨، وهو النكت والعيون ٦/٣٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/٥١٥، وهو في أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٧٢ عن الزهري، وفي المحرر الوجيز ٥/٥٢٨ عن ابن المسيب.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٩٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٥٢٨. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٧١-٦٧٥ عن ابن مسعود، و٢٤/ ٦٧٥-٦٧٧ عن ابن عباس.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٤)، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٥٦١ من حديث عائشة ﵂، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٥٢٨، ولم أجد من أخرجه.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز ٥/٥٢٨. وأخرجه الطبري ٢٤/٦٦٨-٦٧٠ عن علي وابن عمر.

(٧) الأبيات في ديوان الراعي ص٢٢٩-٢٣٠، والنكت والعيون ٦/ ٣٥٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٥.

الصدقة غيرها. وقال ابن عباس: هو العارية[١]. وقال محمد بن كعب والكلبي: هو المعروفُ كلُّه[٢]. وقال عبد الله بن عمرو: منع الحق[٣]. وقيل: الماء والكلأ[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٥. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٧٥ و٦٧٦.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥٣٢. وهو في النكت والعيون ٦/ ٣٥٣، وزاد المسير ٩/ ٢٤٦ عن محمد بن كعب. وأخرجه عنه الطبري ٢٤/ ٦٧٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٥٣.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٧٣.

مفردات سورة الكوثر

انحَرْ: أمر من النَّحْر، وهو ضَرْبُ النَّحْر للإبل بما يُفيتُ الرُّوحَ من مُحَدَّدٍ.

الأبتر: الذي لا عَقِبَ له. والبَتْرُ: القَطْعُ، بَتَرْت الشيءَ: قَطَعْته. وبَتِرَ بالكسر فهو أبتر: انقطع ذَنَبُه. وخطبَ زيادٌ خُطبتَه البَتْراء؛ لأنَّه لم يحمَدْ فيها اللهَ تعالى، ولا صلَّى على رسوله ﷺ. ورجُلٌ أُباتِر بضمِّ الهمزة: الذي يقطع رَحِمَه. ومنه قول الشاعر:

لئيمٌ نَزَتْ في أنفِهِ خُنْزُوانَةٌ ... على قَطْعِ ذي القُربى أحَذُّ أُباتِرُ[1]

والبُتْرِيَّة: قومٌ من الزَّيدية، نُسِبوا إلى المغيرة بن سعد، ولقبه الأبتر[2].

* * *

(١) لم أقف على قائله، وهو في الصحاح (بتر)، وأساس البلاغة (خنز). والخُنْزوانة: الكِبْر. والأحَذُّ: السريعُ القطع.

(٢) كذا ذكر الجوهري في الصحاح (بتر) والكلام بتمامه منه، ونقله عنه القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٥٣١، والصواب أنَّ الأبتر هو لقب كثير النَّوَّاء، وإليه ينسب البترية، وهي طائفة تزعم أنَّ عليًّا أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالبيعة، وأنَّ بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ؛ لأنَّ عليًّا ترك ذلك لهما، ويقِفون في عثمان ﷺ وأمرِه وحالِه، ويُسمَّون أيضاً الصالحية؛ لأنَّهم يُنسبون إلى الحسن بن صالح بن حيٍّ الفقيه.
أمَّا المغيرة بن سعد ـ ويقال: ابن سعيد ـ فأتباعه يُسمَّون المُغيريَّة، وذكر ذلك ابن الأثير في الكامل ٥/ ٢٠٧ في حوادث سنة (١١٩) أنَّ المغيرة هذا كان ساحراً، وكان يقول: لو أردتُ أن أُحيي عاداً وثمود وقروناً بين ذلك لفعلتُ. ولمَّا بلغ خبرُه خالدَ بن عبد الله القَسري أحرقه. ينظر مقالات الإسلاميين ١/ ٦٩ و١٤٤، والفرق بين الفرق ص٢٤، والملل والنحل ص١٦١ و١٧٦، والأنساب ٢/ ٧٤، ومنهاج السنة النبوية ٢/ ٥٠٣ و٣/ ١١.

سورة الكوثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

هذه السورة مكية في المشهور، وقول الجمهور مدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة(١).

ولمَّا ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخلِ وتركِ الصلاةِ والرياءِ ومنعِ الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، والسَّهوَ في الصلاة بقوله: ﴿فَصَلِّ﴾، والرِّياءَ بقوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾، ومنعَ الزَّكاة بقوله: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ أراد به التصدُّقَ بلحم الأضاحي، فقابلَ أربعاً بأربع.

ونزلت في العاص بن وائل، كان يُسمِّي الرسولَ ﷺ بالأبتر، وكان يقول: دعوه إنَّما هو رجلٌ أبترُ لا عَقِبَ له، لو هلَكَ انقطعَ ذِكْرُه واسترحتُم منه(٢).

وقرأ الجمهور: «أعطيناك» بالعين. والحسن وطلحة وابن مُحَيْصِن والزَّعفراني: «أنْطَيناكَ» بالنون، وهي قراءة مرويَّةٌ عن رسول الله ﷺ(٣). قال التبريزي: هي لغة للعرب العاربة من أُولى قريش. ومِنْ كلامه ﷺ «اليدُ العُليا المُنْطية، واليدُ السُّفلى المُنْطاة»(٤)،

---

(١) زاد المسير ٩/ ٢٤٧.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (١٣٨)، والواحدي في أسباب النزول ص٥٠٣-٥٠٤.

(٣) القراءات الشاذة ص١٨١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٣. والقراءة عن النبي ﷺ أخرجها الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ (٨٦٢)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف ٤/ ٢٠٤١، والحاكم ٢/ ٢٥٦ عن أمِّ سلمة رضي الله عنها مرفوعاً. وفي إسناده عمرو بن عبيد، وهو واهٍ كما قال الذهبي في تعقُّبه على الحاكم، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٨. وتحرفت «أنطيناك» في مطبوع الحاكم إلى: أعطيناك، وقد عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٤/ ٣٠٣ للحاكم، وذكره على الجادة.

(٤) قطعة من حديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٥٥)، وابن سعد ٧/ ٤٣٠، والحاكم ٤/ ٣٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٩٨ عن عطية السعدي رضي الله عنه.

ومن كلامه أيضاً عليه الصلاة والسلام: «وأَنْطُوا الثَّبْجة»(١).

وقال الأعشى:

جِيادُكَ خيرُ جِيادِ الملوكِ تُصانُ الجِلالَ وتُنْطى الشَّعيرا(٢)

قال أبو الفضل الرازي وأبو زكريا التبريزي: أبدل من العين نوناً، فإنْ عَنَيا النُّون(٣) في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن، وإنْ عَنَيا البدلَ الصِّناعي فليس كذلك، بل كلٌّ واحدٍ من اللغتين أصلٌ بنفسها؛ لوجود تمام التصرُّف من كلِّ واحدةٍ، فلا يقول: الأصلُ العَين، ثمَّ أُبدِلَتِ النُّونُ منها.

وذكر في «التحرير» في الكوثر سِتةً وعشرين قولاً، والصحيح هو ما فسَّره به رسولُ الله ﷺ فقال: «هو نهرٌ في الجنة، حافَتاه من ذهبٍ، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت، تُربَتُه أطيَبُ من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيضُ من الثلج» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٤). وفي «صحيح مسلم» واقتطعنا منه، قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «نهرٌ وعَدَنِيه ربِّي، عليه خيرٌ كثير، هو حوضٌ تَرِدُ عليه أمَّتي يوم القيامة، آنيتُه عددَ النُّجوم»(٥). انتهى. قال ذلك عليه الصلاة والسلام عندما نزلت هذه السورة وقرأها.

وقال ابن عباس: الكوثر: الخير الكثير. وقيل لابن جُبير: إنَّ ناساً يقولون: هو نهرٌ في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير(٦). وقال الحسن: الكوثر: القرآن. وقال

(١) قطعة من حديث وائل بن حجر ﷺ في كتاب النبي ﷺ إلى الأقيال، أخرجه الخطابي في غريب الحديث ١/ ٢٨١، وذكره القاضي عياض في الشفا ١/ ١٧٢، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩٠. والثَّبْجة: الوسط في الصدقة. النهاية (ثبج).

(٢) هكذا ورد البيت في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٩، وهو في ديوان الأعشى ص١٤٩ برواية: وتُعطى، بدل: وتُنطى. ورواية صدره: جيادُك في الصيفِ في نعمةٍ.

(٣) جاء عوضاً عن هذه العبارة في (يه): قال: فإن عين البدل الصناعي أنَّ النون.

(٤) سنن الترمذي (٣٣٦١) من حديث ابن عمر ﷺ. وأخرجه - أيضاً - أحمد (٥٩١٣)، وابن ماجه (٤٣٣٤).

(٥) صحيح مسلم (٤٠٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه أحمد (١١٩٩٦).

(٦) أخرجه عنهما البخاري (٤٩٦٦)، والطبري ٢٤/ ٦٨٢-٦٨٤.

أبو بكر بن عياش ويمان بن رِئاب: كثرة الأصحاب والأتباع(١). وقال هلال بن يَساف: هو التوحيد. وقال جعفر الصادق: نُورُ قلبِه دَلَّه على الله تعالى وقَطَعه عمَّا سواه(٢). وقال عكرمة: النبوَّة(٣). وقال الحسين(٤) بن الفضل: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع. وقال ابن كيسان: الإيثار(٥). وينبغي حَمْلُ هذه الأقوال على التمثيل لا أنَّ الكوثر منحصرٌ في واحدٍ منها.

والكوثر فَوْعَل من الكثرة وهو المُفرِط الكَثْرة. قيل لأعرابيةٍ رجَعَ ابنُها من السَّفر: بِمَ آبَ ابنُكِ؟ قالت: آبَ بكَوْثَر. وقال الشاعر:

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مروانَ طَيِّبٌ وكانَ أبوكَ ابنَ العَقائلِ كَوْثرا(٦)

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ الظاهرُ أنَّ «فصَلِّ» أمرٌ بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل. والنَّحر: نحر الهَدْي والنُّسُك والضحايا. قاله الجمهور، ولم يكن في ذلك الوقت جهادٌ فأُمِرَ بهذين. قال أنس: كان [رسول الله ﷺ] ينحر يوم الأضحى قبل الصلاة، فأُمِرَ أن يُصلِّي وينحر(٧). وقاله قتادة. وقال ابن جُبير: نزلت وقتَ صُلْحِ الحُديبية، قيل له: صَلِّ وانحَرِ الهديَ. فعلى هذا الآية من المدني. وفي قوله: «لربِّكَ» تنديدٌ بالكفَّار، حيث كانت صلاتُهم مُكاءً وتصديةً، ونَحرُهم للأصنام(٨).

(١) في بعض النسخ والمصادر: والأشياع، والقولان في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٩، والنكت والعيون ٦/ ٣٥٤-٣٥٥، وزاد المسير ٩/ ٢٤٩.
(٢) القولان في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٩.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٥، والنكت والعيون ٦/ ٣٥٤، وزاد المسير ٩/ ٢٤٩. وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٤٢٦)، وهناد في الزهد (١٤٢)، والطبري ٤/ ٦٨٤.
(٤) في النسخ سوى (ع): الحسن، والمثبت من تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٥، وتفسير الطبري ٢٢/ ٥٢١، والقول فيهما.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٥، والنكت والعيون ٦/ ٣٥٥.
(٦) البيت للكميت، وهو في ديوانه ص١٧٧، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٨، والصحاح (كثر). والكلام من الكشاف ٤/ ٢٩٠.
(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٩٣.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٩-٥٣٠ مع تقديم وتأخير، وما بين حاصرتين منه ومن تفسير الطبري.

وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه: صَلِّ لربِّكَ، وضَعْ يمينَك على شمالِك عند نَحْرِك في الصلاة[١].

وقيل: ارفع يدَيك في استفتاح صلاتِكَ عند نَحْرِك[٢]. وعن عطية وعكرمة: هي صلاة الفجر بجَمْعٍ، والنَّحرُ بمنى[٣]. وقال الضحَّاك: استَوِ بين السَّجدتين جالساً حتى يبدوَ نَحْرُك[٤]. وقال أبو الأحوص: استقبلِ القبلةَ بِنَحْرِك[٥].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مُبْغِضُكَ[٦]. تقدَّم أنَّه العاص بن وائل. وقيل: أبو جهل؛ قال ابن عباس: لمَّا مات إبراهيم ابنُ رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال: بُتِرَ محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٧] وقال شِمْر بن عطية: هو عقبة بن أبي مُعَيط[٨].

وقال قتادة: الأبتر هنا: يُرادُ به الحقير الذليل[٩].

وقرأ الجمهور: «شانِئَك» بالألف. وابن عباس: «شَنِيكَ» بغير ألف. فقيل: مقصورٌ من: شاني، كما قالوا: بَرِرٌ وبَرٌّ، في: بارِرٌ وبارٌّ. ويجوز أن يكون بناءَ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٠. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤٠١، والطبري ٢٤/ ٦٩٠-٦٩١، والدارقطني (١٠٩٩).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٠. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٥، عن سليمان التيمي، وفي النكت والعيون ٦/ ٣٥٥ عن علي ﷺ. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٩٢ عن أبي جعفر.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥٣٤، وفيه: عطاء، بدل: عطية. وأخرجه عن عطاء عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤٠١-٤٠٢، والطبري ٢٤/ ٦٩٤. وعن عكرمة الطبريُّ ٢٤/ ٦٩٣.

(٤) هو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٥ عن عطاء.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٥٥.

(٦) الوسيط ٤/ ٥٦٣، وتفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٨، والنكت والعيون ٦/ ٣٥٥ ونسبه لابن شجرة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٠.

(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦٨، وزاد المسير ٩/ ٢٥٠. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٩٩.

(٩) النكت والعيون ٦/ ٣٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٠. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤٠٢، والطبري ٢٤/ ٦٩٨.

على فَعِل، وهو مضافٌ للمفعول إن كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وإن كان بمعنى الماضي فتكون من إضافتِه لا من نصبٍ على مذهب البصريين، وقد قالوا: حَذِرٌ أموراً[١]، ومَزِقُونَ عِرْضي[٢]، فلا يُستوحَشُ من كونه مضافاً للمفعول وهو مبتدأ، والأحسَنُ الأعرَفُ في المعنى أن يكون فصلاً، أي: هو المنفردُ بالبترِ المخصوصُ به، لا رسول الله ﷺ، فمثْلُ هذا الوصف لشانِئه المَنْسيّ ذِكْرُه وإن كان ذُكِرَ بياء الغَيبة، وأمَّا رسول الله ﷺ فجميع المؤمنين أولاده، وذِكْرُه مرفوعٌ على المنائر والمنابر[٣]، ومسرودٌ على لسان كلّ عالِمٍ وذاكِرٍ إلى آخر الدهر، يُبدَأ بذكر الله تعالى، ويُثنّى بذِكْرِه ﷺ، وله في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف[٤].

وقال بعض العلماء: سورة الكوثر أقصر سورة، وتضمَّنت على المعاني البديعة ما أقربه أن يكون معجزةً، وذلك أنواع:

أحدها: أنَّ قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ①﴾ يدلُّ على أنَّها عطيةٌ كثيرة من مُعْطٍ كبير.

الثاني: إسناد ذلك إلى ضمير المتكلِّم الذي يُستعمل للجمع.

الثالث: تقديم الاسم على الفعل، وبناؤه الفعل عليه يدلُّ على الخصوصية.

---

(١) البيت بتمامه:

حَذِرٌ أموراً لا تضيرُ وآمِنٌ ... ما ليس مُنْجِيَهُ من الأقدارِ

وسلف عند تفسير الآية (٦٤) من سورة التوبة.

(٢) البيت بتمامه:

أتاني أنَّهُمْ مَزِقونَ عِرْضي ... جِحاشُ الكِرْمِلَيْنِ لها فَديدُ

وقائله زيد الخيل الطائي، وهو في ديوانه ص٤٢، وخزانة الأدب ٨/ ١٦٩، ومعجم البلدان ٤/ ٤٥٦. قال صاحب الخزانة ٨/ ١٧١: الكِرْمِلَيْن: اسم ماء في جبل طيِّئ. والفَديد: الصوت. يريد أنَّهم عندي بمنزلة الجحاش التي تنهق عند ذلك الماء، فلا أعبأ بهم. وتخصيص الجحاش مبالغة في التحقير.

(٣) في (يه) و(ع): المنابر والمناور.

(٤) ما بعده من (يه) وحدها، وهو في الدر المصون ١١/ ١٢٨-١٢٩.

الرابع: تأكيده بحرف التوكيد وهو «إنَّ»، وهي تُشعِرُ بالقسَم.

الخامس: إيرادُ الفعل بصيغة الماضي دلالةٌ على أنَّ المُتوقَّعَ من الكريم بمنزلة الواقع.

السادس: مجيئُه بالكوثر محذوف الموصوف؛ لأنَّ في المحذوف من فرط الإبهام والشِّياع ما ليس في المثبت.

السابع: اختيار الصفة الدالَّة على الكثرة.

الثامن: مجيء الصِّفة مُعرَّفة بلام الجنس الدالَّة على الاستغراق.

التاسع: فاء التَّعقيب الدالَّة على معنى التَّسبُّب؛ إذ الإنعام سبب الشكر والعبادة.

العاشر: التعريض بمن كانت عبادتُه ونحرُه لغير الله.

الحادي عشر: أنَّ الأمر بالصلاة إشارةٌ إلى الأعمال البدنيَّة التي الصلاةُ قِوامُها وأفضلُها، والأمر بالنَّحر إشارةٌ إلى الأعمال التي النَّحرُ أسناها.

الثاني عشر: حذف اللَّام الأخرى؛ لدلالة الأولى عليها هو في قوله: وانحَرْ له.

الثالث عشر: مُراعاة السَّجْع الذي هو من صناعة البديع المطبوع العاري عن التكلُّف.

الرابع عشر: الالتفات من ضمير المتكلِّم المُعَظِّم نفسَه إلى الاسم الظاهر في قوله: «لربِّك»، ولم يقُلْ: لنا.

الخامس عشر: قوله: «لربِّك» فيه إظهارٌ لشأن الربوبيَّة وعزَّة السلطان، وأنَّه الذي يُلتَمَسُ الإنعامُ منه، وهو السيدُ الناظرُ في مصالح عبده.

السادس عشر: تعليل الأمر بترك الاهتبال[1] لشأنه على سبيل الاستئناف،

(١) الاهتبال: الحزن. المعجم الوسيط (هبل).

وجعلِه خاتمةً للإعراض عن الشانئ وهو العاص بن وائل، ولم يُسمِّ هذا الشانئ الذي نزلت فيه ليشمل كلَّ شانئ ممَّن هو في مثل حاله.

السابع عشر: التنبيه على أنَّه ليس من التأثير من شيء غير ما هو عليه من البغضاء التي نشأت عن الحسد والغيظ.

الثامن عشر: تأكيد مضمون الجملة بـ «إنَّ» الدالَّة على القَسَم.

التاسع عشر: الإتيان بـ «هو» المُشعِر بالاختصاص.

العشرون: المجيء في الأمر، وهي تُشعِرُ بالاختصاص.

الحادي والعشرون: الإتيان بصيغة «أَفْعَل» الدالَّة على التَّناهي في هذه الصفة[1].

الثاني والعشرون: إقباله تعالى على رسوله بالخطاب في قوله: «أعطيناك» و«لربِّك» و«شانِئك».

---

(١) قوله: «هذه الصفة» أثبت من الدر المصون ١١/ ١٢٩.

سورة الكافرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

هذه السورة مكية في قول الجمهور. ورُوي عن قتادة أنَّها مدنية[1].

وذكروا من أسباب نزولها أنَّهم قالوا له عليه الصلاة والسلام: دَعْ ما أنتَ فيه، ونحنُ نُموِّلُكَ ونُزَوِّجُكَ مَنْ شئتَ من كرائمنا، ونُملِّكُكَ علينا، وإن لم تفعَلْ هذا فلتعبُدْ آلهتَنا، ونحنُ نعبدُ إلهك حتى نشترك، فحيثُ كان الخيرُ نِلْناه جميعاً. ولمّا كان أكثرُ شانئِه قريشاً وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سَنة ويعبدوا إلهه سنة، أنزل الله تعالى هذه السورة تبرِّياً منهم، وإخباراً لا شَكَّ فيه أنَّ ذلك لا يكون[2].

وفي قوله «قُلْ» دليلٌ على أنَّه مأمورٌ بذلك من عند الله[3]، وخطابُه لهم بـ «يا أيها الكافرون» في ناديهم ومكانِ بَسْطَةِ أيديهم مع ما في هذا الوصف من الإرذال بهم دليلٌ على أنَّه محروسٌ من عند الله تعالى لا يُبالي بهم[4]. والكافرون ناسٌ مخصوصون[5]، وهم الذين قالوا له تلك المقالة؛ الوليد بن المغيرة، والعاص بن

---

(١) زاد المسير ٩/ ٢٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣١.

(٣) تفسير الرازي ٣٢/ ١٣٧.

(٤) ذكره بنحوه مطولاً القرطبيُّ في تفسيره ٢٢/ ٥٣٤ عن أبي بكر بن الأنباري.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٩٢.

وائل، والأسود بن المُطَّلب، وأميةُ وأُبيٌّ ابنا خلف، وأبو جهل، وابنا الحجاج، ونُظراؤهم ممَّن لم يُسْلِم[١]، ووافى على الكفر تصديقاً للإخبار في قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾.

وللمفسِّرين في هذه الجمل أقوال؛

أحدها: أنَّها للتوكيد فقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④﴾ توكيدٌ لقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ②﴾، وقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤﴾ ثانياً تأكيدٌ لقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾ أولاً، والتوكيد في لسان العرب كثير جِدًّا، وحكَوا من ذلك نظماً ونثراً ما لا يكاد يُحصر، وفائدة هذا التوكيد قطعُ أطماع الكفار، وتحقيقُ الأخبار بموافاتهم على الكفر، وأنَّهم لا يُسلِمون أبداً[٢].

والثاني: أنَّه ليس للتوكيد، واختلفوا؛ فقال الأخفش: المعنى: لا أعبدُ الساعةَ ما تعبدون، ولا أنتم عابدون السَّنَةَ ما أعبد، ولا أنا عابدٌ في المستقبل ما عبَدْتُم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبدُ، فزال التوكيد؛ إذ قد تقيَّدَتْ كلُّ جملةٍ بزمانٍ مُغاير[٣].

وقال أبو مسلم[٤]: «ما» في الأُولَيين بمعنى الذي، والمقصود المعبود، و«ما» في الأُخْرَيين مصدرية، أي: لا أعبدُ عبادَتَكم المبنيَّة على الشكِّ وترك النَّظَر، ولا أنتم تعبدون مثلَ عبادتي المبنيَّة على اليقين[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣١.

(٢) الكلام بمعناه في تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٣٤-٥٣٥. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٥٧٠، وتفسير البغوي ٤/ ٥٣٥.

(٣) قول الأخفش ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٥٨، وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ١٣٤ بقوله: وفيه نظر، كيف يُقيِّد رسولُ الله ﷺ نفيَ عبادته لما يعبدون بزمانٍ؟! هذا لا يصح.

(٤) تحرف في (يه) إلى: أبو سلام، وأبو مسلم: هو الأصفهاني، محمد بن بحر المعتزلي. وقوله في تفسير الرازي ٣٢/ ١٤٥.

(٥) وتعقبه السمين أيضاً ١١/ ١٣٤ فقال: وفيه نظرٌ أيضاً، من حيث إنَّ التكرار إنما هو من حيث المعنى، وهذا موجودٌ كيف قدَّرتَ «ما».

وقال ابن عطية[1]: لمَّا كان قولُه: «لا أعبد» محتملاً أن يُرادَ به الآن، ويبقى المستأنَفُ منتظَراً ما يكون فيه، جاء البيان بقوله: «ولا أنا عابد ما عبدتم» أي: أبداً وما حَيِيتُ، ثمَّ جاء قوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد» الثاني حَتْماً عليهم أنَّهم لا يؤمنون به أبداً، كالذي كشف الغَيب، فهذا كما قيل لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]. أمَّا أنَّ هذا في مُعيَّنين وقومُ نوح عُمُّوا بذلك، فهذا معنى التَّرديد الذي في السورة، وهو بارعُ الفصاحة، وليس بتكرارٍ فقط، بل فيه ما ذكرتُه. انتهى.

وقال الزمخشري[2]: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ أُريدَتْ به العبادة فيما يُستَقبَل؛ لأنَّ «لا» لا تدخل إلَّا على مضارع في معنى الاستقبال، كما أنَّ «ما» لا تدخل إلَّا على مضارع في معنى الحال، والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه منِّي من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ أي: وما كنتُ قَطُّ عابداً فيما سلف ما عبَدْتُم فيه، يعني: لم تُعْهَدْ منِّي عبادةُ صنم في الجاهلية، فكيف تُرجى منِّي في الإسلام؟ ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ أي: وما عبَدْتُم في وقتٍ ما أنا على عبادته، فإن قلت: فهلَّا قيل: ما عَبَدْتُ، كما قيل: ما عبَدْتُم؟ قلت: لأنَّهم كانوا يعبدون الأصنام قبل البعث، وهو لم يكن يعبُدُ اللهَ تعالى في ذلك الوقت. انتهى.

أمَّا حصرُه في قوله: لأنَّ «لا» لا تدخل، وفي قوله: «ما» لا تدخل، فليس بصحيح، بل ذلك غالبٌ فيهما لا مُتحتِّم، وقد ذكر النُّحاة دخولَ «لا» على المضارع يُراد به الحال، ودخول «ما» على المضارع يُراد به الاستقبال، وذلك مذكورٌ في المبسوطات من كتب النَّحو؛ ولذلك لم يُورِدْ سيبويه ذلك بأداة الحصر، إنَّما قال: وتكون «لا» نفياً لقوله: يفعل، ولم يقع الفعل. وقال: وأمَّا «ما» فهي نفيٌ لقوله: هو يفعَلُ، إذا كان في حال الفعل[3]. فذكَرَ الغالبَ فيهما.

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣١.
(٢) في الكشاف ٤/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٣) الكتاب ٤/ ٢٢١-٢٢٢ مع تقديم وتأخير.

وأمَّا قولُه في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ أي: وما كنتُ قَطُّ عابداً فيما سلف ما عبَدْتُم فيه، فلا يستقيم؛ لأنَّ عابداً اسمُ فاعل قد عمِلَ في «ما عبَدْتُم»، فلا يُفسَّرُ بالماضي، إنَّما يُفسَّرُ بالحال أو الاستقبال، وليس مذهبُه في اسم الفاعل مذهبَ الكسائي وهشام من جواز إعمالِه ماضياً.

وأمَّا قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ أي: وما عبَدْتُم في وقتٍ ما أنا على عبادته. فـ «عابدون» قد أعمَلَه في «ما أعبد» فلا يُفسَّر بالماضي. وأمَّا قوله: وهو لم يكن... إلى آخره، فسوءُ أدبٍ على منصب النُّبوَّة، وهو أيضاً غيرُ صحيح؛ لأنَّه ﷺ لم يزَلْ مُوَحِّداً لله عزَّ وجلَّ، منُزِّهاً له عن كلِّ ما لا يليق بجلاله، مجتنباً لأصنامهم، يحُجُّ بيت الله، ويقِفُ بمشاعر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذه عبادةٌ لله تعالى، وأيُّ عبادةٍ أعظَمُ من توحيد الله تعالى ونَبْذِ أصنامهم؟ والمعرفةُ بالله تعالى من أعظم العبادات؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] قال المفسِّرون: معناه: ليَعْرِفون، فسمَّى اللهُ تعالى المعرفةَ به عبادة.

والذي أختاره في هذه الجمل أنَّه أولاً نفى عبادتَه في المستقبل؛ لأنَّ «لا» الغالبُ أنَّها تنفي المستقبل[١]، قيل: ثمَّ عطفَ عليه ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ نفياً للمستقبل على سبيل المقابلة، ثمَّ قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ نفياً للحال؛ لأنَّ اسمَ الفاعلِ العاملَ الحقيقةُ فيه دلالتُه على الحال، ثمَّ عطفَ عليه ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ نفياً للحال على سبيل المقابلة، فانتظم المعنى أنَّه ﷺ لا يعبد ما يعبدون لا حالاً ولا مستقبلاً، وهم كذلك؛ إذ قد حَتَم اللهُ موافاتِهم على الكفر، ولمَّا قال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ فأطلق «ما» على الأصنام، قابلَ الكلام بما في قوله: ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾، وإن كانت يُرادُ بها الله تعالى؛ لأنَّ المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد، وهذا على مذهب مَنْ يقول: إنَّ «ما» لا تقَعُ على آحاد مَنْ يعلم، أمَّا مَنْ جوَّزَ ذلك ـ وهو منسوبٌ إلى سيبويه[٢] ـ فلا يحتاج إلى استعذارٍ بالتَّقابل.

---

(١) في (أ) و(ع): المثبت.

(٢) وهو في الكتاب ٤/٢٢٨.

وقيل: «ما» مصدرية في قوله: «ما أعبد». وقيل: فيها جميعها[(١)].

وقال الزمخشري: المرادُ الصفة، كأنَّه قيل: لا أعبدُ الباطلَ، ولا تعبدون الحقَّ.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ أي: لكم شِرْكُكم، ولي توحيدي[(٢)]. وهذا غاية في التبرُّؤ.

ولمَّا كان الأهمُّ انتفاءَه عليه الصلاة والسلام من دينهم بدأ بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب إليه، ولمَّا تحقَّقَ النفيُ رجعَ إلى خطابهم في قوله: «لكم دينُكم» على سبيل المهادنة، وهي منسوخةٌ بآية السيف[(٣)].

وقرأ سلام ويعقوب: «ديني» بياءٍ وصلاً ووقفاً[(٤)]. وحذفها القراء السبعة.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٣٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٩٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٣٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣١، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٤٠٤.

سورة النصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

هذه السورة مدنية[1]، نزلَتْ مُنصرَفَه ﷺ من غزوة خيبر[2]، وعاش بعد نزولها سنتين. وقال ابن عمر: نزلت في أوسط أيام التشريق بمنى في حجَّة الوداع، وعاش بعدها ثمانين يوماً أو نحوَها ﷺ[3].

ولمَّا كان في قوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ موادعة جاء في هذه بما يدلُّ على تخويفهم وتهديدهم، وأنَّه آنَ مجيءُ نصرِ الله، وفتحِ مكة واضمحلالِ ملَّة الأصنام، وإظهارِ دين الله.

قال الزمخشري[4]: «إذا» منصوب بـ «سَبِّحْ»، وهو لِما يُستَقْبَل، والإعلام بذلك قبلَ كونِه من أعلام النبوة. انتهى. وكذا قال الحَوْفي.

ولا يصِحُّ إعمالُ «فسَبِّحْ» في «إذا»؛ لأجل الفاء؛ لأنَّ الفاء في جواب الشرط

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٢، وزاد المسير ٩/ ٢٥٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٣٨.

(٢) في أسباب النزول للواحدي ص٥٠٦: حنين. والقول فيه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٣. وأخرجه بنحوه عبد بن حميد في مسنده (٨٥٨)، والبزار كما في كشف الأستار (١١٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٥١.

(٤) في الكشاف ٤/ ٢٩٣.

لا يتسلَّطُ الفعل الذي بعدها على اسم الشرط، فلا تعمل فيه، بل العامل في «إذا» الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصوص في علم العربية، وقد استدلَلْنا على ذلك في «شرح التسهيل» وغيره، وإن كان المشهورُ غيره.

والنَّصر: الإعانة والإظهار على العدوِّ، والفتح: فتح البلاد[1]. ومُتَعلَّق النَّصر والفتح محذوف، فالظاهر أنَّه نصرُ رسولِه ﷺ والمؤمنين على أعدائهم، وفتحُ مكة وغيرِها عليهم كالطائف ومدن الحجاز وكثيرٍ من اليمن[2]. وقيل: نصرُه ﷺ على قريشٍ وفتح مكة، وكان فَتْحُها لعشرٍ مَضَيْنَ من رمضان سنة ثمانٍ، ومعه عليه الصلاة والسلام عشرةُ آلافٍ من المهاجرين والأنصار[3].

وقرأ الجمهور: «يدخلون» مبنيًّا للفاعل. وابن كثير في رواية مبنيًّا للمفعول[4].

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: في ملَّةِ الإسلام الذي لا دِينَ له يُضافُ [إليه] غيرها[5].

﴿أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعاتٍ كثيرة، كانت تدخلُ فيه القبيلة بأسْرِها بعدما كانوا يدخلون فيه واحداً بعد واحدٍ، واثنين اثنين[6].

قال الحسن: لمَّا فتح عليه الصلاة والسلام مكة، أقبلتِ العربُ بعضُها على بعض، فقالوا: أمَّا الظَّفرُ بأهل الحرم فَليس [لكم] به يدان، وقد كان اللهُ تعالى أجارَهم من أصحاب الفيل[7].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٩٣-٢٩٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٢.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٩٤.
(٤) أي: «يُدْخَلون»، وهي في القراءات الشاذة ص١٨١، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٩٤، وما بين حاصرتين منه.
(٦) المصدر السابق.
(٧) الكشاف ٤/ ٢٩٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٢، وتفسير البغوي ٤/ ٥٤١، وزاد المسير ٩/ ٢٥٦. وما بين حاصرتين من المصادر سوى الكشاف. واليدان: القدرة والطاقة؛ يقال: مالي بهذا الأمر يدٌ ولا يدان. النهاية (يد).

وقال أبو عمر بن عبد البرِّ[١]: لم يَمُتْ رسولُ الله ﷺ وفي العرب رجلٌ كافر، بل دخل الكلُّ في الإسلام بعد حُنَين، منهم مَنْ قَدِمَ، ومنهم من قَدِمَ وافِدُه.

قال ابن عطية[٢]: والمرادُ ـ والله أعلم ـ العربُ عبَدَةُ الأوثان، وأمَّا نصارى بني تَغْلِب فما أراهم أسلموا قَطُّ في حياة الرسول ﷺ، لكن أعطَوا الجزية. وقال مقاتل وعكرمة: المرادُ بالناس أهلُ اليمن، وفَدَ منهم سبعُ مئة رجل. وقال الجمهور: وفودُ العرب. وكان دخولُهم بين فتح مكة وموته ﷺ.

و«أفواجاً» جمع فَوْج؛ قال الحَوْفي: وقياس جَمْعِه «أفْوُج»، ولكن استُثْقِلَتِ الضمَّةُ على الواو فعُدِلَ إلى «أفواج»؛ كأنَّه يعني أنَّه كان ينبغي أن يكون مُعتَلُّ العين كالصحيح، فكما أنَّ قياس «فَعْل» صحيحُها أن يُجمع على «أفْعُل» لا على «أفعال»، فكذلك هذا، والأمر في هذا المُعتَلِّ بالعكس، القياسُ فيه «أفعال» كحوض وأحواض، وشَذَّ فيه «أفْعُل» كثوبٍ وأثْوُب.

وهو حالٌ، و«يدخلون» حالٌ أو مفعولٌ ثانٍ إن كان «رأيتَ» بمعنى: عَلِمْتَ المتعدِّية لاثنين. وقال الزمخشري[٣]: إمَّا على الحال على أنَّ «رأيتَ» بمعنى: أبصَرْتَ أو عرَفْتَ. انتهى. ولا نعلم «رأيتَ» جاءت بمعنى: عرَفْتَ، فنحتاج في ذلك إلى استثبات.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: ملتبساً بحمده على هذه النِّعم التي خولَّكَها من نصرِك على الأعداء، وفتحِك البلاد، وإسلامِ الناس، وأيُّ نعمةٍ أعظَمُ من هذه؛ إذ كلُّ حسنةٍ يعملها المسلمون فهي في ميزانه.

وعن عائشة: كان ﷺ يُكثِرُ قبلَ موتِه أن يقول: «سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك»[٤]. قال الزمخشري[٥]: والأمرُ بالاستغفار مع التسبيح

---

(١) في الاستيعاب ص٧٩٧ (ترجمة أبي خِراش الهذلي).

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٢.

(٣) في الكشاف ٤/ ٢٩٤.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٤٨٤) (٢١٨).

(٥) في الكشاف ٤/ ٢٩٤، والحديث فيه.

تكميلٌ للأمر بما هو قِوامُ أمر الدِّين من الجمع بين الطاعةِ والاحتراسِ من المعصية، وليكون أمرُه بذلك مع عصمته لطفاً لأمَّته، ولأنَّ الاستغفارَ من التواضع وهضم النفس فهو عبادةٌ في نفسه، وعن النبيِّ ﷺ: «إنِّي لأستغفِرُ اللهَ في اليومِ والليلةِ مئةَ مرَّة»[(١)]. انتهى.

وقد عَلِمَ هو ﷺ من هذه السورة دُنُوَّ أجلِه، وحين قرأها عليه الصلاة والسلام استبشرَ الصحابةُ وبكى العباس، فقال: «وما يبكيك يا عَمّ؟» قال: نُعِيَتْ إليكَ نفسُك. فقال: «إنَّها لَكَما تقول» فعاش بعدها سنتين[(٢)].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ فيه ترجئةٌ عظيمةٌ للمستغفرين[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، وأحمد (١٧٨٤٨) من حديث الأغر المزني ﷺ، وأوله: «إنَّه ليُغَانُ على قلبي».

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٤، والكشاف ٤/ ٢٩٥، والنكت والعيون ٥/ ٣٦١-٣٦٢. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٩: ذكره الثعلبي عن مقاتل، وسنده إليه دون الكتاب.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٣.

مفردات سورة اللَّهَب

الحطب معروف. ويُقال: فلانٌ يَحْطِبُ على فلان: إذا وَشى عليه[1].

الجِيْد: العنق.

المَسَد: الحبل من ليف. وقال أبو الفتح: ليف المُقْل. وقال ابن زيد: هو شجرٌ باليمن يُسمَّى المَسَد[2]. انتهى. وقد يكون من جلود الإبل أو من أوبارها[3]. قال الراجز:

ومَسَدٍ أُمِرَّ من أيانِقِ[4]

ورجلٌ مَمْسُودُ الخلق، أي: مجدولُه شديدُه[5].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ④ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ⑤﴾.

---

(١) هكذا في النسخ، وفي تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٠، وفيه: ورَّشَ عليه. والتَّوريش: التحريش، وهو الإغراء بين القوم، وتهييج بعضهم على بعض. اللسان (ورش). ووقع معناه في الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٤٨٨: أي: يُغري به ويُؤذيه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٣.

(٤) الرجز في الصحاح واللسان (مسد)، وفيه: ومَسَدٍ فُتِلَ من أيانقِ؛ جمع أيْنُق، وأيْنُق؛ جمع ناقة. وأنشده الأصمعي لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيد: هو لعُقبة الهُجيمي.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٩٧.

هذه السورة مكيّة[١].

ولمّا ذكرَ فيما قبلَها دخولَ الناس في دين الله تعالى، أتبع بذكر مَنْ لم يدخل في الدين، وخسر ولم يدخُلْ فيما دخلَ فيه أهل مكة من الإيمان.

وتقدَّم الكلامُ على التَّباب في سورة غافر[٢] وهنا[٣] قال ابن عباس: خابَتْ. وقتادة: خسِرَتْ. وابن جُبَير: هلكَتْ: وعطاء: ضَلَّتْ. ويمان بن رِئاب: صَفِرَتْ من كلِّ خير[٤]. وهذه الأقوال متقاربة في المعنى، وقالوا فيما حُكِي: أشابَّةٌ أم تابَّة؟ أي: هالكة من الهرم والتعجيز. وأسند الهلاكَ إلى اليدين؛ لأنَّ العملَ أكثر ما يكون بهما، وهو في الحقيقة للنفس، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. وقيل أخذ بيديه حجراً ليرمي به الرسولَ ﷺ، فأسندَ التَّبَّ إليهما. والظاهرُ أنَّ «التَّبَّ» دعاءٌ، و«تَبَّ» إخبارٌ بحصول ذلك، كما قال الشاعر:

جزاني جزاهُ اللهُ شَرَّ جزائِهِ جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقَدْ فَعَلْ[٥]

ويدلُّ عليه قراءة عبد الله: «وقد تَبّ»[٦].

رُوي أنَّه لمَّا نزل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: «يا صفيَّة بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، لا أُغني لكما من الله شيئاً، سَلاني من مالي ما شِئْتما» ثم صَعِدَ الصَّفا فنادى بطونَ قريش: «يا بني فلان، يا بني

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤، وزاد المسير ٩/ ٢٥٨.
(٢) عند تفسير الآية (٣٧) منها.
(٣) تحرفت في (يه) إلى: وسبأ.
(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٦٤. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤٠٦، والطبري ٢٤/ ٧١٤ و٧١٥.
(٥) هكذا أورده الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩٦ بهذه الرواية ومن دون نسبة، وقائله النابغة، وهو في ديوانه ص١٣٠ برواية صدره: جزى ربُّه عنِّي عديَّ بن حاتم. وهو كذلك في اللسان (عوى)، والخصائص ١/ ٢٩٤ والمفصل ١/ ٧٦، والخزانة ١/ ٢٧٧ و٢٧٨.
(٦) إلى هنا من الكشاف ٤/ ٢٩٥-٢٩٦. والقراءة ـ أيضاً ـ في النكت والعيون ٦/ ٣٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤.

فلان». ورُويَ أنَّه صاحَ بأعلىٰ صوته: «يا صباحاه» فاجتمعوا إليه من كلِّ وجه، فقال لهم: «أرأيتُم لو قلتُ لكم: إنِّي أُنذِرُكُم خيلاً بسَفْحِ هذا الجبل أكنتُم مُصدِّقِيَّ؟» قالوا: نعم. قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدَي عذابٍ شديد» فقال أبو لهب: تبًّا لك سائرَ اليوم، ألهذا جمَعْتَنا؟ فافترقوا عنه، ونزلت هذه السورة[١].

وأبو لهب: اسمُه عبد العُزَّى بن عبد المطلب، عَمُّ رسول الله ﷺ[٢].

وقرأ ابن مُحَيْصِن وابن كثير: «أبي لَهْبٍ» بسكون الهاء[٣]. وفَتَحها باقي السبعة.

ولم يختلفوا في «ذاتَ لهب»؛ لأنَّها فاصلة، والسكون يُزيلُها عن حسن الفاصلة. قال الزمخشريُّ[٤]: وهو من تغيير الأعلام، كقولهم: شُمْسُ بن مالكٍ، بالضمِّ. انتهى. يعني سكون الهاء في «لهب» وضم الشين في «شمس»، ويعني في قول الشاعر:

وإنِّي لَمُهْدٍ من ثنائي فقاصدٌ ... بهِ لابْنِ عَمِّ الصِّدْقِ شُمْسِ بنِ مالكِ[٥]

فأمَّا في «لهب» فالمشهورُ في كنيته فتحُ الهاء، وأمَّا شمس بن مالك، فلا يتعيَّن أن يكون من تغيير الأعلام، بل يمكن أن يكون مُسمًّى بـ «شُمسٍ» المنقولِ من «شُمْس» الجمع، كما جاء: «أذنابُ خيلٍ شُمْسٍ»[٦].

---

(١) هكذا أورد لفظه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤. وأخرجه بنحوه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨)، وأحمد (٢٥٤٤) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) التعريف والإعلام ص١٨٨.

(٣) القراءة عن ابن كثير في السبعة ص٧٠٠، والتيسير ص٢٢٥. وعن ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤.

(٤) في الكشاف ٤/ ٢٩٦.

(٥) البيت لتأبط شرًّا، وهو في ديوانه ص١٤٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٩٢، وأمالي القالي ٢/ ١٣٨، وسمط اللآلي ٢/ ٧٦١، والخزانة ١/ ٢٠٠.

(٦) قطعة من حديث جابر بن سمرة ﷺ، أخرجه مسلم (٤٣٠) و(٤٣١)، وأحمد (٢٠٨٠٦) و(٢٠٩٧٢)، وأوله: «مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها...» أو «ما بال أقوام يومئون بأيديهم =

قيل: وكُنِّي بأبي لهب، لحُسْنِه وإشراقِ وجهِه، ولم يذكُرْه تعالى باسمه؛ لأنَّ اسمَه عبدُ العُزَّى، فعَدَلَ عنه إلى الكُنية. أو لأنَّ الكُنيةَ كانت أغلَبَ عليه من الاسم. أو لأنَّ مَآلَه إلى النَّار، فوافقت حالتُه كُنيتَه، كما يقال للشِّرِّير: أبو الشرِّ، وللخَيِّر: أبو الخير[1]. أو لأنَّ الاسمَ أشرَفُ من الكُنية، فعَدَلَ إلى الأنقص؛ ولذلك ذكرَ اللهُ تعالى الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم ولم يُكَنِّ أحداً منهم[2].

والظَّاهر أنَّ «ما» في «ما أغنى عنه ماله» نفيٌ، أي: لم يُغْنِ عنه مالُه الموروثُ عن آبائه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ هو بنفسه أو ماشيته، وما كسب من نسلها ومنافعها، أو: ما كسب من أرباح ماله الذي يتَّجِرُ به. ويجوز أن تكون «ما» استفهاماً في موضع نصب، أي: أيُّ شيءٍ يُغني عنه ماله، على وجه التقرير والإنكار، والمعنى: أينَ الغِنى الذي لماله ولكسبه.

والظاهرُ أنَّ «ما» في قوله: «وما كسَب» موصولة، وأُجيزَ أن تكون مصدرية، وإذا كانت «ما» في «ما أغنى» استفهاماً، فيجوز أن تكون «ما» في «وما كسب» استفهاماً أيضاً، أي: وأيُّ شيءٍ كسب؟ أي: لم يكسب شيئاً[3]. وعن ابن عباس: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ ولده[4]. وفي الحديث: «ولدُ الرجلِ من كَسْبِه»[5]. وعن الضحَّاك: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: هو عملُه الخبيثُ في عداوة الرسول ﷺ. وعن قتادة: وعمله الذي ظَنَّ أنَّه منه على شيء. وروي عنه أنَّه كان يقول: إن كان ما يقول ابنُ أخي حَقًّا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي[6].

وقرأ عبد الله: «وما اكتَسَب» بتاء الافتعال[7].

= كأنها...». ومفرد «شُمْس» شَموس: وهي النَّفور من الدوابِّ الذي لا يستقرُّ لشغبه وحدَّته.

(١) الكشاف ٤/ ٢٩٦.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٦٥. وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٨٢.

(٣) الكلام من الكشاف ٤/ ٢٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤ بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧١٧، وهو في الكشاف ٤/ ٢٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤.

(٥) أخرجه أحمد (٢٤٠٣٢)، وأبو داود (٣٥٢٨) من حديث عائشة ﵂.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٩٦.

(٧) القراءات الشاذة ص١٨٢.

وقرأ أبو حَيْوة، وابن مِقْسَم وعبَّاس في اختياره، وهو أيضاً[١]: «سيُصَلَّى» ـ بضمِّ الياء، وفتح الصاد، وشدِّ اللام ـ «ومُرَيْئَتُه»[٢]. وعنه أيضاً: «ومُرَيَّتُه»[٣] على التصغير فيهما، بالهمز وبإبدالها ياءً، وإدغام ياء التصغير فيها.

وقرأ أيضاً: «حمَّالةٌ للحطب» بالتنوين في «حَمَّالة»[٤]، وبلام الجرِّ في «الحطب».

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: «سيُصْلَى» بضمِّ الياء وسكون الصّاد. وأبو قِلابة: «حاملةَ الحطب» على وزن فاعلة مضافاً. واختلس حركةَ الهاء في «وامرأته» أبو عمروٍ في رواية[٥]. والحسن، وزيد بن علي، والأعرج، وأبو حَيْوة، وابن أبي عَبْلة، وابن مُحَيْصِن، وعاصم: «حمَّالةَ» بالنصب[٦].

وقرأ الجمهور: «سَيَصْلى» بفتح الياء وسكون الصاد، «وامرأتُه» على التكبير «حَمَّالةُ» على وزن فَعَّالة؛ للمبالغة، مضافاً إلى «الحطب» مرفوعاً، والسِّين للاستقبال وإن تراخى الزمان، وهو وعيدٌ كائنٌ إنجازُه لا محالة[٧].

وارتفع «وامرأتُه» عطفاً على الضميرِ المُستكِنِّ في «سيَصْلى»، وحسَّنَه وجودُ الفصلِ بالمفعول وصفتِه، و«حمَّالةُ» في قراءة الجمهور خبرُ مبتدإٍ محذوف، أو صفةٌ لـ «امرأته»؛ لأنَّه مثالٌ ماضٍ فيُعرَّفُ بالإضافة، وفَعَّال أحدُ الأمثلة الستة، وحُكمها

(١) أي: عبد الله بن مسعود ﷺ، وقراءته في القراءات الشاذة ص١٨٢.
(٢) المحتسب ٢/ ٣٧٥.
(٣) القراءات الشاذة ص١٨٢.
(٤) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٧٥، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥ بتنوين الرفع، والفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٩٩ بتنوين النصب، والكشاف ٤/ ٢٩٧ بالوجهين من دون نسبة.
(٥) تنظر القراءات في القراءات الشاذة ص١٨٢.
(٦) القراءة عن عاصم في السبعة ص٧٠٠، والتيسير ص٢٢٥. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥.
(٧) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥.

كاسم الفاعل. وفي قراءة النصب؛ انتصب على الذَّمِّ، وأجازوا في قراءة الرفع أن يكون «وامرأتُه» مبتدأً، و«حمَّالةُ الحطب» خبر، و«في جِيدِها» خبرٌ ثانٍ، أو في موضع الحال من الضمير المستكِنِّ من «حمَّالة»(١).

واسمُها أمُّ جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، وكانت عوراء(٢). والظاهر أنَّها كانت تحمل الحطب، أي: ما فيه شوكٌ؛ لتؤذي بإلقائه في طريق الرسولِ ﷺ وأصحابِه لتعقرهم، فذُمَّتْ بذلك، وسُمِّيت حمَّالةَ الحطب. قاله ابن عباس(٣). ف «حمَّالة» معرفة، فإن كان صار لقباً لها، جاز فيه حالةَ الرَّفع أن يكون عطفَ بيان، وأن يكون بدلاً. قيل: وكانت تحمل حزمةً من الشَّوك والحَسك والسَّعْدان فتنشرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ(٤). وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد وقتادة والسُّدِّي: كانت تمشي بالنميمة(٥). ويُقال للمشَّاء بها: يحمِلُ الحطَب بين الناس، أي: يوقد بينهم النَّائرة، ويورث الشَّرَّ. قال الشاعر:

مِنَ البِيضِ لم تُصْطَدْ على ظهرِ لَأْمةٍ ... ولم تمشِ بين الحيِّ بالحطَبِ الرَّطْبِ(٦)

جعله رطباً ليدُلَّ على التدخين الذي هو زيادةٌ في الشَّرِّ(٧). وقال الراجز:

(١) ينظر إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٩٠، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥١.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٨٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٩، والوسيط ٤/ ٥٦٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥. لتعقرهم: لتجرحهم. اللسان (عقر).
(٤) الكشاف ٢/ ٢٩٧، وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٩ وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٢ عن الضحاك وابن زيد.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٠. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٧٢٠ عن مجاهد وقتادة.
(٦) البيت دون نسبة في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨٩، والنكت والعيون ٦/ ٣٦٧، والكشاف ٤/ ٢٩٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٠.
(٧) من قوله: ويقال للمشَّاء... إلى هنا من الكشاف ٤/ ٢٩٧.

إنَّ بـنـي الأدْرَمِ حـمَّـالـو الـحـطَـبْ
هـمُ الـوُشـاةُ في الـرِّضـا وفي الـغـضـب[١]

وقال ابن جُبير: حمَّالة الخطايا والذنوب، من قولهم: يحطِبُ على ظهره؛ قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]. وقيل: الحطب جمع حاطِب، كحارِس وحَرَس، أي: يحمل الجُناةَ على الجنايات[٢].

والظاهر أنَّ الحبلَ من مَسَد. وقال عروة بن الزبير ومجاهد وسفيان: استعارة، والمراد سلسلةٌ من حديد في جهنم. وقال قتادة: قلادة من وَدَع. وقال ابن المسيب: قلادةٌ فاخرة من جوهر، فقالت: واللّاتِ والعُزَّى لأنفقَنَّها على عداوة محمد.

قال ابن عطية[٣]: وإنَّما عبَّرَ عن قِلادَتِها بحبلٍ من مسد على جهة التفاؤل لها، وذِكْرِ تبرُّجِها في هذا السعي الخبيث. انتهى.

وقال الحسن: إنَّما كانت خرزاً[٤].

وقال الزمخشري[٥]: والمعنى: في جيدها حبلٌ مِمَّا مُسِدَ من الحبال، وأنَّها تحملُ الحزمة من الشوك وتربِطُها في جيدها كما يفعل الحطَّابون؛ تخسيساً لحالها، وتحقيراً لها، وتصويراً لها بصورة بعض الحطَّابات من المواهن، لتَمتعضَ من ذلك ويمتعضَ بعلُها، وهما في بيت العزِّ والشرف، وفي منصب الثروة والجِدَة، ولقد عيَّرَ بعضُ الناس الفضلَ بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمَّالة الحطب، فقال:

مـاذا أردتَ إلـى شـتـمـي ومَـنْـقَـصـتـي أم مـا تُـعـيِّـرُ مـن حَـمَّـالـةِ الـحـطَـبِ

---

(١) الرجز دون نسبة في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩٠، والنكت والعيون ٦/ ٣٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٠.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩٠.
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥، وما قبله منه ومن تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩١، وزاد المسير ٩/ ٢٦٢.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٤٤.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٩٧.

غرَّاءُ[١] شادِخَةٌ في المجدِ غُرَّتُها[٢] كانت سليلة شيخٍ ثاقبِ الحسَبِ[٣]

ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ حالَها يكون في نار جهنَّم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا يزال على ظهرها حزمةٌ من حطب النار من شجر الزقُّوم أو الضَّريع، وفي جيدها حبلٌ مِمَّا مُسِدَ من سلاسل النار، كما يُعذَّب كلُّ مجرمٍ بما يجانس حالَه في جُرْمه. انتهى.

ولمَّا سمعت أمُّ جميلٍ هذه السورة أتَتْ أبا بكر وهو مع رسول الله ﷺ في المسجد وبيدها فِهْرٌ، فقالت: بلغني أنَّ صاحِبَك هجاني ولأفعَلنَّ وأفعلنَّ. وأعمى اللهُ تعالى بصرَها عن رسول الله ﷺ، فرُوي أنَّ أبا بكرٍ رضي الله تعالى عنه قال لها: هل تَرَيْنَ معي أحداً؟ فقالت: أتهزَأُ بي؟ لا أرى غيرَكَ، وإن كان شاعراً فأنا مثلُه أقول:

مُذَمَّماً أبَيْنا

ودِينَهُ قَلَيْنا

وأمرَه عَصَيْنا

فسكت أبو بكر ومضت هي، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حجبَتْني عنها ملائكةٌ فما رأتني وكفى الله شَرَّها»[٤].

---

(١) في (أ) والمطبوع: غرساء.

(٢) في (أ) والمطبوع: سامية.

(٣) هما للأحوص الأنصاري كما في ثمار القلوب ص٣٠٢، وتاريخ مدينة دمشق ٤٨/ ٣٤٠. ووقعا دون نسبة في الكشاف ٤/ ٢٩٧، والمستقصى ١/ ١٠١، والأغاني ١٦/ ١٧٧ و١٨٤.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤، والسيرة النبوية ١/ ٣٥٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٨١.

وأخرجه بنحوه الحميدي (٣٢٣)، والأزرقي في أخبار مكة ١/ ٣١٦، وأبو يعلى (٥٣)، والحاكم ٢/ ٣٦١ من حديث أسماء بنت أبي بكر ﵄.

وأخرجه بنحوه ـ أيضاً ـ البزار (١٥)، وأبو يعلى (٢٥)، وابن حبان (٦٥١١) من طريق عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﵄.

=

وذُكِرَ أنَّها ماتت مخنوقةً بحبلها، وأبو لهبٍ رماه الله تعالى بالعَدَسة بعد وقعة بدرٍ بسبعِ ليال[١].

= وأخرجه كذلك ابن أبي شيبة ١١/ ٤٩٨-٤٩٩، وأبو نعيم في الدلائل (١٤٠) من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير.
والفِهْر: الحجر ملء الكف. وقيل: الحجر مطلقاً. النهاية (فهر).

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٥. وخبر موت أبي لهب أخرجه الطبراني في الكبير (٩١٢)، والحاكم ٣/ ٣٢١-٣٢٢. والعدسة: بُثرةٌ تشبه العدسة، تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون. النهاية (عدس).

مفردات سورة الإخلاص

الصَّمَد: فَعَل بمعنى مفعول، من صَمَد إليه: إذا قصده، وهو السيِّد المصمود إليه في الحوائج ويستقِلُّ بها[1]، قال:

ألا بَكرَ النَّاعي بخيرِ بني أسَدْ بعَمرِو بنِ مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[2]

وقال آخر:

عَلَوْتُه بحُسامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ خُذْها حُذَيْفَ فأنتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ[3]

الكُفؤ: النظير[4].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾.

---

(١) الكلام من الكشاف ٤/ ٢٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٦.

(٢) نسبه ابن هشام في السيرة ١/ ٥٧٢، والبكري في معجم ما استعجم ٣/ ٩٩٦، والبغدادي في الخزانة ١١/ ٢٦٩ لهند بنت بن معبد بن نضلة الأسدية، وفي البيان والتبيين ١/ ١٨٠: امرأة من بني أسد. وفي الأغاني ٢٢/ ٩٢: نادبة الأسديين. ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣١٦، والبكري في سمط اللآلي ٢/ ٩٣٢-٩٣٣ لعمرو بن سبرة الأسدي.

(٣) لم أقف على قائله، وهو في أمالي القالي ٢/ ٢٨٨، والصحاح (صمد)، ومجمل اللغة ٢/ ٥٤١، والنكت والعيون ٦/ ٣٧١.

(٤) الصحاح (كفأ).

هذه السورة مكيَّة في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة. مدنيَّة في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك[١].

ولمَّا تقدَّم فيما قبلها عداوةُ أقربِ الناس إلى الرسول ﷺ وهو عمُّه أبو لهب وما كان يُقاسي من عُبَّاد الأصنام الذين اتَّخذوا مع الله آلهةً، جاءت هذه السورة مُصرِّحةً بالتوحيد، رادَّةً على عُبَّاد الأوثان، والقائلين بالثَّنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد.

وعن ابن عباس: أنَّ اليهود قالوا: يا محمد، صِفْ لنا ربَّك وانسُبْه. فنزلت. وعن أبي العالية: قال قادة الأحزاب: انسُبْ لنا ربَّك. فنزلت[٢]. فإن صَحَّ هذا السبب كان «هو» ضميراً عائداً على الذي قالوا، وهو الله تعالى[٣]، أي: ربِّي الله، ويكون مبتدأ وخبراً، و«أحدٌ» خبرٌ ثانٍ[٤]. وقال الزمخشري[٥]: و«أحد» بدل من قوله: «الله»، أو على: هو أحد. انتهى. وإن لم يصِحَّ السببُ فهو ضمير الأمر والشأن مبتدأ، والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر «هو»[٦].

و«أحد» بمعنى «واحد»[٧]، أي: فردٌ من جميع جهات الوحدانية[٨]، أي: في

---

(١) الكلام في المحرر الوجيز ٥/٥٣٦: هذه السورة مكية؛ قاله مجاهد بخلافٍ عنه. وقال ابن عباس والقرظي وأبو العالية: هي مدنية.
وفي النكت والعيون ٦/٣٦٩، وزاد المسير ٩/٢٦٤، وتفسير القرطبي ٢٢/٥٥٧: مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر. ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسُّدِّي.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٥٣٦. وقول ابن عباس أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٦٠٦). وقول أبي العالية أخرجه الترمذي (٣٣٦٥)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٤٤)، والطبري ٢٤/٧٢٨.

(٣) العبارة في (أ): عائداً على الذي، أي: قل هو الله.

(٤) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/٢٩٧، والمحرر الوجيز ٥/٥٣٦.

(٥) في الكشاف ٤/٢٩٨.

(٦) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/٨٥٢، والإملاء ٢/٢٩٧.

(٧) زاد المسير ٩/٢٦٧ عن ابن عباس وأبي عبيدة.

(٨) المحرر الوجيز ٥/٥٣٦.

ذاتِه وصفاتِه لا يتجزَّأ.

وهَمزة «أحد» هذا بدل من واو، وإبدال الهمزة مفتوحة من الواو قليلٌ، من ذلك: امرأةٌ أناةٌ؛ يريدون: وَناةٌ؛ لأنَّه من الوَنَى: وهو الفتور، كما أنَّ «أحداً» من الوحدة[1].

وقال ثعلب: بين «واحد» و«أحد» فرقٌ؛ «الواحدُ» يدخله العدد والجمع والاثنان، و«الأحد» لا يدخله، يُقال: الله أحد، ولا يُقال: زيدٌ أحد؛ لأنَّ اللهَ خصوصيةٌ له «الأحد»، وزيدٌ تكون منه حالات. انتهى. وما ذكر من أنَّ «أحداً» لا يدخله ما ذكر منقوضٌ بالعدد.

وقرأ أبان بن عثمان، وزيد بن علي، ونصر بن عاصم، وابن سيرين، والحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو السَّمَّال، وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والأصمعي واللؤلؤي وعبيد وهارون عنه: «أحدُ اللهُ» بحذف التنوين[2]؛ لالتقائه مع لام التعريف، وهو موجودٌ في كلام العرب، وأكثر ما يوجد في الشِّعر نحو قوله:

ولا ذاكِرَ اللهَ إلَّا قليلا[3]

ونحو قوله:

عَمرُو الذي هشَمَ الثَّريدَ لقومِهِ[4]

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥٢، والإملاء ٢/ ٢٩٧.

(٢) القراءات الشاذة ص١٨٢ عن نصر بن عاصم وأبي عمرو، وتفسير الثعلبي ٦/ ٥٩٧ عن الحسن ونصر بن عاصم وابن أبي إسحاق وأبان بن عثمان، وهارون بن عيسى. وذكر ابن مجاهد في السبعة ص٧٠١ أنها قراءة أبي عمرو في رواية هارون عنه، وهي غير المشهورة عنه.

(٣) عجز بيت لأبي الأسود الدؤلي، وصدره: فألفيتُهُ غيرَ مُسْتَعْتِبٍ. وسلف عند تفسير الآية (١٨٥) من سورة آل عمران.

(٤) عجزه: ورجالُ مكة مُسْنِتونَ عجافُ. ونُسب لعبد الله بن الزِّبَعرى، وهو في ديوانه ص٥٣، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٩، والحماسة البصرية ١/ ١٥٥-١٥٦. ونُسب لمطرود الخزاعي كما في المنمق لابن حبيب ص١٢، والاشتقاق لابن دريد ص١٣. ومُسْنِتون من أسنتوا: أجدبوا. القاموس (سنت).

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ مبتدأ وخبر، والأفصح أن تكون هذه جُمَلاً مستقِلَّةً بالإخبار على سبيل الاستئناف، كما تقول: زيدٌ العالم، زيدٌ الشجاع. وقيل: «الصمد» صفة، والخبر في الجملة بعده.

وتقدَّم شرح «الصمد» في المفردات. وقال الشَّعبي ويمان بن رئاب: هو الذي لا يأكل ولا يشرب[١]. وقال أبيّ بن كعب: يُفسِّره ما بعده، وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[٢]. وقال الحسن: الصمد: المُصْمَت الذي لا جوف له[٣]. ومنه قوله:

شهابُ حُروبٍ لا تزالُ جِيادُهُ   عوابِسَ يعْلُكْنَ الشَّكيمَ المُصَمَّدا[٤]

وفي كتاب: «التحرير» أقوالٌ غيرُ هذه لا تساعد عليها اللغة.

وقال ابن الأنباري: لا خلافَ بين أهل اللغة أنَّ الصَّمد هو السيِّد الذي ليس فوقَه أحدٌ، الذي يَصمُدُ إليه الناس في أمورهم وحوائجهم[٥].

قال الزمخشري[٦]: «لم يلِدْ»؛ لأنَّه لا يُجانَس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا، وقد دلَّ على هذا المعنى بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] «ولم يولَد»؛ لأنَّ كلَّ مولودٍ مُحدَثٌ وجِسمٌ، وهو قديم لا أوَّلَ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٦، وتفسير البغوي ٤/ ٥٤٤ عن الشعبي. وأخرجه عنه ابن أبي عاصم في السنة (٦٨٢-٦٨٥)، والطبري ٢٤/ ٧٣٢، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٣).

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٥٨. وأخرجه الترمذي (٣٦٦٤)، وابن أبي حاتم (١٩٥٣٢)، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٥٩٧. وفي إسناده أبو جعفر الرازي، وهو سيئ الحفظ.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٤٤، وزاد المسير ٩/ ٢٦٨. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٨٠)، والطبري ٢٤/ ٧٣٢ و٧٣٣.

(٤) لم أقف على قائله، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧١، والقرطبي ٢٢/ ٥٥٩. والشَّكيم؛ جمع شكيمة: وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس. القاموس (شكم).

(٥) زاد المسير ٩/ ٢٦٨.

(٦) في الكشاف ٤/ ٢٩٨ و٢٩٩.

لوجوده، وليس بجسمٍ، ولم يُكافِئه أحدٌ، أي: لم يماثِلْه أحدٌ ولم يُشاكِلْه، ويجوز أن يكون من الكَفاءة في النكاح نفياً للصاحبة. «ولم يكن له كفواً» يُقال: له كفوٌ بضم الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء، وبضمِّ الكاف مع ضمِّ الفاء.

وقرأ حمزة وحفص بضمِّ الكاف وإسكان الفاء[1]. وهمَزَ حمزة، وأبدلَها حفصٌ واواً. وباقي السبعة بضمِّهما والهمز[2]. وسهَّل الهمزةَ الأعرجُ، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع في رواية. وعن نافع أيضاً: «كُفًا» من غير همز، نقل حركة الهمزة إلى الفاء وحذف الهمزة[3].

وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: «كِفَاءً» بكسر الكاف وفتح الفاء والمد[4]، كما قال النابغة:

لا تـقْـذِفَـنِّـي بـرُكْـنٍ لا كِـفـاءَ لَـهُ[5]

قال الأعلم: لا كِفاء له: أي: لا مِثْلَ له[6].

وقال مكي: سيبويه يختار أن يكون الظرفُ خبراً إذا قدَّمه، وقد خَطَّأه المبرِّد بهذه الآية؛ لأنَّه قَدَّم الظرفَ ولم يجعله خبراً، والجواب أنَّ سيبويه لم يمنَعْ إلغاء الظرفِ إذا تقدَّم، إنَّما أجاز أن يكون خبراً وأن لا يكون خبراً، ويجوز أن يكون حالاً من النَّكِرة وهي «أَحَد»؛ لمَّا تقدَّم نعتُها عليها نُصِبَ على الحال، فيكون «له» الخبر على مذهب سيبويه واختياره، ولا يكون للمبرِّد حُجَّةٌ

(١) هذا عند حمزة، وأما عند حفص فبضمِّ الفاء، يعني: «كُفُواً». ينظر السبعة ص٧٠٢، والتيسير ص٢٢٦.
(٢) السبعة ص٧٠١، والتيسير ص٢٢٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٧. والمشهور عن أبي جعفر وشيبة ونافع كقراءة الجمهور: «كُفُوًا».
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٧.
(٥) ديوان النابغة الذبياني ص٣٦، وعجزه: وإنْ تأثَّفَكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ. قوله: تأثَّفك، أي: اجتمعوا حولك كالأثافي. والرِّفَد؛ جمع رفدة، أي: يرفد بعضهم بعضاً.
(٦) وقاله الطبري ٢٤/ ٧٤٠، ومكي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٥٠٢.

على هذا القول[١]. انتهى. وخرَّجه ابن عطية أيضاً[٢] على الحال.

وقال الزمخشري[٣]: فإن قلت: الكلامُ العربيُّ الفصيحُ أن يؤخِّرَ الظرفُ الذي هو لغوٌ غيرُ مستقِرٌ ولا يُقدَّم، وقد نَصَّ سيبويه على ذلك في كتابه، فما بالهُ مُقدَّماً في أفصح الكلام وأعْرَبه؟ قلت: هذا الكلامُ إنَّما سِيقَ لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مصَبُّه ومركزُه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهمَّ شيءٍ وأعناه وأحقَّه بالتقديم وأحراه. انتهى.

وهذه الجملة ليست من هذا الباب، وذلك أنَّ قولَه: «ولم يكن له كفواً أحد» ليس الجار والمجرور فيه تامًّا، إنَّما هو ناقصٌ لا يصلح أن يكون خبراً لـ «كان»، بل هو متعلِّقٌ بـ «كفواً» وقُدِّم عليه، فالتقدير: ولم يكُنْ أحدٌ كفواً له، أي: مكافئه، فهو في معنى المفعول متعلِّقٌ بـ «كفواً»، وتقدَّم على «كفواً» للاهتمام به؛ إذ فيه ضمير الباري تعالى، وتوسَّط الخبرُ وإن كان الأصلُ التأخير؛ لأنَّ تأخير الاسم هو فاصلةٌ فحسُنَ ذلك. وعلى هذا الذي قرَّرناه يبطل إعراب مكي وغيرُه أنَّ «له» الخبر، و«كفواً» حالٌ من «أحد»؛ لأنَّه ظرفٌ ناقصٌ لا يصلح أن يكون خبراً، وبذلك يبطل سؤالُ الزمخشريِّ وجوابُه، وسيبويه إنَّما تكلَّم في هذا الظرف الذي يصلح أن يكون خبراً ويصلح أن يكون غير خبر؛ قال سيبويه: وتقول: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك، وما كان أحدٌ مِثْلُكَ فيها، وليس أحدٌ فيها خيرٌ منك، إذا جعلتَ «فيها» مستقرًّا، ولم تجعَلْه على قولك: فيها زيدٌ قائم، أُجريتِ الصِّفةُ على الاسم، فإن جعَلْتَه على: فيها زيد قائم، نصبتَ، فتقول: ما كان فيها أحدٌ خيراً منك، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها، إلَّا أنَّكَ إذا أردتَ الإلغاء، فكلَّما أخَّرْتَ المُلْغَى كان أحسن، وإذا أردتَ أن يكون مستقِرًّا فكُلَّما قدَّمْتَه كان أحسنَ والتقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربيٌّ جيدٌ كثيرٌ، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ وقال الشاعر:

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٤٩٩-٨٥٠٠، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥٤. وينظر كلام سيبويه في الكتاب ١/ ٥٥-٥٦.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٧.

(٣) في الكشاف ٤/ ٢٩٩.

مـا دام فـيـهـنَّ فَـصـيـلٌ حَـيَّـا[(١)]

انتهى ما نقلناه ملخَّصاً وهو بألفاظ سيبويه، فأنت ترى كلامَه وتمثيلَه بالظَّرفِ الذي يصلح أن يكون خبراً، ومعنى قوله: مُستقِرًّا، أي: خبراً للمبتدأ ولـ «كان»، فإنْ قلت: فقد مثَّلَ بالآية الكريمة. قلت: هذا الذي أوقع مكِّيًّا والزمخشريَّ وغيرَهما فيما وقعوا فيه، وإنَّما أراد سيبويه أنَّ الظَّرفَ التامَّ، وهو في قوله:

مـا دام فـيـهـنَّ فـصـيـلٌ حـيَّـا

أُجريَ فضلةً لا خبراً، كما أنَّ «له» في الآية أُجرِيَ فضلةً، فجعل الظَّرفَ القابلَ أن يكون خبراً كالظَّرفِ الناقص في كونه لم يُستعمَلْ خبراً، ولا يَشُكُّ مَنْ له ذهنٌ صحيحٌ أنَّه لا ينعقد كلامٌ من قوله: ولم يكُنْ له أحدٌ، بل لو تأخَّرَ «كفواً» وارتفع على الصفة وجُعِلَ «له» خبراً، لم ينعقِدْ منه كلامٌ، بل أنت ترى أنَّ النَّفيَ لم يتسلَّطْ إلَّا على الخبر الذي هو «كفواً» و«له» مُتعلِّقٌ به، والمعنى: ولم يكُنْ له أحدٌ مكافِئَه.

وقد جاء في فضل هذه السورة أحاديثُ كثيرةٌ، ومنها أنَّها «تعدِلُ ثُلُثَ القرآن»[(٢)]، وقد تكلَّم العلماء على ذلك، وليس هذا موضعه، والله الموفق.

---

(١) الرجز لابن ميادة، وهو في ديوانه ص٢٣٧. وينظر الكتاب ١/ ٥٦، والخزانة ٩/ ٢٧٢-٢٧٣. والفَصيل: ولد الناقة. اللسان (فصل).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣)، وأحمد (١١٣٠٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

مفردات سورة الفلق

الفَلَق: فَعَل بمعنى مفعول[1]. وتأتي أقوال أهل التفسير فيه إن شاء الله تعالى.

وقَبَ الليل: أظلم. والشمسُ: غابت. والعذابُ: حَلَّ. قال الشاعر:

وقَبَ العذابُ عليهمُ فكأنَّهُمْ لَحِقَتْهُمُ نارُ السَّمومِ فأُحْصِدوا[2]

النَّفْث: شِبْهُ النَّفْخ دون تَفْلٍ بريق. قاله ابن عطية[3]. وقيل: نفخٌ بريقٍ معه. قاله الزمخشري[4]. وقال صاحب: «اللوامح»: شِبْهُ النَّفخ من الفم في الرُّقية ولا ريقَ معه، فإذا كان بريقٍ فهو التَّفْل. قال الشاعر:

فإن أبرَأْ فلَمْ أنفُثْ عليهِ وإنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ لهُ الفُقودُ[5]

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

هذه السورة مكيَّة في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر وروايةِ كُريب عن ابن

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٠٠.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧٤ دون نسبة، والكلام منه بنحوه.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٩.

(٤) في الكشاف ٤/ ٣٠١.

(٥) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٤٢.

عباس. مدنيَّة في قول ابن عباس ـ في رواية صالح ـ وقتادة وجماعة. قيل: وهو الصحيح(١).

وسبب نزول المُعَوِّذتين قصةُ سِحْرِ لَبيد بن الأعصم اليهوديِّ رسولَ الله ﷺ، وأنَّه أخرجَ ما سحرَ به وهو جُفٌّ ـ والجُفُّ: قِشر الطَّلْع ـ فيه مُشاطَةُ رأسِه عليه الصلاة والسلام، وأسنانُ مُشْطِه، ووتَرٌ معقودٌ فيه إحدى عشرة عقدةً مغروزٌ بالإبَر، فأُنزِلَتْ عليه المُعَوِّذتان، فجعل كُلَّما قرأ آيةً انحلَّتْ عُقدةٌ ووجد ﷺ في نفسه خِفَّةً حتى انحلَّتْ العقدة الأخيرة، فقام فكأنَّما نَشِطَ من عِقال(٢).

ولمَّا شرح أمرَ الإلهية في السورة قبلَها شرحَ ما يُستعاذ منه بالله من الشرِّ الذي في العالم ومراتب مخلوقاته.

والفَلَق: الصبح. قاله ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقتادة وابن جُبير والقُرَظي وابن زيد(٣). وفي المثل هو أبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبحِ ومن فَرَقِ الصُّبح(٤). وقال الشاعر:

يـا لـيـلـةً لـمْ أنَـمْـهـا بِـتُّ مُـرْتَـقِـبـاً أرعى النُّجومَ إلى أنْ نَوَّرَ(٥) الفَـلَـقُ

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٦٩، وزاد المسير ٩/ ٢٧٠.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص٥١٣-٥١٥، وتفسير الثعلبي ٦/ ٦٠١ بسياق مطوَّل، وذكره الثعلبي عن ابن عباس وعائشة ﷺ. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هكذا أورده ـ يعني الثعلبي ـ بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد ممَّا تقدم، والله أعلم.
وروى بعضَه وبنحوه البيهقيُّ في دلائل النبوة ٧/ ٩٢-٩٤، وإسناده ضعيف كما قال الحافظ في الفتح ١٠/ ٢٣٥.
قلت: وصوَّب ابن الجزري في النهاية (نشط) رواية: «أُنشِطَ من عقال»، وقال: وكثيراً ما يجيء في الرواية: «كأنَّما نشِطَ من عقال» وليس بصحيح.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨، وأخرج أقوالهم الطبري ٢٤/ ٧٤١-٧٤٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٠١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣١٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٥٠٧، والكشاف ٤/ ٣٠٠.

(٥) في (أ) والمطبوع: قدر. والبيت لم أقف على قائله، وهو في النكت والعيون ٦/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧٢، وفيهما: مرتفقاً، بدل: مرتقباً.

وقال الشاعر يصف الثور الوحشي:

حتَّى إذا ما انجلى عن وجهِهِ فَلَقٌ ... هادِيهِ في أُخرَياتِ اللَّيلِ مُنتَصِبُ[(١)]

وقيل: الفلق: كلُّ ما يفلُقُه الله تعالى كالأرض والنبات، والجبالِ عن العيون، والسحابِ عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحبِّ والنَّوى وغيرِ ذلك[(٢)].

وقال ابن عباس أيضاً وجماعة من الصحابة والتابعين: الفَلَق: جُبٌّ في جهنم. ورواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ[(٣)]. وقالوا لِما اطمأنَّ من الأرض: الفَلَق، وجَمْعُه فُلْقان. وقيل: وادٍ في جهنم[(٤)]. وقال بعض الصحابة: بيتٌ في جهنم إذا فُتِحَ صاحَ جميعُ أهل النار من شِدَّة حَرِّه[(٥)].

وقرأ الجمهور: «من شَرِّ ما خلق» بإضافة «شرِّ» إلى «ما»، و«ما» عامٌّ يدخل فيه جميعُ مَنْ يوجد منه الشرُّ من حيوان مكلَّفٍ وغيرِ مكلَّفٍ وجمادٍ، كالإحراق بالنار، والإغراق بالبحر، والقتلِ بالسُّم[(٦)].

وقرأ عمرو بن فائد: «من شَرٍّ» بالتنوين[(٧)]. وقال ابن عطية: وقرأ عمرو بن عُبيد وبعضُ المعتزلة القائلين بأنَّ الله تعالى لم يخلُق الشَّرَّ: «من شرٍّ» بالتنوين «ما خلَقَ» على النَّفي، وهي قراءةٌ مردودة مبنيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ، اللهُ خالقُ كلِّ

---

(١) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ١/ ٩٢، وفيه: حتى إذا ما جلا، وهي الرواية الصحيحة فيما قاله ابن بري كما في اللسان (فلق). قال شارحه: هاديه: أوَّله.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٠٠، وذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٤ ونسبه للحسن.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٢، وفي إسناده مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي؛ قال العقيلي في الضعفاء ١/ ٩٣: لا يُعرف بنقل الحديث، وحديثه منكر غير محفوظ. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: حديث منكر، إسناده غريب، ولا يصحُّ رفعه. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٦٠٢.

(٤) نسبه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٦٠٢ للكلبي. والكلام من الكشاف ٤/ ٣٠٠.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٠٠، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٢-٧٤٣ عن أبي بن كعب ﷺ.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٠٠.

(٧) القراءات الشاذة ص١٨٢.

شيء[١]. ولهذه القراءة وجهٌ غيرُ النَّفي، فلا ينبغي أن تُرَدَّ، وهو أن يكون «ما خلق» بدلاً من «شَرّ» على تقدير محذوف، أي: من شَرٍّ شرِّ ما خَلَق، فحذف لدلالة «شَرٍّ» الأول عليه، أطلقَ أولاً، ثمَّ عمَّ ثانياً.

والغاسِقُ اللَّيل، ووَقَب: أظلم ودخل على الناس. قاله ابن عباس والحسن ومجاهد[٢]. وزمَّكه الزمخشري[٣] على عادته، فقال: والغاسِقُ: الليل إذا اعتكرَ ظلامُه، من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ومنه: غسَقَتِ العينُ: امتلأتْ دمعاً، وغسقَتِ الجِراحةُ: امتلأت دماً. ووُقوبُه: دخولُ ظلامِه في كلِّ شيء. انتهى.

وقال الزجَّاج: هو اللَّيل؛ لأنَّه أبرَدُ مِن النهار، والغاسِقُ: البارد[٤]. استُعيذَ من شرِّه؛ لأنَّه فيه تنبَثُّ الشياطينُ والهوامُّ والحشراتُ وأهلُ الفتك[٥]. قال الشاعر:

يا طيفَ هندٍ لقَدْ أبقيتَ لي أرقا إذْ جِئْتَنا طارقاً واللَّيلُ قد غَسَقا[٦]

وقال محمد بن كعب: النهار دخل في الليل. وقال ابن شهاب: المراد بالغاسق: الشمس إذا غربت. وقال القُتَبيُّ وغيرُه: هو القمر إذا دخل في ساهوره فخسف[٧]. وفي الحديث: نظرَ ﷺ إلى القمر فقال: «يا عائشة، نعوذُ بالله من هذا، فإنَّه الغاسِقُ إذا وَقَب»[٨]. وعنه ﷺ: «الغاسقُ النَّجم»[٩]. وقال ابن زيد عن

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في الكشاف ٤/ ٣٠٠، ٣٠١.
(٤) معاني القرآن ٥/ ٣٧٩.
(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٧٥، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٩٥.
(٦) لم أقف على قائله، وهو في النكت والعيون ٦/ ٣٧٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧٤.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨. وقول محمد بن كعب أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٦ و٧٤٧. وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن له ص٥٤٣. والساهور: الغلاف للقمر. اللسان (سهر).
(٨) أخرجه أحمد (٢٤٣٢٣)، والترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي في الكبرى (١٠١٣٨)، والحاكم ٢/ ٥٤٠.
(٩) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٨، وأبو الشيخ في العظمة (٦٩٦) و(٦٩٧)، والثعلبي في تفسيره

العرب: الغاسق: الثُّريَّا إذا سقطت، وكانت الأسقامُ والطاعونُ تهيجُ عند ذلك[١]. وقيل: الحيَّة إذا لدغَتْ، والغاسق: سُمُّ نابِها؛ لأنَّه يسيل منه[٢].

والنَّفَّاثات: النساء، أو النفوس، أو الجماعاتُ السَّواحرُ يعقِدْنَ عُقَداً في خيوطٍ، ويَنْفُثْنَ عليها ويَرْقِين[٣]. وقرأ الجمهور: «النَّفَّاثات». والحسن بضمِّ النون[٤]. وابن عمر، والحسن أيضاً، وعبد الله بن القاسم، ويعقوب في رواية: «النَّافِثات»[٥]. والحسن أيضاً، وأبو الربيع: «النَّفِثات» بغير ألف[٦]، نحو: الحَذِرات.

والاستعاذة من شرِّهنَّ هو ما يُصيبُ الله تعالى به من الشرِّ عند فِعْلِهنَّ ذلك.

وسبب نزول هاتين المُعوِّذَتين ينفي ما تأوَّلَه الزمخشري[٧] من قوله: ويجوز أن يُراد به النساءُ ذاتُ الكِيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] تشبيهاً لكيدهنَّ بالسِّحر والنَّفْث في العقد، أو اللاتي يَفْتِنَّ الرجال بتعرضهنَّ لهم وعَرْضِهنَّ محاسنهنَّ كأنهنَّ يسحَرْنَهم بذلك. انتهى.

وقال ابن عطية[٨]: وهذا النَّفْثُ هو على عُقَدٍ تُعقَدُ في خيوطٍ ونحوها على اسم المسحور فيؤذَى بذلك، وهذا الشأن في زماننا موجودٌ شائعٌ في صحراء المغرب،

= ٦/ ٦٠٣ من حديث أبي هريرة ﷺ. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: لا يصحُّ رفعه إلى النبي ﷺ.

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٠٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٧-٧٤٨، وأبو الشيخ في العظمة (٦٩٨).

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٠١.

(٤) القراءات الشاذة ص١٨٢.

(٥) القراءات الشاذة ص١٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧٧. وهي غير المشهورة عن يعقوب. ينظر النشر ٢/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٦) ينظر النشر ٢/ ٤٠٥.

(٧) في الكشاف ٤/ ٣٠١.

(٨) في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٩.

وحدَّثني ثقةٌ أنَّه رأى عند بعضهم خيطاً أحمرَ قد عُقِدَتْ فيه عُقَدٌ على فُصلان فمنعت من رضاع أمهاتها، فكان إذا حَلَّ عقدةً جرى ذلك الفَصيل إلى أمه في الحين فرضع. انتهى.

وقيل: الغاسق والحاسد بالطَّرف؛ لأنَّه إذا لم يدخل اللَّيل لا يكون منسوباً إليه، وكذا كلُّ ما فُسِّر به الغاسق، وكذلك الحاسد لا يُؤثِّر حسدُه إذا أظهره بأن يحتال للمحسود فيما يؤذيه، أمَّا إذا لم يظهر الحسدُ فإنَّما يتأذَّى به هو لا المحسود؛ لاغتمامه بنعمة غيره.

قال الزمخشري[١]: ويجوز أن يُراد بشرِّ الحاسد إثمُه وسماجةُ حاله في وقتِ حسدِه وإظهارِ أثرِه. انتهى[٢]. وعمَّ أولاً فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ثمَّ خصَّ هذه لخفاء شرِّها؛ إذ يجيء من حيث لا يعلم، وقالوا: شَرُّ العُداةِ المُداجي[٣] يكيدك من حيث لا تشعر.

ونكَّرَ «غاسق» و«حاسد»، وعرَّف «النفاثات»؛ لأنَّ كلَّ نفَّاثة شِرِّيرة، وكلَّ غاسقٍ لا يكون فيه الشرُّ، إنَّما يكون في بعضٍ دون بعض، وكذلك كلُّ حاسدٍ لا يضرُّ، ورُبَّ حسَدٍ محمودٍ وهو الحسد في الخيرات، ومنه: «لا حسدَ إلَّا في اثنتين»[٤]، ومنه قول أبي تمام:

وما حاسِدٌ في المَكْرُماتِ بحاسِدِ[٥]

وقال آخر:

إنَّ العُلا حسَنٌ في مِثْلِها الحسَدُ[٦]

---

(١) في الكشاف ٤/ ٣٠١، وما قبله منه.

(٢) لم ينتهِ كلام الزمخشري، فالكلام الآتي منه.

(٣) من المُداجاة: وهي المُداراة؛ يقال: داجَيْتُه: إذا داريتَه، كأنَّك ساتَرْتَه العداوة. الصحاح (دجا).

(٤) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، وأحمد (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٥) ديوانه ٢/ ٧٣. وصدره: هُمُ حسدوهُ لا مَلومينَ مجدَهُ.

(٦) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه ٢/ ٢١، وصدره: واعذِرْ حسودَك فيما قد خُصِصْتَ بهِ
وإلى هنا الكلام من الكشاف ٤/ ٣٠١-٣٠٢.

وقول المنظور إليه للحاسد إذا نظر: الخمس على عينيك، يعني به هذه السورة، لأنَّها خمسُ آيات. وعينُ الحاسد في الغالب لاقعة[١]، نعوذ بالله من شرِّها.

(١) في (أ) والمطبوع: واقعة، ولَقَعه بعينه: أصابه بها، والكلام من المحرر الوجيز ٥/٥٣٩.

سورة الناس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

تقدَّم أنَّها نزلت مع ما قبلها، والخلاف أهي مدنية أم مكية.

وأُضيف «الربُّ» إلى الناس؛ لأنَّ الاستعاذة من شرِّ الموسوس في صدورهم، فهم استغاثوا بربهم مالكهم وإلههم كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهَمَه أمرٌ.

والظاهر أنَّ «ملكِ الناس إله الناس» صفتان. وقال الزمخشري[1]: هما عطفا بيان، كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق، بُيِّنَ بـ «ملك الناس»، ثمَّ زِيدَ بياناً بـ «إله الناس»؛ لأنَّه قد يُقال لغيره: رب الناس، كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد يُقال: ملك الناس؛ وأمَّا «إله الناس» فخاصٌّ لا شركةَ فيه، فجُعِلَ غايةً للبيان. انتهى.

وعطفُ البيان المشهور أنَّه يكون بالجوامد، وظاهر قوله: إنَّهما عَطْفا بيان لواحدٍ، ولا أنقل عن النُّحاة شيئاً في عطف البيان هل يجوز أن يتكرَّرَ لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز؟

وقال الزمخشري: فإن قلت: فهلَّا اكتُفيَ بإظهار المضاف إليه الذي هو «الناس» مرَّةً واحدة؟ قلت: لأنَّ عطف البيان للبيان فكان مَظِنَّةً للإظهار دون الإضمار. انتهى.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٣٠٢، وما قبله منه.

والوسواس؛ قالوا: اسمٌ من أسماء الشيطان. والوسواس أيضاً: ما تُوسوس به شهوات النفس، وهو الهوى المنهيُّ عنه. والخنَّاس: الراجعُ على عَقِبِه المستترُ أحياناً، وذلك في الشيطان مُتمكِّن، إذا ذكر العبدُ الله تعالى تأخَّر، وأمَّا الشهواتُ فتخنس بالإيمان، وبلمَّةِ المَلك، وبالحياء، فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس، ويكون معنى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾: من الشياطين ونفوس الناس، أو يكون «الوسواس» أُريدَ به الشيطان[1] والمعنى[2]: المُزيِّن من قرناء السوء، فيكون ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ تبييناً لذلك الوسواس؛ قال تعالى: ﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال قتادة: إنَّ من الإنس شياطينَ، ومن الجنِّ شياطينَ، فنعوذُ بالله منهم[3]. وقال أبو ذر لرجل: هل تعوَّذت من شياطين الإنس؟[4]

وقال الزمخشري[5]: الوسواس: اسمٌ بمعنى الوَسْوَسة، كالزِّلزال بمعنى الزَّلْزَلة، وأمَّا المصدر ف «وِسْواس» بالكسر كـ: زِلْزال، والمرادُ به الشيطان؛ سُمِّيَ بالمصدر كأنَّه وسوسةٌ في نفسه؛ لأنَّها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكفٌ عليه، أو أُريد: ذو الوسواس. انتهى.

وقد تكلَّمنا معه في دعواه أنَّ الزَّلزال بالفتح اسمٌ، وبالكسر مصدر في ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾.

ويجوز في «الذي» الجرُّ على الصِّفة، والرَّفع والنَّصب على الشتم. و«من» في «مِن الجنة والناس» للتبعيض، أي: كائناً من الجِنَّة والناس، فهي في موضع الحال، أي: ذلك المُوَسْوِس هو بعضُ الجِنَّة وبعضُ الناس.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤٠ بنحوه.

(٢) في (أ) والمطبوع: والمغري.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧٩. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٢١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨١٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٥٤٦)، والنسائي ٨/ ٢٧٥، وفي إسناده مجهول ومتروك.

(٥) في الكشاف ٤/ ٣٠٢.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن يكون «من» متعلّقاً بـ «يُوَسْوِس»، ومعناه ابتداءُ الغاية، أي: يُوَسْوِسُ في صدورهم من جهة الجِنَّة ومن جهة الناس. انتهى.

ولمَّا كانت مَضرَّةُ الدِّين ـ وهي آفة الوَسْوَسة ـ أعظمَ من مضرَّة الدنيا وإن عظُمَتْ، جاء البناءُ في الاستعاذة منها بصفاتٍ ثلاث؛ الرَّبِّ والملِكِ والإله، وإنِ اتَّحَد المطلوب، وفي الاستعاذة من ثلاث؛ الغاسق والنَّفاثاتِ والحاسدِ بصفةٍ واحدة وهي الرَّبّ، وإن تكثَّر الذي يُستعاذُ منه[٢].

كان رسولُ الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمعَ كفَّيه ونفَثَ فيهما وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذتين، ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً[٣]. صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً[٤].

(١) في الكشاف ٤/ ٣٠٣، وما قبله منه بنحوه.

(٢) تفسير الرازي ٢٢/ ١٩٩ بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧)، وأبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي (٣٦٩٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٧٥)، وأحمد (٢٤٨٥٣) من حديث عائشة ﵂.

(٤) جاء بعدها في نسخة عاطف أفندي (ع) ما نصه: «تمَّ البحر المحيط تفسير القرآن العظيم بتمامه، ولله الحمد والمِنَّة، وذلك في الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، من عام ثمانٍ وأربعين وسبع مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، آمين آمين.

وجاء بعدها في النسخة الحميدية (ح) ما نصه: «نجز الجزء الرابع من تفسير البحر لأبي حيان لمولانا أفندي حسين المولّى بمصر المحروسة في يوم الأحد المبارك، ثاني شهر رجب الفرد، سنة ثمانٍ وثمانين وتسع مئة، على يد العبد الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير شهاب الدين بن أحمد بن شهاب الدين الدنوشري الغمري، غُفر له ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، آمين آمين».

فهرس الآيات

سورة الجن

• مفردات سورة الجن ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى
اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ
الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ
أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا
أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ
بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ
فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)﴾ ٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ
يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن
يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ
أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ
ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا
لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾ ٢٠

سورة المزمل

• مفردات سورة المزمل ٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا
طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢)

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ ٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ ٥٤

سورة المدثر

• مفردات سورة المدثر ٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ ٦٥

تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ ٨٨

سورة القيامة

• مفردات سورة القيامة ١٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ

الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ
بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا
إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥)
أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾ ١٠٤

سورة الدهر (الإنسان)

● **مفردات سورة الدهر** ١٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ
يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ
شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا
شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)﴾ ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا (٢٣)
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ
وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا
أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)﴾ ١٤٥

سورة المرسلات

● **مفردات سورة المرسلات** ١٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ
ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ
نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)﴾ ١٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾ ١٧٣

سورة النبأ

• مفردات سورة النبأ ١٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)﴾ ١٨٣

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)﴾ ١٩٠

سورة النازعات

• مفردات سورة النازعات ٢٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ (٢٦)﴾ ٢٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩)
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٢) مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَآءَتِ
ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ
ٱلْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ (٤٤) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن
يَخْشَىٰهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا (٤٦)﴾ ٢١٦

سورة عبس

• مفردات سورة عبس ٢٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا
مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)
كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ
ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ
إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ
شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ ٢٢٦

سورة التكوير

• مفردات سورة التكوير ٢٣٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ
عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (٨)
بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣)
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ (١٥) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (١٦) وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ
بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٩)﴾ ٢٤٠

سورة الانفطار

• مفردات سورة الانفطار ٢٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت (١) وإذا الكواكب انتثرت (٢) وإذا البحار فجرت (٣) وإذا القبور بعثرت (٤) علمت نفس ما قدمت وأخرت (٥) يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذي خلقك فسواك فعدلك (٧) في أي صورة ما شاء ركبك (٨) كلا بل تكذبون بالدين (٩) وإن عليكم لحافظين (١٠) كراما كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢) إن الأبرار لفي نعيم (١٣) وإن الفجار لفي جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) وما هم عنها بغائبين (١٦) وما أدراك ما يوم الدين (١٧) ثم ما أدراك ما يوم الدين (١٨) يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١٩)﴾ ٢٥٥

سورة المطففين

• مفردات سورة المطففين ٢٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين (١) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٣) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦) كلا إن كتاب الفجار لفي سجين (٧) وما أدراك ما سجين (٨) كتاب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) وما يكذب به إلا كل معتد أثيم (١٢) إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين (١٣) كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ثم إنهم لصالوا الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١٧)﴾ ٢٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين (١٨) وما أدراك ما عليون (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١) إن الأبرار لفي نعيم (٢٢) على الأرائك ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) ومزاجه من تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨) إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون (٣٢) وما أرسلوا عليهم حافظين (٣٣) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) على الأرائك ينظرون (٣٥) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦)﴾ ٢٧١

سورة الانشقاق

• مفردات سورة الانشقاق ٢٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت (١) وأذنت لربها وحقت (٢) وإذا الأرض مدت (٣) وألقت ما فيها وتخلت (٤) وأذنت لربها وحقت (٥) يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه (٦) فأما من أوتي كتابه بيمينه (٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا (٨) وينقلب إلى أهله مسرورا (٩) وأما من أوتي كتابه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعو ثبورا (١١) ويصلى سعيرا (١٢) إنه كان في أهله مسرورا (١٣) إنه ظن أن لن يحور (١٤) بلى إن ربه كان به بصيرا (١٥) فلا أقسم بالشفق (١٦) والليل وما وسق (١٧) والقمر إذا اتسق (١٨) لتركبن طبقا عن طبق (١٩) فما لهم لا يؤمنون (٢٠) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (٢١) بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله أعلم بما يوعون (٢٣) فبشرهم بعذاب أليم (٢٤) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٢٥)﴾ ٢٨٠

سورة البروج

• مفردات سورة البروج ٢٩٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾ ٢٩٣

سورة الطارق

• مفردات سورة الطارق ٣٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)﴾ ٣٠٧

سورة الأعلى

• مفردات سورة الأعلى ٣١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ ٣١٨

سورة الغاشية

• مفردات سورة الغاشية ٣٢٧

تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ
مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا
إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)﴾ ٣٢٨

سورة الفجر

• مفردات سورة الفجر ٣٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي
حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ
طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ
الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ
الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ ٣٤٢

سورة البلد

• مفردات سورة البلد ٣٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي
كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ
عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ
رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ
نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾ ٣٦١

سورة الشمس

• مفردات سورة الشمس ٣٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ
خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ
وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾ .. ٣٧٢

سورة الليل

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾ ٣٨٤

سورة الضحى

• **مفردات سورة الضحى** ٣٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ ٣٩٢

سورة ألم نشرح

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨)﴾ ٣٩٩

سورة التين

• **مفردات سورة التين** ٤٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾ ٤٠٦

سورة العلق

• **مفردات سورة العلق** ٤١١

تفسير قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩)﴾ ٤١٢

سورة القدر

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤﴾ ٤٢٤

سورة البينة

تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧﴾ ٤٣٠

سورة الزلزلة

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ ٤٣٦

سورة العاديات

• مفردات سورة العاديات ٤٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾ ٤٤٧

سورة القارعة

• مفردات سورة القارعة ٤٥٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾ ٤٥٦

سورة التكاثر

• مفردات سورة التكاثر ٤٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾ ٤٦١

سورة العصر

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ ٤٦٦

سورة الهمزة

• مفردات سورة الهمزة ٤٦٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾ ٤٦٩

سورة الفيل

• مفردات سورة الفيل ٤٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ ٤٧٦

سورة قريش

• مفردات سورة قريش ٤٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾ ٤٨٢

سورة الماعون

• مفردات سورة الماعون ٤٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ ٤٩١

سورة الكوثر

• مفردات سورة الكوثر ٤٩٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ٤٩٩

سورة الكافرون

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ ٥٠٦

سورة النصر

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ ٥١١

سورة اللهب

• مفردات سورة اللهب ٥١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ ٥١٥

سورة الإخلاص

• مفردات سورة الإخلاص ٥٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ٥٢٤

سورة الفلق

• مفردات سورة الفلق ٥٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ ٥٣١

سورة الناس

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ ٥٣٨